

إِعْرَافُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَبَيِّنَاتُهُ

تأليف الأستاذ
محمي الدين الدرويش
المجلد الثالث

لِلْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ — لِلْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ — لِلْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ — لِلْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

الكامنة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

اعزّاز القرآن الكريم
وبيناه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة السابعة

١٤٢٠م - ١٩٩٩م

طبعة منقحة ومصححة ومفهّسة
(تنضيد جديد)

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء
منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ
أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي
والمسموع أو الاختزان بالحاسبات
الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من دار اليمامة ودار ابن كثير،
دمشق - بيروت



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجوالي
ص.ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - نرجس أي حيدر - خلف دبوس الأميلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣ / ٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٣٢٠٤٤٥٩



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - برامكة - جانب الهجيرة والجوازات
ص.ب: ٣٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - نرجس أي حيدر - خلف دبوس الأميلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣ / ٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٣٨٥٣٥٨٦

إعجاز القرآن الكريم وبَيَّانُهُ

نائب الأستاذ

محمي الدين اللدرويش

المجلد الثالث

الجزء السابع — الجزء العاشر — الجزء الثاني عشر

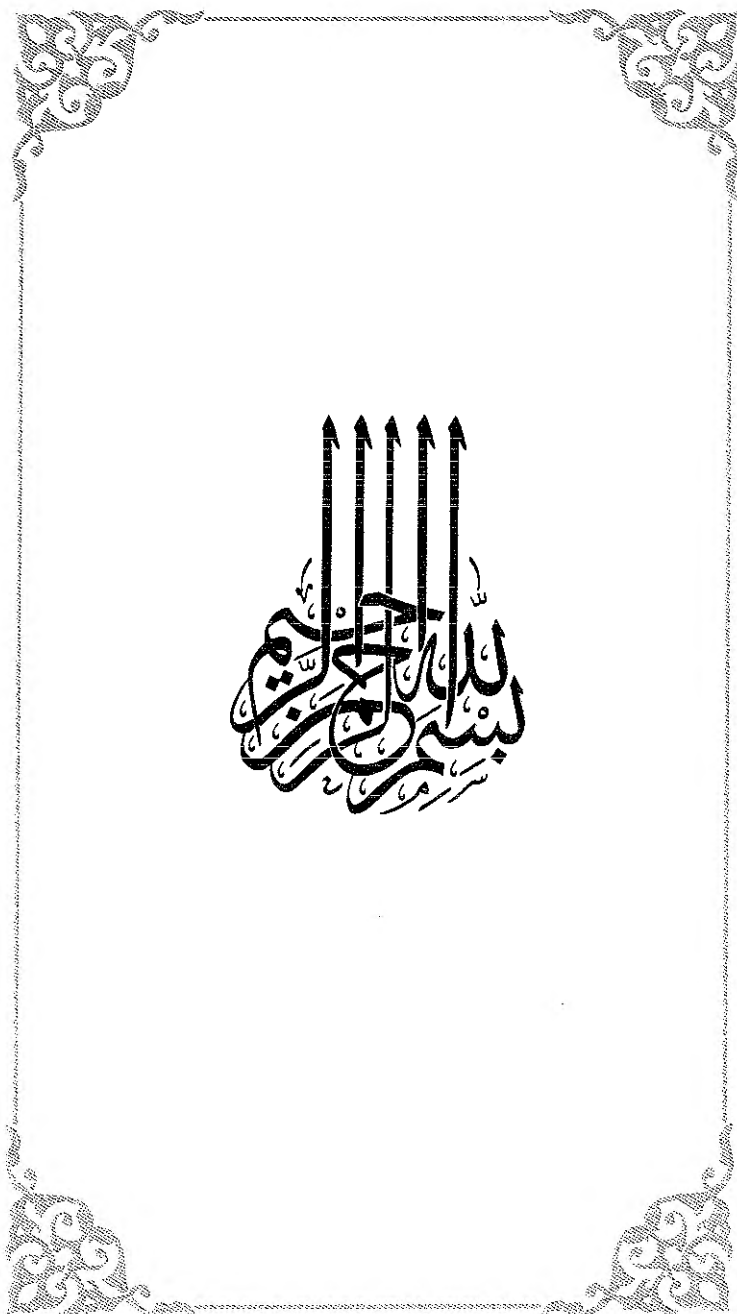
دار البزكثير

دمشق - بيروت

دار الميمامة

دمشق - بيروت

دار الإرساد للسؤون الجامعية
حرس - سرية



﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عِذْنًا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ لَتَعُودَنَّ ﴾ : لفعل «عاد» في لغة العرب استعمالان: أحدهما وهو الأصل: الرجوع إلى ما كان عليه من الحال الأول، وثانيهما استعمالها بمعنى صار، وحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر. وقد جرينا على الإعرابين.

○ الإعراب:

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ تقدم هذا الإعراب بنصه، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما قالوه بعد ما سمعوا من المواعظ ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ اللام موطئة للقسم، ونخرجنك فعل مضارع مبني على الفتح، والكاف مفعول به، والذين عطف على الكاف أو مفعول معه، وجملة آمنوا صلة، ومعك ظرف مكان متعلق بالإخراج لا بالإيمان، وتوسيط النداء باسم شعيب زيادة بيان إغراقهم في الوقاحة والطغيان، ومن قريتنا جار ومجرور متعلقان بنخرجنك ﴿ أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أو عاطفة، ولتعودن عطف على جواب القسم الأول، أي: والله لنخرجنك والمؤمنين، أو لتعودن، وتعودن هنا معرب لأنه لم يتصل مباشرة بنون التوكيد الثقيلة، وأصله تعودونن، فحذفت النون لتوالي الأمثال، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، والواو إما فاعل وأما اسم تعود على الاستعمالين، وفي ملتنا جار ومجرور متعلقان بتعودن أو بمحذوف خبر تعودن ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ جملة القول مستأنفة، مسوقة لبيان رد شعيب عليه السلام، والهمزة للاستفهام

الإنكاري، أي إنكار، ولو شرطية لمجرد الربط لا لانتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، وكان واسمها وخبرها، وجملة لو كنا كارهين في محل نصب حال من ضمير الفعل المقدر أي: أنعود ولو كنا كارهين ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للتعجب من إصرارهم على موقفهم، وقد حرف تحقيق، وافترينا فعل وفاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترينا، وكذباً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، وإن شرطية، وعدنا في ملتكم في محل جزم فعل الشرط، وتقدم إعراب الباقي على الاستعمالين، وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله، أي: فقد افترينا الكذب ﴿بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بعد ظرف زمان متعلق بمحذوف حال، والظرف مضاف إلى ظرف آخر، وجملة نجانا في محل جر بالإضافة، والله فاعل، ومنها جار ومجرور متعلقان بنجانا ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ الواو استئنافية مسوقة لاستبعاد العود، وما نافية، ويكون فعل مضارع، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأن وما في حيزها هو اسم يكون، وفيها جار ومجرور متعلقان بنعود، أو بمحذوف خبرها، على الاستعمالين ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ في هذا الاستثناء وجهان: أحدهما أنه متصل، فعلى هذا يكون الاستثناء من أعم الأوقات أو الأحوال، وثانيهما أنه منقطع، فيكون التقدير: لكن إذا شاء الله العود، والله فاعل يشاء، وربنا بدل من الله ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لبيان سعة علم ربنا، ووسع فعل ماض، وربنا فاعل، وكل شيء مفعول به، وعلماً تمييز محوّل عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ الجملة في موضع نصب على الحال، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا، وتوكلنا فعل وفاعل ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الجملة مستأنفة، وربنا منادى مضاف، وافتح فعل أمر، وبيننا ظرف مكان متعلق بافتح، أي: احكم بيننا وبين قومنا، والواو للحال، أو للاستئناف أيضاً، وأنت مبتدأ، وخير الفاتحين خبر.

* الفوائد :

اشتملت هاتان الآيتان على كثير من الفوائد، نلخصها فيما يلي :

(١) الشبهة في العود :

إذا كانت «عاد» على معناها الأصلي، فكيف يحسن أن يقال : «أو لتعودن» أي : ترجعن إلى حالتكم الأولى، مع أن شعبياً عليه السلام لم يكن قط على دينهم ولا في ملتهم؟ وقد أجيب عن هذه الشبهة بأمور :

١ - إن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبيس والإيهام على العوام؛ بأنه كان على دينهم، وفي ملتهم.

٢ - أن يراد بعوده رجوعه إلى حاله قبل بعثته، وهي السكوت، لأنه قبل أن يبعث يخفي إيمانه، وهو ساكت.

٣ - تغليب الجماعة على الواحد، لأنهم لما أصبحوه مع قومه في الإخراج أجروا عليه حكم العود إلى الملة، تغليبا لهم عليه.

على أن استعمال عاد بمعنى صار لا يستدعي العود إلى حالة سابقة، بل العكس من ذلك، وهو الانتقال من حالة سابقة إلى حال مؤتلفة، وحينئذ تندفع الشبهة تماماً.

وثمة وجه لطيف فني لردّ الشبهة ليس بعيداً، وهو أن تبقى عاد على معناها الأصلي، وهو أن يكون الكلام من وادي قوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿والإخراج يستدعي دخولا سابقا فيما وقع الإخراج منه، ونحن نعلم أن المؤمن الناشئ في الإيمان المترعرع على ذراه لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها، وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الإيمان ولا كان فيه، ولكن لما كان الإيمان والكفر من الأفعال الاختيارية، كان تعبيراً عن السبب بالمسبب لإقامة حجة الله على عباده.

(٢) لزوم ما لا يلزم:

وفي الآية الأولى لزوم ما لا يلزم، وهي قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فقد لزمت التاء قبل النون، وهذا ما يسمى «لزوم ما لا يلزم»، وهو أن يلتزم الشاعر في شعره والنائر في نشره حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل حرف الرّويّ على قدر طاقته، ومقدار قوة عارضته، مشروطاً بعدم الكلفة. وسيرد في القرآن الكثير منه.

أبو العلاء المعريّ واللّزوم:

وقد قال أبو العلاء:

كُثِيرٌ أَنَا فِي حَرْفِي أَهْبَتَ لَهُ فِي التَّاءِ يَلْزَمُ حَرْفًا غَيْرَ يَلْتَزِمُ
فقد أرخ شاعرنا الفيلسوف في بيته الفنّ الذي أحبه ونذر له نفسه أولاً وهو «لزوم ما لا يلزم». ومعنى البيت أنه حذا حذو كثير عزة الذي التزم اللام في تائيته التي يقول في مستهلها:

خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصِيكُمَا ثَمَّ احْلَا حَيْثُ حَلَّتْ

وهذه القصيدة المستجادة تعدُّ حسب رواية القالي خمسة وثلاثين بيتاً، بناها من أولها إلى آخرها على التزام حرف معين قبل الرّويّ، وهو أمر لم يُسبق إليه شاعر من شعراء العرب في استخدام هذا النوع، فقلّده الشعراء، وهل أراد المعري ذلك؟ الجواب: لا، ومن رأينا أن المعري في اقتدائه بكثير عزة لم يفعل ذلك، لأن كثيراً أول من استخدم هذا الفن - كما توهم فريق من علماء البيان - بل لأن لزوم ما لا يلزم لم يرد إلا نادراً في شعر العرب قبل عصر كُثِيرٍ، كما أنه ورد في نبد ومقطوعات قصيرة، أما كُثِيرٌ فقد نظم أشهر وأطول قصيدة لزومية تناقلتها الرواة. وقد أكثر شعراء العرب قبل كثير وبعده من التزام ما لا يلزم قبل تاء التائيث هذه.

هذا؛ وقد بلغ أبو العلاء الغاية في لزومياته، فقد بنى قافية على دارهم، صدارهم، ملتزماً فيها أربعة أحرف، وبنى أخرى على ضرائرهم،

صرائرهم، صرائرهم، ملتزماً فيها خمسة أحرف . ويطول بنا الحديث إن أردنا الاستشهاد، فحسبنا ما تقدم .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَفَصَحْتُ لَكُمُ الْكَيْفَ ءَأَسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

☆ الشبهة:

﴿ يَفْنَوْا ﴾ مضارع غني بالمكان أقام به فهو غان . والمغنى : المنزل، والجمع المغاني، قال الطائي :

غنيا زماناً بالتصعلك والغنى

وكلاً سقانه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذي قرابة

غننا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

﴿ ءَأَسَى ﴾ : أصله أأسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً . وفي المصباح : أسي أسي، من باب : تعب : حزن .

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ تقدم إعرابها ﴿ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴾ الجملة القسمية في محل نصب مقول قولهم، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، واتبعتم شعيباً فعل وفاعل ومفعول به، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، واللام المرحقة، وخاسرون خبر إن، وجملة

إنكم جواب القسم لا محل لها، وهي ساذجة مسد جواب الشرط، كما هي القاعدة في اجتماع شرط وقسم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ الفاء عاطفة، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل، فأصبحوا عطف على فأخذتهم، والواو اسم أصبحوا وجائمين خبرها، وفي دارهم جار ومجرور متعلقان بجائمين ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ جملة مستأنفة لبيان حقيقة هؤلاء المكذبين. والذين مبتدأ، وجملة كذبوا شعيباً صلة، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يغنوا فيها خبرها ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ الذين مبتدأ، وجملة كذبوا شعيباً صلة، وجملة كانوا خبر الذين، وهذا التكرير في المبتدأ والخبر مبالغة في الرد على أشياعهم وتسفيه آرائهم، والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين، وأسند إلى الموصول تعظيماً لغير السامعين، فإن خسران مكذبيه يدل على سعادة مصدقه، ويلزمه تعظيم شعيب عليه السلام الذي هو غير المتكلم والمخاطب في هذا المقام ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَزَقْنِي الْفَاءَ عَاطِفَةً، وتولى فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو، وعنهم جار ومجرور متعلقان بتولى، وقال عطف على تولى، وجملة لقد أبلغتكم رسالات ربي مقول القول، ورسالات مفعول به ثان لأبلغتكم ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِكَيْفِ عَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ عطف على ما سبق، والفاء استئنافية، وكيف اسم استفهام معناه النفي في محل نصب حال، وآسى فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنا، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بآسى، وكافرين صفة لقوم.

□ البلاغة:

في الآية وصف لحال النفس في تردها فقد اشتد حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه فقال: كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم وتماديهم في الطغيان، واستحقاقهم لما نزل بهم؟ ثم يتخلل ذلك العودة عليهم بالملامة، يريد لقد أعذر من أنذر، وبلغت أقصى ما يستطيعه الغيور على قومه من الارتطام في بوادي الجهل المتشعبة، ومهالكه الموبقة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴾ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا
الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴾ ٩٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا
وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ٩٦

☆ اللفظة:

﴿ عَفَوْا ﴾: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم: عفا النبات،
وعفا الشحم والوبر: إذا كثرت. ويقال: عفا: كثر، وعفا: درس، فهو من
أسماء الأضداد. وفي المصباح أنه يتعدى ولا يتعدى، ويتعدى أيضاً
بالهمزة، فيقال: أعفيته.

○ الإعراب:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف،
مسوق لبيان أحوال الأمم بصورة مجملة لتكون مع القصة نذيراً للمندرين،
وما نافية، وأرسلنا فعل وفاعل، ومن حرف جر زائد، ونبيّ مجرور لفظاً
منصوب محلاً على أنه مفعول به ﴿ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴾ إلا أداة حصر، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، فجملة أخذنا في
حل نصب على الحال بتقدير «قد» كما هو الشرط في وقوع الماضي حالاً، وقد
تقدّم بحثه. والتقدير: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في
حال من الأحوال إلا حال كوننا قد أخذنا. وأهلها مفعول به، وبالبأساء جار
ومجرور متعلقان بأخذنا، والضراء عطف على البأساء، ولعلمهم لعل واسمها،
وجملة يضرعون خبرها، وجملة لعلمهم يضرعون حالية. ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ
السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وبدلنا عطف على أخذنا منتظم في

حكمه، ومكان مفعول به لبدلنا، والسيئة مضاف إليه، والحسنة مفعول به ثان، وهذا ما منع من نصبه على الظرفية، فالحسنة هي المأخوذة الحاصلة، ومكان السيئة هو المتروك الذهاب، وهو الذي تصحبه الباء في مثل هذا التركيب، وقد تقدم تحقيق ذلك في البقرة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَءُ وَالسَّرَءُ﴾ حتى حرف غاية وجر، وعفوا فعل ماض وفاعله، والمصدر المؤول المجرور بأن متعلقان ببدلنا، وقالوا عطف على عفوا، وجملة قد مس مقول القول، وآباءنا مفعول به، والضراء والسراء عطف عليه ﴿فَأَخَذْنَهُمْ بَغْةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ فأخذناهم عطف على عفوا، وبغته حال أو صفة لمصدر محذوف، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يشعرون خبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفُتِحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية لمجرد الربط، وأن واسمها، وجملة آمنوا خبرها، وأن وما بعدها فاعل لفعل محذوف، أي: ثبت إيمانهم، ولفتحنا اللام واقعة في جواب لو، وفتحنا فعل وفاعل، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بفتحنا، وبركات مفعول به، ومن السماء والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبركات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهمل، وكذبوا فعل وفاعل، والجملة نصب على الحال، فأخذناهم الفاء عاطفة، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بأخذناهم، وما مصدرية، أو موصولة، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبر، وجملة الكون صلة «ما» أو المصدر المؤول لا محل له بعد الموصول الحرفي.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ

مَكَرَ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

☆ اللغة:

﴿يَكْتَا﴾ البيات يكون بمعنى البيتوة، يقال: بات بيتاً، وقد يكون بمعنى التبييت، كالسلام بمعنى التسليم، يقال بيته العدو بياتاً، فيجوز أن يراد: يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات، أو مبيتاً، أو مبيتين. والبيات: الهجوم على الأعداء ليلاً.

﴿ضَحَى﴾: اشتداد الشمس وامتداد النهار، يقال: ضحي، ويقال: ضُحى وضحاء، إذا ضمته قصرته، وإذا فتحته مددته.

○ الإعراب:

﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء عاطفة على أخذناهم بغتة، وما بينها وهو قوله: «ولو أن أهل القرى» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تقدّم أن مثل هذا التركيب يكون حرف العطف في نية التقديم، وإنما تأخر، وتقدمت عليه الهمزة لقوة تصدرها في أول الكلام. وأمن أهل القرى فعل وفاعل ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أن المصدرية، وما في حيزها مفعول أمن، وبأسنا فاعل يأتيهم، وبياتاً حال أو ظرف، والواو حالية، وهم نائمون مبتدأ وخبر، والجملة نصب على الحال من الضمير في يأتيهم ﴿أَوْ أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب، وضحي ظرف زمان متعلق بآتيهم ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ تقدم إعرابها، والتكرير لزيادة النكير والتوبيخ، وقد تقدم القول في المراد بمكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولا نافية، ويأمن مكر الله فعل ومفعول به، وإلا أداة حصر والقوم فاعل، والخاسرون صفة.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمُ

يَذُنُّوهُمْ وَيَنْطَبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ أَلْقَرَىٰ نَقْصُ عَلَيْكَ
مِّنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
مِّنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ
مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

☆ اللفظة:

﴿يَهْدِي﴾: يبين، من هدى يهدي.

○ الإعراب:

﴿أَوَّلَهُ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ومعنى يهدي: أن يتبين وهي مجزومة بـ «لم» وللذين متعلقان بيهد، وجملة يرثون الأرض صلة، ومن بعد أهلها جار ومجرور متعلقان بيرثون ﴿أَن لَّوْ شَاءَ أَصَبْتَهُمْ يَذُنُّوهُمْ﴾ أن هنا هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة نشاء خبر، وأن وما بعدها فاعل يهد، ويجوز أن يكون فاعل «يهد» مستتراً هو ضمير «الله»، أو ضميراً عائداً على المفهوم من سياق الكلام، أي: أولم يهد ما جرى للأمم السابقة، وعندئذ تكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل المفعول، والتقدير على الوجه الأول: أولم يهد الله ويبين للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم إصابتنا إياهم بذنوبهم، ويكون المفعول به محذوفاً كما قدرناه. وعلى الوجه الثاني يكون التقدير: أولم يبين ويوضح الله ما جرى للأمم إصابتنا إياهم لو شئنا ذلك. وأصبناهم فعل وفاعل ومفعول به، وبذنوبهم جار ومجرور متعلقان به ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ولا يجوز عطفه على جواب «لو» لأنه يؤدي إلى كون الطبع منفياً بمقتضى «لو» مع أنه ثابت لهم، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بنطع ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الفاء عاطفة لتعقيب عدم السمع بعد الطبع على القلب، وهم مبتدأ، وجملة لا يسمعون خبره ﴿تِلْكَ

أَلْقُرَى نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ﴿١٠٠﴾ تلك اسم شارة في محل رفع مبتدأ، والقرى بدل من تلك، وجملة نقص خبر تلك. ويجوز أن تكون القرى هي الخبر، وجملة نقص حالية، على حد قوله تعالى: «هذا بعلي شيخاً»، وعليك جار ومجرور متعلقان بنقص، ومن أنبائها جار ومجرور متعلقان بنقص أيضاً، ومن للتبعيض، أي: بعض أنبائها، ولها أنباء أخرى لم نقصها عليك، وجملة الإشارة استئنافية، مسوقة لبيان أن هؤلاء لا تجدي فيهم النصائح والعبر، ولا تؤثر فيهم المواعظ، فماتوا مصرين على عنادهم، لم تلن لهم شكيمة، ولم يهدأ لهم عناد ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿١٠٢﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءتهم فعل ومفعول به، رسلهم فاعل، وبالبينات جار ومجرور متعلقان بجاءتهم ﴿١٠٣﴾ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ ﴿١٠٤﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام للجحود، ويؤمنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي: فما كانوا يريدون ليؤمنوا، وبما جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا، وما اسم موصول، أو مصدرية، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وعلى كون «ما» موصولة فالتائد محذوف، وهو مجرور، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ﴾، وهو من اتحاد المتعلق معنى، وبيان كونه من ذلك أن مجموع «ما كانوا ليؤمنوا» بمعنى «كذبوا به»، فاتحد المتعلقان معنى. ويمكن أن يقال: قد تعدى قوله تعالى: «ليؤمنوا» بالياء، ويؤمن نقيض يكذب، فأجراه مجراه؛ لأنهم قد يحملون الشيء على نقيضه، كما يحمل على نظيره ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الكاف مع مدخولها صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المتنفي عنهم الإيمان كذلك يطبع الله على قلوب الكفرة الآتين بعدهم ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الواو معترضة، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية، وما نافية، ووجدنا فعل وفاعل، ولأكثرهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعهد، ومن حرف جر زائد، وعهد مفعول به

محلاً لوجدنا ويجوز أن يكون لأكثرهم مفعولاً ثانياً لوجدنا، بترجيح أنها علمية لا وجدانية ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن مخففة من الثقيلة غير عاملة على قلة، ويجوز أن تكون عاملة واسمها ضمير الشأن، وسيأتي حكمها في باب: الفوائد، ووجدنا أكثرهم فعل وفاعل ومفعول به، واللام الفارقة، وفاسقين مفعول به ثان لوجدنا.

* الفوائد:

إذا خففت «إن» المكسورة الهمزة أهملت وجوباً إن وليها فعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾، فإن وليها اسم فالغالب إهمالها أيضاً، نحو: إن أنت لصادق، ويقل إعمالها، نحو: إن زيدا لمنطلق. ومتى خففت وأهملت لزمها اللام المفتوحة وجوباً تفرقة بينها وبين «إن» النافية، وتسمى اللام الفارقة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ثم: حرف عطف وتراخ، وبعثنا فعل وفاعل، من بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والضمير للرسل أو للأمم، وموسى مفعول به، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان ببعثنا، وإلى فرعون جار ومجرور متعلقان ببعثنا أيضاً، وملئه عطف على فرعون، أي إلى قومه، فظلموا الفاء للعطف والتعقيب،

وبها جار ومجرور متعلقان بظلموا، وأجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من شعبة واحدة، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ تقدم إعراب نظيرها فجدد به عهداً ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مسوقة لتفصيل ما أجمله من قبل. ويا حرف نداء للتوسط، وفرعون منادى مفرد علم مبني على الضم، وهو لقبه، واسمه الحقيقي الوليد بن مصعب بن الريان، أما كنيته فأبو مرة، وإن واسمها ومن رب العالمين خبرها، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ حقيق خبر لمبتدأ محذوف، أي: أنا حقيق، بمعنى جدير، والجملة استئنافية، وعلى أن لا أقول جار ومجرور متعلقان بحقيق، لأنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بأقول، وإلا أداة حصر، والحق صفة لمصدر محذوف، أي: إلا القول الحق، ويجوز أن يكون مفعولاً به؛ لأنه يتضمن معنى جملة ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الجملة صفة لرسول، وقد حرف تحقيق، وجئْتُكم فعل وفاعل ومفعول به، وبينة جار ومجرور متعلقان بجئْتُكم، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا استمعت كلامي وثبت إلى الرشيد فخل أمرهم واترك سبيلهم حتى يذهبوا معي. وأرسل فعل أمر، ومعني ظرف متعلق بأرسل، وبني إسرائيل مفعول به، وغاية موسى تحريرهم من العبودية وتخليصهم من ربة الأسر والهوان ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِثَآئِلَةٍ فَاتِّبِعْهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ جملة قال استئنافية لطلب فرعون الإتيان بآية من ربه، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول، وإن شرطية، وكان واسمها، وجملة جئت خبر كنت، وبآية جار ومجرور متعلقان بجئت، والفاء رابطة للجواب، وأت فعل أمر، وبها جار ومجرور متعلقان به، وكنت كان واسمها في محل جزم فعل الشرط ومن الصادقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنت، وجواب إن محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: فات بها.

□ البلاغة:

من سنن العرب في كلامهم القلب، وهو ضربان: الأول قلب الحقيقة إلى المجاز لوجه من المبالغة، وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بأهدابه حين قال:

والسيف يَشْقَى كما تشقى الصُّلُوعُ به

وللسيوف كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف انقطاعه في أضلاع المضروب، على حد قوله في بيت آخر:

طوال الرُدَيَّاتِ يقصفها دمي

وبيض السَّريجاتِ يقطعها لحمي

والضرب الثاني ضرب معزى عن هذا المعنى البليغ، كقولهم: خرق الثوب المسمار، وأشباهه.

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ أَلَمْ لَا مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنُ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

○ الإعراب:

﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وألقى فعل ماض، وعصاه مفعول به، فإذا الفاء عاطفة أيضاً، وإذا الفجائية، وقد تقدم القول فيها، وإن النحاة ذهبوا فيها لثلاثة مذاهب: ظرف مكان أو زمان أو حرف، وهي مبتدأ، وثعبان خبر، ومبين صفة ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ الواو عاطفة، ونزع يده فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، أي: أخرجها من جيبه، وهو طوق قميصه، والفاء عاطفة، وإذا فجائية، وهي مبتدأ، وبيضاء خبر، وللناظرين جار ومجرور متعلقان ببيضاء، والمعنى:

فإذا هي بيضاء للنظارة بياضاً عجيباً باهراً خارقاً للعادة، مع أنه كان آدم شديد الأدمة، أي: السمرة. ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف صفة لبيضاء ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ عَلِيمٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق ليعلم الملأ من قومه عجبهم، ولا منافاة بين ما ورد هنا من صدور الكلام عنهم وما ورد في سورة الشعراء من عزوه إلى فرعون، فقد يكون هو القائل فحكوا قوله. وقال الملأ فعل وفاعل، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وساحر خبر، وعلیم صفة، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ جملة يريد صفة ثانية لساحر، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريد، ويخرجكم فعل مضارع منصوب بأن، ومن أرضكم جار ومجرور متعلقان بيخرجكم، والفاء عاطفة، وماذا اسم استفهام مفعول مقدم لتأمرون، أو «ما» مبتدأ و«ذا» اسم موصول خبرها، وجملة تأمرون لا محل لها، وقد تقدم القول مشبعاً في «ماذا» وإعرابها ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ الكلام مستأنف، مسوق لبيان رد الملأ من قومه. وجملة «أرجه» نصب مقول القول، وأرجه فعل أمر، أي: أرجه وأخره، وقد حذفت الهمزة تسهيلاً، والهاء مفعول به، وأخاه عطف على الهاء، ولك أن تنصبها على أنها مفعول معه ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وأرسل فعل أمر، وفي المدائن جار ومجرور متعلقان بأرسل، وحاشرين صفة لمفعول به محذوف، أي: رجالاً حاشرين السحرة، وقيل: هو منصوب على الحالية، ومفعول حاشرين محذوف، أي: السحرة، والمدائن جمع مدينة، فميمها أصلية وياؤها زائدة، مشتقة من مدن يمدن مدوناً: أي: أقام، وإذا كانت الياء زائدة في المفرد قلب همزة في الجمع ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يأتوك فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، والواو فاعل، والكاف مفعول به، وبكل جار ومجرور متعلقان بيأتوك، وساحر مضاف إليه، وعلیم صفة.

* الفوائد:

تقدّم القول مستوفى في «إذا» الفجائية، ونورد هنا المسألة الزُّبُورِيَّة، وهي مناظرة جرت بين سيويه والكسائي. وكان من خبرهما أن سيويه قدم على البرامكة، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما، فجعل لذلك يوماً. فلما حضر سيويه تقدم إليه الفراء وخلف، فقال سيويه: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما، فحضر الكسائي فقال له: تسألني أو أسألك؟ فقال له سيويه: سل أنت. فسأله عن المسألة الزنبورية، وهي: قالت العرب: قد كنت أظنُّ أن العقرب أشد لسعاً من الزنبور فإذا هو هي. وقالوا أيضاً: «إذا هو إياها». فقال سيويه: «لا يجوز النصب» فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا ببلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: العرب ببابك، قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون. فقال يحيى وجعفر: أنصفت، فأحضروا فوافقوا الكسائي، فاستكان سيويه، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس فأقام بها حتى مات، ولم يعد إلى البصرة. فيقال: إن العرب قد أرسوا على ذلك، وأنهم علموا بمنزلة الكسائي عند الرشيد.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٨﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قالوا: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لإيراد جوابهم على تقدير: سأل: «ما قالوا»، وتنكير الأجر يقصد به المبالغة في

الكثرة. وإن حرف مشبه بالفعل، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم، واللام المرحلة، وأجراً خبرها، والجملة في محل نصب مقول القول ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ إن شرطية، وكان واسمها، ونحن تأكيد لـ«نا»، ويجوز أن يكون ضمير فصل أو عماد، والغالبين خبر، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الكلام مستأنف مسوق لإيراد جواب فرعون. ونعم حرف جواب تضمن تحقيق ما طلبوه من أجر كثير، وإنكم الواو عاطفة على محذوف سد مسدده حرف الجواب، كأنه قال: نعم إن لكم لأجراً، وإنكم إن واسمها، واللام المرحلة، ومن المقربين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ﴿قَالُوا يَكْمُوسِي إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾ جملة مستأنفة تضمنت مخاطبة السحرة لموسى، وفيه الكثير من الأدب الرفيع المتبادل بين أبناء المهنة الواحدة، كما يفعل أصحاب الصناعات إذا التقوا. وإما حرف شرط تضمن معنى التخيير، وفيه يتجلى حسن أدب منهم. وأن مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: إما إلقاءك مبدوء به، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: وإما أمرك إلقاء، ويجوز أن يكون المصدر منصوباً بفعل محذوف، أي: افعل إما إلقاءنا وإما إلقاءك ﴿وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكِينَ﴾ عطف على ما تقدم ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ جملة ألقوا في محل نصب مقول قوله، وجملة قال استئنافية، والفاء استئنافية، ولما رابطة، أو حينية، وألقوا فعل وفاعل، وجملة سحروا جواب لما، وأعين الناس مفعول به، واسترهبوهم عطف على سحروا كأنهم استدعوا رهبتهم ﴿وَجَاءَ بِسِحْرِ عَزِيمٍ﴾ عطف أيضاً، وبسحر جار ومجرور متعلقان بجاءوا، وعظيم صفة لسحر.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَا لَكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ

سَجِدِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾

☆ اللغة:

﴿تَلَقَّفْ﴾ مضارع لقف، كعلم يعلم، يقال: لَقِفْتُ الشيء أَلَقَفُهُ لَقْفًا وتَلَقَّفْتَهُ تَلَقُّفًا؛ إذا أخذته بسرعة فأكلته، أو ابتلعتة. ويقال: لقف ولقم بمعنى واحد.

﴿يَأْفِكُونَ﴾: الإفك: في الأصل قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفاك؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل.

○ الإعراب:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ الواو استئنافية، وأوحينا فعل وفاعل، وإلى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا، و«أن» يجوز أن تكون مفسرة لوقوعها بعد ما فيه معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون أن مصدرية، فتكون هي وما بعدها مفعول أوحينا، وألق فعل أمر، وعصاك مفعول به لألق ﴿فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، والتقدير: فألقها فإذا هي، وإذا الفجائية، وهي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة تلقف خبر، و«ما» يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي: الذي يأفكونه، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب على المفعولية لتلقف، وجملة يأفكون لا محل لها على كل حال ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، ووقع الحق فعل وفاعل، وبطل فعل ماض، و«ما» موصولة أو مصدرية، وهي في محل رفع فاعل، أو مع ما في حيزها. وكان واسمها، وجملة يعملون خبرها ﴿فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ الفاء عاطفة، غلبوا فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، أي: غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم، وانقلبوا عطف على غلبوا، وصاغرين حال ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ عطف على ما قبله، والسحرة نائب فاعل

لألقي، وساجدين حال من السحرة ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، ويجوز أن تكون حالية، أي: ألقوا حال كونهم ساجدين قائلين، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول، وبرب العالمين جار ومجرور متعلقان بآمنا ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ رب بدل من رب العالمين أو نعت له، وقدموا موسى على هارون - وإن كان هارون أسنَّ منه - لأمرين: أولهما ارتفاعه عليه بالرتبة، ولأنه وقع فاصلة ومراعاة الفواصل تكاد تكون مطردة في القرآن.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَخُرُجٌ مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٢٣ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٢٤ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ١٢٥ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنَّا ءَأَمَّنا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ﴾ ١٢٦

☆ اللغة:

﴿خَلْفٍ﴾: يكاد المفسرون يجمعون على أن المعنى هو أن يقطع من كل شق طرفاً، فيقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. وقالوا: إن أول من قطع من خلاف وصلب هو فرعون. وفي اللغة خالفه خلافاً بكسر الخاء ومخالفة: ضد وافقه، وخالف بين رجله قدَّم إحداها وأخَّر الأخرى، فلعله مأخوذ من هذا المعنى. ويبعد قول من فسره بالمخالفة أي: لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ لأجل مخالفتكم إياي. فتكون «من» تعليلية؛ لأن هذا يتنافى مع أسلوب القرآن البليغ.

﴿نَنْقِمُ﴾ في المصباح: نَقَمْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَنَقَمْتُ مِنْهُ نَقْمًا، من باب: ضرب، وَنَقُومًا. وَنَقِمْتُهُ أَنْقَمُهُ، من باب: تَعِبَ لُغَةً: إِذَا عَيْبَتْهُ وَكَرِهَتْهُ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ لِسُوءِ فَعْلِهِ.

ن الإعراب:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ جملة قال فرعون استثنائية، مسوقة للإنكار على السحرة، موبخاً لهم على ما فعلوه. وجملة آمنتم في محل نصب مقول القول، وهي بهمة واحدة وبعدها الألف التي هي فاء الكلمة، وهي إحدى القراءات الأربع في هذه الكلمة. وتحتل الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ، وتحتل الاستفهام المحذوف لفهم المعنى، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنتم، وقبل ظرف زمان متعلق بآمنتم أيضاً، وأن وما في حيزها مصدر مضاف، وأذن أصله أأذن وهو فعل مضارع منصوب بأن، والهمزة الأولى هي همزة المتكلم التي تدخل على المضارع، والثانية قلبت ألفاً لوقوعها ساكنة بعد همزة أخرى، ولكم جار ومجرور متعلقان بأذن، وجملة آمنتم في محل نصب مقول قوله ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق أتى به فرعون ليؤكد لهم أن إيمانهم يقوم على تواطؤ بينهم وبين موسى، وعقب الكلام بأنه قوي، فجنح إلى التهديد. وإن واسمها، واللام المرحقة، ومكر خبرها، وجملة مكرتموه صفة لمكر، وفي المدينة جار ومجرور متعلقان بمكرتموه ﴿ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ اللام للتعليل، وتخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمكرتموه، ومنها جار ومجرور متعلقان بتخرجوا، وأهلها مفعول به، والفاء الفصيحة، وسوف حرف استقبال، وتعلمون فعل مضارع وفاعل، ومفعوله محذوف للعلم به، أي: تعلمون ما يحل بكم من قوارع العذاب ﴿ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلْفٍ ﴾ اللام موطئة للقسم، وأقطعن فعل مبني على الفتح، والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم مفسرة للإبهام الناشئ عن حذف المفعول به، وأيديكم مفعول به، وأرجلكم عطف على أيديكم، ومن خلاف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: مختلفة، ويجوز أن تكون «من» للتعليل، فيتعلق الجار والمجرور بنفس الفعل ﴿ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، لأصلبنكم عطف على لأقطعن، وأجمعين تأكيد

للكاف ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للإدلاء بجوابهم عند تهديده إياهم بأنهم لا يبالون بالموت لانقلابهم إلى ربهم، ورحمته وأنهم ميتون منقلبون إلى ربهم، فما تفعل إلا ما لا بُدَّ منه، وإن وما بعدها مقول القول، وإنا: إن واسمها، وإلى ربنا متعلقان بمنقلبون، ومنقلبون خبر إن ﴿وَمَا لَنُنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْتَ ءَأَمْنًا بِثَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ الواو عاطفة، والكلام مسوق على ما تقدم من جوابهم، وما نافية، وتنقم فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، ومنا جار ومجرور متعلقان بتنقم، أي: ما تعيب علينا إلا إيماننا، وإلا أداة حصر، وأن مصدرية، وهي مع مدخولها مصدر مفعول تنقم، ويجوز أن يكون المصدر مفعولاً من أجله، فهو استثناء مُفَرَّغ على كل حال، وبآيات ربنا جار ومجرور متعلقان بآمننا، ولما رابطة، أو حينية، وجملة جاءتنا لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ كلام مستأنف تحولوا فيه عن خطابه إلى الفرع لله وتفويض الأمور إليه. وربنا منادى مضاف، وأفريغ فعل دعاء تأدباً، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفريغ، وصبراً مفعول به، وتوفنا عطف على أفريغ، ومسلمين حال، ومعنى الإفراغ هنا الصب، أي: صبب علينا أجراً واسعاً يفيض علينا ويغمرنا كما يصب الماء، وجواب «لما» محذوف تقديره: لما جاءتنا آمننا بها من غير تردد. وجملة الجواب لا محل لها على كل حال.

□ البلاغة:

في هذه الآية فنّ طريف وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو المدح في معرض الذم. وهو نوعان:

- (١) أن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم، وهذا النوع هو المشهور، ومنه قول النابغة الذبياني:
- ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قِراعِ الكتائبِ
- ومنه الآية التي نحن بصدددها، وقد مرّت آية في المائدة مماثلة لها أيضاً.

(٢) أن تثبت لشيء صفة مدح، وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء نحو: أنا أفصح العرب بيد أي من قريش. ومنه قول النابغة أيضاً:

فتى كملت أوصافه غير أنه جوادٌ فما يُبقي على المالِ باقيا

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
وَأَهْلَكَ قَالَ سَنُنْفِلُ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ١٢٧ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٨ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا
جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ١٢٩

☆ اللفظة:

﴿ وَنَسْتَحْيِي ﴾ أي: نستبقي نساءهم للخدمة.

○ الإعراب:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، والكلام مستأنف لبيان ما قاله ملاء فرعون وتحريضهم على موسى وقومه، أو عطف على ما تقدم. وقال الملاء فعل وفاعل، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الملاء ﴿ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَأَهْلَكَ ﴾ الاستفهام إنكاري لتحريض فرعون على موسى وقومه، وتذر فعل مضارع، وفاعله مستتر، والجملة مقول القول، وموسى مفعول به، وقومه عطف على موسى، واللام للتعليل، ويفسدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور وهو لام التعليل والمصدر المؤول بعدها متعلقان بتذر، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيفسدوا،

ويذكرك: يجوز أن يكون معطوفاً على يفسدوا فينصب مثله، ويجوز أن تكون الواو للمعية، ويذكرك منصوب بأن مضمرة بعد الواو في جواب الاستفهام، والكاف مفعول به، وآلهتك عطف على الضمير أو مفعول معه، والمعنى كيف يكون الجمع بين ترك موسى وقومه مفسدين في الأرض وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك؟ ﴿قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ جملة القول مستأنفة مسوقة لحكاية حال فرعون بعد فرقه من إلحاق أي مكروه بموسى عليه السلام، وعدل إلى إعادة القتل والإثخان في قومه، وقرئ سنقتل بالتشديد وضمّ النون، أما مع التخفيف فتكون النون مفتوحة، وجملة «سنقتل» نصب على أنها مقول قوله، وأبناءهم مفعول به، ونستحيي نساءهم عطف ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وإن واسمها، وقاهرون خبرها، والظرف متعلق بقاهرون، أو بمحذوف حال ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لحكاية قول موسى لقومه طالباً منهم الاستعانة بالله، وجملة «استعينوا» في محل نصب مقول القول ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عطف على استعينوا، وإن واسمها، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة لا محل لها لأنها تعليلية، وجملة يورثها في محل نصب على الحال من لفظ الجلالة أو خبر بعد خبر لإن، ومن اسم موصول مفعول به ثان ليورثها، والعاقبة الواو استئنافية، والعاقبة مبتدأ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما قاله قوم موسى، ويتذمرون منه، لما كانوا يمتهنون فيه من ضروب الخدم، ويسامون به من ألوان العذاب قبل مولد موسى عليه السلام، وبعد مولده، فقد كان فرعون وقومه يستخدمونهم في الأعمال الشاقة. وجملة أوزينا في محل نصب مقول قولهم، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأوزينا، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، ومن بعد عطف على من قبل، وما مصدرية، مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالإضافة ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة

ليبيان جواب موسى عليه السلام، على تدمير قومه به جرياً على طبيعتهم، وجملة الرجاء في محل نصب مقول قوله، وفيه رمز إلى البشارة بإهلاك فرعون. وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء، وربكم اسمها، وأن يهلك مصدر مؤول في محل نصب خبرها، وعدوكم مفعول به ﴿وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على ما تقدم ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة للتعقيب، وينظر عطف على يستخلفكم، وكيف استفهام في موضع نصب على الحالية، أو المفعولية المطلقة.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ١٣٠ فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ ۚ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾

☆ اللغة:

﴿بِالسِّنِينَ﴾: جمع سنة، وهي اثنا عشر شهراً، وتجمع على سنين وسنوات وسنّهات، وتصغيرها على سَنِيَّة وسنينة وسنيهة، والنسبة إليها سنويّ وسنهيّ، والجمع يعرب بالحروف إلحاقاً بجمع المذكر السالم، وربما أعرب بالحركات. والسنة أيضاً: الجذب والقحط، وقد اشتقوا منها، فقالوا: أسنت القوم بمعنى: أجذبوا وأقحطوا.

﴿يَطَّيَّرُوا﴾ الأصل: يتطيروا، فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها، والتطير كما في معاجم اللغة: التشاؤم، وأصله أن يفرق المال ويطير بين القوم، فيطير لكل واحد حظه وما يخصه، ثم أطلق على الحظ والنصيب السيء بالغلبة.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة،

مسوقة للشروع في تفصيل كيفية إهلاكهم وما سبقه من أحداث. واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وأخذنا فعل وفاعل، وآل فرعون مفعول به، وبالسين جار ومجرور متعلقان بأخذنا ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ الواو عاطفة، ونقص عطف على السين، ومن الثمرات جار ومجرور متعلقان بنقص، والمراد إتلاف الغلة بالآفات المختلفة، ولعل واسمها، وجملة يذكرون خبرها، وجملة لعلهم يتذكرون حالية ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاءتهم الحسنة في محل جر بالإضافة، والمراد ما يصيبهم من الرخاء والخصب، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهذه اسم إشارة في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول قولهم ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتصبهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وسيئة فاعل، ويطيروا جواب الشرط، وبموسى جار ومجرور متعلقان بيطيروا، ومن عطف على موسى، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الأعراب؛ لأنه صلة الموصول ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ألا أداة استفتاح وتنبية، وإنما كافة ومكفوفة، وطائرهم مبتدأ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والجملة مستأنفة مسوقة من قبله تعالى للرد على افتئاتهم، وأن ما أصابهم هو جزاء وفاق لأعمالهم السيئة المسجلة عنده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو حالية، ولكن واسمها، والجملة نصب على الحال، وجملة لا يعلمون خبر لكن ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ الواو عاطفة، وقالوا فعل وفاعل، ومهما اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وتأتنا فعل الشرط ومفعول به، وبه جار ومجرور متعلقان بتأتنا، ومن آية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ولتسحرنا اللام للتعليل، وتسحرنا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ونا مفعول به، والجار والمجرور «لام التعليل والمصدر المؤول بعدها» متعلقان بتأتنا وبها جار ومجرور متعلقان بتسحرنا ﴿فَمَا مَحْنُ لَكَ يَمُومِينَ﴾ الفاء رابطة لجواب

الشرط، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، ولك جار ومجرور متعلقان بمؤمنين، والباء حرف جر زائد، ومؤنين مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر «ما». والجملة في محل جزم جواب الشرط، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر مهما.

□ البلاغة:

في تعريف الحسنة وتنكير السيئة فنٌ عجيب من فنون علم المعاني، فقد عرّف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بأحداثها، ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورتها، ولعدم القصد إليها، إلا بالتبع. وفي الحسنة والسيئة طباق جميل.

* الفوائد:

(١) الطَّيْرَة: أوردنا في باب اللغة المفهوم اللغوي للطَّيْرَة، ثم اصطلح علماء النفس على معنى أثبت لها، فاعتبروها مرضاً من شعبة أمراض الخوف الناشئ عن ضعف الأعصاب واختلالها، إلا أنها خوف خاص له بواعثه وأعراضه، وأولها ضعف الأعصاب، فالرجل السليم لا يتطير ولا يتشاءم؛ لأنه ينتظر من الدنيا خيراً، ولا يحس النفرة بينه وبينها، ومن ثم لا يحس الخوف ولا التطير منها، ويمكن أن نعتبر الطيرة أنها تشاؤم مؤقت استدعته ظروف طارئة، وجوّ يلائم حالات اليأس والتشاؤم العارضة، فإذا بالتطير يتسلف الفزع من الشر قبل وقوعه.

ابن الرومي شاعر التطير:

ومن شعرائنا الذين اشتهروا بالطَّيْرَة ابن الرومي، فقد كان يشعر من قرارة نفسه أنه فروقة حذور، وهو في الوقت نفسه يشعر أن حذره لا يدفع عنه ما هو مراد به، ولكنه يرى أنه لا مندوحة له عنه للاعتصام به، وليستشعر الأمن الذاهب والقلق الواجف:

فَأَمَّنْ ما يكون المرء يوماً إذا لبسَ الحِذَارَ من الخُطوبِ

ويرى بعض النقاد أن من روافد الطيرة في ابن الرومي ذوق الجمال وتداعي الخواطر، ذلك أن النفس المطبوعة على استذواق الجمال تفرح وتهلل للمناظر المغرية الأخاذة، وبالعكس تنفر وتنقبض من المناظر الدميمة الشوهاء، أما تداعي الخواطر فصاحبه فريسة للنوازع عرضة للتأويلات التي لا مسوغ لها يستخرج من الكلمات المهموسة، أو الفكر الطارئة أموراً يحذر منها المرء ويخاف، فقد كان ابن الرومي يتطير من صديقه جعفر في حال مرضه، ولكنه لم يتطير منه قبل المرض، ودعواه أن جعفرأً مشتق من الجوع والفرار، والخان يذكره بالخيانة:

فكم خانٍ سَفَرٍ خانَ فانقَضَ فوقهم

كما انقَضَ صَقْرُ الدَّجَنِ فوق الأرانب

وقال في ابن طالب الكاتب:

وهل أشبه المَرِيخَ إلا وفعلُهُ

لفعل نذيرِ السَّوءِ شبه مُقارب

وهل يتمارى الناسُ في شؤمِ كاتبٍ

لعينه لونُ السيفِ والسيفُ قاصِبُ

ويُدعى أبوه طالباً وكفاكُم

به طيرةً أن المنيّة طالِبُ

ألا فاهربوا من طالبٍ وابنِ طالبٍ

فمن طالبٍ مثليهِمَا طارَ هاربُ

وفي الحديث أنه ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة، روي مرفوعاً: «إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيّرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا». ومن طرائف المتطيرين ما يروى أن النجوم تساقطت في زمن أحد الخلفاء، فتطير من ذلك، وأحضر المنجمين والعلماء، فما أجابوا بشيء، فقال شاعر:

هذي النجومُ تساقطتْ لرجومِ أعداءِ الأمير

فتفاعل به، وأمر له بصلة سنية .

(٢) القول في مهما: قال سيبويه: وسألت الخليل عن «مهما» فقال: هي «ما» أدخلت معها «ما» ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى. وقد استدل بعض العلماء على أنها حرف بقول زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فأعرب هؤلاء «خليقة» اسماً لتكن، ومن زائدة، فتعين خلو الفعل من الضمير، ولم يكن لـ «مهما» محل من الإعراب، إذ لا يليق بها إلا الابتداء، والابتداء متعذر لعدم وجود رابط، وإذا ثبت أن لا موضع لها تعين كونها حرفاً، والتحقيق أن اسم تكن مستتر، ومن خلية تفسير لمهما، ومهما مبتدأ، والجملة خبر، وفي الآية الضميران في «به» و«بها» راجعان لمهما، إلا أن أحدهما ذكّر على اللفظ، والآخر أنث على المعنى، لأنه في معنى الآية.

وهذا الذي أنكره الزمخشري من أن «مهما» لا تأتي ظرف مكان، قد ذهب إليه ابن مالك، ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه، إلا أنه لم يقتصر مدلولها على أنها ظرف زمان، بل قال: وقد ترد «ما» و«مهما» ظرفي زمان، وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية:

وقد أتت مهما وما ظرفين في شواهد من يعتضد بها كفي

وقال في شرح البيت: جميع النحويين يجعلون «ما» و«مهما» مثل «من» في التجرد عن الظرف، مع أن استعمالها ظرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب، وأنشد أبياتاً عن العرب زعم فيها أن ما ومهما ظرفا زمان، وكفانا الرد عليه ابنه الشيخ بدر الدين بن محمد، وقد تأولنا نحن بعضها، وذكرنا ذلك في كتاب: «التكميل لشرح التسهيل» من تأليفنا، وكفاه ردنا نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله، لكن من يعاني علماً يحتاج إلى مثوله بين يدي

الشيخ، وأما من فسر «مهما» في الآية بأنها ظرف زمان فهو كما قال الزمخشري ملحد في آيات الله .

وعبارة الزمخشري :

«وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يدل له في علم العربية فيضعها غير موضعها، ويحسب «مهما» بمعنى «متى ما» ويقول مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وضعه وليس من كلام واضعي العربية في شيء، ثم يذهب فيفسر: مهما تأتني به من آية، بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله، وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثوبين يدي الناظر في كتاب سيبويه» .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ١٣٥﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ١٣٦﴾

☆ اللفظة:

﴿الطُّوفَانَ﴾: اختلفت فيه أقوال علماء اللغة فقال بعضهم: هو اسم جنس كقمح، وقمحة، وشعير، وشعيرة. وقيل بل هو مصدر كالتقصان والرجحان، وهذا قول المبرد. وهو يطلق في اللغة على الماء أو السيل المغرق، وعلى شدة ظلام الليل، وعلى الموت الذريع الجارف. والطوفان من كل شيء مهما كان كثيراً.

﴿وَالْجَرَادَ﴾: جمع جرادة، الذكر والأنثى فيه سواء، يقال: جرادة ذكر

وجراداة أنثى، كمنلة وحمامة. وهي صنفان الطيار - وهو الذي يطير غالباً - والزحاف.

﴿وَالْقَمَلُ﴾: اختلفت فيه الأقوال كثيراً فقليل: هو القردان، وقليل: دابة تشبهها أصغر منها، وقليل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقليل: هو نوع من الجراد أصغر منه وقليل: هو القمل - بفتح القاف - الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه، فيكون فيه لغتان.

﴿وَالضَّفَادِعُ﴾: جمع ضفدع بوزن درهم، ويجوز كسر داله فيصير بزنة زبرج، والضفدع مؤنث وليس بمذكر، فعلى هذا يفرق بين مذكروه ومؤنثه بالوصف فيقال: ضفدع ذكر وضفدع أنثى، والجمع: ضفادع، وضفادي.

﴿الرَّجَزُ﴾: العذاب.

○ الإعراب:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾ الفاء عاطفة، وأرسلنا فعل وفاعل، وعليهم: جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، والطوفان مفعول به، وما بعده عطף عليه ﴿ءَايَتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكَبرُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمِينَ﴾ آيات حال من الخمسة المذكورات، ومفصلات صفة، فاستكبروا عطف على أرسلنا، وكانوا قوماً مجرمين كان واسمها، وقوماً خبرها، ومجرمين صفة ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ الواو عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، ووقع فعل ماض، وعليهم جار ومجرور متعلقان بوقع، والرجز فاعل، وجملة وقع لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ﴿قَالُوا يَمْوِسْ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهْدَ عِنْدَكَ﴾ جملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ويا حرف نداء، وموسى منادى مفرد علم، وادع فعل أمر، ولنا جار ومجرور متعلقان ب«ادع»، وربك مفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان ب«ادع» وما مصدرية، أو موصولة، وجملة عهد لا محل لها على كل حال، وعندك ظرف مكان متعلق بعهد ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وكشفت

فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط، وعنا جار ومجرور متعلقان بكشفت، والرجز مفعول به، ولنؤمنن: اللام جواب للقسم، ونؤمنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم، ولك جار ومجرور متعلقان بنؤمنن ﴿وَلَكُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عطف على ما تقدم، ومعك ظرف مكان متعلق بنرسلن، وبني إسرائيل مفعول به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة كشفنا لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وكشفنا فعل وفاعل، والرجز مفعول به، وعنهم جار ومجرور متعلقان بكشفنا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ إلى أجل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهم مبتدأ، وبالغوه خبر، والجملة الاسمية صفة لأجل، وإذا الفجائية، وقد تقدم أننا اخترنا الحرفية لها وجهاً، وهم مبتدأ، وجملة ينكثون خبره، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وقد استدل سيبويه بهذه الآية على أن «لما» حرف وجوب لوجوب، أي: رابطة لا ظرف بمعنى حين - كما زعم بعضهم - لافتقاره إلى عامل فيه، ولا يحتمل إضماراً، ولا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ فانتقمنا عطف، ومنهم جار ومجرور متعلقان بانتقمنا، فأغرقناهم: عطف أيضاً، وفي اليم: جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم ﴿يَأْتِيهِمْ كَذْبُ بَعْضِنَا وَكَأُتُوا عَنْهَا غَفِيلِينَ﴾ بأتهم الباء وما في حيزها جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم، ومعنى الباء السببية، أي: بسبب أنهم، وجملة كذبوا خبر أن، وكانوا عطف على كذبوا، وعنهما جار ومجرور متعلقان بغافلين، وغافلين خبر كانوا.

□ البلاغة:

سر استعمال القمّل:

وردت لفظة «القمّل» في آية من القرآن حسنة مستساغة، وقد وردت في بيت للفرزدق غير حسنة مستهجنة، وهو:

مِنْ عِزِّهِ احتجرتْ كُلِّيبٌ عنده

زَرْباً كأنهمُ لديه القُمَّلُ

وإنما حسنت هذه اللفظة في الآية دون البيت؛ لأنها جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام متناسب، ولم ينقطع الكلام عندها، وجاءت في الشعر قافية، أي: آخرًا انقطع الكلام عندها، فقد تضمنت الآية خمسة ألفاظ هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وأحسن هذه الألفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم، فلما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها قدم منها الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخرًا، وجعلت لفظة القمل والضفادع في الوسط؛ ليترك السمع أولاً الحسن من الألفاظ الخمسة، وينتهي إليه آخرًا. ثم إن لفظة «الدم» أحسن من لفظتي «الطوفان» و«الجراد»، وأخف في الاستعمال، ومن أجل ذلك جيء بها آخرًا. ومراعاة مثل هذه الأسرار والدقائق في استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية.

﴿وَأَوْزَنَّا آلَقُومَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا
صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾
وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَكُمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

☆ اللغة:

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ نصُّوا على رسم هذه بالتاء المجزورة (أي المبسوطة) وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل، والمراد بالكلمة وعده تعالى لهم بقوله: ﴿ونريد أن نمن...﴾ الخ.

﴿يَعْرِشُونَ﴾: بضم الراء وكسرها، وقد قرئ بهما في السبع. أي:

يرفعون من البنيان، [والكلام مستأنف مسوق] ^(١) تمهيداً للشروع في قصة بني إسرائيل، وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون من أنواع الكفر، وأنماط التعنت، والشطط، مما لا تزال شواهد نواطق بحقائقهم.

○ الإعراب:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا﴾
الواو عاطفة، أو استئنافية، وأورثنا القوم فعل وفاعل ومفعول به، والذين صفة للقوم، وجملة كانوا صلة الموصول، وجملة يستضعفون خبر كانوا، ويستضعفون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، مشارق الأرض مفعول به ثان، ومغارها عطف على مشارق ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ التي اسم موصول صفة للمشارق والمغارب، وجملة باركنا لا محل لها لأنها صلة الموصول، وفيها جار ومجرور متعلقان بباركنا، وتمت كلمة ربك عطف على «أورثنا»، وكلمة فاعل، والحسنى صفة للكلمة، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بتمت، وبما جار ومجرور متعلقان بصبروا ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْغُرُ قَرْعُونَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الواو عاطفة، ودمرنا فعل وفاعل، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة كان صلة، واسم كان ضمير مستتر، وجملة يصنع خبر كان، وفرعون فاعله، وقومه عطف على فرعون، و«ما» عطف على «ما» الأولى، وجملة كانوا يعرشون صلة «ما»، وجملة يعرشون خبر كانوا ﴿وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق للشروع في قصة بني إسرائيل وما أحدثوه من بدع للاعتبار والاتعاظ بحال الإنسان المفطور على الشر. وبني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بجاوزنا، والبحر مفعول به، ويجوز أن يتعلق «بيني» بمحذوف حال ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمُكِّنُونَ عَلَىٰ أَصْنَائِهِمْ لَهُمْ﴾ فأتوا عطف على جاوزنا، وعلى قوم

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع، وأضيف من كلام المؤلف - رحمه الله - بعد قليل.

جار ومجرور متعلقان بأتوا، وجملة يعكفون صفة لقوم، وعلى أصنام جار ومجرور متعلقان بيعكفون، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأصنام ﴿قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان تعنتهم وافتئاتهم وطلبهم الآلهة ورؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع المعاصي. وجملة اجعل مقول القول، ولنا جار ومجرور متعلقان باجعل، أو بمحذوف مفعول به أول، وإلهاً مفعول به ثان، وكما الكاف حرف جر، وما اسم موصول بمعنى الذي، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة، وآلهة بدل من الضمير المستكن في «لهم» والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة، والكاف ومجرورها صفة لآلهة، واختار الزمخشري أن تكون «ما» كافة للكاف، فهي كافة ومكفوفة، ولذلك وقعت الجملة بعدها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ كلام مستأنف لبيان جواب موسى لهم، وإن واسمها وخبرها، وجملة تجهلون صفة لقوم، وجملة «إنكم» مقول القول.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣٩ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهُهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٤٠ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقُولُونَ أَبْنَاءُ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١

☆ اللفظة:

﴿مُتَّبَرُّ﴾ مكسّر، فهو اسم مفعول من تبر، أي: دمر وأهلك، والمصدر: التتير. ومنه التبر، وهو كسارة الذهب، لتهالك الناس عليه.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان مصيرهم الذي يؤولون إليه. وإن حرف مشبه بالفعل، وهؤلاء اسم إشارة اسم إن، ومتبر

يجوز أن يكون خبر إن، وما اسم موصول في محل رفع نائب فاعل لمبتدأ، وهم فيه مبتدأ وخبر، والجملة لا محل لها لأنها صلة، ويجوز أن يكون الموصول مبتدأ، ومبتدأ خبره المقدم عليه، والجملة خبر إن ﴿وَبَطِّلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواو حرف عطف، وباطل خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وكانوا يعملون من كان واسمها، وخبرها صلة «ما»، ولك أن تعطف «باطل» على «مبتدأ» وتجعل «ما» فاعلاً لباطل لأنه اسم فاعل ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان شؤون الله الموجبة لتخصيص العبادة به. والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وغير مفعول به لفعل محذوف، أي: أأطلب لكم معبوداً غير المستحق للعبادة؟ وجملة أبغيكم مقول القول، وإلهاً تمييز أو حال، ويجوز أن يكون «غير» مفعولاً مقدماً لأبغيكم، والكاف منصوبة بنزع الخافض، أي: أأبغي لكم غير الله؟ ويجوز على هذا الوجه إعراب «غير» حالاً، وإلهاً هو المفعول به ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الواو حالية، وهو مبتدأ، وجملة فضلكم خبر، والجملة كلها حالية، وعلى العالمين جار ومجرور متعلقان بفضلكم، ويجوز أن تكون الواو للاستئناف، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿وَإِذْ أَبْحَيَّكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ الواو عاطفة أو استئنافية، وإذ مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكروا وقت أنجيناكم، وجملة أنجيناكم في محل جر بالإضافة، ومن آل جار ومجرور متعلقان بأنجيناكم، وفرعون مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة لمنعه من الصرف ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الجملة نصب على الحال من آل فرعون، ويسومونكم فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول، وسوء العذاب مفعول به ثان ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ جملة يقتلون أبناءكم بدل من جملة يسومونكم، ويستحيون نساءكم جملة معطوفة عليها ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، وفي ذلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وبلاء مبتدأ مؤخر، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء، وعظيم صفة ثانية.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ
 أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
 سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ
 إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي
 فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ
 سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ الواو استئنافية،
 والكلام مستأنف، مسوق لتفصيل ما أجمله في سورة البقرة، وهو قوله تعالى:
 ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وواعدنا موسى فعل وفاعل ومفعول به،
 وثلاثين مفعول به ثان لواعدنا، وفيه حذف مضاف تقديره: تمام ثلاثين،
 وليلة تمييز، وذلك ليصومها حتى نكلمه، وأتمناها عطف على واعدنا،
 وبعشر جار ومجرور متعلقان بأتمناها ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الفاء
 عاطفة، وتم ميقات فعل وفاعل، وربّه مضاف إليه، وأربعين حال، أي تمّ
 بالغاً هذا العدد، وليلة تمييز، وسيأتي في باب: الفوائد تعليل نصبها على
 الحال. وقيل: هو مفعول «تم» لأن معناه بلغ، ولا يصح أن يكون ظرفاً
 للتمام، لأن التمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزمنة ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ
 هَارُونَ﴾ الواو عاطفة، وقال موسى فعل وفاعل، ولأخيه جار ومجرور
 متعلقان بقال. وهارون: بدل من أخيه أو عطف بيان ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ
 وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الجملة مقول قول موسى، واخلفني فعل أمر
 ومفعول به، وفي قومي جار ومجرور متعلقان باخلفني، وأصلح عطف على
 اخلفني، ولا تتبع الواو حرف عطف، ولا الناهية، وتتبع فعل مضارع مجزوم
 بلا الناهية، وسبيل المفسدين مفعول به ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ الواو

عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، متضمنة معنى الشرط، وجملة جاء موسى لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وليقائنا جار ومجرور متعلقان بجاء، واللام للاختصاص، كما تقول: أتيتك لعشر خلون من الشهر ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ وكلمه ربه عطف على جاء، وربّه فاعل كلمه، وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ورب منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وأرني فعل أمر للدعاء، وفاعله مستتر، والنون للوقاية، والياء مفعول به أول، ومفعول الرؤية الثاني محذوف تقديره: نفسك، وأنظر فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وجملة الطلب وجوابه مقول القول، وإليك جار ومجرور متعلقان بأنظر ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِ﴾ الجملة مقول القول، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتراني فعل مضارع منصوب بلن، والياء مفعول به ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك مخفف مهمل، وأنظر فعل أمر، وإلى الجبل جار ومجرور متعلقان بأنظر، فإن الفاء عاطفة، وإن شرطية، واستقر فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومكانه ظرف مكان متعلق باستقر، فسوف الفاء رابطة لجواب الشرط، وسوف حرف استقبال، وتراني فعل مضارع، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وتخلّى ربه فعل وفاعل، وللجبل جار ومجرور متعلقان بتخلّى، وجعله فعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ودكاً مفعول به ثان لجعله، لأنه مصدر بمعنى مفعول، أي: مذكوك، ويجوز نصبه على المصدرية، إذ التقدير: دكه دكاً ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعْقًا﴾ صعقاً حال ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة أفاق لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وجملة «قال» لا محل لها، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، وتبت فعل وفاعل، وإليك جار ومجرور متعلقان بتبت، وأنا: الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، وأول المؤمنين خبر.

* الفوائد:

رؤية الله في الآخرة:

استدل الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة على عدم رؤية الله تعالى في الآخرة بـ «لن»، قالوا: هي للتأكيد والتأييد. ورد عليهم علماء السنة، وشجر خلاف طويل حول ذلك، وجر إلى التهاثر والتراشق بالحساب العسير والتهم، مما لا يتسع المجال له في كتابنا، فارجع إليه في المطولات.

﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ۝١٤٥ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۝١٤٦﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليية موسى عليه السلام على ما فاتته من الرؤية. وجملة النداء في محل نصب مقول القول، وإن واسمها، وجملة اصطفتيك خبر، وعلى الناس جار ومجرور متعلقان باصطفتيك، وبرسالاتي جار ومجرور متعلقان باصطفتيك أيضاً، وجمع الرسالة لأن الذي أرسل به ضروب وأنواع مختلفة، وبكلامي عطف على برسالاتي، وقدم الرسالة تنويهاً بالترقي إلى الأشرف؛ لأن مكالمته مزية خاصة له، وأعاد حرف الجر تنويهاً بمغايرة الاصطفاء للكلام ﴿ فَخُذْ مَا

ءَاتَيْتُكَ وَكَنَّ الشَّاكِرِينَ ﴿ الفاء الفصيحة، والجملة بعدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آتيتك صلة «ما»، وكن من الشاكرين عطف على خذ، ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر «كن» ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الواو استئنافية، وكتبنا فعل وفاعل، وله جار ومجرور متعلقان بكتبنا، وفي الألواح جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن كل شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به، والمراد: ألواح التوراة ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ موعظة بدل من محل «من كل شيء»، لأنه مفعول به كما تقدم، ويجوز إعراب «موعظة» مفعولاً من أجله، أي: كتبنا له تلك الأشياء للموعظة والتفصيل، ولكل شيء: جار ومجرور متعلقان بـ «تفصيلاً» أو صفة له ﴿ فَخَذَّهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، أو عاطفة لمحذوف على كتبنا، والتقدير: فقلنا خذها، وخذ فعل أمر، والهاء مفعول به، وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل خذها، وجملة أوامر عطف على خذها، وقومك مفعول به، ويأخذوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وخص الأحسن بالأخذ، وكل ما فيها مطلوب، مبالغة في التحري، وحسن الأخذ، واختيار الأسد المحكم، أو أن التفضيل غير مراد كقولهم: الصيف أحر من الشتاء، أي: هو في حره أبلغ من الشتاء في برده، فتفضيل حرارة الصيف على برد الشتاء غير مراد، فلما أريد بالأحسن المأمور به - لكونه أبلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح - كان اللازم أن لا يجوز الأخذ بالمنهي عنه، وسأريكم دار الفاسقين جملة مستأنفة، مسوقة للتأكيد للأمر بالأخذ بالأحسن، والحث عليه، فهي بمثابة التعليل، ولا يخفى ما في الالتفات من زيادة في التأكيد والمبالغة للأخذ بالأحسن. أما دار الفاسقين فقيل: هي دار فرعون وأتباعه، للاعتبار بها، وقيل: هي غير ذلك، ولا محل للاجتهاد هنا ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتحذير من الاستكبار الصارف للأذهان عن التفكير الحق. وعن آياتي جار ومجرور متعلقان بأصرف، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة

يتكبرون صلة، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان يتكبرون، وبغير الحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين يتكبرون، أي: حال كونهم متلبسين بالدين غير الحق ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويروا فعل الشرط، والواو فاعل، وكل آية مفعول به، وجملة لا يؤمنوا جواب الشرط، وبها جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ عطف على ما تقدم، وسبيلاً مفعول به ثانٍ ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ عطف على ما سبق أيضاً ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ اسم الإشارة في محل رفع أو نصب: فالرفع على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، والنصب على أنه بمعنى صرفهم عن ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، فجعله مصدراً مفعولاً به، وعلى كل حال فالجملة ابتدائية لا محل لها، وجملة كذبوا خبر أن، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وكانوا عطف على كذبوا، والواو اسم كان، وعنهما جار ومجرور متعلقان بغافلين، وغافلين خبر كانوا.

□ البلاغة:

(١) الالتفات في قوله: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَلْسِقِينَ﴾ لاسترعاء الاهتمام كما أسلفنا.

(٢) الطباق بين سبيل الرشد وسبيل الغي. ولما كانت المقابلة بينهما بالسلب ظهر حسنهما بصورة واضحة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَئِهِمْ

عَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ
وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

☆ النخبة:

﴿حُلِيِّهِمْ﴾: جمع حَلْيٍ كَثْدِي وَثُدَيٍّ، وأصله حلويّ، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت ياء، وأدغمت في الياء، وكسرت اللام لأجل الياء. والحلي: اسم لما يتحلى به من الذهب والفضة.

﴿خُورٌ﴾: بضم الخاء كما هي القاعدة الأغلبية في أسماء الأصوات، إما على وزن فُعَالٍ أو فَعِيلٍ كزئير.

○ الإعراب:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة لبيان نمط آخر من عصيانهم وافتئاتهم على الله. واسم الموصول في محل رفع مبتدأ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، ولقاء الآخرة عطف على بآياتنا، وجملة حبطت أعمالهم خبر المبتدأ ﴿هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الهمزة للاستفهام، المراد به النفي، ولذلك دخلت بعدها «إلا»، ويجزون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلا أداة حصر، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان، وجملة كانوا صلة الموصول، وجملة يعملون خبر، ولا أرى داعياً لتقدير محذوف، كما قال الواحدي، ونصه: «وهنا لا بد من تقدير محذوف، أي: إلا بما كانوا، أو على ما كانوا، أو جزاء ما كانوا». قلت: والجزاء المقابل أوضح، فلا داعي لهذا التكلف. ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ﴾ الواو استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لسرد نمط آخر من أنماط تجنيهم، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، من عطف قصة على قصة. وقوم موسى فاعل، ومن بعده جار ومجرور متعلقان باتخذ، ومن حليهم جار ومجرور متعلقان باتخذ، أو بمحذوف في موضع الحال، لأنه لو تأخر لكان صفة، كما هي

القاعدة. وعجلاً مفعول به، وجسداً بدل، وأتى بهذا البدل دفعاً لتوهم أنه صورة عجل منقوشة، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وخوار مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب صفة لقوله: «عجلاً» ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقريعهم على سوء اختيارهم، وإمعانهم في ركوب متن الشطط. والهمزة للاستفهام الإنكاري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، والواو فاعل يروا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا، وجملة لا يكلمهم خبر، ولا يهديهم سبيلاً عطف على لا يكلمهم، وسبيلاً مفعول به ثان، أو منصوب بنزع الخافض ﴿أَتُخَذُوا وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ من سياق الكلام، أي: فكيف اتخذوه؟ والواو عاطفة، وكان واسمها، وظالمين خبرها.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

☆ اللغة:

﴿سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ : اضطربت أقوال أهل اللغة في أصل هذه الكلمة، وهي تستعمل للندم والتحيُّر. فقال أبو مروان اللغوي: قول العرب: سقط في يده مما أعياني معناه. وقال الواحدي: قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده: ندم. وأنه يستعمل في صفة النادم. فأما القول في مأخذه وأصله فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه. وقال الزجاج: قوله

تعالى: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: بمعنى ندموا، وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن، ولم تعرفها العرب في النظم والنثر، جاهلية وإسلاماً. فلما سمعوه خفي عليهم وجه استعماله؛ لأنه لم يقرع أسماعهم، فقال أبو نواس: «في نشوة قد سقطت منها يدي» وهو العالم التحرير فأخطأ في استعماله. وعبرة الفراء: يجوز سقط وأسقط، وترك الهمزة هو الأكثر الأجود، وسقط: بالفتح، والبناء للفاعل لغة قليلة، قال الأخفش: وقد قرئ بها في الشواذ كأنه أضمر الندم، أي: سقط الندم في أيديهم. وقال المطرزي: سقط في يده: مثل يضرب للنادم المتحير، ومعناه: ندم؛ لأن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده، فتصير يده مسقوطة فيها، كأن فاه وقع فيها. هذا؛ وترى مزيداً من القول في هذه اللفظة في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان مصيرهم بعد ارتكاب جريرتهم. ولما رابطة، أو حينية، وسقط بالبناء للمجهول، وفي أيديهم قائم مقام نائب الفاعل، وفي بمعنى على، أي: على أيديهم ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ عطف على سقط في أيديهم، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي رأوا؛ لأنها بمعنى علموا، وجملة قد ضلوا خبر إني ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ جملة قالوا لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم، واللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ولم حرف نفى وقلب وجزم، ويرحما فعل مضارع مجزوم بلم، ونا مفعول به، وربنا فاعل مؤخر، ويغفر: الواو حرف عطف، وجملة يغفر عطف على يرحمنا، ولنا جار ومجرور متعلقان بيغفر ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اللام جواب للقسم، ونكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وجملة جواب القسم لا محل لها، وجملة القسم في محل نصب مقول القول، ومن الخاسرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر نكونن ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وجملة

رجع موسى لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، وإلى قومه جار ومجرور متعلقان برجع، وغضبان حال أولى، وأسفاً حال ثانية من موسى ﴿قَالَ يَبْنَاسَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ بئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وجوباً هنا خاصة، وما نكرة موصوفة في محل نصب تمييز، والمعنى خلافة، وجملة خلفتموني صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف أي: خلافتكم، ومن بعدي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري، وعجلتم أي: سبقتم فعل وفاعل، وأمر ربكم مفعول به، وكلها تنتمه مقولهم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ الواو عاطفة، وألقى عطف على قال، والمراد هنا استيلاء الغضب، وأخذ عطف على ألقى، وبرأس جار ومجرور متعلقان بأخذ، وأخيه مضاف إليه، وجملة يجره إليه حال من ضمير موسى المستتر في أخذ، أي: أخذه جاراً برأسه إليه ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ ابن أم اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركيب الأعداد، مثل خمسة عشر أو الظروف مثل صباح مساء، فعلى هذا ليس ابن مضاف لأم بل هو مركب معها، فحركتهما حركة بناء. وذهب الكوفيون إلى أن ابن مضاف لأم، وأم مضاف إلى ياء المتكلم، وقد قلبت ألفاً كما قلبت في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، ثم حذفت الألف واجتزأ عنها بالفتحة كما يجتزأ بالياء عن الكسرة، وحينئذ فحركة ابن حركة إعراب، وهو مضاف لأم، فهي في محل جر بالإضافة، وعلى كل فحرف النداء محذوف، أي: يا ابن أم، وإنما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه؛ لأن ذكر الأم أعطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ الجملة بمثابة التعليل لما عاملوه به. وإن واسمها، وجملة استضعفوني خبرها، وكادوا عطف على استضعفوني، والواو اسم كاد، وجملة يقتلونني خبرها ﴿فَلَا تُشْمِتْ فِيكَ الْأَعْدَاءُ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا علمت عذري فلا تسر الأعداء بما تفعل بي من المكروه، وبى جار ومجرور متعلقان بشمت، والأعداء مفعول به ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا، ومع ظرف مكان متعلق بتجعلني، والقوم مضاف إليه والظالمين صفة ﴿قَالَ رَبِّ

أَغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴿١٥١﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لطلب المغفرة له ولأخيه، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، واغفر فعل دعاء، ولي جار ومجرور متعلقان باغفر، ولأخي عطف على «لي» ﴿١٥٢﴾ وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٣﴾ عطف على اغفر، وفي رحمتك جار ومجرور متعلقان بأدخلنا، وأنت الواو حالية، أو استئنافية، وأنت مبتدأ، وأرحم الراحين خبر.

□ البلاغة:

الكناية في قوله: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ عن الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عضّ بضمه على أصابعه، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وقال الزخشي: «ولما سقط في أيديهم: ولما اشتد ندمهم، وحسرتهم على عبادة العجل؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعضّ يده غماً فتصير يده مسقوطة فيها لأن فاه قد وقع فيها». وقال القطب في «شرح الكشف»: إنه على تفسير الزجاج استعارة تمثيلية؛ لأنه شبه حال الندم في القلب بحال الشيء في اليد، وقيل: هو على تفسيره، استعارة بالكناية في الندم بتشبيهه ما يرى في العين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٥٣ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ١٥٤ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ١٥٥﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لإخبار موسى بما سينالهم بعد هذه الكبائر المتتابعة. وإن واسمها، وجملة اتخذوا العجل لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة

سينالهم خبر إن، وغضب فاعل، ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب، وذلة عطف على غضب، وفي الحياة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذلة، والدنيا صفة للحياة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء نجزيهم، وقد تقدمت له نظائر كثيرة ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ عطف على الذين السابقة، أو مبتدأ، وجملة عملوا السيئات صلة، ثم تابوا عطف على عملوا، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وآمنوا عطف على عملوا ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوْرٌ رَحِيْمٌ﴾ إن واسمها، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، واللام المرحلة، وغفور خبر أول لأن، ورحيم خبر ثان، والجملة كلها خبر الذين ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان المبالغة، ولما رابطة، أو حينية، وقد تكررت مراراً، وسكت الغضب فعل وفاعل، وعن موسى جار ومجرور متعلقان بسكت، وجملة سكت لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاْحَ فِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والواو حالية، وفي نسختها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وهدى مبتدأ مؤخر، ورحمة عطف على هدى، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وهم مبتدأ، وجملة يرهبون خبر، ولربهم جار ومجرور متعلقان يرهبون، ودخلت اللام لتقوية المفعول به لأن تأخر الفعل يكسبه ضعفاً، ونحوه: للرؤيا تعبرون، وقال الكسائي: إنها زائدة. وقال المبرد: هي متعلقة بمصدر الفعل المذكور، والتقدير: للذين رهبتهم لربهم يرهبون، وجملة هم لربهم يرهبون صلة.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾ استعارتان:

أ- استعارة تصريحية تبعية: بتشبيه السكون بالسكوت.

ب - استعارة مكنية : في تشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى ، ويقول له : قل لقومك كذا وكذا ، وألق الألواح ، وخذ برأس أخيك . ثم يقطع الإغراء ، ويترك الكلام .

أقسام أخرى للاستعارة :

وقد تقدم القول في الاستعارة ، ونعود هنا فنقول : إن هذه الاستعارة ، وهي إسناد السكوت إلى الغضب فيها ، هي استعارة معقول للمشاركة في أمر معقول ، وهي واحدة من خمس للاستعارات : فالمستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، والمعنى : (ولما زال عن موسى الغضب) لأن حقيقة السكوت زوال الكلام ، وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدل عليه من الكلام أو غيره في تلك الحال ، وغضب موسى إنما عرف هنالك من قوله : ﴿ يَسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ فإن هذا الكلام كان مقدمة إلقاء الألواح ، ولما زال الكلام الدال على الغضب ، حسنت استعارة السكوت للغضب ، ولا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضا ، فإن موسى لم يرض بمعصيتهم ولا ببقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة ، ولهذا أخبر سبحانه عنه بسكوت الغضب دون حصول الرضا ، وهذه الاستعارة ألطف الاستعارات الخمس ؛ لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر معقول .

الأقسام الأربعة الأخرى :

أما الأقسام الأربعة الأخرى فهي :

(٢) استعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول ، وهو الاستعارة المركبة من الكثيف اللطيف ، ومثالها قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ فإن المستعار له : الريح ، والمستعار منه ، ذات التناج ، والمستعار العقيم ، وهو عدم التناج ، والمشاركة بين المستعار له والمستعار منه في عدم التناج ، وهو شيء معقول .

(٣) استعارة المحسوس للمعقول ، وهي ألطف من المركبة . ومثالها قوله

تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ . فالقذف والدفع مستعاران، وهما محسوسان، والحق والباطل مستعار لهما، وهما معقولان، ومثله قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَوْنَ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ فالمستعار الحبل وهو محسوس، والمستعار له العهد وهو معقول، والمشاركة بينهما في الاتصال؛ لأن العهد يصل بين المعاهد والمسلم كما يصل الحبل بين المرتبطين، وهو شيء محسوس، ومن هذا القسم قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، فالمستعار منه الزجاجة، والمستعار الصدع وهو الشق، والمستعار له هو عقوق المكلفين، والمعنى: صرَّحْ بجميع ما أوحى إليك، وبيِّنْ كُلَّ مَا أُمِرْتَ ببيانه، وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التَّقْبُض والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة من المطروقة في باطنها. يروى أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث سجد، فقيل: لم سجدت؟ فقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام.

(٤) استعارة المعقول للمحسوس بالاشتراك في أمر معقول، ومثالها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْوَارِيَةِ﴾ فالمستعار له كثرة الماء وهي حسيّة، والمستعار منه التكبر وهو عقلي، والجامع الاستعلاء المفرط، وهو عقلي أيضاً. وستأتي للاستعارة أبحاث أخرى في محلها من هذا الكتاب.

﴿وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُهِّلَكُمَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٠٠﴾
 ﴿وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْنَا﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَكَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الَّذِي يَخْدُونَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ أَمَّنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

☆ اللفظة:

﴿هَذَا﴾ تبنا، ورجعنا عن المعصية، وجئناك معتردين منها، من هاد
يهود: إذا رجع، وأصل اليهود: الرجوع برفق، وبه سميت اليهود، وكان
اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعده صار اسم ذم لازماً لهم أبداً يتسمون به
إلى الأبد، والهود: جمع هائد، وهو: التائب. ولبعضهم:

يا رَاكِبَ الذَّنْبِ هُذُودٌ واسجد كأَنَّكَ هُذُودٌ

شبه ملازمته للذنوب بملازمة الراكب للمركوب، وشبه الساجد
بالهدهد، لكثرة ما يطرق برأسه إلى الأرض.

﴿الْأُمِّيَّ﴾: نسبة إلى الأم، كأنه باقٍ على حالته التي ولد عليها. والمراد
به: الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب، وهذا الوصف مما اختصَّ به محمد ﷺ،
ويجوز أن تكون نسبته إلى الأمة، وهي أمة العرب؛ وذلك لأن العرب
لا تحسب ولا تكتب، ويجوز أن يكون نسبة إلى الأم، مصدر: أمّ يؤمّ، أي:
قصد يقصد، والمعنى على هذا: أن هذا النبي العربي الكريم مقصود لكل
أحد، فإن قيل: كان ينبغي أن يقال في النسبة أمّي بفتح الهمزة، قلنا إنه من
تغيير النسب. وسيأتي مزيد من هذا الوصف في باب الفوائد.

(الإصر): الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه عن الحركة لثقله.

والمراد بالإصر هنا: العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بأحكام التوراة.

﴿وَالْأَغْلَلُ﴾ : جمع غلّ، والغلّ - بالضمّ - : طوق من حديد يُجعل في العنق.

○ الإعراب:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ كلام مُستأنف، مسوق لسرد قصة الذين لم يعبدوا العجل، وقد أمره الله باختيار سبعين منهم. والتفاصيل في المطوّلات. واختار موسى فعل وفاعل، وقومه منصوب بنزع الخافض، أي: من قومه، فحذف الجار وأوصل الفعل، وسبعين مفعول به لاختار، وقد تقدم حديث الأفعال التي تعدت إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بوساطة حرف الجر، وهي مقصورة على السماع، وهي: اختار، واستغفر، وأمر، وكنى، ودعا، وزوج، وصدق، ثم يحذف حرف الجر، ويتعدى إليه الفعل، فتقول: اخترت زيدا من الرجال، واخترت زيدا الرجال، قال الشاعر:

اخترْتُكَ النَّاسَ إِذْ رَثْتُ خَلَائِقَهُمْ

واعتلَّ من كان يُرجى عنده السُّؤلُ

ورجلاً تمييز، لميقاتنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه للاعتذار عن عبادة العجل ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة، أو حينية، وقد تقدم إعرابها كثيراً، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي﴾ جملة القول مستأنفة لبيان ما قاله موسى، وجملة النداء في محل نصب مقول القول، ولو شرطية، وشئت فعل وفاعل، والمفعول به محذوف، أي: لو شئت إهلاكهم، وأهلكتهم فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأهلكتهم، وإياي ضمير منفصل معطوف على الهاء ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ الاستفهام هنا معناه النفي مع

الاستعطاف، أي: لا يمكن أن تعذبنا بما فعل غيرنا. وللمبرد عبارة جميلة قال: والمراد بالاستفهام: استفهام الإعظام، كأنه يقول: وقد علم موسى أنه لا يهلك أحد بذنب غيره، ولكنه من وادي قول عيسى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تَهْتَفِ عَلَيْهِمْ﴾. وتهلكنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وبما جار ومجرور متعلقان بتهلكنا، وما موصولة، أو مصدرية، أي: بسبب الذي فعله السفهاء، أو بسبب فعل السفهاء، ومنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ إن نافية، وهي مبتدأ، وإلا أداة حصر، وفتنتك أي: ابتلاؤك خبر ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ الجملة حالية، أي: مضلاً بها وهادياً، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به، وكذلك «من» الثانية ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ أنت مبتدأ، ووليْنَا خبر، فاغفر الفاء الفصيحة، واغفر فعل أمر للدعاء، ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر، وارحمنا عطف على اغفر، وأنت الواو حالية، أو استئنافية، وأنت مبتدأ، وخير الغافرين خبر ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ واكتب عطف على فاغفر، ولنا جار ومجرور متعلقان باكتب، وفي هذه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وحسنة مفعول به، وفي الآخرة عطف على «في هذه الدنيا»، واكتفى بالمفعول الأول، أي: وفي الآخرة حسنة ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل الدعاء؛ لأن ذلك مما يوجب قبوله. وإن واسمها، وجملة هدنا إليك خبر إن ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لمعرفة جواب الله. وعذابي إمّا مبتدأ، خبره جملة أُصِيبُ، وإما خبر لمبتدأ محذوف، وجملة أُصِيبُ حالية، وبه جار ومجرور، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة أَشَاءُ صلة ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عطف على الجملة السابقة ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للتعريض بقومه، والسين حرف استقبال، وأكتبها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وللذين جار ومجرور متعلقان بأكتبها، وجملة يتقون لا محل لها لأنها صلة الموصول، وجملة وَيُؤْتُونَ الزكاة عطف على جملة يتقون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ والذين عطف على

الذين السابقة، وهم مبتدأ، وجملة يؤمنون خبر، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان
 يؤمنون، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾
 الذين نعت للذين، أو بدل منه، وجملة يتبعون صلة الموصول، والرسول
 مفعول به، والنبي صفة أولى، والأمي صفة ثانية، والذي صفة ثالثة، وجملة
 يجدونه لا محل لها لأنها صلة الموصول، ومكتوباً مفعول به ثان ليجدونه،
 وعندهم ظرف متعلق بـ «مكتوباً»، وفي التوراة جار ومجرور متعلقان
 بمحذوف حال ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الجملة حالية،
 وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بآمرهم، وينهاهم عن المنكر عطف على
 الجملة السابقة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ عطف على
 ما تقدم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ عطف أيضاً،
 وإصرهم مفعول به، والأغلال عطف على إصرهم، والتي نعت للأغلال،
 وجملة كانت عليهم صلة، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر
 كانت ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ الفاء: استثنائية، والذين
 مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنوا، وعزروه،
 ونصروه معطوفان على آمنوا ﴿وَاتَّبَعُوا النَّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ﴾ واتبعوا عطف
 أيضاً، والنور مفعول به، والذي نعت، وجملة أنزل صلة، ومعه ظرف مكان
 متعلق بأنزل ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الجملة الاسمية خبر اسم الموصول،
 واسم الإشارة مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمفلحون خبر
 أولئك، أو خبر «هم»، والجملة الاسمية خبر أولئك.

* الفوائد:

معنى الأمي:

تكلمنا في باب اللغة بإسهاب عن معنى الأمي، ونتساءل الآن مع
 المتسائلين: هل كان النبي يعرف القراءة والكتابة؟ أما أكثر المستشرقين
 فيقولون: إن كلمة «أمي» التي وصف بها النبي غامضة، ولا تدل دلالة قاطعة

على أنه لم يكن يعرف القراءة، ويُرجّحون أن تكون نسبة إلى كلمة أمة، كما ذكرنا ذلك في حينه.

أراجيف دائرة المعارف الإسلامية:

أما دائرة المعارف الإسلامية فتثير إشكالاً آخر، وهو أنه ورد في سورة العنكبوت الآية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَتَاتَبَ الْمُبْطِلُونَ﴾ قالت: «وهي تدل على أنه تعلم القراءة في الكبر، أي: بعد نزول القرآن، وإن كان التعبير غامضاً». وواضح أن التعبير ليس غامضاً، ولكن التخريج الذي خرّجته الدائرة فاسد، فلفظ الآية صريح كل الصراحة، واضح كل الوضوح - كما سيأتي في حينه - وهو يدل، بلا لبس، على أن أهل مكة عرفوا قبل نزول الوحي عليه أنه لم يكن يتلو كتاباً، ولا يكتب بيمينه، ولو أنه كان كذلك إذًا لارتاب المبطلون بأن يذكروا أنه كان يخلو إلى نفسه، فيكتب القرآن ويعده، ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم.

وآية أخرى أوردتها دائرة المعارف الإسلامية وهي: ﴿وَقَالُوا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَتْهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ولا يفهم من هذه الآية شيء مما أريد حمله عليها، إذ أنها تدل ببساطة على أن كفار قريش كانوا يدّعون أن رسول الله يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين، وليس كل ما يدعي الكفار صواباً، بل هذا هو هجوم صريح وافتئات واضح يقصد منه التجريح وإضعاف شأن القرآن. ولعلّ القرآن نفسه تولى الكشف عن هذه الأراجيف في الآية السابقة لها وهي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ وقالوا أسطير الأولين أكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا. ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلَوُماً رَحِيماً﴾.

الباجي ودعوى عدم الأمية:

وليست دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من كتب المستشرقين وحدها

التي تحاول إثارة هذه الشبهات، فقد تناثر في كتب المسلمين إشارات تلمح إلى هذا الموضوع، فقد ذكر ابن كثير: «ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أن النبي عليه السلام كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري: «ثم أخذ فكتب»، وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب»، ولهذا اشتد النكير على من قال بقول الباجي، وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالاً، وخطبوا به في محافلهم. على أن القول الفصل في هذا ما ورد في القرآن نفسه، فقد أكد في مواضع كثيرة أن القرآن أنزل على قلب رسول الله، وأنه كُلف بحفظه، وبأن يحفظه المسلمون لا أن يكتبوه، ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وإذن فلم يكن النبي يكتب ما يوحى إليه، ولا نعلم على وجه دقيق كيف كان يكتب القرآن في العهد المكي.

قصة إسلام عمر:

ولكننا نذكر الرواية الشائعة التي تقصُّ إسلام عمر بن الخطاب أنه وجد في يد أخته فاطمة صحيفة فيها آيات من القرآن، وعلى الرغم من أن هناك روايات أخرى تهمل قصة فاطمة وما حدث بينها وبين عمر، إلا أن من الممكن أن نعتمد عليها في أن نعلم أنه كانت هناك صحف تكتب فيها أجزاء من القرآن، سواء أكانت هذه الصحف عند فاطمة أخت عمر أو عند غيرها. وكلمة صحيفة لا تدل على الورق الذي نعرفه اليوم، ولكنها - على كل حال - شيء خفيف الحمل يكتب عليه في سهولة. وقد وردت في القرآن كلمة صحيفة، مثل قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ رَّرْقُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾. على أن الحفظ كان أساس العلم بالقرآن، وليست التلاوة من صحف مسطورة، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم.

هذا؛ وسيرد المزيد من هذا المبحث الدقيق في مواضيع معينة من هذا الكتاب.

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا
أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
وَوَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

☆ اللغة:

﴿ أَسْبَاطًا ﴾: جمع سبط، وهو ولد الولد، فهو كالحفيد. هذا هو المفهوم اللغوي، وتخصيص السبط بولد البنت والحفيد بولد الابن أمر عرفي. وفي القاموس وغيره: ولد الولد، ويغلب على ولد البنت، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن. والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من العرب.

﴿ فَانْبَجَسَتْ ﴾: في المصباح: بَجَسَ الماء بَجَسًا، من باب: قتل، بمعنى: فجرته فانفجر. وقال غيره: الانبجاس هو: الانفتاح بسعة وكثرة، قال العجاج:

وانحلبت عيناه من فرط الأسى

وَكَيْفَ غَرَبَي دالِجٍ تَبَجَّسَا

والوكيف: مصدر نصب بانحلبت؛ لأن معناه: وكفت، والغرب: الدلو العظيمة، والدالج: من يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض، يقول: انصببت دموع عينيه من شدة الحزن كانبصاب دلوئي رجل مفرغ لهما في الحوض، تفجرا بسعة، وفيه تشبيه العينين بالغربتين.

﴿الْمَرَك﴾: هو الترتجيب، وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج، من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً.

﴿وَالسَّلَوَى﴾: هو الطير السُّمَانَى - بتخفيف الميم المقصورة والقصر - بوزن حُبَارَى، وهو نوع من الطيور القواطع، للواحد والجمع، وقيل: الواحدة سُمَانَاة، وهو المعروف عندنا بالفري، ويسمى أيضاً السلوى، ويجمع على سُمَانِيَّات.

○ الإعراب:

﴿قُلْ يَكَايْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتوجيه الخطاب إلى النبي ﷺ. وجملة النداء في محل نصب مقول القول، وقد تقدم إعرابها، وإن واسمها، ورسول الله خبرها، وإليكم جار ومجرور متعلقان برسول، وجميعاً حال من ضمير إليكم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اسم الموصول نعت لله، ويجوز أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذه الجملة لا محل لها لأنها بدل من الصلة قبلها، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلة مع اختلاف الآراء ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الجملة بدل أيضاً فلا محل لها ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ﴾ الفاء الفصيحة، وآمنوا فعل أمر، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا، ورسوله عطف على الله، والنبي صفة، وكذلك الأمي، وجملة يؤمن بالله لا محل لها لأنها صلة الموصول، وكلماته عطف على الله، والمراد بها ما أنزل عليه ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ عطف على آمنوا، ولعل واسمها، وجملة تهتدون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الواو استئنافية، ومن قوم موسى جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأمة مبتدأ مؤخر، وجملة يهدون بالحق صفة لحكاية الحال الماضية، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسين بالحق، وبه جار

ومحروور متعلقان ببيعدلون ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ الواو عاطفة، وقطعناهم فعل وفاعل ومفعول به، واثنتي عشرة حال من مفعول قطعناهم، أي: فرقناهم معدودين بهذا العدد، وجوز الزخشري وأبو البقاء أن يكون قطعناهم بمعنى صيرناهم، فيكون اثنتي عشرة مفعولاً به ثانياً، وأسباطاً بدل من اثنتي عشرة، أي: فرقة. قال أبو إسحق الزجاج: ولا يجوز أن يكون تمييزاً؛ لأنه لو كان تمييزاً لكان مفرداً. وسيأتي مزيد من القول فيه في باب الفوائد. وأما بدل من «أسباطاً»، فهو بدل من البدل، وهو الأسباط ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ عطف على قطعناهم، وإلى موسى جار ومحروور متعلقان بأوحينا، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأوحينا أيضاً، وجملة استسقاها قومه في محل جر بالإضافة، واستسقاها قومه: فعل ومفعول به وفاعل ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ يجوز أن تكون «أن» هي المفسرة للإيجاء؛ لأن فيه معنى القول دون حروفه، وأن تكون المصدرية، وقد تقدم نظيرها، وبعصاك جار ومحروور متعلقان باضرب، والحجر مفعول به ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ الفاء الفصيحة، أي: فضرب فانبجست، ومنه جار ومحروور متعلقان بانبجست، واثنتا عشرة فاعل انبجست، وعيناً تمييز ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ الجملة مستأنفة لا محل لها، وقد حرف تحقيق، وعلم كل أناس فعل وفاعل، وأناس مضاف إليه، وهو اسم جمع، واحده إنسان، وقيل: هو جمع تكسير له، ومشربهم مفعول به ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَالسَّالُونَ﴾ وظللنا فعل وفاعل، وعليهم جار ومحروور متعلقان بظللنا، والغمام مفعول به، وأنزلنا عطف على ظللنا، وعليهم جار ومحروور متعلقان بأنزلنا، والمن مفعول به، والسالون عطف على المن ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ جملة كلوا في محل نصب مفعول قول محذوف، أي: وقلنا، وكلوا فعل أمر، والواو فاعل، ومن طيبات جار ومحروور متعلقان بكلوا، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة لطيبات، وجملة رزقناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وظلمونا فعل وفاعل

ومفعول به، والواو حالية، ولكن مهملة مخففة، وكان واسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون في محل نصب خبر كانوا.

* الفوائد :

(١) بين الزمخشري وأبي حيان :

قال الزمخشري : فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلا قيل : اثني عشر سبطاً؟ قلت : لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً؛ لأن المراد : وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع «أسباطاً» موضع «قبيلة»، ونظيره :

بين رماحي مالك ونهشل

ورد أبو حيان هذا التنظير بقوله : ليس نظيره، لأن هذا من تشية الجمع، وهو لا يجوز إلا في الضرورة. وكأنه يشير إلى أنه لو لم يلحظ في الجمع كونه أريد به نوع من الرماح لم يصح تشيته، كذلك هنا، لحظ الأسباط - وإن كان جمعاً - معنى القبيلة، فميز به كما يميز بالمفرد.

رأي الحوفي :

وقال الحوفي «يجوز أن يكون على الحذف، والتقدير : اثنتي عشرة فرقة، ويكون «أسباطاً» نعتاً لفرقة، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه». ونظير وصف التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى قول عنتره :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم

ولم يقل : سوداء.

رأي التوضيح والتصريح :

وفي التوضيح والتصريح : «وأما قوله تعالى : ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ فـ «أسباطاً» ليس تمييزاً لأنه جمع، وإنما هو بدل من «اثنتي عشرة» بدل كل من كل، والتمييز محذوف، أي : اثنتي عشرة فرقة، ولو كان «أسباطاً»

تميّزاً عن اثنتي عشرة لذكر العددان، ولقليل : اثني عشر، بتذكيرهما وتجريدتهما من علامة التأنيث، لأن السبط - واحد الأسباط - مذكّر.

رأي ابن مالك :

وزعم ابن مالك في «شرح الكافية» أنه لا حذف، وأن «أسباطاً» تمييز، وإن ذكرهما رجح حكم التأنيث في «أسباطاً» لكونه وصف بـ «أماً»، جمع أمة، كما رجّحه، أي: التأنيث في «شخص» ذكر «كاعبان ومعصر» في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجنّي دون من كنت أتقي

ثلاث شخصٍ كاعبان ومعصر

وكان القياس «ثلاثة شخص» ، لأن الشخص مذكّر، ولكنه لما فسّره بكاعبان ومعصر - وهما مؤنثان - رجح تأنيثه، وما ذكره الناظم في الآية مخالف لما قاله في شرح التسهيل : إن «أسباطاً» بدل لا تمييز .

هذا القول بالبدلية من اثنتي عشرة مشكل على قولهم : إن المبدل منه في نية الطرح غالباً، ولو قيل : وقطعناها أسباطاً، لفاتت فائدة كمية العدد، وحمله على غير الغالب، ولا يجوز تخريج القرآن عليه . والقول بأنه تمييز مشكل على قولهم : إن تمييز العدد المركب مفرد، و«أسباطاً» جمع، وقال الحوفي : «يجوز أن يكون «أسباطاً» نعت لفرقة، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، و«أماً» نعت لـ «أسباطاً» وأنت العدد وهو واقع على الأسباط وهو مذكّر؛ لأنه بمعنى فرقة وأمة، كقوله : ثلاثة أنفس، يعني رجالاً» اهـ. فارتكب الوصف بالجامد، والكثير خلافه . وذهب الفراء إلى جواز جمع التمييز، وظاهر الآية يشهد له .

(٢) حكم العدد المركب :

«أحد عشر» إلى «تسعة عشر» مبني، إلا اثني عشر، وحكم آخر شطريه حكم نون التثنية، ولذلك لا يضاف إضافة أخواته، فلا يقال : هذه اثنا

عشرك، كما قيل: هذه أحد عشرك. أما «أثنا عشر» فإن الاسم الأول معرب، لأن الاسم الثاني حلّ منه محل النون، فجرى التغيير على الألف مع الاسم الذي بني معه، كما جرى التغيير عليها مع النون، وتقول في تأنيث هذه المركبات: إحدى عشرة واثننا عشرة أو ثنتا عشرة وثلاث عشرة وثمانية عشرة، تثبت علامة التأنيث في أحد الشطرين لتنزلهما منزلة شيء واحد، وتعرب اثنتين كما أعربت الاثنتين. وشين العشرة يُسكّنُها أهل الحجاز ويكسرُها بنو تميم. والعرب على فتح الياء، «ثماني عشرة» ومنهم من يُسكّنُها.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ الواو عاطفة، والظرف متعلق باذكر محذوفاً، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم جار ومجرور متعلقان بقليل، وجملة اسكنوا في محل نصب مقول القول، وهذه اسم إشارة في محل نصب مفعول به على السعة، والقرية بدل. وقد مرت هذه الآية بلفظها مع تغيير قليل في البقرة. ولا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله: «اسكنوا هذه القرية وكلوا منها» وبين قوله: «فكلوا» لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكنها والأكل منها. وسواء قدموا الحطة على دخول الباب، أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهما. وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ تقدم إعرابها في البقرة: فجدد به عهداً،

وحطة قلنا إنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة، أي: أن تحطّ عنا خطايانا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّفَعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ تقدم إعرابها في سورة البقرة أيضاً فلا داعي للإعادة. ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وبدل الذين فعل وفاعل، وجملة ظلموا صلة الموصول لا محل لها، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وفي الكلام حذف، والمحذوف هو المفعول الثاني لبذل، وتقديره: بالذي قيل لهم، وقولاً مفعول به، وغير صفة، والذي اسم موصول في محل جر بالإضافة، وجملة قيل لهم صلة لا محل لها، أي قالوا: حبة بدل حطة، ولا داعي لهم إلى ذلك إلا قصد السخرية من موسى وإغاضته ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ فأرسلنا عطف على فبدل، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، وبما جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، والباء سببية، وما اسم موصول أو مصدرية، وكانوا كان واسمها، وجملة يظلمون خبرها.

﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١١٣ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ١١٤ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ١١٥ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ١١٦﴾

☆ اللغة:

﴿حَاضِرَةُ الْبَحْرِ﴾ مجاورة له، وقريبة منه، وراكبة لشاطئه. واختلف في

هذه القرية فقيل : هي أيلة ، وقيل : مدين ، وقيل : طبريا . والعرب تسمي المدينة قرية . وعن أبي عمرو بن العلاء : ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج . يعني : رجلين من أهل المدن . وفي ضمن هذا السؤال فائدة جلييلة ، وهي تعريف اليهود بأن ذلك مما يعلمه رسول الله ، وأن اطلاعه لا يكون إلا بإخبار من الله سبحانه ، فيكون دليلاً على صدقه .

﴿يَعْدُونَ﴾ : يعتدون أو يتجاوزون .

﴿سَكَبَتْهُمْ﴾ السبت : مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعب . والسبت في اللغة : القطع . فكأنهم باختيارهم يوم السبت عيداً قد اختاروا ما فيه قطيعتهم . يقال : سبتوا سبتاً من باب ضرب ، وأسبتوا بالألف لغة فيه .

﴿شُرْعاً﴾ : جمع شارع من شرع عليه إذا دنا وأشرف ، أي : تأتيهم ظاهرة على وجه الماء ، طافية فوقه ، قريبة من الساحل .

﴿بَيْسٍ﴾ : شديد ، فعيل من بؤس يبؤس : إذا اشتد .

﴿عَوّاً﴾ : تكبروا .

﴿خَسِيبٍ﴾ : صاغرين .

○ الإعراب:

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ الواو عاطفة ، وسألهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ، وعن القرية جار ومجرور متعلقان بأسألهم ، والتي اسم موصول نعت للقرية ، وجملة كانت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واسم كانت مستتر ، أي : هي ، وحاضرة البحر خبر كانت ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ إذ ظرف متعلق بالمضاف المحذوف والذي ، تقديره : عن حال القرية ، ويعدون فعل مضارع وفاعله والجملة في محل جر بالإضافة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَبَتْهُمُ تُرَعٌ وَإِيَّامٌ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الظرف بدل من الظرف السابق ، أو متعلق بיעدون ، أي : إذا عدوا في السبت

إذ أتتهم، وجملة تأتيتهم في محل جر بالإضافة، وحيث أنهم فاعل تأتيتهم، وشرعاً حال من حيثانهم، ويوم عطف على إذ، وجملة لا يسبتون في محل جر بالإضافة ﴿كَذَلِكَ نَبَلُّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الكاف ومجروره في موضع نصب على أنه مفعول مطلق، أي: لا يأتي مثل ذلك الإتيان، والأول أرجح. والباء سببية، وما مصدرية، أي: نبلوهم بسبب فسقهم، وجملة يفسقون خبر كانوا ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ عطف على إذ يعدون، وحكمه حكمه في الإعراب، أي: بدل من المحذوف، وهو حال القرية وخبرها أو أهلها، وجملة قالت في محل جر بالإضافة، وأمة فاعل، ومنهم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف بصفة لأمة ﴿لِيَمَّ يَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ اللام حرف جر، وما الاستفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها، وقد تقدّم بحثها، والعلة في هذا الحذف الفرق بين الاستفهام والخبر، والجار والمجرور متعلقان بتعظون، وقوماً مفعول لتعظون، والله: مبتدأ، ومهلكهم: خبر، والجملة الاسمية: صفة «قوماً» وأو: حرف عطف، ومعذبهم: عطف على مهلكهم وعذاباً: مفعول مطلق، وشديداً صفة ﴿قَالُوا مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَمْ وَلَهُمْ يَنْقُونَ﴾ جملة القول مستأنفة، مسوقة لبيان جوابهم. ومعذرة: قرأ حفص وحده بالنصب. وفيه ثلاثة أوجه قوية: الأول: أنها مفعول لأجله، أي: وعظناهم لأجل المعذرة. والثاني: أنها منتصبة نصب المصدر بفعل مقدر من لفظها، أي: نعتذر معذرة. والثالث: أنها منتصبة انتصاب المفعول به؛ لأن المعذرة تتضمن كلاماً، والمفرد المتضمن لكلام إذا وقع بعد القول نصب نصب المفعول به، كقلت خطبة. وقرأ العامة برفع معذرة. قال سيبويه في اختياره الرفع: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة، والمعذرة بمعنى الاعتذار، وهو التنصّل من الذنب. وإلى ربكم جار ومجرور متعلقان بمعذرة، ولعل واسمها، وجملة يتقون خبرها، وجملة الرجاء الحالية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ الفاء استئنافية، ولما رابطة، أو حينية، وجملة نسوا لا محل لها، أو في محل جر بالإضافة، ونسوا فعل وفاعل، وما مفعول به، وجملة ذكروا بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها

صلة، والواو نائب فاعل، وبه جار ومجرور متعلقان بذكرُوا ﴿أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ جملة أنجينا لا محل لها لأنها جواب الشرط غير جازم، والذي مفعول به، وجملة ينهون صلة الموصول، وعن السوء جار ومجرور متعلقان بينهون ﴿وَإِذَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على ما تقدم ﴿بِعَذَابٍ بَعْضُهُمْ كَأَنُفُسُهُمْ فَسْقُوتٌ﴾ بعذاب جار ومجرور متعلقان بأخذنا، وبئس صفة لعذاب، بما الباء حرف جر للسبب، أي: بسبب فسقهم ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الفاء عاطفة، ولما رابطة أو حينية، وعما جار ومجرور متعلقان بعتوا، وجملة قلنا لا محل لها، وجملة كونوا في محل نصب مقول القول، وقردة خبر كونوا، وخاسئين صفة.

﴿وَإِذَا تَأَذَّتْ رُكْبُكَ لِيُبَعْنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يُسْئِرُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّثْلُ الْقُرْآنِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

☆ اللغة:

﴿تَأَذَّتْ﴾: عزم، تفعل من الإيدان، أي: الإعلام؛ لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها به. قالوا: وأجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله، ولذلك أوجب بما يجاب به القسم. قال الواحدي: وأكثر أهل اللغة على أن التأذن بمعنى الإيدان، وهو: الإعلام. وقيل: إن معناه حتم وواجب، وفي القاموس: تأذن: أقسم.

﴿عَرَضُ﴾ - بفتحتين - ما لا ثبات له، ومنه استعار المتكلمون العرض لمقابل الجوهر. وقال أبو عبيدة: العَرَض - بالفتح -: جميع متاع الدنيا غير الناقدين، وبالسكون المال والقيم، ومنه «الدنيا عرض حاضر، وظلّ زائل». وفسره الزمخشري بالحطام وقال: «أي حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها. وفي قوله: هذا الأدنى تحسيس وتحقير. والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنو الحال وسقوطها وقتلها. والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة». وقد اجتمع المعنيان في بيت لأبي الطيب:

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرفٍ من الإنسانِ

فأدنى الأولى بمعنى أقل وأحقر، وأدنى الثانية بمعنى أقرب.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ الظرف منصوب على المفعولية بفعل مقدر معطوف على: واسألهم، والتقدير: واذكر وقت أن تأذن ربك، وجملة تأذن في محل جر بإضافة الظرف إليها، وربك فاعل ﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اللام جواب القسم المفهوم من فعل تأذن، ويبعثن فعل مضارع مبني على الفتح، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيبعثن أو بتأذن، ومن اسم موصول مفعول يبعثن، وجملة يسومهم لا محل لها لأنها صلة الموصول، وسوء العذاب مفعول به ثان ليسومهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ جملة إن واسمها وخبرها تعليلية لا محل لها، وجملة وإنه لغفور رحيم عطف عليها، واللام المرحلة ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ الواو عاطفة، وقطعناهم فعل وفاعل ومفعول به، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بقطعناهم، وأممًا حال، أو مفعول به، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ الجملة صفة لـ «أممًا»، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. والصالحون

مبتدأ مؤخر، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم أيضاً، ودون ظرف متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر، والمعنى: ومنهم ناس منحطون عن الصلاح، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، أي: وما منا أحد إلا له مقام، فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه، كقولهم: منّا ظعن ومنا أقام ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وبلوناهم عطف على قطعناهم، وبالحسنات جار ومجرور متعلقان ببلوناهم، والسيئات عطف على الحسنات، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ الفاء عاطفة، وخلف فعل ماض، ومن بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وخلف فاعل، والخلف - بسكون اللام وفتحها - من يخلف غيره، وجملة ورثوا الكتاب صفة لخلف ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ الجملة صفة ثانية، وعرض مفعول يأخذون، وهذا مضاف إليه، والأدنى بدل من اسم الإشارة ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يجوز في الواو أن تكون عاطفة على ما قبلها، أو حالية، وجملة سيغفر لنا في محل نصب مفعول القول ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو حالية، أي: والحال أنهم إن يأتهم، ويجوز أن تكون للاستئناف، وإن شرطية، ويأتهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وعرض فاعل، ومثله صفة، ويأخذوه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف النون ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويؤخذ فعل مضارع مجزوم بلم، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيؤخذ، وميثاق الكتاب نائب فاعل ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أن مصدرية، وهي مع ما في حيزها مصدر محله الرفع على البدلية من ميثاق؛ لأن قول الحق هو ميثاق الكتاب، أو النصب على أنه مفعول من أجله، ومعناه لئلا يقولوا، ويجوز أن تكون «أن» مفسرة لميثاق الكتاب؛ لأنه في معنى القول دون حروفه، و«لا» عندئذ ناهية، ويقولوا فعل مضارع مجزوم بها، أما على أنها مصدرية ف«لا» نافية، والفعل منصوب بأن المصدرية، وعلى الله جار ومجرور متعلقان يقولوا، وإلا أداة حصر، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً، أي: القول الحق ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾

الواو عاطفة، ودرسوا فعل ماض معطوف على «ألم يؤخذ عليهم»، كأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب، ودرسوا ما فيه. وما مفعول درسوا، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ﴿وَالْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الواو استئنافية، أو حالية، والدار مبتدأ، والآخرة صفة، وخير خبر الدار، وللذين جار ومجرور متعلقان بخير، وجملة يتقون: لا محل لها؛ لأنها صلة الموصول، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على محذوف، وقد تقدمت له نظائر، ولا نافية، وتعقلون عطف على هذا المحذوف ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان مزية الصلاة وإنافتها في الفضل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر الذين، أو تجعلها اعتراضية، فيكون الخبر محذوفاً تقديره مأجورون. وإن واسمها، ولا نافية، وجملة لا نضيع أجر المصلحين خبر إن، ونعيد إعرابها لرسوخها في الذهن، فالذين مبتدأ، وجملة يمسكون بالكتاب صلة الذين لا محل لها، وجملة أقاموا الصلاة معطوفة على الصلة، وجملة إنا لا نضيع أجر المصلحين خبر المبتدأ، والرباط بينهما إعادة المبتدأ بمعناه، فإن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب، وبالعطف على الذين يتقون ولئن سلم فالرباط العموم: لأن المصلحين أعم من المذكورين، أو ضمير محذوف، أي: منهم.

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا لَجْلَ الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظِلٌّ وَطَنُوا أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾

☆ اللغة:

﴿نَفَقْنَا﴾: نتق قلع ورفع، ومنه: نتق السقاء؛ إذا نفذه ليقطع الزبدة

منه . هذا ؛ وقد اختلفت عبارات أهل اللغة في التثاق ، فقال أبو عبيدة : هو قلع الشيء من موضعه والرمي ، ومنه تثق ما في الجراب ؛ إذا نفضه فرمى ما فيه ، وامرأة ناتق ومتناق : إذا كانت كثيرة الولادة . وفي الحديث : «عليكم بزواج الأبقار ، فإنهن أنتق أرحاماً ، وأطيب أفواهاً ، وأرضى باليسير» . وقيل : التثق : الجذب بشدة ، ومنه : تثقت السقاء ؛ إذا جذبته بشدة لتقتلع الزبد من فمه . وقال الفراء : هو الرفع . وقال ابن قتيبة : هو الزعزعة . على أن هذه الاختلاقات ترجع إلى معنى واحد . والذي يلفت النظر هو أن النون والتاء متى استعملتا فاء وعيناً للكلمة ، فإن المعنى يحوم حول النزاع والقلع والإخراج ، وسنعرض كعادتنا ، تركيب هذين الحرفين ، فمن ذلك نتأ بمعنى رمى ، ونتأ ثدي الجارية بمعنى برز ونهد ، ونتأ الشيء : خرج من موضعه من غير أن يفصل ، ونتجت الناقة : وضعت ولدها ، ومن المجاز : الريح تتج السحاب ، قال الراعي :

أرَبَّتْ بها شهرئ ربيع عليهم جنائبٌ ينتجن الغمامَ المتاليا

وفي المثل : «إن العجز والتواني تزاوجا فأنتجا الفقر» . وهذه المقدمة لا تنتج نتيجة صادقة إذا لم تكن لها عاقبة محمودة ، ونتح العرق من منائح ، ورشح من مراححه ، ونتحث الشوكة من رجلي بالمتاخ : أي بالمنقاش ، ونتح البازي اللحم بمئسره ، ونتح فلان من أصحابه : نزع منهم ، ونتحته المنية من بين قومه ، ونتر الثوب : جذبه في شدة ، ونتر الوتر مدّه حتى كاد ينكسر القوس ، وفي الحديث : «إذا بال أحدكم فلينتر ذكره ثلاث نترات» ، ونتش الشوكة بالمنقاش ، ونقشها بالمنقاش ، وما نتش منه شيئاً ؛ ما أخذ ، وهو ينتش من كل علم ، ونشف شعره وانتشفه ، وفلان منتوف : مولع بتشف لحيته . ومن المجاز : أعطاه نُتْفَةً من الطعام وغيره : شيئاً منه ، فقول العامة : نُتْفَةٌ ، صحيح ، ولكن بضم الميم ، وكان أبو عبيدة يقول في الأصمعي : ذاك رجل نُتْفَةٌ . ونتن الشيء : ارتفع نتنه ، وفي الحديث : «إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليذكر مناتها» ، وهذا من دقائق العربية ، فتدبره .

﴿ظُلَّةٌ﴾ الظُّلَّةُ : - بضم الظاء - : كل ما أظلك من سقيفة ، أو سحب .

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ نَنقَضْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ الواو عاطفة ، وإذ ظرف زمان متعلق باذكر المحذوفة والمعطوفة على ما تقدم ، وجملة ننتقنا في محل جر بالإضافة ، ونا فاعله ، والجبل مفعول به ، وفوقهم ظرف مكان متعلق بمحذوف على أنه حال من الجبل ، وهي حال مقدرة ، لأنه حال التثنية لم يكن فوقهم بالفعل بل صار فوقهم بالتثنية ، أو متعلق بمنتقنا ، وجملة كأنه ظلة حال من الجبل أيضاً ، فيكون الحال متعدداً ، وكان واسمها وخبرها ﴿وَطَنُوا أَنَّهُ وَقِعٌ بِهِمْ﴾ يجوز أن تكون الجملة في محل جر عطفاً على جملة ننتقنا المجرورة بالإضافة ، ويجوز أن تكون الواو حالية ، وقد مقدرة ، وقد تقدم مثل هذا التعبير والبحث فيه ، وصاحب الحال الجبل ، أي : كأنه ظلة في حال كونه مظنوناً وقوعه بهم ، ولك أن تجعل الواو استئنافية ، فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها ، وأن وما في حيزها سدت مسدً مفعولي ظنً ، وأن واسمها وخبرها ، وبهم جار ومجرور متعلقان بواقع ﴿خُذُوا مَاءً آتَيْنَكُم بِقُوقٍ﴾ جملة خذوا في محل نصب مقول قول محذوف ، أي : وقلنا لهم : خذوا ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة آتيناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : عازمين على احتمال مشاقه وكثرة تكاليفه ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ لَتَنقُونَ﴾ عطف على ما تقدم ، ولعلكم لعل واسمها ، وجملة تنقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ عطف على ما تقدم وقد سبق ذكره ، وربك فاعل أخذ ، ومن بني آدم جار ومجرور متعلقان بأخذ ، ومن ظهورهم جار ومجرور في محل جر بدل اشتمال من بني آدم ، أو بدل بعض من كل بإعادة الجار ، ومعنى إخراج ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلًا وإشهادهم على أنفسهم . وسيأتي بحث ذلك في باب : البلاغة . وذريتهم مفعول به ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ عطف على أخذ ، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بأشهدهم

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قائلاً، وجملة القول حالية، والهمزة للاستفهام التقريري، والتاء اسم ليس، والباء حرف جر زائد، وربكم مجرور لفظاً خبر ليس محلاً، وجملة قالوا مستأنفة، وبلى حرف جواب، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء أكان مجرداً أم مقروناً بالاستفهام التقريري، كما هنا. ولذلك قيل: قالوا: نعم كفروا، من جهة أن «نعم» تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب، فكأنهم أقروا بأنه ليس ربهم ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ شهدنا فعل وفاعل، وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول من أجله، أي: فعلنا ذلك كراهة أن تقولوا، ويوم القيامة: ظرف متعلق بتقولوا، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول، وجملة كنا خبر إننا، وغافلين خبر كنا، وعن هذا جار ومجرور متعلقان بغافلين ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أو تقولوا عطف على أن تقولوا، أي: وكراهة أن تقولوا، وإنما كافة ومكفوفة، وجملة إنما أشرك آبائنا في محل نصب مقول القول، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذرية ﴿ أَفَنُهِّلُكُمَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، وتهلكنما فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والباء حرف جر، وتفيد السببية، وما مصدرية، وفعل المبطلون فعل وفاعل، والمصدر المؤول في محل جر بالباء.

□ البلاغة:

(١) في قوله: ﴿ وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ تشبيه مرسل، وفائدته هنا: إخراج ما لم تجريه العادة إلى ما جرت به العادة.

(٢) في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية، أجمع علماء البيان المتأخرون على أنه لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة، وإنما هذا كله محمول على المجاز التمثيلي، فقد شبه سبحانه حال النوع الإنساني بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة الدالة على ربوبيته سبحانه، المقتضية لأن ينطق ويقر بمقتضاها بأخذ الميثاق

عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر . أما المتقدمون فيقولون : إنه تعالى أخرج بعضهم من صلب بعض ، وجعل لهم العقل والمنطق ، وألهمهم ذلك . ولكل وجهة نظرهم .

﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ١٧٤ ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ١٧٥ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّهُٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ١٧٦ ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ ﴾ ١٧٧ ﴿

☆ الفظة:

﴿ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ الإخلاق إلى الشيء : الميل إليه من الاطمئنان به . وفي المصباح : خلد بالمكان خلوداً ، من باب : قعد : أقام ، وأخلد بالألف مثله ، خلد إلى كذا وأخلد إليه : ركن .

﴿ يَلْهَثَ ﴾ : يدلح لسانه ، يقال : لهث يلهث بفتح العين في الماضي والمضارع لهثاً ولهائاً ، وهو : خروج لسانه في حال راحته وإعيائه ، وهي طبيعة لازمة للكلب ، وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذ أعيا ، أو عطش . وفي الصحاح : لهث الكلب إذا أخرج لسانه من التعب ، أو العطش ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثَ ﴾ لأنك إذ حملت على الكلب نبج وولى هارباً ، وإن تركه شدَّ عليك ونبج ، فيتعب نفسه في الحالين ، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان .

○ الإعراب:

﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الواو عاطفة ، والكاف

ومدخلوها صفة لمصدر محذوف، وقد تقدمت له نظائر كثيرة، والآيات مفعول به، ولعلمهم الواو عاطفة على محذوف، تقديره: ليتدبروها، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الواو عاطفة على متعلق «إذ» بقوله: «وإذ أخذ»، و«اتل» فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وعليهم جار ومجرور متعلقان ب«اتل»، ونبأ مفعول به، والذي مضاف إليه، وجملة آتيناه صلة الموصول، وآياتنا مفعول به ثان، فانسلخ عطف على آتيناه، ومنها جار ومجرور متعلقان بانسلخ ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أتبع: فعل ماض رباعي يتعدى لواحد فيكون بمعنى أدركه، ويتعدى لاثنين، فتكون الهاء المفعول به الأول، والمفعول به الثاني محذوف، تقديره: فأتبعه الشيطان خطواته، أي: جعله تابعا لها، والشيطان فاعل، فكان عطف على أتبعه، واسمها مستتر، ومن الغاوين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ والواو حالية، ولو شرطية غير جازمة، وشيئا فعل وفاعل، واللام جواب لو، وجملة رفعناه لا محل لها، وبها جار ومجرور متعلقان برفعناه ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة أخلد خبر لكن، وإلى الأرض جار ومجرور متعلقان بأخلد ﴿وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ عطف على أخلد، وهواه مفعول به ﴿فَتَمَثَّلَ الْكَلْبُ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ الفاء الفصيحة، ومثله مبتدأ، وكمثل الكلب خبره، وإن شرطية، وتحمل فعل الشرط، وعليه جار ومجرور متعلقان بتحمل، ويلهث جواب الشرط، وأو حرف عطف، وتتركه عطف على فعل الشرط وجوابه المتقدمين، وسيأتي مزيد من القول في محل الجملة الشرطية، لطول الكلام، في باب الفوائد ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ذلك مبتدأ، ومثل القوم خبره، والجملة حالية، والذين نعت للقوم، وجملة كذبوا لا محل لها لأنها صلة، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم، واقصص فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والقصص بمعنى المقصود مفعول

به، وجملة الرجاء في محل نصب حال من الضمير المخاطب في «اقصص»، والمعنى: راجياً تفكيرهم ﴿سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ساء فعل ماض جامد لإنشاء الذم، ومثلاً تمييز، والقوم مبتدأ، خبره جملة ساء، ولا بد من تقدير محذوف ليكون التمييز والفاعل والمخصوص بالذم كلها متحدة معنى، والتقدير: ساء مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم، والذين نعت للقوم، وجملة كذبوا بآياتنا صلة. وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب: البلاغة ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ﴾ الواو عاطفة، وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون، وكان واسمها، وجملة يظلمون خبرها، ويجوز أن يكون ما بعد الواو العاطفة داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا، بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم، أو منقطعاً عنها، بمعنى ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البلاغة نجملها فيما يلي، وقد سماه الجاحظ:

(١) المذهب الكلامي:

هذه التسمية كما ذكر ابن المعتز في كتابه، وزعم الجاحظ: أنه لا يوجد منه شيء في القرآن. والكتاب الكريم مشحون به. وتعريف هذا الباب: هو أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند، وتفلّ سلاح المكابر المتعنت، على طريقة علماء الكلام. ومنه منطقيّ تستنتج فيه النتائج من المقدمات الصادقة. والآية المقصودة بهذا الفن هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وترتيب المقدمتين في هذه الكلمات والنتيجة أنا نقول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولو شاء الله رفع بلعام بن باعوراء المقصود بهذه الآية، فقد بعثه الله إلى ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان، فأعطاه وأقطعه، فاتبع دينه وترك دين موسى، ففيه نزلت هذه الآية وما بعدها.

هذا؛ ولا يكون المقصود، بالمدح أو الذم إلا من جنس المرتفع بنعم وبئس، فإن وجد كلام ظاهره مخالف لهذا الحكم، فليعلم أن هناك محذوفاً يذكره يرجع الكلام إلى هذا الأصل المقرر، فمن قوله سبحانه: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنُنَا﴾ والقوم ليسوا من جنس المثل، فالتقدير: ساء مثلاً مثل القوم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وعلى هذا يقاس.

(٢) التشبيه التمثيلي:

في قوله: ﴿وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَهُ﴾ إلى آخر الآية، فقد شبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب الذي إن حملت عليه نبج وولى ذاهباً، وإن تركته شدَّ عليك ونبج، فإن الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات، وشبه رفضه وقذفه لها وردّه لها بعد الحرص عليها، وفرط الرغبة فيها، بالكلب، إذا رجع ينبج بعد إطرادك له وواجب أن يكون رفض الأشياء الخطيرة النفيسة في خدن طلبها والحرص عليها، والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً عليك ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش.

* الفوائد:

الجملة الشرطية في محل نصب على الحال، أي: لاهثاً في الحالتين، قاله الزمخشري وأبو البقاء. وقال بعضهم: «وأما الشرطية فلا تقع بتمامها موقع الحال، فلا يقال: جاء زيد إن يسأل يعط، على الحال، بل لو أريد ذلك لجعلت الشرطية خبراً عن ضمير ما أريد الحال عنه، نحو: جاء زيد هو وإن يسأل يعط، فيكون الواقع موقع الحال، ولكن بعد ما أخرجوها عن حقيقة الشرط. وتلك الجملة لم تخل من أن يعطف عليها ما يناقضها أو لم يعطف، والأول ترك الواو مستمراً فيه، نحو: أتيتك إن أتيتني وإن لم تأتني، إذ لا يخفى أن النقيضين من الشرط في مثل هذا الموضع لا يبقيان على معنى الشرط، بل يتحولان إلى معنى التسوية، كالأستفهامين المتناقضين في قوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ؟ ، وأما الثاني فلا بدَّ فيه من الواو، نحو: أتيتك وإن لم تأتني، ولو ترك الواو لالتبس بالشرط حقيقة، فقوله: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ من قبيل الأول؛ لأن الحمل عليه والترك نقيضان. وهذا من أدق المباحث، فتأمل؛ لأنه جدير بالتأمل.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ١٧٩﴾

☆ النسخة:

﴿ذَرَأْنَا﴾: خلقنا.

○ الإعراب:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ﴾ من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليهد، والله فاعله، والفاء رابطة لجواب الشرط، وهو مبتدأ، والمهتدي خبره، وقد راعى هنا لفظ «من» فأفرد المهتدي ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وراعى هنا معنى «من» فجمع الخاسرين ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الواو عاطفة ليتساقط كلام الله تعالى في وصفهم ووصف مآلهم. واللام جواب لقسم المحذوف، وذرانا فعل وفاعل، ولجهنم جار ومجرور متعلقان بذرانا، وكثيراً مفعول به، ومن الجن والإنس صفة لـ «كثيراً» ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وقلوب مبتدأ مؤخر، والجملة حال من «كثيراً»، وإن كان نكرة لتخصيصه بالوصف، وجملة لا يفقهون صفة لقلوب. ومثل ذلك يقال في الجملتين التاليتين ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ أولئك مبتدأ،

وكالأنعام جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وبل حرف إضراب وعطف، وهم مبتدأ، وأضل خبر، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل لا محل له، والغافلون خبر أولئك، أو «هم» مبتدأ، والغافلون خبر «هم»، وجملة هم الغافلون خبر أولئك.

□ البلاغة:

في الآية التشبيه التمثيلي، فقد شبه اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ﷺ، مع علمهم أنه النبي الموعود بمن عدموا فهم القلوب، وإبصار العيون، واستماع الآذان، وجعلهم لإغراقهم في الكفر وإصرارهم على الضلال بمثابة من خلقوا للنار لا ينفكون عنها أبداً، ثم شبههم بالأنعام بل بما هو دون الأنعام ارتكاساً، وسفهاً، وتدنياً في مهابط الرزيلة، والآثام.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ١٨١ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣ ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾

☆ اللفظة:

﴿الْحُسْنَىٰ﴾: مؤنث الأحسن، كالكبرى والصغرى، وقيل: الحسنى: مصدر وصف به كالزجعى، وأفرده كما أفرد وصف مالا يعقل في قوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾، ولو طوبق به لكان التركيب الحسن كقوله: ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

﴿يُذْهِدُونَ﴾: مضارع ألد بمعنى: مال، وانحرف.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سنستدريجهم قليلاً إلى ما يهلكهم، والاستدراج: النقل درجة بعد درجة، من الدرج، وهو: الطي، ومنه دَرَج الثوب: إذا طواه.

﴿وَأَمْلَى﴾: الإملاء: الإمهال، والتطويل.

﴿جِنَّةٌ﴾: - بكسر الجيم وتشديد النون -: أي: جنون.

○ الإعراب:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الواو استئنافية، والله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والأسماء مبتدأ مؤخر، والحسنى صفة، فادعوه الفاء الفصيحة، وادعوه فعل وفاعل ومفعول به، وبها جار ومجرور متعلقان بادعوه ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الواو عاطفة، وذروا فعل أمر وفاعل، والذين اسم موصول مفعول به، وجملة يلحدون صلة الموصول، وفي أسمائه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والمعنى: واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيه ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سيجزون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وما مفعول به ثان، وجملة كانوا يعملون صلة الموصول، وجملة يعملون خبر كانوا ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الواو عاطفة، وممن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجملة خلقنا صلة الموصول، وأمة مبتدأ مؤخر، وجملة يهدون بالحق صفة لأمة، وبه جار ومجرور متعلقان بיעدلون ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة كذبوا صلة الموصول، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وجملة سنستدرجهم من حيث لا يعلمون خبر، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف على الاشتغال، والتقدير: سنستدرج الذين كذبوا، أي: سننقلهم درجة بعد درجة من علو إلى سفلى، أي: نقرّبهم إلى الهلاك بإمهالهم. ومن

حيث جار ومجرور متعلقان بنسبدرجهم، وجملة لا يعلمون في محل جر بالإضافة ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة، وأملي معطوف على نسبدرجهم، على نحو من الالتفات، والذي نراه أنها مستأنفة على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: وأنا أملي لهم، ولهم جار ومجرور متعلقان بأملي، وإن كيدي متين الجملة بمثابة التعليل لقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويتفكروا فعل مضارع مجزوم بلم، وما نافية، وبصاحبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وجنة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا، فهو عامل فيها، لوجود المعلق له وهو «ما» النافية، ويجوز أن تكون «ما» استفهامية في محل رفع مبتدأ، والخبر بصاحبهم، ومن جنة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إن نافية، وهو مبتدأ، وإلا أداة حصر، ونذير خبر، ومبين صفة ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ تقدم إعراب نظيرها، وفي ملكوت السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بينظر، وما عطف على ملكوت، وجملة خلق صلة الموصول، ومن شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ الواو عاطفة، والجملة في محل جر عطفاً على «ما» قبلها، أي: في أن، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وخبرها جملة عسى، واسم عسى مستتر، وأن وما في حيزها خبرها، واسم يكون ضمير الشأن أيضاً، وجملة قد اقترَبَ أجلهم خبرها ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء استئنافية، وبأي جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، والجملة مستأنفة، مسوقة للتعجب، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره! والضمير عائد على القرآن أو الرسول ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيَ لُمٌ﴾ من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليضلل، والله فاعل، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وهادي اسمها، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الواو استئنافية، وجملة يذرهم مستأنفة، والهاء

مفعول به، في طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهمون، وجملة يعمهمون حال من الهاء، وقرئ: «ويذرهم» بالجزم عطفاً على محل قوله: «فلا هادي له» المجزوم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْنَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

☆ اللغة:

﴿السَّاعَةِ﴾: القيامة، وسميت بذلك لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. وهي من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا.

﴿مُرْسَاهَا﴾ مصدر ميمي من أرسى، والإرساء: الاستقرار، والإثبات، والثلاثي منه رسا، ورسا الشيء ثبت، ورسى السفينة: وقفت عن الجري.

﴿يُجِيبُهَا﴾: يظهرها.

﴿حَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال، والمراد: كأنك عالم بها؛ لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحکم علمه فيه ورضن، وهذا التركيب معناه المبالغة، ومنه: إحقاء الشارب.

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان نمط من ضلالتهم. ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به، وعن الساعة جار ومجرور متعلقان بيسألونك، وأيان اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية،

وسياقي في باب الفوائد اشتقاقه، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومرساها مبتدأ مؤخر، والجملة بدل من الساعة. وقيل: أيان متعلق بمحذوف، أي: يسألونك، ومرساها فاعل لهذا الفعل المحذوف ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قُبِهَا إِلَّا هُوَ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وعلمها مبتدأ، والظرف متعلق بمحذوف خبر، وجملة لا يجليها حال، ولوقتها جار ومجرور متعلقان بيجليها، وجملة إنما وما في حيزها في محل نصب مقول القول، وإلا أداة حصر، وهو فاعل يجليها، أو تأكيد للفاعل المستتر ﴿ثُقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجملة مستأنفة، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بثقلت، سواء أكان «في» بمعنى «على»، أو على بابها من الظرفية، والمعنى حصل ثقلها، وهو شدتها أو المبالغة في إخفائها في هذين الطرفين، أو عليهما ﴿لَا تَأْتِيَكُمُ إِلَّا بَغْةٌ﴾ الجملة مستأنفة، مقررمة لمضمون ما قبلها، ولا تأتكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وإلا أداة حصر، وبغته حال، أو مفعول مطلق ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ : الجملة مستأنفة، وسياقي سر هذا التكرير في باب البلاغة. ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به، وجملة كأنك حالية، وكأن واسمها، وحفي خبرها، وعنها جار ومجرور متعلقان بحفي ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تقدم إعرابها قريباً ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم إعرابها ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لحسم أطماعهم بعد إعلان نفص يده منهم. وجملة لا أملك في محل نصب مقول القول، ولا نافية، وأملك فعل مضارع وفاعل مستتر، ونفعاً مفعول به، ولنفسي جار ومجرور متعلقان بأملك، أو بمحذوف حال من «نفعاً»؛ لأنه كان في الأصل صفة له لو تأخر عنه، وإلا أداة استثناء، وما مستثنى من «نفعاً وضراً»، أو بدل منهما، وقيل: الاستثناء منقطع، فهو متعين النصب على الاستثناء ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة أعلم خبرها، والغيب مفعول به، ولاستكثر: اللام واقعة في جواب لو، واستكثر فعل وفاعل، ومن الخير جار ومجرور متعلقان باستكثر، والجملة لا محل لها ﴿وَمَا مَسْنِي السُّوءِ﴾ الواو عاطفة، وجملة ما مسني السوء

عطف على استكثرت ، وما نافية ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إن نافية ، وأنا مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ونذير خبر ، وبشير عطف على نذير ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير ، وجملة يؤمنون صفة لقوم .

□ البلاغة:

في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ نوع من التكرير لم يدونه علماء البلاغة في معرض حديثهم عن التكرير ، وهو أن الكلام إذا بني على مقصد ما ، واعترض في أثناءه عارض ، فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول ، وقد بعد عهده ، طرّي بذكر المقصد الأول ، لتتصل نهايته ببدايته ، وقد تقدمت إليه الإشارة ، وهذا منها . فإنه لما ابتدأ الكلام بقوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ إلى قوله ﴿بَنَّةٌ﴾ أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم ، وهو المضمن في قوله : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وهو شديد التعلق بالسؤال ، وقد بعد عهده ، فطرّي ذكره تطرية عامة ، ولا نراه أبداً يطرّي إلا بنوع من الإجمال ، كالتذكرة للأول مستغني عن تفصيله بما تقدم ، فمن ثم قيل : ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ولم يذكر المسؤول عنه - وهو الساعة - اكتفاء بما تقدم . فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضاً مجملاً فقال : ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ .

* الفوائد:

﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى ، إن كانت اسم استفهام ، أو اسم شرط ، وقيل : اشتقاقه من «أي» وهي «فعلان» منه ، لأن معناه : أي وقت وأي فعل ، من أويت إليه ؛ لأن البعض أو إلى الكل ، متساند إليه . قال ابن جني : وأبى أن يكون من «أين» لأنه زمان و«أين» مكان . وقال غيره : أصل أيان «أي آن» فهي مركبة من «أي» المتضمنة معنى الشرط و«آن» بمعنى حين ، فصارتا بعد التركيب اسماً واحداً ، للشرط في الزمان المستقبل ، مبني على الفتح ، وكثيراً ما تلحقها «ما» الزائدة للتوكيد ، كقوله :

إذا النجعة الأدماء بانث بقفرة فأيان ما تعدل به الريح تنزل

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهَا صَبْلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ كلام مستأنف لخطاب أهل مكة . وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة خلقكم صلة ، ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم ، وواحدة صفة ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ جعل بمعنى خلق معطوف على خلقكم ، وفاعله ضمير مستتر ، ومنها جار ومجرور متعلقان بجعل ، وزوجها مفعول به ، واللام للتعليل ، ويسكن فعل مضارع منصوب وفاعله هو ، وإليها جار ومجرور متعلقان بيسكن ، والمراد بالنفس آدم ، وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النفس ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ الفاء عاطفة ، ولما رابطة ، أو حينية ، وجملة حملت لا محل لها ، وحملًا إن كانت مصدرًا فهي مفعول مطلق ، وإن كانت بمعنى الجنين فهي مفعول به ، وخفيًا نعت أتى به للإشعار بعدم التأذي به ، كما يصيب الحوامل عادة من آلام الحمل ، أو إشارة إلى ابتدائه وكونه نطفة لا تثقل البطن . والفاء عاطفة ، ومرت عطف على حملت ، وبه جار ومجرور متعلقان بمرت ، أي : ترددت في إنجاز مهامها وإظهارها من غير مشقة ولا إعنات ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ الفاء عاطفة ، ولما رابطة ، أو حينية ، ودعوا الله فعل ماض وفاعل ومفعول به ، وربهما بدل ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَبْلًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ اللام موطئة للقسم ، وجملة القسم مستأنفة لتدل على الجملة القسمية ، وإن شرطية ،

وآتيننا فعل وفاعل وهو فعل الشرط، ونا مفعول به، وصالحاً صفة لمفعول محذوف نابت عنه، أي: ولدأ صالحاً، واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه، ونكونن فعل مضارع ناقص، مبني على الفتح، واسمها ضمير مستتر تقديره نحن، ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها، وجملة لئن آتيننا تفسيرية لجملة دعوا الله، كأنه قيل: فما كان دعاؤهما؟ [قيل: ^(١)] ما قالاه، ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف، تقديره: فقالا: لئن آتيننا، وجملة لنوكنن جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على ما تقرر ﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُمُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ شركاء مفعول جعلاً، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشركاء، وتقدم، وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشركاء، وجملة آتاها صلة، والمعنى: أتى أولادهما، وقد دل على ذلك قوله: ﴿فَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك. والفاء حرف عطف، وجملة «تعالى الله» عطف على خلقكم، وما بينهما اعتراض. ويجوز أن تكون الفاء استئنافية، والجملة مستأنفة، وسيأتي في باب الفوائد سر هذا الخطاب، وما قاله العلماء فيه. والله فاعله، وعما جار ومجرور متعلقان بتعالى، وجملة يشركون لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويشركون فعل مضارع، والواو فاعل، وما مفعول به، وجملة لا يخلق صلة الموصول، والواو حالية، وهم مبتدأ، وجملة يخلقون بالبناء للمجهول خبر «هم»، والواو نائب فاعل، والجملة مستأنفة، مسوقة لتوبيخهم على ما اقترفوه. وهذا الضمير يعود على الأصنام المعبر عنها بـ «ما»، وعبر عنها بـ «ما» لاعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء، ويجوز أن يعود على الكفار، أي: وهم مخلوقون لله، فلو تفكروا في ذلك لآمنوا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسُهُمْ يَنصُرُونَ﴾ الجملة معطوفة على سابقتها، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون.

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع.

* الفوائد:

المراد في الخطاب الوارد في هذه الآيات شغل العلماء والمفسرين، وخاضوا فيه كثيراً، ولا يتسع المجال لنقل ما قالوه في هذا الصدد. وأسلم ما نراه وأقربه إلى الصواب والمعقول أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى، لا يقصد فيه إلى معين، ويكون المعنى حيثئذ: خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الذي هو الأنثى جرى من الجنسين كذا وكذا. وقيل: الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ - وهم آل قصي - ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد:

فِيَا لَقْصِيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ

بِهِ مِنْ فَخَارٍ لَا يُبَارَى وَسُودِدِ

وقبل هذا البيت:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ

رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْمَتَيْنِ أُمَّ مَعْبِدِ

هَمَا نَزَلَا بِالْبُرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا

فِيَا فَوْزَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

وبعده:

لِيَهْنِ بَنِي سَعْدِ مَقَامُ فَتَاتِهِمْ

وَمَقْعُدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصِدِ

والقائل مجهول.

روى التاريخ أنه حين خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً يصحبه أبو بكر، وجهل أهلها خبرهما بعد خروجهما من الغار، هتف الهاتفون بهذا القول. وأم معبد امرأة من بني سعد، نزلت عندها. و«يا لقصي» أصله: يا آل قصي، أو تكون لام الاستغاثة، والجار والمجرور متعلقان بما في «يا» من معنى الفعل.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ﴾ ١٩٣ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٩٤ أَلَمْ يَمْشَوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ١٩٥

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لخطاب عبدة الأصنام، أي: وإن تدعوا آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعوكم على مرادكم. وإن شرطية. وتدعوهم فعل الشرط، والواو فاعل، والهاء مفعول به يعود على الأصنام، وإلى الهدى جار ومجرور متعلقان بتدعوهم، ولا نافية، ويتبعوكم جواب الشرط المجزوم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِبُونَ﴾ سواء خبر مقدم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بسواء، والهمزة للاستفهام، وهي همزة التسوية التي تؤول ما بعدها بمصدر، وقد مر ذكرها في البقرة، وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، ولك أن تعرب «سواء» خبراً لمبتدأ محذوف، والمصدر المؤول فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر، وأم عاطفة وتسمى متصلة، وقد سبق ذكرها، وأنتم مبتدأ، وصامتون خبر، والجملة معطوفة على الجملة السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدمها، وإن واسمها، وجملة تدعون صلة، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال. وعباد خبر إن، وأمثالكم صفة لعباد، ووصف الأصنام بأنها عباد أمثالهم مع أنها جمادات، ولفظ العباد إنما يطلق على الأحياء العقلاء، وعبر عنها بضرورة في قوله: «فادعوهم»، وقوله: «فليستجيبوا لكم»، إنما ساغ ذلك كله لأنهم لما اعتقدوا ألوهيتها لزمهم

كونهم حية عاقلة وإن كانت في الواقع خلاف ذلك، ولكن وردت الألفاظ على مقتضى اعتقادهم. وسيأتي مزيد من التحقيق في هذا في باب الفوائد ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا صح ذلك - وهو لم يصح إلا في اعتقادهم وعرفهم - فادعوهم. وادعوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، وقوله: «فليستجيبوا» الفاء عاطفة، واللام لام الأمر، ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، ولكم جار ومجرور متعلقان يستجيبوا، وإن شرطية، وكنتم صادقين فعل الشرط، والجواب محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة، أي: فادعوهم، وصادقين خبر كنتم ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ كلام مستأنف بمثابة التوبيخ لهم على عقولهم القاصرة. والهمزة للاستفهام الإنكاري مع النفي، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وأرجل مبتدأ مؤخر، وجملة يمشون بها صفة ﴿أَمْ لَهُمْ آيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ أم عاطفة بمعنى بل، والجملة معطوفة على سابقتها، وكذلك قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصَرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك البتة مما هو لكم، فكيف تعبدونهم؟ وأنتم أنتم منهم، وأكمل حالاً ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ جملة ادعوا شركاءكم مقول القول، وثم حرف عطف وتراخ، وكيدون عطف على ادعوا، والفاء عاطفة، ولا ناهية، تنظرون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والنون للوقاية، وياء المتكلم محذوفة، وقد تقدم القول في جواز حذفها في البقرة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ﴾ بها إلى قوله: ﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ فنّ بدعي معروف باسم نفي الشيء بإيجابه، وهو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه بشرط أن يكون المثبت مستعاراً، ثم ينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفي حقيقة في باطن الكلام، وهو الذي أثبتته لا الذي نفاه، وفي الآيات المتقدمة يقتضي نفي الإلهية جملة عمن يبصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى،

فكيف من لا يسمع ولا يبصر منها. وقد تقدمت له أمثلة، وسيأتي المزيد منه.

* الفوائد:

لم ير أشهر المفسرين إشكالاً في إطلاق لفظ «عباد» على الأصنام، فابن جرير - الذي هو أشدهم عناية بتقرير كل ما كان يعد شكلاً والجواب عنه - لم يورده في الآية، وفسّر العباد بالأملاك، وأما من بعده من المفسرين فقد أوردوا ذلك، وأجابوا عنه بجوابين نقلهما الرازي.

عبارة الرازي:

أحدهما: أن المشركين لما ادّعوا أنها تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة، فلا جرم وردت هذه الآية على وفق معتقداتهم، ولذلك قال: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ولم يقل: التي. والجواب الثاني: أن هذا لغو ورد في معرض الاستهزاء بهم، أي: قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء، فإذا ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم، ولا فضل لهم عليكم، فلم جعلتم أنفسكم عبيداً؟ وجعلتموهم آلهة وأرباباً.

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ١٩٦ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ ١٩٧ ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٩٨ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ١٩٩ ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٠٠

☆ اللغة:

﴿وَلِيََّ﴾: ناصرى ومتولى أموري.

﴿الْعَفْوَ﴾: اليسر وضدّ الجهد. أي: خذ ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم، وما أتى منهم، وتسهّل من غير تكلف ولا إعنات، ولا تخرجهم

وتشق عليهم ، وقال النبي ﷺ في هذا المعنى : «يسرّوا ولا تعسّروا» . وقال :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي

ولا تنطقي في سَوْرَتِي حين أغضبُ

﴿يَا لَعْرَفِ﴾ : بضم العين : المعروف ، وكل جميل من الأفعال .

قال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

﴿نَزَعُ﴾ : النخس والغرز ، شَبَّهَ وسوسة الشيطان بغرز السائق لما

يسوقه .

○ الإعراب :

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ إن واسمها وخبرها ، والذي صفة لله ،
وجملة نزل الكتاب صلة الموصول ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الواو حالية ، أو
عاطفة ، وهو مبتدأ ، وجملة يتولى الصالحين خبر ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكَمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عطف على ما تقدم ، وقد مرَّ
إعرابه آنفاً ، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا
يَسْمَعُوا﴾ عطف أيضاً ، وإن الشرطية وفعلها وجوابها ﴿وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ الواو استئنافية ، وتراهم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره
أنت ، والهاء مفعول به ، وجملة ينظرون إليك حالية ، والواو للحال ، وهم
مبتدأ ، وجملة لا يبصرون خبر ، وجملة وهم لا يبصرون حال أيضاً ﴿خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ خذ فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ،
والعفو مفعول به ، وفعلنا الأمر الآخران عطف عليه ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة ، وإن شرطية ،
أدغمت نونها بما الزائدة ، وينزغتك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله
بنون التوكيد الثقيلة ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، ومن الشيطان جار
ومجرور متعلقان بمحذوف حال ؛ لأنه في الأصل كان صفة لـ «نزع» ، ونزع

فاعل، فاستعذ: الفاء رابطة لجواب الشرط، لأن الجواب بعدها طلبى، واستعذ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، وبالله جار ومجرور متعلقان باستعذ، وإن واسمها وخبرها، وجملة إن وما في حيزها للتعليل والاستئناف.

□ البلاغة:

أعجب العرب كثيراً بقوله تعالى: ﴿حُذِرَ الْعُقُورُ﴾ إلى آخر الآية، لما فيها من سهولة سبك، وعذوبة لفظ، وسلامة تأليف، مع ما تضمنته من إشارات بعيدة، ورموز لا تنأهى، وأطلقوا على هذا النوع من الأساليب اسم فن يقال له «الانسجام»، وهو أن يكون الكلام متحدراً كتحدّر الماء المنسجم، حتى يكون للجملة من المنثور وللبيت من المنظوم وقع في النفوس، وتأثير في القلوب، ما ليس لغيره.

نماذج شعرية من الانسجام:

ومن النماذج الشعرية لهذا الفن التي خلت من البديع، إلا أن يأتي ضمن السهولة، من غير قصد، كقول بعضهم، وينسب إلى ديك الجن الشاعر الحمصي:

يا بديع الدَّلِّ والغَنَجِ	لك سلطانٌ على المُهَجِ
إنَّ بيتاً أنت ساكُنُه	غيرُ مُحْتَاجٍ إلى السُّرُجِ
وجهُكَ المأمولُ حُجَّتُنَا	يوم تأتي الناسُ بالحججِ

ولبهاء الدين زهير:

لحاظُكَ أمضى من المَرْهَفِ	وريقُكَ أشهى من القَرْقَفِ
ومن سيفٍ لحظكَ لا أَتَقِي	ومن خمرٍ ريقكَ لا أَكْتَفِي
أقاسي المنونَ لنيلِ المنى	وياليت هذا بهذا يفي
زها ورْدُ خديكَ لكنه	بغيرِ النواظرِ لم يقطِفِ
وقد زعموا أنه مُضعِفٌ	وما علموا أنه مُضعِفِي

ومما يستحق أن يغنى به قول صفى الدين، وقد بلغ غاية الانسجام:

قالت: كحلتَ الجفونَ بالوسنِ
قلت: ارتقاباً لطيفك الحسنِ
قالت: تسليّت بعد فرقتنا
قلت: عن مسكني وعن سكني
قالت: تشاغلّت عن محبّتنا
قلت: بفَرْط البكاء والحزنِ
قالت: تخلّيت، قلت: عن جَلدي
قالت: تغيّرت، قلت: في بدني
قالت: أذعت الأسرارَ، قلت لها:
صيّر سريّ هوائك كالعلنِ
قالت: فما ذا تروم؟ قلت لها:
ساعةً سَعِدِ بالوصال تسعفني
قالت: وعينُ الرقيبِ ترقبنا
قلت: فإنّي للعين لم أبْنِ
أنحلّتنني بالبعدِ عنك فلو

ترصّدتنني العيونُ لم ترني
ونختم هذه المختارة بالحكاية الآتية: قيل: إن بعض الأدباء اجتاز بدار
الشريف الرضي، وقد أخنى عليها الزمان، وأذهب بهجتها، وأخلق
ديباقتها، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة. فوقف عليها متعجباً من
صروف الزمان، وتمثل بهذه الأبيات:

ولقد وقفْتُ على ربوعهمُ وطُلُوها بيد البلى نَهَبُ
فبكيتُ حتى ضجَّ من لَعَبٍ نَضُوي وعجَّ بعذلي الرُّكْبُ
وتلفَّتْ عيني فمذ خفيَتْ عني الطُّلولُ تلفَّت القلبُ

فمر شخص فقال له: أتعرف هذه الأبيات؟ فقال: لا، قال: والله إنها
لصاحب هذه الدار، فتعجبا من غريب هذا الاتفاق، والشيء بالشيء يذكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ٢٠١ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ٢٠٢ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِثَآئِفٍ قَالُوا لَوْلَا آجَتِيَّتْهَا قُلٌ إِنَّمَا أَتَيْعٌ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

☆ اللغة:

﴿طَافٍ﴾: يحتمل أن يكون اسم فاعل من طاف به الخيال يطيف طيفاً، أو مصدر منه، وقد قرأ أهل البصرة «طَيْفٌ»، وكذا أهل مكة، وقرأ أهل المدينة والكوفة: «طَائِفٌ».

﴿أَجْتِيَّتْهَا﴾ اجتبى الشيء: بمعنى جباه لنفسه، أي: جمعه.

﴿بِالْغُدُوِّ﴾ - بضمين - جمع غدوة، بضم الغين وسكون الدال، وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصيل، وهو: من العصر إلى الغروب.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ إن واسمها، وجملة اتقوا صلة، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن معنى الشرط، وجملة مسهم في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف، والهاء مفعول به لمس، وطائف فاعله، ومن الشيطان جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائف، وإذا وشرطها وجوابها الآتي خبر إن ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ جملة تذكروا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والفاء عاطفة، وإذا فجائية، وقد

تقدم الكلام عنها، وهم مبتدأ، ومبصرون خبر ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ اضطربت أقوال المعربين والمفسرين في هذه الآية، وتفادياً للضيق في متاهات الأقوال المتشعبة نجتزئ بأشهر الأقوال وأقربها إلى العقل والمنطق، فنقول: وإخوانهم: الواو استئنافية، وإخوانهم مبتدأ، والضمير فيه يعود على الشيطان؛ لأنه لا يراد به الواحد بل الجنس، والضمير المنصوب في يمدونهم يعود على الكفار، والمرفوع يعود على الشيطان، والتقدير وإخوان الشياطين تدمهم الشياطين، وعلى هذا فالخبر جار على غير من هوله في المعنى، ألا ترى أن الإمداد مسند إلى الشياطين، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم؟ قال الزمخشري: وهذا الوجه أوجه؛ لأن «إخوانهم» في مقابلة «الذين اتقوا»، وفي الغي جار ومجرور متعلقان بيمدونهم، وثم حرف عطف وتراخ، ولا يقصرون عطف على يمدونهم، ولا نافية. وهناك أوجه ترجع من حيث النتيجة إليه، فنكتفي به ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الواو حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة لم تأتهم في محل جر بالإضافة، وبآية جار ومجرور متعلقان بتأتهم، وجملة قالوا لا محل لها من الإعراب، ولولا حرف تحضيض، فالكلام طلبى، أي: اجتبها واخترعها من عند نفسك، كما هي عادتك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأتبع فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة يوحى بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها صلة الموصول، وإلي جار ومجرور متعلقان بيوحى، ومن ربي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الجملة تنمة لمقول القول، داخلية في حيزه، وهذا اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، وبصائر خبره، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبصائر، وهدى عطف على بصائر، وكذلك رحمة ولقوم جار ومجرور متعلقان برحمة، وجملة يؤمنون صفة لقوم ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، ويحتمل أن تكون عاطفة، والكلام من جملة المقول المأمور به، وإذا شرط مستقبل، وجملة قرىء القرآن في

محل جر بالإضافة، والقرآن نائب فاعل، والفاء رابطة، وجملة استمعوا له لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وله جار ومجرور متعلقان باستمعوا، واختلف في الاستماع والمراد به، وأظهر الأقوال أنه الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة أو غير صلاة، وقيل: معنى «فاستمعوا»: فاعملوا بما فيه ولا تتجاوزوه. ولعل واسمها، وجملة ترحمون خبرها، وجملة الرجاء حالية ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ الواو عاطفة، واذكر فعل أمر، وربك مفعول به، وفي نفسك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وهو عام في الأذكار، وتضرعاً وخيفة في نصبهما وجهان: أحدهما أنهما مفعولان لأجلهما، والثاني أنهما مصدران وقعا موقع الحال، أي: متضرعين خائفين ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الواو عاطفة، ودون ظرف متعلق بمحذوف معطوف على في نفسك، أي: في السر وفي الجهر، ومن القول جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وبالغدو والآصال: جار ومجرور متعلقان باذكر، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية، ومن الغافلين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر المؤمنين الذين استأهلوا القرب من الله. وإن واسمها، وعند ربك ظرف متعلق بمحذوف لا محل لها من الإعراب؛ لأنه صلة الموصول، وجملة لا يستكبرون خبر إن، والمراد بالعندية القرب من الله والزلقى إليه، وعن عبادته جار ومجرور متعلقان بيسجدون، ويسبحونه عطف على ما تقدم، وله الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلقان بيسجدون، ويسجدون عطف على يسبحونه، ويجوز أن تكون الواو حالية، أو استثنائية، وجملة يسبحونه خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهم يسبحونه.

* الفوائد:

وهذا فصل ممتع للإمام الغزالي ننقل بعضه لمناسبته ونفاسته. قال: «ولأجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة؛ لأنَّ المطلوب الخاتمة، ونعني

بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله تعالى، والقلب مستغرق بالله عز وجل، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فبه قطع الطمع عن مهجته وأهله، وماله وولده، بل من الدنيا كلّها، فإنه يريد لها حياته. وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل، وطلب مرضاته، فلا تجرد أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة.

ولما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاريّ يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر: «ألا أبشرك يا جابر؟» قال: بلى، بشرك الله بالخير، قال: «إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه، وليس بينه وبينه حجاب ولا رسول. فقال تعالى: تَمَنَّ عَلَيَّ يَا عَبْدِي، مَا شِئْتَ أُعْطِيكَه. فقال: يا رب! إن تردني إلى الدنيا حتّى أقتل فيك وفي نبيك مرّة أخرى. فقال الله عز وجل: سبق القضاء متي بأنهم إليها لا يرجعون». ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة.

وصيّة عمر لبعض قوّاده:

وتعجبني دعوة عمر بن الخطاب إلى ذكر الله وخشيته رجاء غوثه ورحمته، في وصية لبعض قوّاده: «أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشدّ احتراساً من المعاصي فيكم من عدوكم، فإنّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعدددهم، ولا عدتنا كعدّتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لا ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

☆ اللفظة:

﴿ الْأَنْفَالِ ﴾ : جمع نفل - بفتح الثون والفاء - كفرس وأفراس ، والمراد بها الغنائم . والنفل : الزيادة والغنيمة . ومنه قول لبيد :

إِنْ تَقَوَىٰ رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وبإذنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَل

شبه لبيد الثواب الذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل ، وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب ، فاستعار النفل له على طريق الاستعارة التصريحية ، وأخبر به عن التقوى ؛ لأنها سببه . ويجوز استعارة النفل

للتقوى بجامع النفع . ورثي: بطئي، وعجل: أي: عجلي، فحذفت الياء لوزن الشعر. وفي المصباح: الثقل الغنيمة: والجمع أنفال، مثل سبب وأسباب، والثقل - بسكون الفاء -: مثله .

﴿وَجِلَّتْ﴾ وجَلَّ بالكسر في الماضي، يُوَجِّلُ بالفتح في المضارع، وفيه لغة أخرى، وهي وجَلَّ بفتح الجيم في الماضي، وكسرها في المضارع، فتحذف الواو، كوعديعد .

○ الإعراب:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير تشريع الغنيمة في الجهاد، ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، والضمير الفاعل هو من سأل هذا السؤال ممن حضروا غزوة بدر . وسأل يكون تارة لاقتضاء معنى في نفس المسؤول، فيتعدى إلى الثاني بعن، كهذه الآية؛ وقد يكون لاقتضاء مادة أو مال، فيتعدى لاثنين نحو سألت زيدا مالاً . وعن الأنفال متعلقان بيسألونك كما تقدم، وقل فعل أمر، والأنفال مبتدأ، والله خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والرسول عطف على الله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الفاء الفصيحة، واتقوا فعل أمر وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، وأصلحوا عطف على اتقوا، وذات بينكم مفعول به، ومعنى ذات بينكم: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق . فالبين هنا بمعنى الاتصال، ويطلق أيضاً على الفراق، فهو من الأضداد . وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسمها، ومؤمنين خبرها، والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إنما كافة ومكفوفة، والمؤمنون مبتدأ، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان من أراد بالمؤمنين، بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث الآتية، والذين خبر، وإذا ظرف لما يستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ذكر الله في محل جر بالإضافة، والله نائب فاعل، وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ عطف الصفة الأولى، وجملة زادتهم لا محل لها، وإيماناً مفعول به ثان، أو تمييز ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ صفة ثالثة داخلية في نطاق الصلة للموصول، وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بيتوكلون، والتقديم يفيد الاختصاص، أي: عليه لا على غيره ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وأردف الصفات الثلاث المتقدمة - وهي من أفعال القلوب، وهي: الخشية والإخلاص والتوكل - بصفتين من أعمال الجوارح، وهما إقامة الصلاة والصدقة. وقد تقدم إعراب نظائرها ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو خبر ثان، والمؤمنون خبر على كل حال، والجملة خبر اسم الإشارة، والجملة مستأنفة، وحققاً صفة لمصدر محذوف، أي: هم المؤمنون إيماناً حقاً، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله حقاً ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ودرجات مبتدأ مؤخر، وعند ربهم ظرف متعلق بدرجات؛ لأنها بمعنى أجور، أو يتعلق بمحذوف صفة لدرجات؛ لأنها نكرة، ومغفرة ورزق كريم عطف على درجات.

* الفوائد:

روى التاريخ أن الاختلاف وقع بين المسلمين في غنائم بدر وقسمتها، فسألوا رسول الله ﷺ: كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ أأل للمهاجرين أم للأَنْصَار؟ أم لهم جميعاً؟ ف قيل لهم: هي للرسول وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم، وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينقله فتسارع شبَّانهم حتى قتلوا سبعين وأُسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ الوجوه الذين كانوا عند الرايات: إنا كنا رداءً لكم، وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم، وقالوا الرسول الله: المغنم قليل والناس كثير، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك، فنزلت.

قصة سعد بن أبي وقاص :

وعن سعد بن أبي وقاص : قُتل أخي عمير يوم بدر ، فقتلت به سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه ، فأعجبني ، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف ، فقال : « ليس هذا لي ولا لك ، اطرحه في القَبْض » ، يعني المال المقبوض ، فطرحته ، وبى ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي ، وأخذ سلبي ، فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله ، وقد أنزلت سورة الأنفال فقال : « يا سعد ! إنك سألتني السيف وليس لي ، وأنه قد صار لي فاذهب وخذ » .

رواية عبادة بن الصامت :

وعن عبادة بن الصامت : نزلت فينا معشر أصحاب بدر ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين .

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُوهَ ۖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۖ ﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۖ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۖ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۖ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۖ ﴾

☆ اللغة:

﴿ الشَّوْكَةُ ﴾ للشوكة معان كثيرة ، وهي هنا بمعنى البأس ، والقوة ، والسلاح ، وَحَدَّثَهُ عَلَى أَن جَمِيعَ معانيها ترجع إلى معنى التفوق والظهور

والغلبة، ومن معانيها إبرة العقرب، وحمرة تعلو الجسد، والنكايه في العدو، يقال: لا تشوكك مني شوكه، أي: لا يلحقك مني أذى. وشوكه الحائك: الآلة التي يُسوِّي بها السدى واللحمة، ويقال: شاكته إصبعه شوكه، وشوكت النخلة: خرج شوكتها، وشوكت الحائط: جعلت عليه الشوك، ومن المجاز: شوكت الزرع، وزرع مشوك: إذا خرج أوله، وشوك ثدي الجارية وتشوكت: إذا بدأ خروجه. قال:

أحببتُ هذي قديماً وهي ماشيةٌ وما تشوكتُ ثديها وما نهذا

وإذا استعرضنا مادة الشين والواو فاء وعيناً للكلمة، وجدنا خاصة عجيبة لها كأنها قد وضعت خاصة لمعاني الظهور، والتأثير، والارتفاع، والتفوق، فالشوب: خلط الشيء بغيره بحيث يؤثر فيه، يقال: شاب العسل بالماء، وكأن ريقته خمر يشوبها عسل، ولهم المشاجب والمشابوب، وهي: أسفاط وحقق تتخذ من الخوص، وسوّرت به فتشوّر، ومنه قيل: أبدى الله شوارك، أي: عورتك، وفي حديث الزّباء: أشوار عروس ترى؟ وهذا من عجيب أمر لغتنا العربية الشريفة فافهم وتدبر.

○ الإعراب:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ كما يجوز أن تكون الكاف بمعنى مثل ومحلها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك، ويجوز أن تكون حرفاً جاراً، ومحل الجار والمجرور الرفع كما تقدّم، والمعنى: أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب، ويجوز أن يكون محلها النصب على أنها صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله: الأنفال لله والرسول، أي: الأنفال استقرت لله والرسول، وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك، وهم كارهون. وقد توسّع العربون القدامى في التقدير والتأويل، وأنهاها بعضهم إلى عشرين وجهاً، ولكنها لا تخرج عما ذكرناه. ومن بيتك جار ومجرور متعلقان بأخرج، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبساً بالحق

والحكمة والصواب الذي لا محيد عنه، وسيأتي في باب الفوائد ذكر بعض الحوادث التاريخية التي توضح هذا المعنى والإعراب ﴿وَلِإِنْ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُوهُمْ﴾ الواو حالية، وإن واسمها، ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، واللام المرحلة، وكارهون خبر إن، والجملة في محل نصب حال من الكاف في أخرجك، أي: أخرجك في حالة كراحتهم ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للإخبار عن حالهم بالمجادلة، ويجوز أن تكون حالاً ثانية من الكاف، أي: أخرجك في حال مجادلتهم إياك، أو من الضمير في كارهون، أي: لكارهون في حال الجدل، وفي الحق جار ومجرور متعلقان بيجادلونك، وبعد ظرف زمان متعلق بيجادلونك، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مصدر مضاف للظرف، أي: بعد تبينه وخروجه، وهو أقبح من الجدل في الشيء قبل اتضاحه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الجملة حالية من الضمير في «لكارهون» أي: حال كونهم مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل، وكأنما كافة ومكفوفة، ويساقون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الموت جار ومجرور متعلقان بيساقون، والواو حالية، وهم ينظرون جملة في محل نصب على الحال. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ الواو عاطفة، وإذ ظرف متعلق بفعل محذوف، أي: «واذكر إذ»، وجملة يعدكم الله في محل جر بالإضافة، وإحدى الطائفتين مفعول به، ولا بد من تقدير محذوف، أي: الظفر بإحدى الطائفتين، والطائفتان: العير والنفير ﴿أَنَّهُا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أن واسمها ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر، وأن وما في حيزها بدل اشتمال من إحدى الطائفتين، وتودون: الواو حالية، أو عاطفة، وتودون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، وأن وما في حيزها مفعول تودون، وجملة تكون خبر أن، ولكم جار ومجرور وهي العير لأنها الطائفة التي لا شوكة لها، ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ الواو عاطفة، ويريد الله فعل وفاعل وأن مصدرية، وهي وما في

حيزها مفعول يريد، وبكلماته جار ومجرور متعلقان بيقطع دابر الكافرين جملة معطوفة، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال ﴿لِيُحَقَّ الْحَقَّ وَيَبْطَلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ اللام للتعليل، ويحق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، واللام وما في حيزها متعلقان بمحذوف تقديره: فعل ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل، وليس هذا تكريراً لما قبله؛ لأن الأول خاص والثاني عام، فالمراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر، والمراد بالثاني تدعيم الدين وتقويته وإظهار الشريعة وتثبيتها. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الظرف متعلق بمحذوف، أي: واذكروا، ويجوز أن يتعلق بيقطع، وعبر بالحق حكاية للحال الماضية، ولذلك عطف عليه: فاستجاب لكم بصيغة الماضي ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَكِيَّةِ مُرْدِفِينَ﴾ الفاء عاطفة كما تقدم، ولكم جار ومجرور متعلقان باستجاب، وأن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض، أي: بأني ممدكم، والجار والمجرور متعلقان باستجاب أيضاً، وممدكم خبر أن، وبآلف جار ومجرور متعلقان بممدكم، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآلف، ومردفين صفة ثانية، ومفعول مردفين محذوف؛ لأنه اسم فاعل، أي: أمثالهم، أي: متبعين بعضهم بعضاً، أو متبعين بعضهم لبعض.

✽ الفوائد:

ما يقوله التاريخ:

أقبلت عير قريش من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً، منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ، فأخبر المسلمين، فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة! النجاء النجاء على كل صعب وذلول، غيركم أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً. ثم خرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير، فقليل له: إن العير أخذت طريق

الساحل ونجت، فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله! لن يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور، ونشرب الخمر، ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع العرب بمخرجنا، وإن محمداً لم يصب العير، وإنا قد أعضضناه، فمضى بهم إلى بدر، وبدر ماء كانت العرب تجمع فيه نوقهم يوماً في السنة، فنزل جبريل فقال: يا محمد! إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قریشاً، فاستشار النبي أصحابه وقال: «ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو، فتغير وجه رسول الله ﷺ، ثم ردّ عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله! عليك بالعير ودع العدو، فقام عند غضب النبي أبو بكر وعمر فأحسننا، ثم قام سعد بن عباد فقال: انظر أمرك فو الله لو سرت بنا إلى عدن لسرنا، ما تخلف رجل، ثم قال المقداد: يا رسول الله! امض لما أمرك الله، فإنا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «أشيروا علي أيها الناس» وهو يريد الأنصار؛ لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك ما نمنع منه آبائنا ونساءنا، فكان النبي ﷺ يتخوف أن تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله! قال: «أجل» قال: قد آمنا بك، وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله! لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا به لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يرك منّا ما تقر به عينك، فسرّبنا على بركة الله، وفرح رسول الله ﷺ ثم قال: «سيروا على بركة الله، وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع

القوم». وقد أطلنا في الاقتباس لأهمية هذا الفصل وبلاغته.

خلاصة مفيدة لأقوال المعربين في «كما»:

اختلفوا على خمسة عشر قولاً:

(١) إن «الكاف» بمعنى واو القسم و«ما» بمعنى «الذي» واقعة على ذي العلم، وهو الله، وجواب القسم: يجادلونك. قاله أبو عبيدة.

(٢) إن الكاف بمعنى «إذ» و«ما» زائدة والتقدير: اذكر إذ جاءك.

(٣) إن الكاف بمعنى «على» و«ما» بمعنى «الذي».

(٤) وقال عكرمة: التقدير: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، كما أخرجكم في الطاعة خير لكم كان إخراجك خيراً إليهم.

(٥) قال الكسائي: كما أخرجك ربك من بيتك على كراهة من فريق منهم، كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة، ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم أنك إنما تفعل ما أمرت به، لا ما يريدون.

(٦) قال الفراء: امض لأمرك في الغنائم، ونقل من شئت إن كرهوا كما أخرجك ربك.

(٧) قال الأخفش: الكاف نعت لـ«حقاً» والتقدير: هم المؤمنون حقاً كما.

(٨) إن الكاف في موضع رفع، والتقدير: كما أخرجك ربك فاتقوا الله، كأنه ابتداء وخبر.

(٩) قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، والتقدير: الأنفال ثابتة لله ثباتاً كما أخرجك ربك.

(١٠) إن الكاف في موضع رفع، والتقدير: لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم، وهذا وعد حق كما أخرجك.

(١١) إن الكاف في موضع رفع أيضاً، والمعنى: وأصلحوا ذات بينكم ذلكم خير لكم كما أخرجك، فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف.

(١٢) إنه شبه كراهية أصحاب رسول الله ﷺ بخروجه من المدينة حين تحققوا خروج قريش للدفع عن أبي سفيان، وحفظ عيره بكراهيتهم نزع الغنائم من أيديهم وجعلها للرسول، أو التنفيل منها. وهذا القول أخذه الزمخشري وحسنه، فقال: «يرتفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا الحال كحال إخراجك».

(١٣) إن قسمتك للغنائم حق كما كان خروجك حقاً.

(١٤) إن التشبيه وقع بين إخراجين، أي: إخراجك ربك إياك من بيتك، وهو مكة، وأنت كاره لخروجك، وكانت عاقبة ذلك الخير والنصر والظفر، كإخراج ربك إياك من المدينة، وبعض المؤمنين كاره، يكون عقيب ذلك الظفر والنصر.

(١٥) الكاف للتشبيه على سبيل المجاز، كقول القائل لعبده: كما وجهتك إلى أعدائي فاستضعفوك، وسألت مدداً فأمددتك، وقويتك، فخذهم الآن فعاقبهم بكذا، وكما كسوتك، وأجريت عليك الرزق، فاعمل كذا، وكما أحسنت إليك فاشكرني عليه.

وواضح أن مرجع هذه الأوجه واحد، فتدبر، والله يعصمك.

□ البلاغة:

(١) التشبيهات التمثيلية الواردة في الآيات، قد أشرنا إليها أثناء الإعراب لعلاقتها الوثيقة به.

(٢) العموم والخصوص في قوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَبَيِّطَ الْبَاطِلَ﴾ بعد قوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾. والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكرت فيه الإرادة مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة، كأنه قيل: وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الإطلاق ولإرادته أن يحق الحق، ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة، فبين الكلامين عموم وخصوص،

وإطلاق وتقييد، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين: إطلاق وتقييد.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ ﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ١١ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة على ما تقدم، وما نافية، وجعله الله فعل ومفعول به وفاعل، والضمير يعود للإمداد، وإلا أداة حصر، وبشري مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، وتطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، والجار والمجرور عطف على بشري، وجر المفعول من أجله باللام هنا لفقد شرط النصب، وهو: اتحاد الفاعل، وقلوبكم فاعل تطمئن ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ الواو استئنافية، أو حالية أيضاً، وما نافية، والنصر مبتدأ، وإلا أداة حصر، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الجملة الاسمية تعليل لما تقدم ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ إذ ظرف مبدل من إذ يعدكم، وهو ثاني بدل كما تقدم، وجملة يغشيكُم النعاس في محل جر بالإضافة، والنعاس مفعول به، وأمنة حال، أو مفعول من أجله، ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمنة ﴿ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ وينزل عطف على يغشيكُم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بينزل، وكذلك من السماء، وماء مفعول به، وليطهركم: اللام للتعليل، ويطهركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، وبه جار ومجرور متعلقان بيطهركم ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ ﴾

وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٢﴾
 في به يعود على الماء حتى يسهل المشي على الرمال؛ لأن العادة أن المشي عليها عسر، فإذا نزل عليه الماء جمد، وسهل المشي عليه، وقيل: الضمير يعود على الربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة، ثَبَّتَ الْأَقْدَامَ في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۚ﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۚ ﴿١٤﴾

☆ اللفظة:

(البنان): الأصابع كما في المصباح، أو أطرافها، الواحدة: بنانة. وقال أبو الهيثم: البنان: المفاصل وكل مفصل بنانة. وقيل: البنان الأصابع من اليدين والرجلين وجميع المفاصل من كل الأعضاء.

﴿شَاقُوا﴾: خالفوا، والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في عدوة خلاف عدوة صاحبه، وكذلك المخاصمة؛ لأن هذا في خصم، أي: في جانب وذلك في خصم.

○ الإعراب:

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ الظرف يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من إذ يعدكم، ويجوز أن ينتصب بيثبت، أو أن يكون معمولاً لمحذوف، أي: «اذكر» وجملة يوحى ربك في محل جر بالإضافة، وإلى الملائكة جار ومجرور متعلقان بيوحي، وأني وما في حيزها مفعول يوحى، ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر أني ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا ثبت هذا

فثبتوا الذين آمنوا بتبشيرهم بالنصر، والذين مفعول به، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يجوز أن تكون الجملة تفسيراً لقوله: إني معكم فثبتوا، ولا معونة أوكد وأجدى من إلقاء الرعب في قلوب الأعداء، ويجوز أن تكون مستأنفة، وفي كلتا الحالتين لا محل لها من الإعراب، وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بالقي، والرعب مفعول به لألقي، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ﴿فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ فعل أمر وفاعل، وفوق ظرف متعلق باضربوا، والمفعول به محذوف، أي: فاضربوهم فوق الأعناق، ويجوز أن تكون «فوق» مفعولاً به على الاتساع؛ لأنه عبارة عن الرأس. كأنه قيل: فاضربوا فوق رؤوسهم، وهذا ما اختاره الزمخشري، قال: أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح؛ لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزناً وتطهيراً للرؤوس، وقيل: أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق بمعنى ضرب الهام، قال عمرو بن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الريح
واقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
لأدفع عن مآثر صالحات وأحجب بعدن عرض صحيح

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والإشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعذاب وبأنهم خبره، وجملة شاقوا الله ورسوله خبر أن، ولفظ الجلالة مفعول به، ورسوله عطف عليه. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويشاققون فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وخبرها، وفعل الشرط وجوابه خبر «من»، والشرط هنا تكملة لما قبله وتكرير لمضمونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والخطاب للكفرة على طريق الالتفات، والخبر محذوف تقديره: العقاب، ولك أن تعرب اسم الإشارة خبراً لمبتدأ محذوف، أي: العقاب ذلكم، ويجوز

أن يكون في محل نصب على الاشتغال، كقولك: زيداً فاضربه، وعلى كل حال فالفاء استئنافية، وذوقوه كلام مستأنف، وأن عطف على ذلكم في أوجهه الثلاثة، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر «أن» المقدم، وعذاب النار اسمها المؤخر، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة من البلاغة، ألمعنا إليها خلال الإعراب لعلاقتها به، وهي المجاز والالتفات والاستعارة في قوله: ﴿فَذُوقُوهُ﴾، وقد تقدمت هذه الفنون في مواطنها.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَدْبَارَ ۚ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُمُرُهُ ۖ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ
فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ
وَلَنَكِرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ
كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝١٨﴾

☆ اللفظة:

﴿زَحَفًا﴾: الزحف مصدر زحف، وفي المصباح: زحف القوم زحفاً، من باب: نفع، وزحوفاً، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية بالمصدر، والجمع: زحوف، مثل: فلس، وفلوس، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي.

﴿مُتَحَرِّفًا﴾: متعطفاً، أو هو الكرّ بعد الفرّ، ليخيل لعدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه، وهو باب: من خدع الحرب ومكايدها.

﴿مُتَحَيِّزًا﴾: منحازاً منضمّاً، والتحيز والتحوز: الانضمام، وتحوزت

الحية: انطوت، وحزت الشيء: ضمته، والحوزة: ما يضم الأشياء. وأصل متحيز: متحيوز، فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداها بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء بالياء.

○ الإعراب:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: تقدم إعرابها كثيراً ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ فلا تولوهم الأدبار ﴿إِذَا ظَرْفٌ لِّمَا يَسْتَقْبِلُ مِنَ الزَّمَنِ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، وجملة لقيتم في محل جر بالإضافة، والذين مفعوله، وجملة كفروا صلة، وزحفاً حال من الذين، أي: حال كونهم زاحفين، وقيل: انتصب «زحفاً» على المصدر بحال محذوفة، أي: زاحفين زحفاً، وهذا الذي قيل محكم، فحرم الفرار عند اللقاء بكل حال، والفاء رابطة، ولا ناهية، وتولوهم فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به، والأدبار: مفعول به ثانٍ ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويولهم فعل وفاعل مستتر ومفعوله الأول، ودبره مفعول يولهم الثاني، ويومئذ ظرف مضاف لظرف، وهو متعلق بيولهم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ «إلا» يجوز أن تكون أداة حصر لتقدم النهي، ومتحرفاً حال، ويجوز أن تكون «إلا» أداة استثناء، ومتحرفاً مستثنى من ضمير المؤمنين، ولقتال جار ومجرور متعلقان بـ «متحرفاً»، أو متحيزاً إلى فئة عطف على سابقة ﴿فَقَدْ بَكَأَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد، وباء: فعل ماض، وبغضب جار ومجرور متعلقان بباء أو بمحذوف حال، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وماواه مبتدأ، وجهنم خبره، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والمصير فاعل بئس، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مصيرهم ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم، فقد وقعت جواباً لشرط مقدر، ولم حرف نفي وقلب وجزم، وتقتلوهم فعل مضارع

مجزوم بلم، والواو حرف عطف، ولكن حرف مشبه بالفعل، وقد جاءت أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات، والله اسمها، وجملة قتلهم خبرها ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ عطف على ما تقدم، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق برميت، والواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة رمى خبرها ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، ويبيلى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وأن وما في حيزها في محل جر باللام متعلقان بفعل محذوف، تقديره: فعَلَ ذلك، والمؤمنين مفعول به، وبلاء مفعول مطلق، والبلاء هنا محمول على النعمة لأنه يقع على النعمة والمحنة معاً؛ لأن أصله الاختبار، فهو مردوده، وحسناً صفة، وإن الله سميع عليم عطف على ما تقدم، وإن واسمها وخبرها ﴿ذَلِكَ كَمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ تقدم إعراب نظير اسم الإشارة، فهو مبتدأ، وخبره محذوف، أي: ذلكم الإبلاء حق، وأن الله أن وما في حيزها عطف على ذلكم، وموهن خبر «أن»، وكيد الكافرين مضاف لموهن، والإشارة للقتل والرمي والإبلاء، ويجوز أن تكون «أن» وما في حيزها عطف على «وليلى»، أو في محل نصب بفعل مقدر، أي: واعلموا أن الله.

□ البلاغة:

(١) فن التعريض:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ﴾ فن يقال له: فن التعريض وبعضهم يدخله في ضمن الكناية، قال السعد التفتازاني: «الكناية إذا كانت عرضية، مسوقة لأجل موصوف غير مذكور، كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض، فقال عرضت لفلان وعرضت بفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه فكأنك أشرت إلى جانب، وتريد جانباً آخر، ومنه المعارض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء» وقال الزمخشري: «الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكَ لأسلم عليك، فكأنه أمال الكلام إلى

عرض يدل على المقصود، وعُرض الشيء - بالضم -: ناصيته من أي وجه جئته».

وقال ابن الأثير في المثل السائر: «الكناية ما يدل على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، ويكون في المفرد والمركب، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي، بل من جهة التلويح والإشارة، فيختص باللفظ المركب، كقول من يتوقع صلة: والله إني محتاج، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، وإنما فهم منه المعنى، من عرض اللفظ، أي: جانبه».

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تعرف سر التعريض في هذا التعبير الرشيق بالآية، فقد ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها، فأتى بلفظ الدبر دون الظهر.

وقد ولع أبو الطيب بهذا الفن، فقد قال يُعْرَضُ بكافور الاخشيدي:
ومن ركب الثورَ بعد الجوا دِ أنكر أظلافه والغَبْ
يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغيبه، وأما من كان مثل كافور وقد سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك إن ركبه بعد الجواد. وقال أيضاً يستزيد كافوراً من الجوائز بعد مدحه:

أبا المسك هل من الكأسِ فضلٌ أنالهُ
فإني أُغْنِي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
يقول: مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك. ثم قال بعده:
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارٍ كَفَّيْ زَمَانِنَا
وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارٍ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ

(٢) فن الاستدراك والرجوع:

وهو الكلام المشتمل على لفظة «لكن»، وهو قسمان: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير، وقسم لا يتقدمه، ومن القسم الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَمْ

تَقْتُلُوهُمْ وَلِكَيْ يَكُونَ اللَّهُ فَعْلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ۖ فَقَدْ أَتَى
الاستدراك في هذه الكلمات في موضعين كل منهما مرشح للتعطف ، فإن لفظة
تقتلوهم وقتلهم ، ورميت ورمى ، تعطف . وهذا أقرب استدراك وقع في
الكلام لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين . وسيأتي مثال القسم
الأول قريباً .

ومما ورد منه شعراً قول أبي الطيب :
هم المحسنون الكَرَّ في حومةِ الوغى
وأحسنُ منه كَرُّهُم في المكارمِ
ولولا احتقارُ الأسدِ شَبَّهُتْهَا بهم
لكنَّها معدودةٌ في البهائمِ
وما أحسنَ قول بعضهم في الرأس المصلوب على الرمح :
وعاد لكَنه رأسٌ بلا جسدٍ
يمشي ولكن على ساقٍ بلا قدمٍ
إذا تراءى على الخَطِيِّ أسفرَ في
حالِ العبوسِ لنا عن ثغرٍ مَبْتَسِمٍ
* الفوائد :

روى التاريخ أنه لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه ، حتى
دنا من رسول الله ﷺ ، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه ،
فقال لهم رسول الله ﷺ : استأخروا ، فاستأخروا . فأخذ رسول الله ﷺ
حربته في يده فرمى بها أبي بن خلف ، وكسر ضلعاً من أضلاعه ، فرجع أبي بن
خلف إلى أصحابه ثقيلاً ، فاحتملوه حين ولّوا قافلين ، فطفقوا يقولون :
لا بأس . فقال أبي حين قالوا له ذلك ، والله لو كانت بالناس لقتلتهم ، ألم يقل
إني أقتلك إن شاء الله . فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق
فدفنوه . قال ابن المسيب ، وفي ذلك أنزل الله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ .

﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٢١ ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ إِلَيْكُمْ وَالَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ٢٣﴾

☆ اللفظة:

﴿تَسْتَفِئِحُوا﴾: تطلبوا الفتح، أي: القضاء والحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل، روي أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة. أي: أهلكه.

﴿الدَّوَابِّ﴾: جمع دابة. والمراد بها هنا: الإنسان. وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقي لما ذكره في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً. وفي المصباح: الدابة كل حيوان في الأرض مميز أو غير مميز.

○ الإعراب:

﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إن شرطية، وتستفتحوا فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، والفاء رابطة لاقتران الجواب بقد، وقد حرف تحقيق، وجاءكم الفتح فعل ومفعول به وفاعل ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب مماثل لما قبله، واقتران الجواب بالفاء؛ لأنه جملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر. وجملة الجواب في الموضعين في محل جزم ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ﴾ عطف أيضاً، وجملة الجواب لا محل لها ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ عطف أيضاً، وفئتكم فاعل تغني، وشيئاً مفعول

مطلق أو مفعول به، والواو حالية، ولو شرطية، وكثرت فعل الشرط، والجواب محذوف ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف أيضاً، وفتح همزة «أن» بتقدير اللام، والتقدير: ولأن الله مع المؤمنين، والله اسم أن ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف هو الخبر ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أطيعوا فعل أمر وفاعل، والله مفعول به، ورسوله عطف على الله، وجملة ولا تولوا عطف على جملة أطيعوا، ولا ناهية، وتولوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وعنه جار ومجرور متعلقان بتولوا، وأنتم: الواو حالية، وأنتم مبتدأ، وجملة تسمعون خبر ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ عطف على ما تقدم، والكاف اسم بمعنى مثل خبر تكونوا، أوهي حرف جر، والجار والمجرور خبر، وجملة قالوا صلة، وجملة سمعنا مقول القول، والواو حالية، وجملة هم لا يسمعون في محل نصب على الحال. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إن واسمها، وعند الله الظرف متعلق بمحذوف حال، والصم خبر إن، والبكم خبر ثان، والذين صفة، وجملة لا يعقلون صلة ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ الواو استئنافية، ولو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط، وعلم الله فعل وفاعل، وفيهم جار ومجرور متعلقان بعلم، وخيراً مفعول به، ولأسمعهم: اللام رابطة لجواب لو، وأسمعهم فعل وفاعل مستتر، والهاء مفعول به ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ الواو عاطفة، ولو لمجرد الربط، ولا يصح أن تكون امتناعية، لأنه يصير المعنى: انتفى توليهم لانتفاء إسماعهم، وهذا خلاف الواقع فهي حينئذ لمجرد الربط بمعنى إن، وأسمعهم فعل ماض والهاء مفعول به، لتولوا: اللام رابطة، وتولوا فعل ماض وفاعل، والواو حالية، وهم معرضون مبتدأ وخبر، والجملة حالية، والفرق بين الإسماعين أن يراد بالأول: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء، بل إسماعاً مجرداً من ذلك لتولوا وهم معرضون.

* الفوائد:

قال ابن هشام:

«لهجت الطلبة بالسؤال عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ وتوجيهه أن الجملتين يتركب معهما قياس، وحينئذ فنتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا، وهذا مستحيل. والجواب من ثلاثة أوجه: اثنان يرجعان إلى نفي كونه قياساً، وذلك بإثبات اختلاف الوسط، أحدهما أن التقدير لأسمعهم إسماعاً نافعاً، ولو أسمعهم إسماعاً لتولوا. والثاني أن يقدر: ولو أسمعهم، على تقدير عدم علم الخير فيهم. الثالث بتقدير كونه قياساً متحد الوسط صحيح الإنتاج، والتقدير: ولو علم الله فيهم خيراً وقتاً ما لتولوا بعد ذلك الوقت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَوْنَ﴾ ٢٤ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٥ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخطفكم النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٦﴾

○ الإعراب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ استجيبوا فعل أمر وفاعل، والله جار ومجرور متعلقان باستجيبوا، وللرسول عطف على الله، وإذا ظرف مستقبل، وجملة دعاكم في محل جر بالإضافة، ولما جار ومجرور متعلقان بدعاكم، وجملة يحييكم صلة ما. واختلفوا في قوله «لما يحييكم»، والأصح أنه عام شامل لكل ما فيه حياة

القلوب والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ واعلموا عطف على استجيوا، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وجملة يحول خبر أن، وبين ظرف متعلق بيحول، والمرء مضاف إليه، وقلبه عطف على المرء. وسيأتي معنى المجاز في حيلولة الله بين المرء وقلبه في باب البلاغة ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ عطف على أن الله، وإليه جار ومجرور متعلقان بتحشرون، وجملة تحشرون خبر أن ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ واتقوا عطف على استجيوا واعلموا، وفتنة مفعول به، وجملة لا تصيبن صفة لفتنة، و«لا» على ذلك نافية، ويجوز أن تكون معمولاً لقول محذوف، وتكون لا ناهية، وذلك القول هو الصفة، أي: فتنة مقولاً فيها: لا تصيبن، والنهي في الصورة للمصيبة، وفي المعنى للمخاطبين، وقد أعربها الزمخشري إعراباً جميلاً حيث قال: ما نصه بالحرف: وقوله: «لا تصيبن» لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر أو نهيّاً بعد أمر، أو صفة لفتنة. فإذا كان جواباً فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة، ولكنها تعمكم. وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب. وإذا كانت نهيّاً بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنباً أو عقاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب، أو أثر الذنب، ووباله من ظلم منكم خاصة، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كأنه قيل، واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن، ونظيره قوله:

حَتَّىٰ إِذَا جَنَّ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطَ

جاؤوا بِمَذْقٍ هَل رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطْ

والذين مفعول به، وجملة ظلموا صلة، ومنكم حال، وخاصة منصوبة على الحال من الفاعل المستتر في قوله: لا تصيبن، وأصلها أن تكون صفة لمصدر محذوف، تقديره: إصابة خاصة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ واذكروا عطف على اعلموا، وإذ نصب الظرف هنا على أنه مفعول

به لا ظرف، أي: اذكروا وقت كونكم أقلّة مستضعفين، وجملة أنتم قليل مضافة للظرف، وأنتم مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار، وهي قليل ومستضعفون وفي الأرض ﴿تَخَافُوكَ أَنَّ يَنْحَطِّفَكُمُ النَّاسُ﴾ جملة تخافون صفة كالتي قبلها، أي: خائفون، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في «قليل» و«مستضعفون»، وأن وما في حيزها مفعول تخافون، والناس فاعل يتخطفكم ﴿فَأَوَّكِكُمْ وَأَيْدَكُمْ بِصُرَّةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الفاء عاطفة، وأواكم فعل ماض وفاعل مستتر، وعطف عليه ما بعده، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها.

* الفوائد:

قال ابن هشام في «المغني» ما نصه: «قوله تعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فإنه يجوز أن تقدر لا ناهية أو نافية، على الأول فهي مقولة لقول محذوف هو الصفة، أي: فتنة مقولاً فيها ذلك، ويرجح أنه تأكيد الفعل بالنون بعد لا الناهية قياس، نحو: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً﴾ وعلى الثاني فهي صفة لفتنة، ويرجح سلامته من تقدير القيد الثاني صلاحيتها للاستغناء عنها، وخرج بذلك الصلة، وجملة الخبر، والجملة المحكية بالقول، فإنها لا يستغنى عنها، بمعنى أن معقولية القول متوقفة عليها».

وقال أبو حيان: «والجملة من قوله «لا تصيبن» خبرية صفة لقوله: «فتنة»، أي: غير مصيبة الظالم خاصة. إلا أن دخول نون التوكيد على المنفي بـ «لا» مختلف فيه، فالجمهور لا يجيزونه، ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو الندور. والذي نختاره الجواز، وإليه ذهب بعض النحويين. وإذا كان قد جاء لحاقها الفعل منفياً بـ «لا» مع الفصل، نحو قوله:

فلا ذا نعيمٍ يتركُنْ لنعيمه

وإن قال قَرَّظني وخُذْ رشوةً أبى

ولا ذا بئسٍ يتركُنْ لبؤسه

فينفعه شكوى إليه إن اشتكى

فلأن تلحقه مع غير الفصل أولى، نحو: ولا تصيبين».

□ البلاغة:

(١) المجاز في قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ . فأصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بينهما فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما، فهو مجاز مرسل عن غاية القرب من العبد؛ لأن من فصل بين شيئين كان أقرب إلى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما، فالعلاقة المحلية أو السببية. ويجوز أن يكون الكلام استعارة تمثيلية لغاية قربه من العبد، وإطلاعه على مكنونات القلوب وسرائر النفوس.

(٢) واختلف في «لا» من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ على القولين:

أ - أن «لا» ناهية، وهو نهي بعد أمر، أي: إنه كلام منقطع عما قبله، كقولك: صل الصبح ولا تضرب زيداً، فالأصل: اتقوا فتنة، أي: عذاباً، ثم قيل: لا تتعرضوا للفتنة فتصيب الذين... الخ، وعلى هذا فالإصابة بالمتعرضين. وتوكيد الفعل بالنون واضح لاقرانه بحرف الطلب، مثل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً﴾ ، ولكن وقوع الطلب صفة للنكرة ممتنع، فوجب إضمار القول، أي: واتقوا فتنة مقولاً فيها ذلك، كما قيل في قوله:

حتى إذا جنَّ الظلامُ واختلطُ

جاؤوا بمذقي هل رأيت الذئبَ قطُ

ب - أنها نافية، واختلف القائلون بذلك على قولين: أحدهما أن الجملة صفة لفتنة، ولا حاجة إلى إضمار قول؛ لأن الجملة خبرية. وعلى هذا فيكون دخول النون شاذاً مثله في قوله:

فلا الجارة الدنيا بها تلحيئها

ولا الضيفُ فيها إن أناخ مُحَوِّلُ

بل هو في الآية أسهل، لعدم الفصل، وهو فيهما سماعي. والذي جوزته تشبيه لا النافية بلا الناهية، وعلى هذا الوجه تكون الإصابة عامة للظالم وغيره لا خاصة بالظالمين، كما ذكره الزمخشري؛ لأنها قد وصفت بأنها لا تصيب الظالمين خاصة، فكيف تكون مع هذا خاصة بهم! والثاني أن الفعل جواب الأمر، وعلى هذا فيكون التوكيد أيضاً خارجاً عن القياس وشاذاً. ومن ذكر هذا الوجه الزمخشري، وهو فاسد، لأن المعنى حينئذ: فإنكم إن تتقوها لا تصب الظالم خاصة. وقوله: إن التقدير: إن أصابتكم لا تصيب الظالم خاصة، مردود؛ لأن الشرط إنما يقدر من جنس الأمر، لا من جنس الجواب.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩﴾

○ الإعراب:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ لا ناهية، وتخونوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، والرسول عطف على الله ﴿وَتَحُونُوا أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الواو يجوز فيها أن تكون واو المعية، فيكون «تخونوا» منصوباً بأن مضمرة بعدها؛ لأنها وقعت جواباً للنهي، ويجوز أن تكون عاطفة فيكون «تخونوا» مجزوماً داخلاً في حكم النهي. ولعل الثاني أولى، لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته، بخلاف الأول، فإن فيه النهي عن الجمع بينهما. ولا يترتب على النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته. وأماناتكم مفعول به على تقدير محذوف، أي: أصحاب أماناتكم. وسيأتي بحث استعارة الخيانة في باب البلاغة، وأنتم الواو للحال،

وأنتم مبتدأ، وجملة تعلمون خبر، وجملة أنتم تعلمون حالية، وحذف مفعول يعلمون للعلم به، أي: تعلمون أن ما وقع منكم خيانة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
واعلموا عطف على مقدم، وأنما كافة ومكفوفة، وقد سدت مسدًا مفعولي اعلموا، ولذلك فتحت همزتها، وسيأتي بحث فتح همزة إن وكسرها في باب الفوائد، وأموا لكم مبتدأ، وأولادكم عطف على «أمواكم»، وفتنة خبر، وجعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة، وهي الإثم والعذاب، أو محنة وابتلاء من الله ليسبر غوركم، ويكننه حقيقتكم، فما عليكم - والأمر بهذه المثابة - إلا توطين النفس على الإخلاص والتزهد في زخارف الدنيا، وعدم الاغترار بأباطيلها وأفوايقها، وأن الله عطف على أنما أموالكم وأولادكم، وأن واسمها، وعنده الظرف خبر مقدم، وأجر مبتدأ مؤخر، والجملة خبر «أن»، وفي هذا صارف لكم عن حب الدنيا وإيثارها على ما عند الله، وهو خير وأبقى. وفي هذا كله حث على اكتساب الأجر، وحسن الأحذوثة، وخلود الذكر.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾
فعل الشرط، ولكم جار ومجرور متعلقان بيجعل، وفرقاناً مفعول به، أي: نصرًا يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال مشاييعه، والإسلام بتعزيز مناجديه، أو منجاة من الشبهات التي تزيغ فيها الضمائر، وتضل الأفهام، وتعشو النواظر عن رؤية الحق.

هذا وقد اختلف في «الفرقان» هنا، فقال بعضهم: هو ما يفرق به بين الحق والباطل، والمعنى أنه يجعل لهم من ثبات القلوب، وثقوب البصائر، وحسن الهداية، ما يفرقون به بينهما عند الالتباس. وقيل: الفرقان: المخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما يخافونه، ومنه قول الشاعر:

مالك من طولِ الأسى فُرْقَانٌ بعد قطين رحلوا وبانوا

ومنه قول الآخر:

وكيف أَرْجِي الخُلَّ والموتُ طالبي

ومالي من كأسِ المنيَةِ فرقانُ

وقال الفَرَّاء: المراد بالفرقان: الفتح والنصر. وقال ابن إسحاق: الفرقان: الفصل بين الحق والباطل. وقال السُّدِّي: الفرقان: النجاة. ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ، وذو الفضل خبره، والعظيم صفة للفضل.

□ البلاغة:

الاستعارة في: ﴿وَتَخَوُّنُوا أَمَنَتَكُمْ﴾ فالخون في الأصل هو النقص، ومنه تخوُّنه إذا تنقَّصه، ثم استعير فيما هو ضد الأمانة والوفاء؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت النقصان عليه. وقد استعير أيضاً في قولهم: خان الدلو الكرب. والكرب هو - كما في الصحاح -: حبل يشدُّ في رأس الدلو. وخان المُشْتَار السبب، والمُشْتَار: مجتني العسل، والسَّبَب: الحبل، وإذا انقطع الحبل فيهما فكأنه لم يقف. والاستعارة هنا تصريحية تبعية.

* الفوائد:

مواضع كسر همزة إن:

يجب أن تكسر همزة (إن) حيث لا يصح أن يسدَّ المصدر مسدَّها ومسد معموليها، وذلك في اثني عشر موضعاً:

(١) أن تقع في ابتداء الكلام حقيقة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أو حكماً كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

(٢) أن تقع بعد «حيث»، نحو: اجلس حيث إن العلم موجود.

(٣) أن تقع بعد «إذ»، نحو: جئتكَ إذ إن الشمس تطلع.

(٤) أن تقع تالية للموصول، نحو: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُؤُزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ .

(٥) أن تقع جواباً للقسم نحو: والله إن العلم نور، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ .

(٦) أن تقع بعد القول محكية به، كقوله تعالى: ﴿قال: إني عبد الله﴾ فإن كان القول بمعنى الظن لم تكسر، مثل: أ تقول أن عبد الله يقول كذا؟ أي: أظن. وإن كانت غير محكية بالقول لم تكسر أيضاً، نحو: أخصك بالقول أنك فاضل، فهي هنا بمعنى التعليل، أي: لأنك فاضل، فهي مع ما في حيزها منصوبة بنزع الخافض.

(٧) أن تقع مع ما بعدها حالاً، نحو: جئت وإن الشمس تغرب، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ .

(٨) أن تقع مع ما بعدها صفة لما قبلها، نحو: جاء رجل إنه فاضل.

(٩) أن تقع صدر جملة استئنافية، نحو: فلان يزعم أني أسأت إليه، إنه لكاذب. وهذه من الواقعة ابتداء.

(١٠) أن تقع في خبرها لام الابتداء، أو اللام المزحلقة، كما يسميها النحاة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ .

(١١) أن تقع مع ما في حيزها خبراً عن اسم ذات، نحو: علي إنه فاضل. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ ، فجملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وما عطف عليه، لأنها أسماء.

(١٢) أن تقع بعد «كلاً» الرادعة، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَاذِبٌ﴾ .

مواضع فتح همزة أن:

ويجب فتح همزة ﴿أَنْ﴾ حيث يصح أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها، وذلك في أحد عشر موضعاً.

(١) أن تكون وما في حيزها في موضع الفاعل، نحو: بلغني أنك مجتهد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾. ومن ذلك أن تقع بعد «لو»، نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ فما بعد «أن» في تأويل مصدر مرفوع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت، واللام لام الجواب فالجملة بعدها جواب «لو».

(٢) أن تكون وما في حيزها في موضع نائب الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: استماع نفر.

(٣) أن تكون هي وما في حيزها في موضع المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنكَ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ فالجار والمجرور خبر مقدم، وما بعد «أن» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي: رؤيتك الأرض خاشعة من آياته.

(٤) أن تكون هي وما بعدها في موضع الخبر عن اسم معنى غير قول ولا صادق عليه، أي: على اسم المعنى خبرها نحو: اعتقادي أنه فاضل، فيجب فتحها لأنها خبر «اعتقادي»، وهو اسم معنى، غير قول ولا صادق، على اعتقادي خبرها؛ لأن «فاضل» لا يصدق على الاعتقاد. وإنما فتحت لسد المصدر مسدها ومسد معموليها، والتقدير: اعتقادي فضله، أي: معتقدي ذلك. ولم يجوز كسرها على أن تكون مع معموليها جملة مخبراً بها عن اعتقادي، لعدم الرابط؛ لأن اسم «أن» لا يعود على المبتدأ الذي هو اعتقادي؛ لأن خبرها غير صادق عليه، فهو يعود على غيره، فتبقى الجملة بلا رابط، بخلاف: قولي: إنه فاضل، فيجب كسرها؛ لأنها وقعت خبراً عن «قولي» ولا تحتاج إلى رابط لأن الجملة إذا قصد حكاية لفظها كانت نفس المبتدأ في المعنى، والتقدير: قولي هذا اللفظ لا غيره، وبخلاف: «اعتقاد زيد إنه حق» فيجب كسر همزة «إنه»

أيضاً؛ لأن خبرها وهو صادق على الاعتقاد، ولا مانع من وقوع جملة إن ومعمولها خبراً عن المبتدأ؛ لأن اسم إن رابط بينهما، ولا يصح فتحها لأنه يصير اعتقاد زيد كون اعتقاده حقاً، وذلك لا يفيد؛ لأن الخبر لا بد أن يستفاد منه ما لا يستفاد من المبتدأ.

(٥) أن تكون هي وما في حيزها في موضع تابع لمرفوع على أنه معطوف عليه أو بدل منه، نحو: بلغني اجتهدك وأنتك حسن الخلق، والتأويل: بلغني اجتهدك وحسن خلقك، فهو معطوف عليه، ونحو: يعجبني سعيد أنه مجتهد، والتأويل: يعجبني سعيد اجتهداه، فالمصدر المؤول بدل اشتمال من «سعيد».

(٦) أن تكون هي وما في حيزها في موضع المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافُوكُمْ أَنَكُمُ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ والتأويل: ولا تخافون إشراككم.

(٧) أن تكون هي وما في حيزها في موضع خبراً لكان، أو إحدى أخواتها، نحو: كان يقيني أنك تتبع الحق، والتأويل: كان يقيني اتباعك للحق.

(٨) أن تكون هي وما في حيزها في موضع تابع لمنصوب بالعطف، أو بالبدلية، كقوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ والتقدير: اذكروا نعمتي عليكم وتفضيلي إياكم. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، والتقدير - كما تقدم -: يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم، فما بعد أن في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من إحدى.

(٩) أن تقع بعد حرف الجر كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

(١٠) أن تقع هي وما في حيزها في موضع المضاف إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ أي: مثل نطقكم.

(١١) أن تقع هي وما في حيزها في موضع تابع لمجرور بالعطف، أو بالبدلية، نحو: سررت من أدب علي وأنه عاقل، والتقدير: سررت من أدب علي

وعقله . ونحو: عجبت منه أنه مهمل ، والتقدير : عجيب من إهماله ، والمعنى : عجبت من إهماله . فما بعد «أن» في تأويل مصدر مجرور بدل اشتغال من الهاء في «منه» .

المواضع التي يجوز فيها الكسر والفتح :

ويجوز الأمران : كسر همزة إن وفتحها حيث يصح الاعتباران : التأويل بمصدر ، وعدم التأويل ، وذلك في تسعة مواضع :

(١) بعد «إذا» الفجائية ، نحو: خرجت فإذا إن سعيداً واقف ، فالكسر على معنى : فإذا سعيد واقف ، والفتح على تأويل ما بعدها بمصدر مبتدأ محذوف الخبر ، والتأويل : فإذا وقوفه حاصل . وقد روي بالوجهين قول الشاعر :

وكنْتُ أرى زيداً، كما قيل سيِّداً إذا أنه عبدُ القفا واللّهّازم

أنشده سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد ، وأرى بضم الهمزة ، وأصله : يريني الله ، فعمل فيه العمل المشهور من ضم أوله وفتح ما قبل آخره وحذف الفاعل ، وزيد على ذلك هنا إبدال الياء همزة للاحتياج إلى ذلك ؛ لأنه لما حذف الفاعل وأنيب المفعول به لزم إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم ، ولا يسند له إلا المبدوء بالهمزة ، فحذفت الياء ، وأتي بالهمزة عوضها ، وهو متعدّ إلى ثلاثة مفاعيل ، الأول هو النائب عن الفاعل ، والثاني «زيداً» ، والثالث «سيِّداً» ، وجملة «كما قيل» اعتراضية ، فالكسر على معنى الجملة ، أي : فإذا هو عبد القفا ، والفتح على معنى الأفراد ، أي : فالعبودية حاصلة ، على جعلها مبتدأ حذف خبره ، كما تقول : خرجت فإذا الأسد ، أي : حاضر . واللّهّازم : جمع لهزيمة ، بكسر اللام والزاي ، وهي : عظم تأتيء تحت الأذن . والمعنى : كنت أظن سيادته ، فلما نظرت إلى قفاه ولهّازمه تبين لي عبوديته ، وكنى عن ذلك بأنه يضرب على قفاه ولهزمته ، والقفا : موضع الصفع .

(٢) بعد فاء الجزاء، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قرىء بكسر «إن» وفتحها، فالكسر على جعل ما بعد فاء الجزء جملة تامة، والمعنى: فالغفران والرحمة حاصلان، والفتح على تقدير أن ومعموليهما خبراً لمبتدأ محذوف، والمعنى: فالخاص بالغفران والرحمة، أو مبتدأ والخبر محذوف، والمعنى: فالغفران والرحمة حاصلان.

(٣) أن تقع مع ما في حيزها في موضع التعليل كقوله تعالى: ﴿وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، فالكسر على أنها جملة تعليلية، والفتح على تقدير لام التعليل الجارة، أي: لأن صلاتك سكن لهم. ومنه الحديث الشريف: «ليبك إن الحمد والنعمة لك»، يُروى بكسر «إن» وفتحها، فالكسر على أنه تعليل مستأنف، والفتح على تقدير لام العلة.

(٤) أن تقع بعد فعل قسم ولا لام بعدها، كقول رؤية:

أو تحلفي بربك العليّ أني أبو ذئبٍ الصبيّ
يُروى بكسر «إن» وفتحها فالكسر على الجواب للقسم، والفتح بتقدير «على».

(٥) أن تقع خبراً عن قول، ومخبراً عنها بقول، والقائل للقولين واحد، نحو: قولي إني أحمد الله، بفتح همزة «إن» وكسرها. فالفتح على حقيقته من المصدرية، أي: قولي حمداً لله، والكسر على معنى المقول، أي: مقولي إني أحمد الله.

(٦) أن تقع بعد واو مسبوقة بمفرد صالح للعطف عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۚ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في «وإنك لا تظماً» إما على الاستئناف، أو العطف على جملة «إن» الأولى، وعليهما فلا محل لها من الإعراب. وقرأ الباقر من السبعة بالفتح بالعطف على «أن لا تجوع» من عطف المفرد على مثله، والتقدير: أن لك عدم الجوع وعدم الظم.

(٧) أن تقع بعد «حتى»، ويختص الكسر بالابتدائية، نحو: مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه، ويختص الفتح بالجارّة والعاطفة، نحو: عرفت أمورك حتى أنك فاضل، فـ «حتى» في هذا المثال تصلح لأن تكون جارة، ولأن تكون عاطفة، وأن فيهما مفتوحة.

(٨) أن تقع بعد «أما» بفتح الهمزة وتخفيف الميم، نحو: أما أنك فاضل فالكسر على أن «أما» حرف استفتاح بمنزلة «ألا» وتلك تكسر «إن» بعدها، والفتح على أنها مركبة من همزة الاستفهام و«ما» التامة بمعنى شيء، وصاروا بعد التركيب بمعنى: أحقاً.

(٩) أن تقع بعد «لا جرم»، نحو قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوبُ﴾، والغالب الفتح، ووجهه أن تجعل ما بعد «أن» مؤولاً بمصدر مرفوع فاعل لجرم، وجرم معناه: ثبت وحق، وأصل الجرم: القطع، وعلم الله بالأشياء مقطوع به؛ لأنه حق وثابت، ولا حرف نفى للجواب يراد به كلام سابق، فكأنه قال: لا، أي: ليس الأمر كما زعموا، ثم قال: جرم أن الله يعلم، أي: حق وثبت علمه.

وسياقي مزيد من القول في «لا جرم» عند الكلام عليها في موضعها.

تنبيه لا بد منه:

حيث جاز فتح «إن» وكسرها، فالكسر أولى وأكثر لعدم تكلفه، إلا إذا وقعت بعد «لا جرم» كما علمت.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ٢١ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٢٢﴾

☆ اللغة:

﴿أَسَاطِيرُ﴾: جمع أسطورة، كأحدوثة وأحاديث: ما سطر وكتب من

القصص والأخبار.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الظرف مفعول به لأذكر مقدره، والمعنى: واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا. والمكر: الاحتيال في إيصال الضرر للآخرين. وقصة هذا المكر في المطولات. وجملة يمكر مضاف إليها الظرف، وبك متعلق بيمكر، والذين فاعل يمكر، وجملة كفروا صلة الموصول، واللام للتعليل، ويثبتوك منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، أو يقتلوك عطف عليه، أو يخرجوك عطف أيضاً. والمعنى: اذكر إذ اجتمعوا في دار الندوة - وهي أول دار بنيت بمكة - ليثبتوك، أي: يوثقوك ويحبسوك، أو يقتلوك كلهم قتلة رجل واحد، أو يخرجوك من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ والواو فاعل، ويمكرون فعل مضارع، والواو فاعل، ويمكر الله عطف، والله مبتدأ، وخير الماكرين خبره، وسيأتي بحث هذا في باب: البلاغة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ والواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى مضاف إليها الظرف، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتلى، وآياتنا نائب فاعل، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة قد سمعنا مقول القول ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ لو شرطية، ونشاء فعل الشرط، واللام رابطة، وجملة قلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ومثل صفة لمفعول مطلق، أي: قولاً مثل هذا ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وأساطير الأولين خبر هذا.

□ البلاغة:

(١) يحتمل قوله: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ أن يكون استعارة تبعية من إطلاق المكر على الرد؛ لأنه لما كان معنى المكر حيلة يجلب بها مضرة إلى الآخرين، وهو ما لا

يجوز في حقه تعالى، كان المراد بمكر الله ردّ مكرهم، أي: عاقبته ووخامته عليهم. ويجوز أن يكون من باب المشاكلة، وقد تقدم نظيره، كما تقدم الحديث عن هذا الفن، أي: أن المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه، على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة السببية. ويحتمل أن يكون الكلام استعارة تمثيلية، بتشبيه حالة تقليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال الذي يظهر خلاف ما يبطن.

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَدَسَمْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ فن يُسَمَّى التغاير، وهو تغاير المذهبين، أما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً، أو يذمه، أو يذم ما مدحه غيره، أو بالعكس، أو يفضل شيئاً على شيء، ثم يعود فيجعل المفضل فاضلاً، والفاضل مفضولاً. وقد تقدمت الإشارة إليه مع ذكر نماذج منه. ونقول: إن التغاير هنا المقصود مغايرتهم أنفسهم، فقد قالت قريش عن القرآن: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه، وما بهرهم من فصاحته. ويلزم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عن محاكاته، ثم غايرت قريش نفسها فقالت: ﴿فَدَسَمْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، ولو كان القولان في وقت واحد لكان ذلك تناقضاً، وهو عيب، ولم يعد في المحاسن، لكن وقوعه في زمنين مختلفين ووقتين متباينين اعتد من المحاسن، ولذلك سمي تغايراً لا تناقضاً.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْخِطِّ﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولَآئِهِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ﴾ إذ منصوب باذكر

محذوفة، وقد تقدم القول فيها مشبعاً، وجملة قالوا مضاف إليها الظرف،
واللهم منادى مفرد علم حذف منه «يا» وعوضت عنها الميم المشددة، وإن
شرطية، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، وهذا اسمها، وهو
ضمير فصل، والحق خبر كان ومن عندك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال
﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الفاء رابطة، وأمطر فعل أمر، وعلينا
جار ومجرور متعلقان بأمطر، وحجارة مفعول به، ومن السماء صفة لحجارة،
والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿أَوْ آتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أو حرف عطف،
وأت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل مستتر، وبِعَذَابٍ جار
ومجرور متعلقان بآتينا، وأليم صفة ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾
الواو استئنافية، وما نافية، وكان واسمها، واللام لام الجحود، ويعذبهم
منصوب بأن مضمره بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف
خبر كان، وأنت فيهم الواو للحال، والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر حالية
﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهم
يستغفرون في موضع الحال، ومعناه نفى الاستغفار عنهم، أي: ولو كانوا ممن
يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم، ولكنهم لا يؤمنون، ولا يستغفرون،
ولا يتوقع ذلك منهم. ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة، وما اسم
استفهام إنكاري للنفي مبتدأ، ولهم خبر، وأن لا يعذبهم الله أن وما في حيزها
مصدر منصوب بنزع الخافض، متعلق بما تعلق به الجار والمجرور السابق، أو
بمحذوف حال، على حد قوله:

تقول سُلَيْمَى ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعام طيب

والمعنى: وكيف لا يعذبون، وأي شيء ثبت واستقر لهم في ألا يعذبوا،
أي: ليس ثمة ما يمنع من حيلولة عذابه بهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ﴾ الواو للحال، وجملة هم يصدون حالية، والمعنى: وكيف
لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله
ﷺ عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، وكانوا

أولياءه كان واسمها وخبرها ﴿إِنْ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ إن نافية، وأولياؤه مبتدأ، وإلا أداة حصر، والمتقون خبر «أولياءه» ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لكن واسمها، والجملة خبرها، والواو حالية، أو استئنافية.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ الخ فن عجب يُسمَّى «فن التنكيت». وحذَّه أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدُّ مسدَّه، لأجل نكتة في المذكور ترجع مجيئه على سواء، فإن لقائل أن يقول: ما النكتة التي رجحت اختلاف الصيغتين من الفعل وهو «يعذبهم»، واسم الفاعل وهو «معذبهم» على اتفاقهما، مع اتفاق زمانيهما، فإن مدة مقام الرسول ﷺ في المخاطبين منقسمة على الحال، والاستقبال، وكذلك مدة الاستغفار، وهل يجوز مجيء كل واحدة من الصيغتين في مجاز الأخرى أم لا يجوز إلا ما جاء به الرسل؟ أو هل يجوز الاختصار على الفعل الدال على الزمانين دون اسم الفاعل أو لا؟ والجواب أن معرفة النكتة رجحت مجيء الكلام على ما جاء عليه بحيث لا يجوز غيره أن المخاطبين به هم المنافقون الذين لم يؤذن النبي ﷺ في إمهالهم مدة مقامه فيهم، لا من قبل نزول الآية ولا من بعدها. والخبر الصادق يجب أن يكون طبق المخبر، ولما كان الرابع الذي أمر الخبير به نفي تعذيبهم في الماضي والحال دون الاستقبال فإن الخبر الصادق قد أخبر بهم في الاستقبال حيث قال: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ اقتضت البلاغة مجيء الفعل المضارع الدال - مع الإطلاق - على الزمانين مع القرينة على أحدهما بحسب ما يدل عليه واقترن به قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فأفاد دلالة على الحال دون الاستقبال، ونفي حصول العلم بنفي تعذيبهم فيما مضى من الزمان قبل نزول الآية، فأتى سبحانه بصيغة اسم الفاعل المضاف ليدل على الماضي، فاقضى حسن الترتيب أن يقدم صيغة الفعل لدلائلها على الحال الذي هو مدة مقامه فيهم؛ لأن نفي العذاب فيما هو الأهم. وسيرد من التنكيت في القرآن ما يبهز العقول.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

☆ اللفظة:

(المكاء): بضم الميم كالثغاء والرغاء من مكأ يمكو إذا صفر، ومنه المكاء، كأنه سُمِّيَ بذلك لكثرة مكأه. قال عنتره:

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ

أي: ورَبَّ زوج امرأة بارعة الجمال، مستغنية بجمالها عن التزين، قتلته وألقيته على الأرض، وكانت فريصته تمكو بانصباب الدم منها، كشدق الأعلم.

(التصدية): التصفيق، وقد اختلف في أصله، فقليل: هو من الصدى، وهو: ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الصلبة الخالية، يقال منه: صدَّى يصدِّي تصدِية، والمراد بها هنا: ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى. وقيل: هو مأخوذ من التصدد، وهو: الضجيج، والصياح، والتصفيق، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفاً. وقيل هو من الصد، أي: المنع، والأصل تصددة بدالين أيضاً، فأبدلت ثانيتهما ياء.

وقال ابن يعيش: «فأما التصدية من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ فالياء بدل من الدال؛ لأنه من صد يصد، وهو: التصفيق والصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ أي: يضحجون، ويعججون، فحوّل إحدى الدالين ياء، هذا قول أبي عبيدة،

وأنكر الرُستمي هذا القول، وقال: إنما هو من الصدى، وهو الصوت. والوجه الأول غير ممتنع لوقوع يصدون على الصوت، أو ضرب منه، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون تصدية منه، فتكون «تفعله» كالتحية والتعلة، فلما قلبت الدال الثانية ياء امتنع الادغام لاختلاف اللفظين».

(رَكَمَهُ): يجمعه متراكماً بعضه على بعضه. وفي المختار: «ركم الشيء: إذا جمعه، وألقى بعضه على بعض، وبابه: نصر. وارتكم الشيء وتراكم: اجتمع، والركام - بالضم - الرمل المتراكم والسحاب ونحوه».

○ الإعراب:

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، وعند البيت الظرف متعلق بمحذوف حال، وإلا أداة حصر، ومكاء خبر كان، وتصدية عطف على مكاء، والمعنى أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء، وهم مشبكون بين أصابعهم، يصفرون فيها ويصفقون. وهذا أسلوب بليغ من أساليب العرب على حد قول الفرزدق:

وما كنت أرجو أن يكونَ عطاؤه
أداهمَ سوداً أو مُحَدَّرَجَةً حُمراً

أي: ما كنت أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً، أو سيّاطاً مفتولة حمراً، ويروى: «سمرا»، فوضع القيود والسيّاط موضع العطاء، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وذوقوا فعل أمر وفاعل، والعذاب مفعول به، والباء للسببية، وما مصدرية، أي: بسبب كفركم، وقد تقدمت له نظائر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا صلة، وجملة ينفقون أموالهم خبر الذين، وليصدوا اللام للتعليل، ويصدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والواو فاعل، وعن سبيل الله متعلق بيصدوا ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

يُغْلِبُونَ ﴿٣٧﴾ الفاء عاطفة، والسين حرف استقبال، وينفقونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به، ثم حرف عطف للتراخي والترتيب، وتكون معطوف على ينفقونها، واسمها مستتر تقديره هي، وعليهم متعلقان بمحذوف حال؛ لأنها كانت في الأصل صفة لحسرة وتقدمت، وحسرة خبر تكون، ثم يغلبون عطف على ثم تكون، والواو نائب فاعل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الذين مبتدأ، وكفروا صلة، وجملة يحشرون خبر الذين، وإلى جهنم متعلق بيحشرون ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ اللام للتعليل، ويميز منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال المتقدمة، والله فاعل، والخبِيث مفعول به، ومن الطيب متعلق بيميز، أي: الفريق الخبيث من الفريق الطيب ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ويجعل عطف على يميز، والخبِيث مفعوله، وبعضه بدل من الخبيث بدل بعض من كل، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو في محل نصب مفعول به ثان ليجعل، والتقدير: ويجعل بعض الخبيث عالياً على بعض ﴿فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ الفاء عاطفة، ويركمه عطف على يجعل، والهاء مفعوله، وجميعاً حال من الهاء في يركمه، أو توكيد لها، فيجعله عطف على يركمه، وفي جهنم مفعول به ثان ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ أول وثان، والخاسرون خبر الثاني، والجملة الاسمية خبر أولئك.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَلِيلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الجار والمجرور

متعلقان بقل، واختلف في معنى هذه اللام، والأرجح أنها للتبليغ، أمر أن يبلغهم بالجملة المحكية بالقول، سواء أوردوها بهذا اللفظ أم بلفظ آخر مؤد لمعناها ومضمونها، واختار الزمخشري أن تكون للتعليل، أي: قل لأجلهم هذا القول، وهو: إن انتهوا... الخ. وحجة الزمخشري أنه لو كان بمعنى: خاطبهم؛ لقليل: إن انتهوا يغفر لكم. وإن شرطية، وينتهوا فعل الشرط، ويغفر بالبناء للمجهول جواب الشرط، ولهم جار ومجرور متعلقان بيغفر، وما اسم موصول نائب فاعل، وجملة قد سلف صلة ﴿وَلِإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويعودوا فعل الشرط، ومتعلقه محذوف، أي: لقتاله أو للكفر، وكلاهما مراد، وفقد الفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، ومضت سنة الأولين فعل وفاعل ومضاف إليه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ عطف على قل للذين، وأفرد الأمر في الأول لأن الخطاب للنبي وحده بما هو داخل في نطاق مهمته، وجمع الأمر في الثاني؛ لأن الخطاب للمؤمنين جميعاً؛ لتهييجهم إلى المحاربة، ومقاتلة عدوهم، ومثري الفتن عامة، وحتى حرف غاية وجر، ولا نافية، وتكون منصوبة بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم، وتكون هنا تامة، وفتنة فاعل، ويكون عطف على تكون، وهي هنا ناقصة، والدين اسمها، وكله توكيد، والله خبر ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وانتهوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وبصير خبرها، وبما يعملون جار ومجرور متعلقان ببصير، وجملة يعملون صلة ﴿وَلِإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ عطف على سابقه، والإعراب مماثل، وأن وما في حيزها سدّت مسدّ مفعولي فاعلموا، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والمولى فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: هو، ومثله ونعم النصير.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْأَجْمَعُونَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ
بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ
تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَٰكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿بِالْعُدُوِّ﴾ بضم العين، ويجوز كسرهما وفتحها: شط الوادي وشفيره،
سميت بذلك لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها، أي
منعته، وفي مختار الصحاح: العدو بضم العين وكسرهما: جانب الوادي
وحافته، وقال أبو عمرو: هي المكان المرتفع.

﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿الْقُصْوَى﴾ تأنيث الأدنى والأقصى، وجاءت إحداهما
بالياء والثانية بالواو، مع أن كليهما فعل من بنات الواو؛ لأن القياس قلب
الواو ياء كالعليا، وأما القصوى كالعود في مجيئه على الأصل وقد جاءت
القصيا، إلا أن استعمال القصوى أكثر، هذا؛ والعدوة الدنيا مما يلي المدينة،
والقصوى مما يلي مكة.

﴿وَالرَّكْبِ﴾ في القاموس: والركب ركبان الإبل، وهو اسم جمع لراكب
أو جمع له، وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيول، والجمع أركب
وركوب.

الإعراب:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي

اعلموا، وما موصولة؛ ولذلك فصلت في الرسم من أن، ولكن ثبت وصلها في خط بعض المصاحف، وثبت فصلها في بعضها الآخر، وهي اسم أن، وجملة غنتم صلة، ومن شيء في محل نصب حال من عائد الموصول المقدر، والمعنى: ما غنتموه كائناً من شيء، أي: قليلاً كان أو كثيراً ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وفتحت همزة «أن» لأنها وما في حيزها خبر مبتدأ محذوف، تقديره: فحكمه أن الله خمسه، والجار والمجرور خبر أن المقدم، وخمسه اسمها المؤخر، والتقدير، فإن خمسه لله، ويجوز أن تكون أن وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف تقديره: فحق، أو فواجب أن الله خمسه، وللرسول وما بعده عطف على قوله لله، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل القسمة ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ إن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والجواب محذوف تقديره فاعلموا ذلك، وجملة آمنت خبر كنتم، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتكم وما عطف على الله، وجملة أنزلنا صلة، وعلى عبدنا جار ومجرور متعلقان بأنزلنا، ويوم الفرقان ظرف متعلق بأنزلنا أيضاً، والمراد به يوم بدر الفارق بين الحق والباطل. ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانِ﴾ الظرف بدل من الظرف الأول، وجملة اتقى الجمعان مضافة للظرف ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الواو استئنافية، والله مبتدأ وقدير خبره، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير. ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ﴾ الظرف بدل من يوم الأول أو الثاني، وأنتم مبتدأ وبالعدوة خبر، والجملة مضافة للظرف، والدنيا صفة للعدوة، وهم بالعدوة القصوى عطف على سابقتها. ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ الواو حالية من الظرف وهو قوله «بالعدوة القصوى» ويجوز أن تكون عاطفة على «أنتم» لأنها مبدأ تقسيم أحوالهم وأحوال عدوهم، والركب مبتدأ، وأسفل نصب على الظرف في محل رفع على الخبرية، وسيأتي مزيد بحث له في باب الفوائد، ومنكم جار ومجرور متعلقان بأسفل لأنه في الأصل اسم تفضيل استعمل بمعنى صفة لمكان محذوف أقيم مقامه، وللمخشري فصل في تحليل هذا التوقيت، وذكر مراكز الفريقين

سنورده في باب الفوائد؛ لأنه بلغ الذروة في التنقيب عن أسرار الكتاب العزيز. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وهي الدالة على الامتناع، وتواعدتم فعل الشرط، واللام الرابطة، واختلفتم جملة لا محل لها لأنها جواب الشرط، وفي الميعاد متعلق باختلافتم، أي: امتنع اختلافكم في موعد الخروج إلى القتال لامتناع تواعدكم وإعلام بعضكم بعضاً بالخروج للقتال؛ لأنكم قد تضعفون عندما تعلمون شكيمتهم ومنعة مكانهم مما يؤيد فصل الزمخشري البديع. ﴿وَلَكِنْ لِّيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ لكن حرف استدراك مهمل، وليقضي اللام للتعليل، وهي مع مجرورها المؤول متعلقان بمحذوف، أي: جمعكم بغير ميعاد، والله فاعل، وأمرًا مفعول به، وجملة كان مفعولاً بصفة لأمرًا، وكان واسمها المستر وخبرها. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ يجوز تعليق ليهلك بما تعلق به ليقضي، أي، فهو بدل منه، ويجوز أن يتعلق بمفعولاً، ويهلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ومن اسم موصول فاعل، وجملة هلك صلة، وعن بيئة حال ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ عطف على الجملة السابقة، وحي أصلها حيي أدغمت الياء بالياء ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، وإن واسمها، واللام المرحقة، وسميع خبر أول لإن، وعليم خبر ثان.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فن الاستدراك، فإن الحق سبحانه أخبر عن الأمر الواقع بخبر أخرجه الفصاحة مجرى المثل، وذلك أن الرسول ﷺ لما أخبرته عيونه بقول ركب قريش من الشام إلى مكة على الجادة المعروفة التي لا بد لسالكها من ورود «بدر»، أمر أصحابه بالخروج، وخرج معهم يريد العير، وكان وعد الله قد تقدم له بإحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير، وبلغ أبا سفيان، وهو على الركب، خروج رسول الله ﷺ فأمر الركب أن يأخذ على سيف البحر، ومضى أبو سفيان على وجهه لمكة، فاستنفر قريشاً، فخرجوا إلى بدر ليشغلوا وجه

رسول الله ﷺ عن تتبّع العير، فصادفوه ببدر، وهو يظن أن الركب يمر على بدر، فوقعت اللقيا من غير ميعاد، فأخبر الله سبحانه بموضع المسلمين من بدر وموضع المشركين منه بقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ أي: القريبة، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ أي: البعيدة، ﴿وَالرَّكْبُ أَصْفَلُ مِنْكُمْ﴾ لأن سيف البحر في غور، وبدر في نجد بالنسبة إليه، وأراد أن يخبر عن وقوع اللقاء بغير ميعاد، وعدل عن لفظ المعنى إلى لفظ الإرداف، فلم يقل فالتقوا من غير ميعاد، بل قال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ خروج لفظ الإرداف مخرج المثل ليكون أسير وأشهر، ولو وقع الاقتصار على هذا المقدار لاحتمل أن يقال: فما الحكمة في حرمان الله رسوله والمسلمين هذه الغنيمة الباردة لأجل؛ منها^(١): فتح مكة، واستئصال أموال أهلها، فإن اختياره لهم لقاء النفير دون العير ليقتل حُماة مكة وصناديدها، فيتمكن المسلمون من فتحها وكذلك كان، وقد كان مراد المسلمين لقاء العير دون النفير بدليل إخباره سبحانه عنهم بذلك في قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني: العير، فإن ذات الشوكة: النفير؛ لأن الشوكة: السلاح، فأرادوا هم ذلك، وأراد الله خلافه لعلمه بالعواقب، فأوقع اللقاء من غير ميعاد لهذه المصلحة، وأخرج الإخبار به مخرج المثل لما بيّنّا من فائدة ذلك، ثم قوى دليل الكلام بذكر العلة في تفويت تلك المصلحة الظاهرة، حيث قال بلفظ الاستدراك: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، ثم فصل ما أجمله في الاستدراك بقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، فاتضح الإشكال، وارتفع ما قدر من الاحتمال وأبان عن المعنى أحسن بيان، فحصل في هذه الكلمات أربعة عشر نوعاً من البلاغة وهي: الإيجاز، والترشيح، والإرداف، والتمثيل، والمقارنة، والاستدراك، والإدماج، والايضاح، والتهذيب، والتعليل، والتنكيث، والمساواة، وحسن النسق، وحسن البيان.

(١) في الأصل: لأجل منها وهي. وأثبتنا ما يوافق السياق.

* الفوائد:

(١) لم نجر في هذا الكتاب على الخوض في المسائل العلمية والفقهية إلا نادراً، وإلا فيما له علاقة بالإعراب أو البيان، وقد خاض العلماء كثيراً في كيفية تقسيم الخمس، ونلخص آراء الأئمة بما لا يخرج عن أسلوبنا:

قسمة الخمس عند أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم: سهم لرسول الله، وسهم لذوي قرباه، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل.

أما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين، كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم، والباقي يفرق على الثلاث.

وأما عند مالك بن أنس فالأمر مفوض إلى اجتهاد الإمام، إن رأى قسمة بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم. وهناك أقوال أخرى يرجع إليها في المطولات.

(٢) يقع الخبر ظرفاً نحو: ﴿وَالرَّكْبُ أَهْلٌ مِنْكُمْ﴾، وجاراً ومجروراً نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وشرطهما أن يكونا تامين كما مثل، فلا يجوز زيد مكاناً، ولا زيد بك، لعدم الفائدة، ويتعلقان بمحذوف وجواباً هو الخبر، واختلف في تقديره فقل تقديره: استقر أو مستقر.

قال ابن هشام في «المغني»: والحق عندي أنه لا يترجح تقديره اسماً ولا فعلاً بل بحسب المعنى. وقال ابن مالك في الخلاصة:

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَزْ نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرَّ

وهناك ملاحظات هامة نلفت إليها الانتباه:

آ - يخبر بالمكان عن أسماء الذوات والمعاني، نحو: زيد خلفك والخير أمامك.

ب- يخبر بالزمان عن أسماء المعاني فقط نحو: الصوم اليوم والسفر غداً.

ج- لا يخبر بالزمان عن أسماء الذوات فلا يقال: زيد اليوم، والفرق أن الأحداث أفعال وحركات، فلا بد لكل حدث من زمان يختص به بخلاف الذوات.

د- إذا حصلت فائدة جاز الإخبار بالزمان عن الذوات، كأن يكون المبتدأ عاماً والزمان خاصاً، بإضافة أو وصف، نحو: نحن في شهر كذا، فنحن مبتدأ وهو عام لصلاحيته في نفسه لكل متكلم إذ لا يختص به متكلم دون غيره، وفي شهر كذا خبره، وهو خاص بالمضاف إليه، ونحن في زمن طيب اختص بالوصف.

هـ - وأما نحو قولهم «الورد في أيار» و«اليوم خمر» و«الليلة الهلال»، فالتأويل فيها: خروج الورد، واليوم شرب خمر، والليلة رؤية الهلال، فالإخبار في الحقيقة إنما هو عن اسم المعنى، لا عن اسم الذات.

(٣) وقد آن أن نورد فصل الزمخشري بحروفه؛ وفيه يسمو هذا الإمام إلى أبعد أفق، ويبرهن على قوة ملاحظته وسداد تفكيره، قال:

«فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين، وإن العير كانت أسفل منهم؟ قلت: الفائدة فيه: الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته، وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين، والتياث أمرهم، وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته، وذلك أن العدو القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها، ولا ماء بالعدو الدنيا، وهي خبار، تسوخ فيها الأرجل - أي: رخوة -، ولا يُمشى فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم، وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم لبيعتهن

الذَّبُّ عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهدهم في القتال، وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه، فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم، ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا موطنهم، ولا يخلوا مراكزهم، ويبدلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين بمهمة غير مبينة، حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج.

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَنَّهُمْ كَثِيراً لَفُشِّلْتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً ﴾ الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر، أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلق بسميع عليم، أي: يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك. ويريكهم فعل مضارع، والكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، والله فاعل، وفي منامك حال، وقليلاً مفعول ثالث؛ لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همزة، فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة. ﴿ وَلَوْ أَرَنَّهُمْ كَثِيراً لَفُشِّلْتُمْ وَلَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ الواو عاطفة، ولو شرطية، وأراكمهم فعل ماض، والكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، وكثيراً مفعول ثالث، واللام رابطة، وفشلتهم فعل وفاعل، ولتنزعتم عطف على لفشلتهم، وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنزعتم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة سلم خبرها، وإنه إن واسمها، وعليم خبرها، وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِيْ أَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا﴾ إذ بدل من الظرف قبله، ويريكموهم فعل مضارع، والكاف مفعول أول، والميم علامة الجمع، والواو لإشباع الميم، والهاء مفعول ثان، وإذ متعلق بيريكموهم، وجملة التقيتم مضافة للظرف، وفي أعينكم متعلق بقليلًا، وقليلًا حال من الهاء؛ لأن الرؤية هنا بصرية، فهي مع الهمزة تنصب مفعولين فقط. ﴿وَيَقْلُلُكُمْ فِيْ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا﴾ عطف على ما تقدم، وفي أعينهم حال، وليقضي لام التعليل مع مجرورها متعلقان بيقللکم؛ لأنه علة التعليل، وكرره لاختلاف الفعل المعلن به إذ الفعل المعلن به أولاً اجتماعهم بغير ميعاد، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام، ثم تكثيرهم في أعين الكفار، أما الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين فهو ظاهر، وأما تقليل المؤمنين في أعينهم قبل اللقاء فذلك ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم، حتى إذا فاجأتهم الكثرة بهتوا وهابوا وأسقط في أيديهم، وجملة كان مفعولاً صفة الأمر. ﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُوْرَ﴾ الواو عاطفة، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع، والأمور نائب فاعل.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيْرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِيْنَ﴾ (٤٦) وَلَا تَكُوْنُوا كَالَّذِيْنَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِطَرَا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ﴾ (٤٧)

☆ اللغة:

﴿رِيْحُكُمْ﴾ الريح: الدولة شبهت في نفوذ أمرها، وتمشييه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، قال سُلَيْكُ بْنُ سُلَكَةَ: يا صاحبيَّ أَلَا لَا حَيَّ بِالْوَادِي إِلَّا عبيدٌ مقود بينَ أَدْوَادٍ أَنْتَظِرَانِ قَلِيْلًا رِيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَعْدُوَانِ فَإِنَّ الرِّيْحَ لِلْعَادِي فَقَد استعار الشاعر الريح للدولة بجامع النفوذ والأمر النافذ من كل،

فهي من المجاز، وإذا هبت رياحك فاغتنمها، ورجل ساكن الريح : وقور، وفي القاموس والمختار : أن الريح يطلق ويراد به : القوة، والغلبة، والرحمة، والنصرة، والدولة .

(البَطَر والأَشْر) بفتحيتين : الطغيان في النعمة بترك شكرها، وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضاه الله، وقيل : معناهما الفخر بالنعمة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء بها .

(الرتاء) مصدر راءى، كقاتل قتلاً، والأصل : رياء، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة؛ لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة .

○ الإعراب:

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ إذا حرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة لقيتم مضافة، وفئة مفعول به، والفاء رابطة، واثبتوا فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ واذكروا عطف على اثبتوا، وهو فعل أمر وفاعل، ولفظ الجلالة مفعول به، وكثيراً مفعول مطلق؛ لأنه صفة لمصدر محذوف، ويجوز إعرابه ظرفاً، أي : وقتاً كثيراً، ولعلكم تفلحون : لعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وأطيعوا عطف على اذكروا، ولفظ الجلالة مفعول به، ورسوله عطف عليه، ولا ناهية، وتنازعوا أصله تتنازعوا مجزوم بلا الناهية، والفاء فاء السببية؛ لأنها وقعت في جواب النهي، وتفشلوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وتذهب ريحكم عطف على فتفشلوا، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، وتفشلوا مجزوم لأنه داخل في حكم النهي، وقد قرئ بذلك . ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ عطف على ما تقدم وإن واسمها، والظرف خبرها ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ ولا تكونوا عطف على

ما تقدم، وتكونوا فعل مضارع ناقص، والواو اسمها، وكالذين الكاف اسم بمعنى مثل خبرها، والذين مضاف إليه، أو هما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونوا، والمراد بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان، وهم بالجحفة، أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرأ نشرب بها الخمر، وتعزف علينا القيان، ونطعم من حولنا من العرب، فذلك بطرهم وراثؤهم، فوافوها، فسقوا كأس المنيا، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. وبطراً مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يعرب مفعولاً لأجله، وكذلك رثاء الناس. ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ الواو عاطفة، وجملة يصدون معطوفة على بطراً، أي: وصدأ عن سبيل الله، وإنما عدل عن الاسم إلى الفعلية في الصد لأن البطر والرتاء كانا ديدنهم ودأبهم، بخلاف الصد فإنه تجدد لهم في زمن النبوة، والواو استئنافية، والله مبتدأ، ومحيط خبره، وبما يعملون جار ومجرور متعلقان بمحيط.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَكُمْ لَكُمُ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٤٨ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٤٩

☆ اللفظة:

﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ رجع القهقري يمشي إلى ظهره، قال الشاعر:

ليس النكوص على الأعقاب مكرمةً

إِنَّ المكارمَ إقدامٌ على الأصل

والعقب بكسر القاف وسكونها: مؤخر القدم، والولد، وولد الولد،

والجمع أعقاب، وأعقاب الأمور: أواخرها، يقال: جاء عقبه وبعقبه، أي: خلفه، ورجع على عقبه، أي: على الطريق التي جاء منها سريعاً، ووطئ عقبه، أي: مشى في أثره، وسافر على عقب الشهر، أي: في آخره.

○ الإعراب:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الظرف إذ منصوب باذكر محذوفاً، وجملة زين مضاف إليها، ولهم متعلق بزین، والشيطان فاعل، وأعمالهم مفعول به ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقال عطف على زين، ولا نافية للجنس، وغالب اسمها مبني على الفتح، ولكم خبرها، ومن الناس حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار. ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ الواو عاطفة للجملة التي في حيز القول؛ ولذلك كسرت همزتها، وإن واسمها وجار خبرها، ولكم متعلق بجار لأنها بمعنى مجير ومعين وناصر لكم، قيل: أتاهم الشيطان في صورة سراقه بن مالك سيد ناحية كنانة. ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرف بمعنى حين، أو رابطة، وتراءت الفئتان فعل وفاعل، ونكص عطف على تراءت، والجملة لا محل لها وعلى عقبه حال، أي: هارباً ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ وقال عطف على نكص، وإن واسمها وخبرها، ومنكم جار ومجرور متعلقان ببريء، والجملة مقول القول. ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ إن واسمها، وجملة أرى خبرها، وما مفعول به، وجملة لا ترون صلة، والعائد محذوف ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إن واسمها، وجملة أخاف الله خبرها، والله مبتدأ، وشديد العقاب خبر، والجملة عطف على ما في حيز القول ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الظرف معمول اذكر أو نكص، وجملة يقول المنافقون مضافة، والذين عطف على المنافقون، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ﴾ الجملة مقول القول، وهؤلاء مفعول غر، ودينهم فاعله، يعني هؤلاء المنافقون ومرضى القلوب: أن المسلمين اغتروا بدينهم، وسولت لهم أنفسهم لقاء زهاء ألف وهم

لا يتجاوزون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فقال الله لهم مبكتاً: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويتوكل فعل الشرط، وعلى الله متعلق بيتوكل، وجواب الشرط محذوف تقديره يغلب، والفاء رابطة للتعليل، وإن الله عزيز حكيم إن واسمها وخبرها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ الواو استئنافية، وترى فعل مضارع، وهي بصرية، والفاعل مستتر تقديره أنت، والمفعول به محذوف، أي: الكفرة، أو حالهم، وإذ ظرف لترى، أي: ولو ترى الكفرة، أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة بيدرك. ولو الامتناعية ترد الفعل المضارع ماضياً، كما أن «إن» ترد الماضي مضارعاً، وجملة يتوفى مضافة، والذين مفعول به، والملائكة فاعل، وجملة كفروا صلة، وقد تقدم سر الحذف لجواب لو والمفعول به، وقد اجتمعا هنا، وتقدير الجواب: لرأيت شيئاً عظيماً. ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ جملة يضربون حال من الملائكة، أو من الذين كفروا لأن فيهما ضميريهما، ويجوز أن يكون فاعل يتوفى هو ضمير الله تعالى لتقدمه في قوله «ومن يتوكل على الله» وعندئذ فالملائكة مبتدأ خبره

ما بعده، والجملة حال من الذين كفروا، وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة القول، أي: ويقولون ذوقوا، وعذاب الحريق مفعول به ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ذلك رفع بالابتداء، وبما قدمت خبره، وما مصدرية، أو موصولة، وأيديكم فاعل، وأن الله عطف على ما، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله، وجملة ليس خبر إن، وبظلام الباء حرف جر زائد، وظلام خبر ليس محلاً، وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام، وظلام صيغة مبالغة تفيد النسب. ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الكاف في محل رفع خبر مبتدأ محذوف، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، سواء كانت اسمية أم حرفية، وآل مضاف، وفرعون مضاف إليه، والذين عطف على آل، ومن قبلهم صلة الذين، والجملة استئنافية مسوقة لبيان ما حلَّ بهم من العذاب بسبب كفرهم قال ابن عباس: والمعنى أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي فكذبوه، فكذلك حال هؤلاء لما جاءهم محمد ﷺ بالصدق كذبوه. فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزلها بآل فرعون. ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ جملة كفروا بآيات الله تفسيرية لدأب آل فرعون، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفروا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ عطف على كفروا، وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل، وبذنوبهم متعلق بأخذهم، أي: بسبب ذنوبهم، وإن واسمها، وقوي خبرها الأول، وشديد العقاب خبرها الثاني. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وبأن الله خبره، وجملة لم يك خبر أن، ويك مضارع ناقص مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف. وسترده في باب: الفوائد خصائص كان، واسم يك مستتر، تقديره: الله تعالى، ومغيراً خبرها، ونعمة مفعول به لمغيراً لأنه اسم فاعل، وجملة أنعمها صفة لنعمة، والهاء مفعول به، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بأنعمها ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويغيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بمغيراً، وما مفعول به، وبأنفسهم صلة ما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ عطف على ما سبقه ؛ ولذلك فتحت همزة أن ، أي : وبسبب أن الله ، وسميع خبر أن الأول ، وعليم خبرها الثاني . ﴿ كَذَّابٌ إِذْ فَرَغَتْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كثره لفوائد نلخصها بمايلي :

(١) أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول ، فتكون الجملة تفسيرية .

(٢) ذكر في الآية الأولى أنهم كفروا بآيات الله وجحدوها ، وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها .

(٣) أن التكرير للتأكيد ، فتكون الجملة مؤكدة تابعة للأولى ، وقد تقدم إعرابها على كل حال .

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ الجملة تفسيرية أيضاً كما تقدم في سابقها ، وجملة فأهلكناهم بذنوبهم عطف على كذبوا . ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ عطف على ما تقدم ، وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب ﴿ وَكُلُّكُمْ لَظَالِمٌ ﴾ كل مبتدأ ساغ الابتداء فيها لإضافتها ونيابة التنوين عن المضاف إليه ، كما تقدم في بحث تنوين العوض ، ولما فيها من معنى العموم ، أي : وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش ، وجملة كانوا ظالمين خبر كل ، وجمع الضمير في كانوا وفي ظالمين مراعاة لمعنى كل ؛ لأن «كل» متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة ، ومراعاة معناها أخرى ، وإنما اختير هنا مراعاة المعنى لأجل الفواصل ، ولوروعي اللفظ فقط فقليل : وكل كان ظالماً ، لم تتفق الفواصل .

□ البلاغة :

(١) المجاز المرسل في قوله : ﴿ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ فإن هذا العذاب إنما حاق بهم بسبب كفرهم ، ومحل الكفر هو القلب لا اليد لأنها ليست موضعاً للمعرفة ، فلا يتوجه التكليف عليها حتى يمكن إيصال العذاب إليها ،

ولكن اليد هنا معناها القدرة، والعلاقة السببية؛ لأن اليد آلة النعمة كما استعملت مجازاً بمعنى النعمة.

(٢) عدل عن ظالم إلى ظلام، وقد كان ظاهر الكلام يقتضي بنفي الأدنى؛ لأنه أبلغ من نفي الأعلى؛ لأن نفي الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى، وبالعكس؛ ولكنه عدل عن ذلك لأجل العيب، أو لأن العذاب من العظم، بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه.

* الفوائد:

(١) صيغة فَعَّال وفاعل وفعل في النسب:

قد يستغنى عن ياء النسب بصوغ المنسوب إليه على فَعَّال بتشديد ثانيه، وذلك غالب في الحَرْف، جمع حرفة، كبراز بزاين معجمتين لبائع البز، ونجار لمن حرفته النجارة، وعَوَّاج لبائع العاج، وعطَّار لبائع العطر، ومن غير الغالب قول امرئ القيس:

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيُطْعَنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِبَنَّا

أي: بذي نبل، بدليل ما قبله فاستعمل فعال في غير الحرف، وحمل عليه قوم من المحققين قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظلم، والذي حملهم على ذلك أن النفي منصب على المبالغة فثبت أصل الفعل، والله تعالى منزّه عن ذلك، وأمثلة فَعَّال كثيرة، ومع كثرتها قال سيبويه: غير مقيسة، فلا يقال لصاحب الدقيق دَقَّاق، ولا لصاحب الفاكهة فَكَّاه، ولا لصاحب البر برار، ولا لصاحب الشعير شَعَّار، والمبرد يقيس هذا.

هذا؛ ويصاغ المنسوب إليه أيضاً على فاعل، أو على فَعِّل بفتح أوله وكسر ثانيه بمعنى ذي كذا، فالأول كتامر، أي: ذي تمر، ولابن، أي: ذي لبن، وطاعم، أي: ذي طعام، وكاس، أي: ذي كساء، والثاني كطعم، أي: ذي طعام، ونهر، أي: ذي نهار، قال الراجز:

لَسْتُ بِلَيْلِي وَلَكِنِّي نَهْرٌ لَا أَذِلُّجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِرُ

أنشده سيبويه في كتابه، أي: ولكنني نهاريّ، أي: عامل بالنهار. واختلفوا في قول الخطيئة:

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لبغيتها واقعد فإنك أنت الطَّاعِمُ الكَاسِي
فقال قوم: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: مطعوم ومكسو، على حد قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، وقال آخرون: هو من باب النسب، أي: ذي طعام، وذي كسوة، وفي كلتا الحالين فهو ذم، أي: أنه ليس له فضل غير أنه يأكل ويشرب.

(٢) خصائص كان:

تختص «كان» بأمر:

أ- جواز زيادتها بشرطين:

أحدهما: كونها بلفظ الماضي لتعين الزمان فيه دون المضارع، وشد قول أم عقيل بن أبي طالب وهي ترقصه:
أَنْتَ تَكُونُ مَاجِدٌ نَبِيلٌ إِذَا تَهَبُّ شَمَالٌ بَلِيلٌ
فأنت مبتدأ وماجد خبره، وتكون زائدة بين المبتدأ والخبر.

والثاني: كونها بين شيئين متلازمين ليسا جارا ومجرورا، وليس المراد بزيادتها أنها لا تدل على معنى البتة، بل أنها لم يؤت بها للإسناد، وإلا فهي دالة على الماضي ولهذا كثر زيادتها بين ما التعجبية وفعل التعجب؛ لكونه سلب الدلالة على المضي نحو: ما كان أحسن زيدا، فكان زائدة بين المبتدأ وخبره، وقال الشاعر:

حَجَبْتُ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لَصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا

وقد تراد بين الفعل ومرفوعه، نحو قول بعضهم: لم يوجد كان مثلهم، فزاد كان بين الفعل ونائب الفاعل، واختلف في قول الفرزدق:

فَكَيْفَ إِذَا مَرَرْتُ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرَانِ لَنَا، كَانُوا، كِرَامٍ

فقال قوم منهم المبرد: إنها في البيت ليست بزائدة بل هي الناقصة، والواو

اسمها، ولنا خبرها، والجملة في موضع الصفة لجيران، وكرام صفة بعد صفة، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، وذهب سيبويه والخليل إلى أنها في البيت زائدة ولا تبايعهما في تخريج اتصالها بالواو أقوال يرجع إليها في المطولات.

ب - ومنها أنها تحذف ويبقى اسمها وخبرها، وكثر ذلك بعد أن المصدرية الواقعة في موضع المفعول لأجله في كل موضع أريد فيه تعليل فعل بفعل، نحو: أمّا أنت منطلقاً انطلقت، فانطلقت معلول وما قبله علة له مقدمة عليه، والأصل: انطلقت لأن كنت منطلقاً، ثم قدمت اللام التعليلية وما بعدها المجرور بها على «انطلقت» فصار: لأن كنت منطلقاً انطلقت، ثم حذفت كان لذلك فانفصل الضمير الذي هو اسم كان، فصار: أن أنت منطلقاً، ثم زيدت ما للتعويض من كان فصار: أن ما أنت، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب في المخرج، فصار أمّا أنت، وعليه قول عباس بن مرداس:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضُّبُعُ

أي: لأن كنت ذا نفر فخرت، ثم حذفت «فخرت» وهو متعلق الجار؛ لأن وما بعدها، وأبا خراشة منادى، ودخلت الفاء في: فإن قومي؛ لأن الثاني مستحق بالأول، فهو مسبب عنه، والأول سبب، فأشبه الشرط والجزاء.

ج - ومنها أنها تحذف مع اسمها، ويبقى الخبر، ويكثر ذلك بعد إن ولو الشرطيتين، فمثال لو:

لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ ذُو بَغْيٍ وَلَوْ مُلْكًا

جُنُودُهُ ضَاقَ عَنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

أي ولو كان صاحب البغي ملكاً ذا جنود كثيرة وقول النبي ﷺ: «التمس ولو خائماً من حديد» أي التمس شيئاً ولو كان ما تلتسمه خائماً من حديد.

ومثال إن:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقَ وَإِنْ كَذَبَ

فما اعتذارك من قول إذا قِيلَا

أي: إن كان ما قيل صدقاً وإن كان ما قيل كذباً، وقولهم: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» بنصب الأول على الخبرية لكان المحذوفة مع اسمها، ورفع الثاني على الخبرية لمبتدأ محذوف، أي: إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير، وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر.

د - ومنها أن لام مضارعها وهي النون يجوز حذفها تخفيفاً، وصلاً لا وقفاً، وذلك بشرط أن يكون مجزوماً بالسكون غير متصل بضمير نصب ولا بساكن نحو: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ وكالآية التي نحن بصدددها.

هـ - ومنها، وهذه الخاصة تشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة، أن تستعمل تامة، أي: مستغنية بمرفوعها، نحو: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ وقول أبي تمام:

قد كان ما خفت أن يكونا إنما إلى الله راجعون

ومعناها عندئذ حصل، أما الثلاثة التي لزم نقص فهي: فتى، وزال، وليس.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُنْقِوْنَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَشَفَّعْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمٍّ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكَرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبَذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿تَشَفَّعْنَاهُمْ﴾: تصادفهم وتظفر بهم، وفي المصباح: ثقفت الشيء ثقفاً، من باب: تعب، أخذته، وثقفت الرجل في الحرب: أدركته، وثقفته: ظفرت به، وثقفت الحديث: فهمته بسرعة، والفاعل: ثقيف.

﴿فَأَيُّذٌ﴾ : فاطرح إليهم العهد، والنبد الطرح، وهو هنا مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم، فشبه العهد بالشيء الذي يرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت النبد له تخيلاً، ومفعوله محذوف، أي: عهدهم، وسيأتي مزيد من هذا البحث الهام في باب: البلاغة.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : إن واسمها، والدواب مضاف لشر، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال، والذين خبر إن، وجملة كفروا صلة، والجملة كلها استئنافية سقت بعد شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة للشروع في بيان أحوال الباقيين منهم وتفصيل أحكامهم. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وهم مبتدأ، وجملة لا يؤمنون خبر، أي: لا يتوقع منهم إيمان بعد أن أصروا على الكفر ولجوا فيه. ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين كفروا فمحله الرفع، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا، وجعلهم شر الدواب؛ لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون منهم، وشر المصرين الذين نكثوا العهود، وجملة عاهدت صلة، ومنهم حال. ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ثم عطف للترتيب مع التراخي، وعهدهم مفعول به، وفي كل مرة جار ومجرور متعلقان بيقضون، والواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يتقون خبر ﴿فَإِمَّا تَثَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ الفاء رابطة لشبه المبتدأ بالشرط؛ لأن الموصول فيه رائحة منه، وإن شرطية، وما زائدة، وأدغمت النون بالميم، وتثقفنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وفي الحرب جار ومجرور متعلقان بتثقفنهم ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ﴾ الفاء رابطة، وشرد فعل أمر، وبهم جار ومجرور متعلقان بشرد، والباء بمعنى السبية، أي: بسبب تنكيلك بهم، ومن مفعول به لشرد، وخلفهم ظرف متعلق بمحذوف صلة، والمعنى: إنك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد، فافعل بهم أنماطاً من التنكيل تفرق بها جمع كل ناقض للعهد خافر

للذمام، حتى يخافك من وراءهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة يذكرون خبرها، أي: لعلهم يتعظون بهم. ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية أدغمت بما الزائدة، وتخافن فعل الشرط، ولكنه مبني لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: أنت، ومن قوم جار ومجرور متعلقان بتخافن، وخيانة مفعول به. ﴿فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الفاء رابطة، وانبذ فعل أمر، وإليهم جار ومجرور متعلقان بانبذ، وعلى سواء في موضع الحال من الفاعل والمفعول معاً، أي: فاعل الفعل، وهو ضمير النبي، ومفعوله، وهو المجرور بإلى، أي: حال كونهم مستوين في العلم بنقض العهد، وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية العجيبة الأسلوب. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ إن واسمها، وجملة لا يحب الخائنين خبرها، والجملة تعليلية للأمر بالنبذ، والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنتَهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، ويحسبن مضارع مبني في محل جزم بلا الناهية، والذين كفروا فاعل، والمفعول الأول محذوف، أي: أنفسهم، وجملة سبقوا مفعول يحسبن الثاني، أي: فاتوا عذابه ونجوا منه، وإن واسمها، وجملة لا يعجزون خبرها.

□ البلاغة:

فن الإشارة:

في قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾، فن يقال له: «فن الإشارة»، وبعضهم يدرجه في باب الإيجاز لأنه متفرع عنه، ولكن قدامة فرع من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وشرحه فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير، حتى تكون دلالة اللفظ على المعنى كالإشارة باليد، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة، لو عبر عنها بأسمائها احتاجت إلى عبارة طويلة وألفاظ كثيرة. والفرق بينه وبين الإيجاز، أن: الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له، وألفاظ الإشارة لمحة دالة، فدلالة اللفظ على الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمين،

أو دلالة التزام، فقوله تعالى: ﴿فَأُيْتِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ تشير إلى الأمر بالمقاتلة بنبذ العهد كما نبذوا عهدك، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة في الفعل من العدل، فإذا أضفت إلى ذلك ما تشير إليه كلمة خيانة من وجود معاهدة سابقة، تبين لك ما انطوت عليه هذه الإشارات الخفية من دلالات كأنها أخذة السحر.

وقد افتن العلماء في بناء حكم الآية، فقالوا: إنه إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن عاهدهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض، استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب، وإن ظهرت الخيانات بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب عليه أن ينبذ إليهم، ويعلمهم بالحرب، وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً، فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد، بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة، وهم في ذمة رسول الله ﷺ، فلم يرعهم إلا وجيشه بمر الظهران، وذلك على أربعة فراسخ من مكة.

فن الإشارة في الشعر:

أما فن الإشارة في الشعر، فهو شائع في شعرنا العربي كثيراً، ومن أطرفه قول بهاء الدين زهير:

عفا الله عنكم أين ذاك التودُّدُ؟

وأين جميلٌ منكم كنت أعهد؟

بما بيننا لا تنقضُوا العهدَ بيننا

فيسمع واشٍ أو يقول مُفند

فقد أشار بما إلى ما لا يحصى من دواعي الهوى، ونوازع الشوق، وجميل قول أبي الطيب المتنبي:

لِعَيْنِكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لِقِي وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ

فقد أشار بما الأولى وما الثانية إلى ما لا يخفى مما يلقيه قلبه من الوجد فيما

يستأنفه، وما لقيه من قبل ذلك فيما أسلفاه، وما أحدثه الحب فيه من ندوب، سواء ما لم يبقه السقم منه مما أفناه، وما بقي منه مما أنحله وأضناه، ولأبي فراس في الإشارة:

وما لك لا تلقى بمهجتك القنا وأنت من القوم الذين هم هم

وما أبدع قول أبي العلاء المعري:

منك الصُّدودُ ومُنِّي بالصُّدود رضا

من ذا عليّ بهذا في هواك قضى

بي منك ما لو بعين الشمس ما طلعت

من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

أما خالد الكاتب فقد بلغ نهاية الحسن بقوله:

رقدت ولم تثرث للساھر ولیل المحبّ بلا آخر

ولم تدّر بعد ذهاب الرقا د ما فعل الدمع بالنّاظر

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ
لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾

☆ **اللفظة:**

﴿رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ هي: ما يرتبط منها، ورباط الخيل: حبسها واقتناؤها،

قال:

فينا رباطُ جِيَادِ الخيلِ معلمة وفي كليب رباطُ اللؤم والعار

وقال الزمخشري: «والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ويجوز

أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المراقبة، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل

وفصال، والمصدر هنا مضاف لمفعوله». وفي المصباح: ربطه ربطاً - من باب: ضرب، ومن باب: قتل - لغة شده، والرباط: ما يربط به القربة وغيرها، والجمع: ربط، مثل: كتاب وكتب، ويقال للمصاب: ربط الله على قلبه بالصبر، كما يقال: أفرغ الله عليه الصبر، أي: ألهمه، والرباط، اسم من رابط مرابطة - من باب: قاتل - إذا لازم ثغر العدو، والرباط الذي يبنى للفقراء، مولد، ويجمع في القياس على ربط بضميتين ورباطات اهـ. ونرى أن المطابق للقوة التي هي الرمي أن يكون الرباط على بابه والله أعلم.

(جنح) له وإليه: مال، وجنحت الإبل: أمالت أعناقها، والمصدر: الجنوح، ويقال: جنح الليل، أقبل، قال النضر بن شميل: جنح الرجل إلى فلان ولفلان: إذا خضع له، والجنوح: الاتباع أيضاً لتضمنه الميل، ومنه الجوانح للأضلاع لميلها على حشوة الشخص، والجناح من ذلك لميلانه على الطائر. قال ذو الرمة:

إِذَا مَاتَ فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ

بِذِكْرِكَ وَالْعَيْسُ الْمَرَّاسِيلُ جُنْحُ

وقال النابغة:

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ

(السلم) بكسر السين وفتحها الصلح، ففي المصباح: والسلم بكسر السين وفتحها الصلح ويذكر ويؤنث، وقال الزمخشري: والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب، قال عباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة:

السَّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ

والحربُ يكفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

○ الإعراب:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الواو عاطفة، وأعدوا فعل أمر، والواو فاعل، ولهم جار ومجرور متعلقان بأعدوا، والمراد

ناقضو العهد كما يقتضيه سياق الكلام، أو للكفار مطلقاً، وما مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن قوة في موضع نصب على الحال من الموصول، أو من العائد عليه، ومن رباط الخيل عطف عليه. ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ جملة ترهبون حال من فاعل أعدوا، أي: حال كونكم مرهبين، أو حال من مفعول أعدوا، وهو الموصول، أي حال: كونه مرهباً به، وبه متعلق بترهبون، وعدو الله مفعول ترهبون، وعدوكم عطف على عدو الله، وآخرين عطف على عدوكم، والمراد بهم اليهود، ومن دونهم صفة لآخرين ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ جملة لا تعلمونهم صفة لآخرين، والله مبتدأ، وجملة يعلمهم خبر، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: محاربين ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الواو استئنافية، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط، ومن شيء حال، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بتنفقوا، ويوف جواب الشرط، ونائب الفاعل مستتر، وإليكم جار ومجرور متعلقان بيوف، وأنتم مبتدأ، وجملة لا تظلمون خبر، والجملة معطوفة ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وجنحوا فعل ماضٍ، وهو فعل الشرط، وللسلم جار ومجرور متعلقان بجنحوا، والفاء رابطة، واجنح فعل أمر، ولها جار ومجرور متعلقان باجنح، وتوكل عطف على اجنح، وعلى الله متعلق بتوكل، وإن واسمها، وهو ضمير فصل، والسميع خبر أول، والعليم خبر ثان، ويجوز أن يكون هو مبتدأ، والسميع العليم خبراه، والجملة خبر إنه.

* الفوائد:

بحث في المؤنث:

اعلم أن العرب قد أثروا أسماء كثيرة بتاء مقدرة، ويستدل على ذلك التقدير: بالضمير العائد عليها، نحو: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِي كَفَرُوا﴾، ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾. وبالإشارة إليها

نحو: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ . وبشبوت التاء في تصغيرها نحو: أذينة وعيينة، مصغّر أذن وعين من الأعضاء المزدوجة، فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وغير المزدوج مذكر كالرأس والقلب. أو بشبوت التاء في فعلها نحو: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ لِي الْعِيرُ﴾ وبسقوطها من عددها كقول حميد الأرقط يصف قوساً عربية:

أرُمي عليها وهي فرعٌ أجمع وهي ثلاثٌ أذرعٌ وأصبع

فأذرع جمع ذراع، وهي مؤنثة بدليل سقوط التاء من عددها، وهو ثلاث .

هذا؛ والقاعدة المشهورة، هي أنه ما كان من الأعضاء مزدوجاً، فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين والمنخرين والخدين فإنها مذكورة، والمرجع السماع، وعدّ المنخرين من المزدوج لا ينافي عدّ الأنف من غيره؛ لأن الأنف اسم للمنخرين معاً وكل واحد يسمّى منخراً لا أنفاً، ومن المزدوج الكف فهي مؤنثة، وزعم المبرد أنها قد تُذكر، وأنشد:

ولو كفي اليمين تقيك خوفاً لأفردتُ اليمينَ عن الشمال

ولم يقل اليمنى، كذا قال المبرد، وهو وهم لأنّ اليمين مؤنثة بمنزلة اليمنى. وقال ابن يسعون: ذكر حملاً على العضو، ثم رجع إلى التأنيث، فقال: تقيك .

وما كان من الأعضاء غير مزدوج فالغالب عليه التذكير، ومن غير الغالب اللسان والففا فإنهما قد يؤنثان .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٢ ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٦٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٤ ﴿

☆ **اللمعة:**

﴿حَسْبُكَ﴾ الحسب: - بسكون السين - الكفاية، يقال: حسبك درهم،

وتزاد عليه الباء، فيقال: بحسبك درهم، أي: كفايتك، وهذا رجل حسبك من رجل، وزيد صديقي فحسبي، أو فحسب، أي: يكفيني، ويغني عن غيره، وقال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم
أن تلبسوا خزر الثياب وتشبعوا
فإذا تذكرت المكارم مرة
في مجلس أنتم به فتقنعوا

○ الإعراب:

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويريدوا فعل الشرط، والواو فاعل، وأن وما في حيزها مصدر مفعول به، فإن الفاء رابطة، وإن واسمها وخبرها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بُنْصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أيدك صلة، وبنصره جار ومجرور متعلقان بأيدك، وبالمؤمنين عطف على بنصره ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ وألف عطف على أيدك، وبين ظرف متعلق بألف، وقلوبهم مضاف إليه ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ﴾ لو شرطية، وأنفقت فعل وفاعل، وما مفعول به، وفي الأرض صفة، وجميعاً حال، وما نافية، وألفت فعل وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الواو عاطفة، أو استئنافية، ولكن واسمها، وجملة ألف بينهم خبر لكن، وإن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حسبك خبر مقدم، والله مبتدأ مؤخر، أو بالعكس، ومن عطف على الله، وجملة اتبعك صلة، ومن المؤمنين حال.

والمعنى: حسبك الله وحسبك المؤمنون، أي: كافيك الله وكافيك المؤمنون، ويحتمل أن تكون بمعنى مع وما بعده منصوب، كما تقول: حسبك وزيداً درهم، والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين الله؛ لأن عطف الظاهر

على المضمر في مثل هذه الصورة ممتنع، كما تقرّر في علم النحو، وأجازه الكوفيون، قال الفراء: ليس بكثير في كلامهم أن تقول: حسبك وأخيك، بل المستعمل أن يقال: حسبك وحسب أخيك، بإعادة الجار، فلو كان قوله ومن اتبعك مجروراً لقليل: حسبك الله، وحسب من اتبعك، واختار النصب على المفعول معه النحاس.

* الفوائد:

حسب: قال أبو حيان: وحسبك مبتدأ مضاف إلى الضمير، وليس مصدرأً، ولا اسم فاعل.

قال سيبويه: «قالوا: حسبك وزيداً درهم لما كان فيه من معنى كفاك، وقبح أن يحملوه على المضمر إن نواوا الفعل، كأنه قال: حسبك، وبحسب أخاك درهم، وكذلك كفيك» كفيك وهو من كفاه يكفيه، وكذلك قطك تقول: كفيك وزيداً درهم، وقطك وزيداً درهم، وليس هذا من باب المفعول معه، وإنما جاء سيبويه به حجة للحمل على الفعل للدلالة، فحسبك يدلُّ على كفاك، ويحسبني مضارع أحسبني فلان؛ إذا أعطاني حتى أقول حسبي. فالتناسب في هذا فعل يدل عليه المعنى، وهو في: كفيك وزيداً درهم، أوضح لأنه مصدر للفعل المضمر، أي: ويكفي زيداً. وفي قطك وزيداً درهم التقدير فيه أبعد؛ لأن قطك ليس في الفعل المضمر شيء من لفظه، إنما هو مفسر من حيث المعنى فقط، وفي ذلك الفعل المضمر فاعل يعود على الدرهم، والنية بالدرهم التقديم، فيصير من عطف الجمل، ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال؛ لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل، أو ما جرى مجراه ولا عمله، فلا يتوهم ذلك فيه.

وقال الزجاج: «حسب: اسم فعل، والكاف نصب، والواو بمعنى مع»، فعلى هذا يكون الله فاعلاً لحسبك، وعلى هذا التقدير يجوز في: ومن أن يكون معطوفاً على الكاف؛ لأنها مفعول باسم الفعل لا مجرور؛ لأن اسم الفعل لا يضاف؛ إلا أن مذهب الزجاج خطأ لدخول العوامل على حسبك،

تقول: بحسبك درهم، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ ولم يثبت كونه اسم فعل في مكان، فيعتقد فيه أنه يكون اسم فعل، واسماً غير اسم فعل كرويد.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٥٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٥٦﴾

☆ اللغة:

﴿حَرَضٌ﴾ التحريض في اللغة: المبالغة في الحث على الأمر من الحرص، وهو: أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت، أو أن تسميه حرصاً وتقول له: ما أراك إلا حرصاً في هذا الأمر ومحرضاً فيه ليهيجه ويحرك منه، ويقال: حركه، وحرصه، وحرصه، وحرصه، وحرشه، وحر به، بمعنى، وفي المصباح: حرص حرصاً - من باب: تعب - أشرف على الهلاك، فهو حَرَضٌ بفتح الراء تسمية بالمصدر مبالغة، وحرصته على الشيء تحريضاً. وفي المختار: والتحريض على القتال: الحث والإحماء عليه.

○ الإعراب:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ حرص فعل أمر، وفاعله أنت، والمؤمنين مفعول به، وعلى القتال جار ومجرور متعلقان بحرض. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ إن شرطية، ويكون فعل الشرط، ومنكم خبر يكن المقدم وعشرون اسمها المؤخر، وصابرون صفة، ويغلبوا جواب الشرط، ومثتين مفعول به، ويجوز أن تعرب يكن هنا تامة فيكون

عشرون فاعلاً، ومنكم حال ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب مماثل، ومن الذين كفروا صفة لـ «ألفاً» ﴿يَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ بأنهم جار ومجرور متعلقان بـ «يغلبوا»، والباء للسببية، وأن واسمها، وقوم خبرها، وجملة لا يفقهون صفة لـ «قوم» ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الآن ظرف متعلق بخفف، والله فاعل، وعنكم متعلق بخفف ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عطف على خفف، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علم، وفيكم خبر أن المقدم، وضعفاً اسمها المؤخر ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ فيها ما تقدم من الإعراب ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ عطف على ما تقدم ﴿يَا إِذْنَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يا إذن الله جار ومجرور متعلقان بـ «يغلبوا»، والله مبتدأ، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر، والصابرين مضاف إليه.

﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

☆ اللغة:

﴿يُشْخَبَ﴾ في المصباح: «أُتخن في الأرض إتحاناً: سار إلى العدو، وأوسعهم قتلاً، وأتختته: أوهنته بالجراحة، وأضعفته». وأتخنه المرض إذا أثقله، من التخانة التي هي الغلظ والكثافة، والمعنى: حتى يذل الكفر، ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام، ويقويه بالاستيلاء، والقهر، ثم الأسر بعد ذلك.

﴿عَرَصَ الدُّنْيَا﴾ حطامها، سُمِّيَ بذلك لأنه قليل اللبث يريد الفداء، وقد

سمّى المتكلمون الأعراض أعراضاً؛ لأنها لا ثبات لها، فإنها تطرأ على الأجسام، ثم تزول عنها.

○ الإعراب:

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنبي خبر مقدم، وأن وما في حيزها اسمها، ويجوز أن تكون تامة بمعنى ما حصل وما استقام، فيتعلق الجار والمجرور بها، وتكون أن وما في حيزها فاعلاً لها، ويكون وخبرها المقدم واسمها المؤخر ﴿ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويثخن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيثخن ﴿ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا ﴾ الجملة استئنافية، وعرض الدنيا مفعول تريدون ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، والله مبتدأ، وجملة يريد الآخرة خبر، والله مبتدأ، وعزيز خبر أول، وحكيم خبر ثان ﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، وكتاب مبتدأ، محذوف الخبر، ومن الله نعت لكتاب، وكذا سبق، والخبر محذوف تقديره: موجود، ولمسكم اللام واقعة في جواب لولا، ومسكم فعل ومفعول به، وفيما جار ومجرور متعلقان بمسكم، أي: بسبب ما أخذتم، وما مضافة، وأخذتم صلة، وعذاب فاعل، وعظيم صفة ﴿ فَكُلُوا مِنْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَفِيعٌ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٌ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: ما دمت قد أبحت لكم الغنائم فكلوا، وكلوا فعل أمر وفاعل، ومما جار ومجرور متعلقان بكلوا، وجملة غنمتم صلة، وحلالاً نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلاً حلالاً، واتقوا عطف على كلوا، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها وخبرها.

□ البلاغة:

حسن التعليل:

في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فن

يدعى «فن التعليل»، وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة التقدم على المعلول، وسبق الكتاب من الله تعالى هو العلة في النجاة من العذاب.

هذا؛ وبالنسبة للعلة والوصف المعلل ينقسم هذا الفن إلى أربعة أقسام:
(١) ثابت ظاهر العلة، ولكنها مخالفة للعلة الأصلية، ومثاله قول ابن المعتز:

قالوا: اشتكت عينه، فقلت لهم:

من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت
والدم في السيف شاهد عجب

فإن العلة الحقيقية في حمرة العين هي الرمد، وهي ظاهرة، تركها الشاعر، وعلل بعلة غير حقيقية وهي: أن حمرتها من دماء من قتلت من العشاق.

(٢) ثابت خفي العلة، كقول أبي الطيب المتنبّي:

لم يحك نائلك السحاب وإئما حمت به فصبيها الرخصاء

يعني: أن السحاب لم يحك نائلك، أي: عطاءك، وإنما صارت محمولة بسبب نائلك وتفوقه عليها، فالمصبوب منها هو عرق الحمى، فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة، وقد علل بأنه عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(٣) ثابت، وهو متمكن، كقول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني:

يا واشياً حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت، إلا أنه ممكن، وقد خالف الناس في استحسانها معللاً بأن حذره من الواشي كان سبباً لسلامة إنسان عينه

من الغرق في الدموع، حيث ترك البكاء خوفاً منه .

(٤) القسم الرابع ليس بثابت ولا ممكن، كقول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوّاء خدمته لما رأيت عليها عقدَ منتطق

فنسبة النية إلى الجوّاء غير ثابتة ولا ممكنة، فإن الإرادة لا تكون إلا من حي، والجوّاء جهاد ليس فيه حياة، ولا إرادة لها، ولا نية، وقد نسب الشاعر ذلك إليها وعلّله بأمانة الخدمة، وهي عقد النطاق؛ لأن الجوّاء صورتها صورة شخص قد انتطق. والنطاق: الزنار، وكل ما يشد به الوسط. وواضح أن الآية الكريمة ليست داخلية في نطاق هذه الأقسام الأربعة؛ التي لا تخلو من تكلف، وإنما هي من مطلق التعليل لحكم من الأحكام.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢﴾

○ الإعراب:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ لمن متعلقان بقل، وفي أيديكم صلة لمن، ومن الأسرى حال ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إن شرطية، ويعلم فعل الشرط، والله فاعل، وفي قلوبكم مفعول به ليعلم، وخيراً مفعول به ثان، والجملة الشرطية مقول القول ﴿يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ

مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ يؤتكم جواب الشرط، والكاف مفعول به أول، وخيراً مفعول به ثان، ومما متعلقان بـ «خيراً»، وجملة أخذ صلة، ومنكم متعلقان بأخذ، ويغفر لكم عطف على يؤتكم، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴿٧٢﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويريدوا فعل الشرط، والواو فاعل، وخيانتك مفعول به، والفاء رابطة للجواب، وقد حرف تحقيق، وخانوا الله فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بخانوا، وبنيت قبل على الضم لانقطاعها عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: قبل بدر بالكفر ﴿٧٣﴾ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧٤﴾ الفاء عاطفة، وأمكن فعل ماض وفاعل مستتر، ومنهم متعلقان بأمكن، ومفعول أمكن محذوف، أي: أمكنك منهم، والله مبتدأ وخبراه ﴿٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٧٦﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وما بعده من الأفعال عطف عليه ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿٧٨﴾ والذين عطف على الذين، وجملة آووا صلة، ونصروا عطف على آووا، وأولئك مبتدأ، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء بعض خبره، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول، وجملة أولئك... الخ خبر إن ﴿٧٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكِيلٍ ﴿٨٠﴾ وَلَئِنْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٨٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿٩٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن ﴿١٠٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا... الخ خبر إن

خبر مقدم، والنصر مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إلا أداة استثناء وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بالمستثنى المحذوف، أي: إلا النصر على قوم، وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وبينهم عطف على بينكم، وميثاق مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة لقوم، أي: فهؤلاء القوم لا تنصروهم عليهم وتنقضوا العهد، والله مبتدأ، وبصير خبره، وبما تعملون متعلقان ببصير.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾

○ الإعراب:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الواو عاطفة، والذين مبتدأ، وكفروا صلة، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء خبر بعضهم، والجملة خبر الذين، ويجوز أن يكون بعضهم بدلاً من اسم الإشارة، والخبر أولياء بعض ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ إن شرطية، ولا زائدة، وتفعلوه فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وهو فعل الشرط، وتكن جواب الشرط، وهي تامة، وفتنة فاعل، أي: تحصل فتنة، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتكن، وفساد عطف على فتنة، وكبير صفة لفتنة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الذين مبتدأ، وآمنوا صلة وما بعده عطف عليه ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا﴾ عطف على الذين آمنوا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والمؤمنون خبر أولئك، أو

خبر «هم»، والجملة خبر أولئك، وحقاً مفعول مطلق ﴿هُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، ورزق عطف على مغفرة، وكريم صفة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ الذين مبتدأ، وآمنوا صلة، وما بعده عطف عليه ﴿فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ الفاء رابطة لما في الموصول من راحة الشرط، واسم الإشارة مبتدأ، ومنكم خبره ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أولو مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والأرحام مضاف إليه، وبعضهم مبتدأ، وأولى خبره، وبعض جار ومجرور متعلقان بأولى، وفي كتاب الله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا الحكم المذكور في كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ إن واسمها، وبكل شيء متعلق بعليم، وعليم خبر إن.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيداً لا بُدَّ منه :

لهذه السورة عدة أسماء، وهي :

براءة، التوبة، المقشقة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة . المثيرة، الحافرة، المدممة، سورة العذاب، المنكلة، البُحُوث بفتح الباء، وكلها ترجع إلى معنى واحدة، ففيها توبة على المؤمنين، والتبرئة من النفاق، والبحث عن حال المنافقين، وإثارة حالهم، والحفر عنها، أي : البحث، وما ينجزيهم، ويفضحهم، وينكلهم، ويشردهم، ويدمدم عليهم، أي : يهلكهم.

ولم تبدأ بالبسملة لأسباب خمسة ذكرها القرطبي في تفسيره الكبير، ولا مجال لإيرادها، وقال الجلال : لم تكتب فيها البسملة ؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن علي أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف . وعن حذيفة : إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب .

وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ۖ فَسَيْحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۖ وَأَذِّنْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢﴾

☆ التفسير:

﴿فَسَيْحُوا﴾ السباحة: السير، يقال: ساح في الأرض يسبح، سياحة، وسيوحاً، وسيحاناً، ومنه سباح الماء في الأرض، وسبح الخيل، ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفتُ هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسبح

○ الإعراب:

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ براءة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه براءة، ومن الله صفة لبراءة، فهي لا ابتداء الغاية، متعلقة بمحذوف صفة لبراءة، وليست متعلقة بالبراءة كما في قولك: برئت من الذنب والدين، والمعنى: هذه براءة واصله من الله ورسوله، وإلى الذين متعلق بمتعلق من أي واصله إلى الذين، ويجوز أن تكون براءة مبتدأ، وساغ الابتداء بها لتخصيصها بالصفة، وإلى الذين خبرها، كما تقول: رجل من تميم في الدار، ومن المشركين حال، قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ﴾ الآية. ففعل رسول الله ﷺ ما أمر به، ونبذ لهم عهودهم، قال الزجاج: أي: قد برىء الله ورسوله من

وفاء عهودهم إذا نكثوا، وسيأتي في باب: الفوائد ما يرويه التاريخ ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الفاء الفصيحة وجملة سيحوا مقول قول محذوف، أي: فقولوا أيها المسلمون للمشركين سيحوا، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيحوا، وأربعة أشهر ظرف زمان متعلق بسيحوا، والمراد بالأشهر الأربعة: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وقيل: هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ الواو حرف عطف، واعلموا فعل أمر، والواو فاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، وغير معجزي خبرها، والله مضاف إليه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ وأن عطف على أنكم، والله اسمها ومخزي الكافرين خبرها ﴿وَأَذَّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ ارتفاع أذان كارتفاع براءة على الوجهين، والجملة معطوفة على مثلها، والأذان الإعلام بمعنى الإيدان، ومن الله صفته، أو متعلق به، وإلى الناس الخبر، ويوم الحج الأكبر ظرف متعلق بما تعلق به إلى الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بفتح همزة أن، وفيه وجهان: أحدهما خبر أذان، والثاني هو صفة، أي: وأذان كائن بالبراءة، وقيل: التقدير وإعلام من الله بالبراءة، فالباء متعلقة بنفس المصدر، وأن واسمها وخبرها، ومن المشركين جار ومجرور متعلقان ببريء، ورسوله فيه أوجه: أحدها أنه مبتدأ، والخبر محذوف، أي: ورسوله بريء منهم، وإنما حذف لدلالة الأول عليه، وهذا أصح الأوجه، وقيل: هو معطوف على محل اسم أن، أو معطوف على الضمير المستتر في الخبر، وسيأتي ما في هذه الآية من أبحاث تتعلق بالنحو في باب: الفوائد ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الفاء عاطفة، أو استثنائية، وإن شرطية، وتبتم فعل ماض وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وهو مبتدأ، وخير خبره، ولكم جار ومجرور متعلقان بخير. ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ وإن توليتم عطف على إن تبتم، وأنكم أن واسمها، وقد سدت مسد مفعولي اعلموا، وغير خبر أن، ومعجزي الله مضاف إليه

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الواو عاطفة، وبشر فعل أمر، والفاعل مستتر، والذين مفعول به، وجملة كفروا صلة، وبعباب جار ومجرور متعلقان ببشر، وأليم نعت.

* الفوائد:

(١) ما يقوله التاريخ في معاهدة الحديبية:

عاهد رسول الله ﷺ قريشاً يوم الحديبية، على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، ونقضوا عهدهم، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فأنشد:

لَاهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا حِلْفَ آبِنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا ذِمَامَكَ الْمُؤَكَّدَا
هَمْ يَتَّبِعُونَا بِالْحَطِيمِ هُجَّدَا وَقَتَلُونَا رُغَّعًا وَسُجَّجَدَا

فقال عليه الصلاة والسلام: «لا نصرت إن لم أنصركم» وتجهز إلى مكة، ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج، فقبل له: المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال: «لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك» فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقراها على أهل الموسم، ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقراها على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة: «أن قد برئت ذمة رسول الله ﷺ من كل شرك، ولا يطوف بالبيت عريان» فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! أنزل في شأني شيء؟ فقال: «لا»، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنت معي على

الحوض؟» فقال: بلى يا رسول الله! فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس، وحذّثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب في تلك السنة على معاهدتهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به، وقرأ عليهم أول سورة براءة. وقال يزيد بن تبيع: سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج، ثم حجّ رسول الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع.

(٢) سبب وضع علم النحو:

جاء إلى عمر بن الخطاب رجل يقرأ: «إن الله بريء من المشركين ورسوله» بالجر، فسأله، فقال: هكذا قرأت في المدينة، فقال عمر: ليس هكذا، إنما هي: ورسوله، بضم اللام، فإن الله لا يبرأ من رسوله. ثم أمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية، ودعا بأبي الأسود الدؤلي فأمره أن يضع النحو. فمقتضى هذه الرواية أن هذا العلم لم يكن معروفاً قبل أبي الأسود، وأن كلام الناس قبله إنما كان بمجرد الفطرة، وهو المعهود.

هذا؛ وقد اشتهر أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من وضع علم النحو، قالوا: إنه سمع ابنته يوماً تلحن، فذهب إلى علي بن أبي طالب، فقال له: فشا اللحن في أبنائنا، وأخشى أن تضع اللغة، فقال له الإمام: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله ثلاثة: اسم وفعل وحرف، فالاسم كذا والفعل كذا والحرف كذا، والأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، ومبهم، والفاعل مرفوع أبداً، والمفعول منصوب أبداً، والمضاف مجرور أبداً، فافهم وقس، وما عنك من الزيادة فاضمه.

ولكن قال السيوطي في «المزهر»: إن العروض والنحو كانا قديمين،

وأنت عليهما الأيام فقلاً في أيدي الناس، فجدّدهما الخليل وأبو الأسود. واستدل على قدم العروض بما بسطه هناك، وعلى قدم النحو بما منه: كتابة المصحف على الوجه الذي يعلله النحاة في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالألف.

ونحن نؤيد هذا الرأي الطريف للسيوطي . . مستدلين بما يلي :

١ - تبين علي بن أبي طالب لأبي الأسود جملاً من القواعد الاصطلاحية السابقة، إذ كون ذلك ألهمه الإمام خاصة بعيد، ويبعده أيضاً قوله لأبي الأسود: وما عنّ لك من الزيادة فاضمه إليه، أي: مما كان كهذه الضوابط، فهذا صريح أو كالصريح في أن هذا العلم كان معروفاً بينهم، أو بين أفراد منهم لا بمجرد صحة النطق سليقة.

٢ - قول عمر بن الخطاب: «لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة العربية» فإن المتبادر منه قواعد وأصولها؛ التي بها يعرف وجوه الكلام بمعونة المقام، إذ لو كان المراد مجرد المتكلمين بالصواب لزم منع كل عجمي منه، ولم يكن وجه للتخصيص بالعالم باللغة بالنظر إلى العرب إذ القوم جميعاً أعراب معتدلو الألسنة بالسليقة، وتجويزه القرآن لمن كان عارفاً دون غيره صريح في أن منهم عارفين باللغة ومنهم جاهلين بها، فيلزم أن يكون معرفة العارفين قدراً زائداً على ما عند غيرهم، وليس إلا القواعد والضوابط.

٣ - إنه حيث كان علم العروض واصطلاحاته معلوماً لدى بعض العرب، كما صرح به الوليد بن المغيرة إذ قال في القرآن لما قيل إنه شعر: لقد عرضته على هزجه ورجزه فلم أره يشبه شيئاً من ذلك. والشعر لم يكن إلا لأفراد من العرب، فلأن تكون قواعد العربية التي هي لسانهم جميعاً معلومة عند البعض أولى.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا

عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ
 الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا
 لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

☆ النُصَّة:

(المرصد) اسم مكان للموضع الذي يقعد فيه العدو، أو يَمْزُ به، أو
 يجتازه، فهو: كمر ومجتاز، وهو من رصدت الشيء: إذا ترقبته.

○ الإعراب:

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في هذا الاستثناء وجهان: أحدهما:
 أنه منقطع، أي: لكن الذين عاهدتم فإن حكمهم كذا وكذا، فالذين مبتدأ
 خبره جملة فأتَمُوا، والثاني: أنه متصل، فهو مستثنى من المشركين في قوله
 تعالى: «براءة من الله ورسوله» إلى «الذين عاهدتم من المشركين» وهم بنو
 ضمرة حي من كنانة، أمر الله رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد
 بقي من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، والمعنى
 على كل حال: لا تجروا البريء مجرى المذنب، والوافي مجرى الغادر، وجملة
 عاهدتم صلة ومن المشركين حال ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
 أَحَدًا﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم،
 وينقصوكم مجزوم بلم، وشيئاً إما مفعول ثانٍ لنقص لأنه يتعدى لواحد
 ولأثنين، وإما مصدر مفعول مطلق، أي: شيئاً من النقصان، أو لا قليلاً
 ولا كثيراً من النقصان، ولم يظاهروا عطف على لم ينقصوكم، وعليكم جار
 ومجرور متعلقان بظاهروا، وأحداً مفعول به، أي: لم يعاونوا عليكم عدواً،
 كما عدت بنو بكر على خزاعة، وقد تقدمت قصتها. ﴿فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ إِلَىٰ
 مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الفاء عاطفة، أتموا فعل أمر، والواو فاعل، وإليهم
 جار ومجرور متعلقان بأتَمُوا، وعهدهم مفعول به، وإلى مدتهم بدل من إليهم،

وإن واسمها، وجملة يحب المتقين خبرها ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ الفاء عاطفة، أو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة اسلخ مضافة للظرف، والأشهر فاعل، والحرم صفة، وقد تقدم أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ وهي التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الفاء رابطة، واقتلوا المشركين فعل أمر وفاعل ومفعول به، وحيث ظرف متعلق باقتلوا، وجملة وجدتموهم مضافة للظرف، ﴿وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ وخذوهم عطف على اقتلوا، أي: وأسروهم واحصروهم عطف أيضاً، أي: قيدوهم وامنعوهم من التجوال في البلاد، واقعدوا عطف أيضاً، ولهم متعلقان باقعدوا، وكل مرصد نصب على الظرف كقوله: «لأقعدن لهم صراطك المستقيم» وهو اختيار الزجاج، واختار بعضهم أن يكون منصوباً بنزع الخافض، والخافض المقدر هو «على» أو «الباء الظرفية» أو «في» ويجوز أن يعرب مفعولاً مطلقاً، كأنه قيل: وارصدوهم كل مرصد. وقد خطأ أبو علي الفارسي الزجاج في جعله ظرفاً. ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتابوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، وأقاموا الصلاة عطف على تابوا، وكذلك قوله: وآتوا الزكاة، فخلوا الفاء رابطة، وخلوا فعل أمر وفاعل، وسبيلهم مفعول به ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سبق إعرابها.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ٢: كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ

وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ ﴿١٠﴾ أَشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾

☆ اللغة:

(الإل) اختلف اللغويون والمفسرون في هذه الكلمة اختلافاً شديداً. قال
في أساس البلاغة: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي: قرابة. وفي
القاموس وشروحه: الإل: العهد، والجار، والأصل الجيد، والعداوة،
والحقد. وقال أبو عبيدة: إن المراد به: العهد. وقال الفراء: إن المراد به
القرابة، وقال آخرون: إن الإل هو الجوار، وهو رفع الصوت عند التحالف،
وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا جأروا بذلك جواراً، وقيل: هو من أل البرق: إذا
لمع، ويجمع الإل في القلة على آل، والأصل أأل بزنة أفلس، فأبدلت الهمزة
الثانية ألفاً لكونها بعد أخرى مفتوحة، وأدغمت اللام في اللام، وأنشد
لحسان بن ثابت:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَيْلَ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

وهذا صريح في أن معناه: القرابة، والسَّقْب: خوار الناقة، والرأل: ولد
النعام، ومعنى البيت: وحياتك إن قرابتك من قریش بعيدة أو معدومة كقرابة
ولد الناقة من ولد النعام. وقال الزجاج: «الإل عندي على ما توجه اللغة
يدور على معنى الحدة، ومنه: الإلة للحربة، ومنه: أذن مؤللة: أي: محددة،
ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذني ناقته بالحدة والانتصاب:

مَوْلَاتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ

○ الإعراب:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ الواو استئنافية، وإن شرطية،
وأحد مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر، تقديره: وإن استجارك أحد
استجارك، ولا يرتفع بالابتداء؛ لأن الشرط يقتضي الفعل، وإن من عوامل

الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين لا عهد بينك وبينه فاستأمنك فأمنه، ومن المشركين صفة، وجملة استجارك مفسرة ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ الفاء رابطة، وأجره فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به، وحتى حرف غاية وجر، ويسمع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجار والمجرور متعلقان بأجره، وكلام الله مفعول به. ﴿ثُمَّ أبلغه مَأْمَنَهُ﴾ ثم حرف عطف، وأبلغه فعل أمر ومفعول به أول، ومأمنه مفعول به ثان ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك مبتدأ، أي: ذلك الأمر، يعني: الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن، وبأنهم خبر، وقوم خبر إن، وجملة لا يعلمون صفة ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ هذا تركيب تجوز فيه أعاريب عديدة متساوية في الأرجحة: فكيف اسم استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد خبر مقدم ليكون، وعهد اسم يكون مؤخر، وللمشركين حال، ويجوز أن يكون الخبر للمشركين، وكيف حال، ويجوز أن يكون قوله عند الله هو الخبر وكيف حال أيضاً من العهد، أما في الوجهين السابقين فتكون عند ظرفاً للعهد، وعند رسوله عطف على عند الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ تقدم القول في مثل هذا الاستثناء، وأنه يجوز فيه الانقطاع والاتصال ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الفاء استئنافية، وما مصدرية ظرفية، وهي في محل نصب على الظرف، أي: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم، ويجوز أن تكون شرطية، وحينئذ ففي محلها وجهان: أولهما: النصب على الظرفية الزمانية، والتقدير: أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم، ونظره أبو البقاء بقوله تعالى: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها». والثاني: أنها في محل رفع مبتدأ، وفي الخبر القول المشهور في خبر أداة الشرط، واستقاموا فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط إن اعتبرت شرطية، والفاء رابطة على كل حال، واستقيموا فعل أمر وفاعل. هذا وقد أجاز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية أن تكون شرطية جازمة في وقت واحد، قال أبو البقاء: ولا يجوز أن تكون نافية لفساد المعنى؛ إذ يصير المعنى استقيموا لهم؛ لأنهم لم يستقيموا لكم، وذلك باطل، وإن الله

إن واسمها، وجملة يجب المتقين خبرها ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ كيف تكرر لما تقدم لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلوماً، أي: فهو حال، أو خبر كان المحذوفة، وقد ورد هذا الحذف في أشعارهم، قال كعب الغنوي يرثي أخاه:

وَحَبَّرْتُ مَانِي أُنْمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلِيبُ

أي: كيف مات أخي فيها، والقليب: البئر لأنه قلب ترابه من بطن الأرض إلى ظهرها. وإن الواو للحال، وإن شرطية، ويظهروا فعل الشرط، وعليكم جار ومجرور متعلقان به، ولا يرقبوا جواب الشرط، وفيكم متعلقان بيرقبوا، وإلا مفعول به، وذمة عطف عليه ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لوصف حالهم من مغايرة ظاهرهم لباطنهم، بأفواههم جار ومجرور متعلقان بيرضونكم، وتأبى قلوبهم عطف عليه، أي: أن كلامهم مزوق مزخرف قد يروق سامعه، ولكنه لا ينطوي على أي صدق؛ لأن الضغن الساكن في قلوبهم يمنعهم من تحقيق كلامهم المعسول، وأكثرهم مبتدأ، وفاسقون خبر، أي: أنهم خلعاء فجرة لا يأبهون لمعرة، ولا يعبؤون بما يقال فيهم من سيئ الأحدثه ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: استبدلوا بآيات الله ثمناً قليلاً، وهو: انسياقهم مع الأهواء، وانجرارهم مع الشهوات والآثام، وثنماً مفعول اشتروا، وقليلاً صفة ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يجوز في ساء أن يكون على بابه من التصرف والتعدي، فتكون ما فاعلاً، والمفعول به محذوف، أي: ساءهم الذي كانوا يعملونه، أو عملهم إذا جعلت ما مصدرية، ويجوز أن يكون جارياً مجرى بشس، فيحول إلى فعل بالضم، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً، وقد سبق تقرير ذلك. ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ تقدم إعراب نظيرها، وكررها زيادة في تقييح حالهم، واستهجان مآلهم. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ تقدم أيضاً، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل، أو مبتدأ ثانياً.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١١ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ١٢﴾

○ الإعراب:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتابوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة: الجملتان عطف على تابوا ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الفاء رابطة، وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهم إخوانكم، وفي الدين حال، والجمله الاسمية في محل جزم على أنها جواب الشرط ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الواو اعتراضية، والجمله معترضة؛ كأنه قيل: وإن من تأمل بتفصيلها فهو العالم بحقيقتها، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنفصل، وجمله يعلمون صفة ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الواو عاطفة، ومن بعد عهدهم حال، وطعنوا في دينكم عطف أيضاً، أي: وثلبوه وعابوه، والجار والمجرور متعلقان بطعنوا ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ الفاء رابطة، وقاتلوا فعل أمر وفاعل، وأئمة الكفر مفعول به، إنهم: إن واسمها، ولا نافية للجنس، وأيمان اسمها، ولهم خبرها، والجمله خبر إنهم، ولعل واسمها، وجمله ينتهون خبرها.

﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَتَبْنَا لَهُمْ الْقِتْلَةَ فَآلَهُمْ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْبَوْهُمْ فَآلَهُمْ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْبَوْهُمْ ١٣ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ صُلُوبِهِمْ وَيُنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقِتْلَةَ ١٤﴾

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

○ الإعراب:

﴿أَلَا تَقُولُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ ألا حرف تحضيض، وستأتي أحرف التحضيض في باب: الفوائد. وتقاتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل وقوماً مفعول به، وجملة نكثوا أيمانهم صفة قوماً، ويجوز أن تكون الهمزة للاستفهام، ولا نافية، ودخلت الهمزة عليها تقريراً لنفي المقاتلة والحض عليها من جهة أخرى ﴿وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ عطف على نكثوا، وإخراج متعلقان بهما، وقد تقدم أنهم هموا بأحد أمور ثلاثة: قتله وحبسه وإخراجه ﴿وَهُمْ بِكَذِّهِمْ أَصْحَابُ الْآيَةِ﴾ الواو عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة بدؤوكم خبر، وأول مرة نصب على الظرف متعلق ببدؤوكم، والباديء أظلم. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ قَالَ أَوْحَىٰ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، ومعناها النهي، أي: لا تخشوهم، فالله: الفاء الفصيحة، والله مبتدأ، وأوحى خبر، وأن تخشوه المصدر المؤول بدل اشتمال من الله، أي: خشية الله أحق، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، ومؤمنين خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة ﴿فَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِقَوْمٍ يُضِلُّونَ﴾ قاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به، ويعذبهم جواب الطلب جزم به، وهو واحد من خمسة أجوبة ستأتي، وهي: ﴿وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجميعها معطوفة على يعذبهم ﴿وَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الواو استئنافية، ويتوب جملة مستأنفة، ولم ينسقها على الأجوبة المتقدمة؛ لأن توبة الله عن من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار.

* الفوائد:

(١) حروف التحضيض هي: لولا، ولوما، وهلا، وألا. قال الله تعالى:

﴿لَوْلَا أَعْرَضْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقال: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾ وقال عنتره:

هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا بَنَّةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

والتحضيض هو: الحث على الشيء، ويقال: حضضته على فعله: إذا حششته عليه، وإذا وليهنَّ المستقبل كنَّ تحضيضاً، وإذا وليهنَّ الماضي كنَّ لوماً وتوبيخاً فيما تركه المخاطب، وقد جرت مجرى حروف الشرط في اقتضاها الأفعال، فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره من الأسماء، فإن وقع بعدها اسم، كان في نية التأخير، نحو قولك: هلا زيداً ضربت، والمراد: هلا ضربت زيداً، أو على تقدير فعل محذوف نحو قولك لفاعل الإكرام: هلا زيداً، أي: هلا أكرمت زيداً، قال الشاعر وهو جرير:

تَعْدُونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ

بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

فأضمر فعلاً نصب الكمي المقنعا، والمعنى: إن هؤلاء بنو ضوطرى، والضوطرى: الضخم الذي لا غناء عنده، يمشون بالإطعام والضيافة، ويجعلون الكرم أكبر مجدهم، فالناصب للكمي هو الفعل المراد بعد لولا، وتقديره تلقون، أو تبارزون، أو نحو ذلك.

(٢) يجزم الفعل المضارع إذا وقع جواباً لأمر، أو نهي، أو استفهام، أو تمنٍّ، أو عرض، أو حض، وذلك بأن مضمرة نحو قولك: أكرمني أكرمك، ولا تفعل يكن خيراً لك، وألا تأتيني أحدثك، وأين بيتك أزرّك، وألا ماء أشرب، وليته عندنا يحدثنا، قال الخليل: إن هذه الأوائل كلها فيها معنى: «إن» فلذلك انجزم الجواب، وقال النحويون: إنه لا يجوز أن تقول: لا تدن من الأسد يأكلك؛ لأن التقدير إن لا تدن من الأسد يأكلك، وهذا محال؛ لأن تباعده لا يكون سبباً لأكله، وللنحاة هنا كلام طويل يرجع إليه في المطولات.

(٣) أفاض الشعراء في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لأن العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة، فرغبتهم في إدراك الثأر وقتل الأعداء هي اللاتقة بطباعهم، وقد رmq سماء هذا المعنى أبو تمام فقال:

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

☆ اللغة:

﴿وَلِيجَةً﴾ فعيلة، من وليج، كالدخيلة من دخل، وكل شيء أدخلته في شيء وليس منه فهو وليجة، ويكون للمفرد وغيره بلفظ واحد، وقد تجمع على ولائج، ووليجة الرجل: من يداخله في باطن أموره، وفي المصباح: وليج الشيء في غيره يلج، من باب: وعد، ولوجاً: دخل، وأولجته إيلاجاً: أدخلته، والوليجة: البطانة.

○ الإعراب:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ أم منقطعة، وسيأتي حكمها، وحسبتم فعل وفاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسبتم، والمعنى: إنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ الواو للحال، ولما حرف جازم تفيد التوقع، ويعلم مجزوم بها، والله فاعل، والذين مفعول به، وجملة جاهدوا صلة، ومنكم حال ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويتخذوا مضارع مجزوم بلم، ومن دون الله متعلقان بيتخذوا، ولا رسوله عطف على الله، ووليجة مفعول به ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تقدم إعرابها كثيراً. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وللمشركين خبر كان المقدم، وأن وما في حيزها اسمها

المؤخر ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ شاهدين حال من الواو في يعمروا، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بشاهدين، وكذلك قوله بالكفر، أي: ما صح ولا استقام في العرف والطبع أن يجمعوا بين عمارة المساجد والكفر، وهما متناقضان ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة حبطت أعمالهم خبر، وفي النار جار ومجرور متعلقان بخالدون، وهم مبتدأ، وخالدون خبر.

* الفوائد:

تقع «أم» على أربعة أوجه:

- (١) متصلة، أي: أن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية إن كانت الهمزة التي قبلها للتسوية، نحو قوله تعالى في سورة «المنافقون»: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أو كانت لطلب التعيين نحو: أفي الدار زيد أم عمرو.
- (٢) منقطعة، وهي مسبوقة بالخبر المحض، نحو قوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه﴾ ومسبوقة بالهمزة التي تفيد معنى آخر غير الاستفهام كالإنكار، مثل: ﴿أَلَهُمْ أَزْجُلُ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ فهي بمثابة النفي، ومعنى «أم» المنقطعة: التي لا يفارقها الإضراب.

(٣) أن تقع زائدة ذكره أبو زيد، وقال في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾: أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴿إِنْ التَّقْدِيرُ: أَفَلَا تَبْصُرُونَ أَنَا خَيْرٌ﴾.

(٤) أن تكون للتعريف في لسان حمير وطيء.

أمثلة شعرية لـ: «أم»:

١- وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حِصْنٍ أم نِسَاءٍ

فهنا وقعت متصلة وتقدمت عليها همزة الاستفهام وهي لغير التسوية.

٢- ولستُ أبالي بعدَ فقدي مالكا أموتي ناء أم هو الآن واقع

فهنا وقعت متصلة بعد همزة التسوية .

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيُنَلِّتُنَا الْمَنُوطَةَ بِالتَّنَادِي؟
يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ أَمْ مُتَّصِلَةٌ وَمَنْقُطَةٌ .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾
﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ
هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى
الزَّكَاةَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويعمر مساجد الله فعل مضارع ومفعول به
مقدم، والمراد بعمارته: رَمَ ما استرَمَ منها، وتنظيفها، وتنويرها،
وتعظيمها، وتأثيرها بالرياش الفاخر المقتنى، ومن اسم موصول فاعل يعمر،
وجملة آمن صلة وما بعده عطف عليه، وإعرابه ظاهر. ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾
الواو عاطفة، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويخش مجزوم بلم، والفاعل مستتر
يعود على من آمن، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به ﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، وعسى فعل ماضٍ من أفعال الرجاء،
وأولئك اسمها، وأن يكونوا خبرها، ومن المهتدين خبر يكونوا، أي: فحال
هؤلاء الموصوفين بالصفات الأربع مرجوة، والعاقبة عند الله معلومة
﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ جملة

مستأنفة، مسوقة لخطاب المشركين على طريق الالتفات عن الغيبة في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وجعلتم سقاية الحاج فعل وفاعل ومفعول به أول، وعمارة المسجد الحرام عطف على سقاية الحاج، والكاف اسم بمعنى مثل مفعول به ثان ومن مضاف إليه، وجملة آمن صلة، ولا بد من حذف مضاف إما من الأول وإما من الثاني ليتصادق المفعولان، والتقدير: أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن، أو أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن، أو كعمل من آمن ﴿وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف على آمن ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ استئناف مؤكد لإبطال المساواة، أي: لا يستوي الفريقان، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر، وقد أورد التعليل لنفي المساواة في المعنى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حالة الموصوفين بهذه الأوصاف الثلاثة المذكورة، والذين مبتدأ، وآمنوا صلة، وما بعده عطف عليه، وأعظم خبر ودرجة تمييز، وعند الله الظرف حال ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، وقد تقدم نظيره ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾ يبشرهم ربهم فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وبرحمة جار ومجرور متعلقان ببشرهم، ومنه صفة، وبرضوان وجنات معطوفان على رحمة ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال، ونعيم مبتدأ مؤخر، ومقيم صفة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ خالدين حال مقدرة، وفيها متعلقان بخالدين، وأبدًا ظرف متعلق بخالدين أيضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إن واسمها، والظرف خبر مقدم، وأجر مبتدأ مؤخر، وعظيم صفة، والجملة الاسمية خبر إن.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البلاغة، نوردتها فيما يلي:

أولاً - التشبيه الصناعي وأغراضه :

(١) التشبيه الذي خرج به الكلام مخرج الإنكار في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فهذا إنكار على من جعل حرمة السقاية وعمارة البيت كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله ، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان ، وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته ، وهو أحد أغراض التشبيه الصناعي .

(٢) إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه وإلى ما تقع عليه الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَوِيحَةٌ شَيْئًا ﴾ وسيأتي مزيد من الكلام على هذه الآية .

(٣) ومنها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَنفَخْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ .

(٤) ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٥) منها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَجْوَارُ الْمُنشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ .

(٦) ومنها بيان إمكان المشبه ، وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له ، كقول البحري :

دَانِ إِلَى أَيْدِي الْعُقَاةِ وَشَاسِعٍ عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِي النَّدَى وَضَرِيبٍ
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جَدُّ قَرِيبٍ

فقد وصف البحري ممدوحه في البيت الأول بأنه قريب للمحتاجين ، بعيد المنزلة ، بينه وبين نظرائه في الكرم بون شاسع ، ولكن البحري حينما أحس بأنه وصف ممدوحه بوصفين متضادين هما : القرب والبعد . أراد أن يبين لك أن ذلك ممكن ، وأن ليس في الأمر تناقض ، فشبه ممدوحه بالبدر الذي هو في السماء ، ولكن ضوءه قريب جداً للسائرين بالليل .

(٧) ومنها بيان حاله وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف ، كقول النابغة :

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكْبُ

فقد شبه النابغة ممدوحه بالشمس ، وشبه غيره من الملوك بالكواكب ؛ لأن سطوة الممدوح تغض من سطوة كل ملك ، كما تخفي الشمس الكواكب ، فهو يريد أن يبين حال الممدوح وحال غيره من الملوك .

(٨) ومنها تقرير حاله ، وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية ، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ فقد تحدثت الآية في شأن من يعبدون الأوثان ، وأنهم إذا دعوا آلهم لا يستجيبون لهم ، ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة ، وقد أراد الله تعالى أن يقرر هذه الحال ، ويشبها في الأذهان ، فشبه هؤلاء الوثنيين بمن ييسط كفيه إلى الماء ليشرب ، فلا يصل الماء إلى فمه بالبداهة ؛ لأنه يخرج من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين ، ويأتي هذا الغرض حينما يكون المشبه أمراً معنوياً ؛ لأن النفس لا تجزم بالمعنويات جزمها بالحسيات ، فهي في حاجة دائمة إلى الإقناع .

(٩) تزيين المشبه كقول أبي الحسن الأنباري في مصلوب :

مَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ احْتِفَاءً كَمَدَّهِمَا إِلَيْهِم بِالْهَبَاتِ

وهذا البيت من قصيدة نالت شهرة بعيدة في الأدب العربي ، لا لشيء إلا لأنها حسنت ما أجمع الناس على قبحه والاشمئزاز منه ، وهو الصلب ، فهو يشبه مد ذراعي المصلوب على الخشبة والناس حوله بمد ذراعيه بالعطاء للسائلين أيام حياته ، والغرض من هذا التشبيه التزيين ، وأكثر ما يكون هذا النوع في المديح ، والثناء ، والفخر ، ووصف ما تميل إليه النفوس .

(١٠) تقبيح المشبه ، كقول أحد الأعراب في ذم امرأته :

وتفتَح - لا كانت - فما لو رأيتَه

توهَّمته باباً من النَّارِ يُفتَح

فهو يدعو على امرأته بالحرمان من الوجود، فيقول: لا كانت، ويشبه
فمها حينما تفتحه بباب من أبواب جهنم، والغرض من هذا التشبيه التقييح،
وأكثر ما يستعمل في الهجاء، ووصف ما تنفر منه النفوس، ومنه قول
المتنبي:

وإذا أشار محدثاً فكأنه قردٌ يقهقه أو عجورٌ تلطم

هذا؛ وسيأتي المزيد من بحث التشبيه فيما يأتي.

ثانياً - اللف والنشر:

في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ بعد أن وصف المؤمنين بثلاث صفات وهي: الإيمان، والهجرة،
والجهاد بالنفس والمال، فبدأ بالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقفها عليه، وثنى
بالرضوان الذي هو نهاية الإحسان في مقابلة الجهاد؛ الذي فيه بذل الأنفس
والأموال، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، إشارة إلى أنهم
لما آثروا تركها بدلهم داراً عظيمة دائمة وهي الجنات، وهذا فنٌّ طريف
عرَّفوه: بأنه ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد
من المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ثم يردّه إلى
ما هو له، أما قسم التفصيل فهو ضربان:

آ - أن يكون النشر على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من المتعدد في النشر
للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، وهكذا إلى الآخر. قال أحدهم:

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسه الملائى وعن إبريقه
فعلُ المدام ولوئها ومدأقها في مُقْلتيه ووجنتيه وريقه
وكالآية التي نحن بصدها.

ب - أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، كقول أبي فراس:

وشادنٍ قال لي لما رأى سقمي

وضعفَ جسمي والدمعَ الذي انسجما

أخذتَ دمعك من خلدي وجسمك من

خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

وأما قسم الإجمال فهو أن تلف الشئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بأحدهما ومتعلق بآخر من غير تعيين، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾ فذكر الفريقين على طريق الإجمال دون التفصيل، ثم ذكر ما لكل منهما، فالتعدد المذكور إجمالاً هو الفريقان أو قولهما، والأصل: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بينهما لعدم الالتباس وللثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله.

ثالثاً - تنكير المبشر به:

وهو قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ﴾ لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤)

☆ اللغة:

(العشيرة) هي الأهل الأدنون، وقيل: هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم

سواء بلغوا العشرة أو فوقها، وقيل: هي الجماعة المجتمعة بنسب، أو عقد، أو وداد، كعقد العشرة.

○ الإعراب:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابه. ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لا ناهية، وتتخذوا مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وآباءكم مفعول به، وإخوانكم عطف عليه، وأولياء مفعول به ثان، والجملة استئنافية، مسوقة للرد على ما قالوه بعد ما أمر الله تعالى بالتبري من المشركين، فقد قالوا: كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه؟! فردَّ الله عليهم بذلك، أي: أن مقاطعة الرجل أهله في الدين واجبة، فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه ﴿إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ إن شرطية، واستحبوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والكفر مفعول استحبوا، وعلى الإيمان جار ومجرور متعلقان باستحبوا المتضمن معنى اختاروا ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الواو استئنافية، ومن شرطية مبتدأ، ويتولهم فعل الشرط، وقد روعي فيه اللفظ فأفرد، ومنكم حال، والفاء رابطة، وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل، أو ضمير مبتدأ، والظالمون خبر أولئك أو هم، والجملة خبر أولئك، وقد روعي فيه جانب المعنى لمن ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ إن شرطية، وكان واسمها وما بعده عطف عليه، وأحب خبر كان، وإليكم حال، ومن الله جار ومجرور متعلقان بأحب، ورسوله، وجهاد في سبيله عطف على الله، أي: من الهجرة إليهما ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الفاء رابطة، وتربصوا فعل أمر وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، ويأتي منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والله فاعل، وبأمره جار ومجرور متعلقان بياي، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الفاسقين خبر، ومعنى الأمر هنا التهديد، ومفعوله محذوف،

أي: انتظروا عقوبة عاجلة أو آجلة، وهذه الآية من أشد الآيات تهديداً وإرعاداً وإبراقاً وردعاً لكل من تسول له نفسه إيثار الفانية على الباقية، ومراعاة جانب الأهل والعشيرة وترك جانب الله.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

☆ اللغة:

(المواطن) جمع موطن، والموطن مثل الوطن، وفي المصباح: «الوطن: مكان الإنسان ومقره، والجمع أوطان، مثل: سبب وأسباب، والموطن مثل الوطن، والجمع مواطن، كمسجد ومساجد، والموطن أيضاً: المشهد من مشاهد الحرب» وعبرة الزمخشري: «مواطن الحرب: مقاماتها ومواقفها، قال:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طُحِتَ كَمَا هَوَى

بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوَى

أي: كثير من مواطن الحرب لولاي طُحِتَ - بكسر الطاء وضمها - من باع وقال، أي: هلك فيها كما هوى منهو، أي: ساقط، من قلة النيق: أي: من رأس الجبل. ومذهب سيبويه أن لولا حرف جر إذا وليها ضمير نصب، ومذهب الأخفش أنه وضع ضمير النصب موضع ضمير الرفع على الابتداء، أما المبرد فقد أنكر وروده، وهو محجوج بهذا البيت وغيره، وأراد الله تعالى بالمواطن الكثيرة الأماكن التي وقعت فيها وقعات بدر،

وقريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة. وفي القاموس: الموطن: الوطن والمشهد من مشاهد الحرب، فلا حاجة عندئذ لتقدير مضاف كما ذهب بعضهم، والفعل منه: وطن يطن، من باب: ضرب، وطناً وأوطن إيطاناً بالبلد: أقام به، واستوطن البلد: اتخذ وطناً.

﴿حُنَيْنٌ﴾ هو واد بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان، فهي عقيب الفتح، وستأتي الإشارة إلى هذه الواقعة في باب: الفوائد.

﴿رَجَبٌ﴾ في المختار: الرحب - بالضم -: السعة، يقال منه: فلان رحيب الصدر، والرحب - بالفتح -: الواسع، وبابه: ظرف وقرب، والمصدر رحابة كظرافة، ورحب كقرب اهـ.

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتذكير المؤمنين بآلائه عليهم، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، ونصركم الله فعل ومفعول به وفاعل، وفي مواطن جار ومجرور متعلقان بنصركم، وكثيرة صفة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ الواو عاطفة، ويوم ظرف معطوف على قوله مواطن، ولا مانع من عطف الظرفين المكاني والزمني أحدهما على الآخر، كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد، إذ يجوز أن تقول: ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة، كما تقول ضربت زيداً وعمراً، ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول، هذا؛ مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعيين بالمفعولين في الحقيقة، فإنك إذا قلت: اضرب زيداً اليوم وعمراً غداً لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الظرفين، ومع ذلك؛ الفعل واحد في الصناعة، فعلى هذا يجوز في الآية بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر، على أن الزمخشري وغيره يوجبون تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الأول وإن كانا جميعاً زمانين لعله أن كثرتهم لم تكن ثابتة في جميع المواطن، ولذلك قدر الزمخشري

محذوفاً قال: «فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان - وهو يوم حنين - على المواطن؟ قلت: معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين، ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ومقدم الحاج، على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر، وموجب ذلك أن: إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، ولم يكونوا كثيراً في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به». وإذ ظرف لما مضى منصوب على البدلية من يوم حنين كما تقدم، أو منصوب بإضمار اذكر، وجملة أعجبتكم مضافة للظرف، وأنفسكم فاعل، ومنع بعضهم إبدال إذ من يوم حنين، بل هو منصوب بفعل مقدر، أي: اذكروا إذ أعجبتكم كثرتكم ﴿فَلَمْ تُقْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ الفاء عاطفة، ولم حرف نفى وقلب وجزم، وتغن مضارع مجزوم بلم، وشيئاً مفعول مطلق، أو مفعول به ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وضاعت عطف على ما تقدم، عليكم جار ومجرور متعلقان بضاعت، والأرض فاعل، والباء حرف جر بمعنى مع، وما مصدرية، أي: مع رحبها، على أن الجار والمجرور في موضع الحال، أي: متلبساً برحبها، كقولك: دخلت عليه بشباب السفر، أي: متلبساً بها تعني مع ثياب السفر ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ الْمُدْرِيْنَ﴾ عطف على ما تقدم، ومدبرين حال من التاء في وليتم ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وأنزل الله فعل وفاعله، وسكينته مفعول به، وعلى رسوله جار ومجرور متعلقان بأنزل، وعلى المؤمنين عطف على رسوله ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّهُ تَرَوُّهَا﴾ وأنزل جنوداً عطف على ما تقدم، وجملة لم تروها صفة لجنوداً ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ عطف أيضاً، وذلك مبتدأ، وجزاء الكافرين خبره ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عطف على ما تقدم مقترن بالترخي، ومن بعد ذلك حال، وعلى من يشاء متعلقان بيتوب، والله مبتدأ، وغفور رحيم خبراه.

* الفوائد:

(١) استفاضت السير في الروايات لهذه الواقعة، ويؤخذ منها أن المسلمين كانوا اثني عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة، منضمّاً إليهم ألفان من الطلقاء، عندما التقوا مع هوازن وثقيف، فيمن ضامّهم من أمداد سائر العرب، فكانوا الجمل الغفير، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن تغلب اليوم من قلة! فسألت رسول الله ﷺ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأدركت المسلمين نشوة الإعجاب بالكثرة، وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة، وبقي رسول الله ﷺ وحده، وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل، ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته، وأبو سفيان ابن الحارث ابن عمه.

روى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله، قال: فتلقنا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شأنت الوجوه ارجعوا، فانهزمنا وركبنا أكتافنا.

وهناك روايات كثيرة تختلف في سردها وتتفق في معناها على أن ذلك الموقف كان شهادة صدق على تناهي شجاعة النبي ورياسة جأشه، وأن الرجال تكثروا بالنصر، وتقل بالخذلان.

(٢) قال الصفاقسي: ظاهر كلام الزمخشري أولاً منع عطف الزمان على المكان، ولم أر من نص عليه، وفيه نظر، وأما وجوب إضمار الفعل، فهو مبني على اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في متعلقات الفعل وهو ممنوع، وقد أشار إلى منعه ابن الحاجب في مختصره في الأصول. والتحقيق والتدقيق أن قوله يوم حنين، إن جعلته عطفاً على مواطن فالواو قائم مقام

حرف الجر، وهو «في»، فكأنه قال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في يوم حنين، وهذا المعنى باطل لأنه يعين مكان النصر وزمانها. ولا شك أنه ليس زمان النصر في المواطن الكثيرة يوم حنين، سواء أجعلت «إذ أعجبتمكم» بدلاً أم لا، وأما إذا عطفت «ويوم حنين» على محل «في مواطن» كما هو الظاهر فحرف العطف قائم مقام «نصركم» العامل «في مواطن»، فكأنه قال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين خاصة، وحيث جاز أن يكون «إذ أعجبتمكم» بدلاً من يوم، وهذا كما تقول: رأيت مراراً في مصر ليلة العيد إذ أفاض الناس من عرفة. هذا هو الصدق الحق الذي لا غطاء على وجهه المنير، فلا تخش من قعقة سلاح الزمخشري، فإنها جعجة من غير طحن، ولكل جواد كبوة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ۚ﴾ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

☆ اللفظة:

﴿نَجَسٌ﴾ في القاموس: «النجس - بالفتح وبالكسر وبالتحريك -: ككتف وعضد، ضد الطاهر، وقد نجس كسمع وكرم، وأنجسه ونجسه فتنجس، وداء ناجس ونجيس ككريم إذا كان لا يبرأ منه، وتنجس: فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة، والتنجيس: اسم شيء من القدر، أو عظام الموتى، أو خرقة الحائض كان يعلق على من يخاف عليه من ولوع الجن به، والمعوذ منجس» وجاء في شرح التاج على القاموس تعليقا على قوله المعوذ منجس: «قال ثعلب: قلت لابن الأعرابي: لم قيل للمعوذ منجس، وهو

مأخوذ من النجاسة؟ فقال: إن للعرب أفعالاً تخالف معانيها ألفاظها، يقال: فلان يتنجس: إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة». وفي سجعات الأساس: «إذا جاء القدر لم يغن المنجم ولا المنجس، ولا الفيلسوف ولا المهندس». وعن الحسن في رجل تزوج امرأة كان قد زنى بها: هو أنجسها فهو أحق بها.

﴿عَيْلَةٌ﴾ فقر، وفي المصباح: العيلة - بالفتح -: الفقر، وهي مصدر عال يعيل، من باب: سار، فهو عائل، والجمع عالة، وهو في تقدير فعلة، مثل كافر وكفرة. وعيلان - بالفتح -: اسم رجل، ومنه قيس بن عيلان. قال بعضهم: ليس في كلام العرب عيلان بالعين المهملة إلا هذا، وفي المختار: وعيال الرجل: من يعولهم، وواحد العيال: عيل، والجمع عيائل، كجياثد، وأعال الرجل: كثرت عياله، فهو معيل، والمرأة معيلة، قال الأخفش: أي: صار ذا عيال.

﴿الْجَزْيَةُ﴾ سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه، أي: يقضوه، أو لأنهم يجزون بها من من عليهم بالإعفاء من القتل. ومن غريب أمر الجيم والزاي أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلتا على معنى الأخذ والشدّة، فجزأت الشيء تجزئة، وشيء مجزأ: أي: مبعض، وذلك لا يتأتى إلا بالقوة والشدّة، وبغير مجزىء قوي سمين؛ لأنه يجزىء الراكب والحامل، وجزر لهم الجزار نحر لهم جزوراً وهم نخارون للجزر، وأخذ الجازر جزارته وهي حقه وإياكم وهذه المجازر، ومنه الجزر والمدّ، والجزيرة والجزائر، ويقال جزيرة العرب لأرضها ومحلّتها؛ لأن بحر فارس وبحر الحبش ودجلة والفرات قد أحدقت بها، وجزّ الشعر والزرع والنخيل، وهذا زمن الجراز، ويقال: جزّوا ضأنهم، وحلقوا معزمهم، وجزع الوادي قطعه عرضاً، قال أبو تمام:

إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرَبَ الْمَلِكِ كُلَّمَا قَطَعْنَا مَلَأَ صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَابُهُ

وهم بجزع الوادي وهو منعطفه، وتجزّع الشيء: تقطّع وتفرق، قال الراعي:

ومن فارس لم يحرم السيف خطّه
إذا رُمِحَ في الدّارعين تجزّعا
ومنه الجزع الظفاري؛ لأن لونه قد يجزّع إلى بياض وسواد، قال امرؤ
القيس:

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ
وَجَزَفَ كَذَا اتِّبَاعَهُ مِنْهُ جَزَافًا وَبِالْجَزَافِ، وَجَزَافَهُ فِي الْبَيْعِ مَجَازَفَةٌ وَجَزَافًا،
وَحَطَبَ جَزَلَ: قَاسَ يَاقِسُ. وَأَنْشَدَ ثَعْلَبُ:
فَوَيْهًا لِقِدْرِكَ وَيَهَا لَهَا إِذَا اخْتِيرَ فِي الْمَحَلِّ جَزْلُ الْحَطَبِ
وَقَالَ:

فَأَصْبَحَتْ أُنَى تَأْتِيهَا تَسْتَجْزِي بِهَا تَجْدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا
وَضَرَبَ الصَّيْدَ فَجَزَلَهُ جَزَلَتَيْنِ، أَيِ: قَطَعَتَيْنِ، وَمِنْ الْمَجَازِ: رَجُلٌ جَزَلَ:
ذُو عَقْلٍ وَرَأْيٍ، وَقَدْ جَزَلَ وَمَا أُبَيِّنُ الْجَزَالَ فِيهِ، وَهُوَ جَزَلَ الْعَطَاءِ، وَإِنْ فَعَلْتَ
كَذَا فَلَكَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ، وَامْرَأَةٌ جَزَلَةٌ: ذَاتُ أَرْدَافٍ،
وَجَزَمْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ: قَطَعْتُهُ، وَجَزَمَ الْيَمِينُ: قَطَعَهَا الْبَتَّةَ، وَجَزَمَ عَلَى كَذَا:
عَزَمَ عَلَيْهِ، وَتَقُولُ هَذَا حَكْمَ جَزَمٍ، وَقَضَاءُ حَتَمٍ. فَإِذَا رَجَعْنَا لَجَزَى رَأَيْنَا عَجَبًا
مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ، تَقُولُ: يَجْزِيكَ اللَّهُ عَنِّي وَيَجَازِيكَ، قَالَ لَبِيدُ:

وَإِذَا جَوَزَيْتَ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمْلُ
وَقَالَ الْخَطِيبَةُ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعَرَفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ إنما
كافة ومكفوفة، والمشركون نجس مبتدأ وخبر، أي: ذوو نجس؛ لأن معهم
الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو لأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون،
ولا يجتنبون النجاسات، فلا تنفك تلابسهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة عينها

مبالغة في وصفهم بها، والنجس مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، أو هو مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، ويقربوا مضارع مجزوم بها، والواو فاعل، والمسجد مفعول به، والحرام صفة ﴿بِمَدَّ عَامِهِمْ هَذَا﴾ الظرف متعلق بيقربوا، وعامهم مضاف إليه، وهذا نعت لعامهم، أو بدل منه، وهو العام التاسع للهجرة، وفي هذا الحكم مسائل فقهية يرجع إليها في المظان المطولة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وخفتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، وعيلة مفعول به، فسوف الفاء رابطة، وسوف حرف استقبال، ويغنيكم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، والجملة في محل جزم جواب الشرط، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيغنيكم، وإن شرطية وشاء فعلها، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فسوف يغنيكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَكِيمٌ﴾ إن واسمها وخبرها ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للأمر بغزو المشركين، وقاتلوا فعل أمر وفاعل، والذين مفعول به، وجملة يؤمنون صلة، وبالله متعلقان بيؤمنون، ولا باليوم الآخر عطف على الله. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ عطف على ما تقدم، وما مفعول يحرمون، وجملة حرم الله ورسوله صلة ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الواو عاطفة، ودين الحق يجوز أن يكون مصدر يدينون، فهو مفعول مطلق، ويجوز أن يكون مفعولاً به مع تضمين يدينون معنى يعتقدون، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض، أي: بدين الحق، ولعله أظهر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ حال من الضمير في يدينون، أو من الذين الأولى مع ما في حيزها، وجملة أوتوا الكتاب صلة، والكتاب مفعول به ثان ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويعطوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والجزية مفعول به، وعن يد حال، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب: البلاغة ﴿وَهُمْ صَاحِبُونَ﴾ حال ثانية، وهم مبتدأ، وصاغرون خبر.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ كناية عن الانقياد، يقال: أعطى فلان بيده إذا سلم وانقاد؛ لأن من أبى وامتنع لم يعط يده، بخلاف المطيع المنقاد، كأنه قيل: قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وانقياد، دون أن يكرهوا عليها، ثم إن المراد بها إما يد المعطي، وإما الآخذ، ومعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مؤاتية غير ممتنعة؛ لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد، ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة كما يقال: خلع ربة الطاعة عن عنقه، وأما يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية، أو عن إنعام عليهم؛ لأن قبول الجزية منهم، وترك أرواحهم نعمة عظيمة عليهم، هذا؛ وقد تقدمت مباحث الكناية، وسيرد الكثير منها في حينه.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ ﴿٢٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿يُضَاهِئُونَ﴾ في المصباح: ضاهأ مضاهأة مهموز: عارضه وباراه، ويجوز التخفيف فيقال: ضاهيته مضاهأة، وهي مشاكلة الشيء بالشيء.
﴿يُؤَفَّكُونَ﴾ يصرفون.

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ في المختار: الخبر الذي يكتب به، وموضعه المحبرة بالكسر، والخبر أيضاً الأثر. وفي الحديث: «يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره» قال الفراء: أي: هيئته ولونه. وقال الأصمعي: الجمال والبهاء وأثر النعمة، وتحبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه. والخبر - بالفتح -: الحبور، وهو: السرور، وحبره: أي: سره، وبابه: نصر، وحبرة أيضاً - بالفتح - ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ أي: يسرون، وينعمون، ويكرمون، والخبر - بالفتح والكسر - واحد أحبار اليهود، والكسر أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعول، وقال الفراء: هو بالكسر، وقال أبو عبيدة: هو بالفتح، وقال الأصمعي: لا أدري أنه بالفتح أو بالكسر، وقال: الخبر - بالكسر - منسوب إلى الخبر الذي يكتب به؛ لأنه كان صاحب كتب، والخبرة، كالعينة: برد يمانى، والجمع حبر كعنب، وحبرات - بفتح الباء - . وفي المنجد: الخبر والخبر بالفتح والكسر: العالم الصالح، السرور والنعمة، رئيس من رؤساء الدين، الخبر الأعظم: خلف السيد المسيح على الأرض، رئيس الكهنة عند اليهود، والجمع: أحبار، وحبور.

﴿وَرَهَبْنَهُمْ﴾ جمع راهب، وهو: من اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة، والمؤنث راهبة، وجمعها راهبات ورواهب.

○ الإعراب:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، وقالت اليهود فعل وفاعل، وعزير مبتدأ، وابن الله خبر، ولذلك أثبتت ألف ابن؛ لأنها تحذف إذا وقعت ابن صفة، أو بدلاً بين علمين، ونون عزير لأنه عربي، فلم يبق فيه إلا علة واحدة، وهي العلمية، وقرىء بمنع الصرف باعتباره أعجمياً، وقرىء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ على وجهين: بتنوين عزير؛ لأن ابناً خبر عن عزير، فجرى مجرى قولك: زيد بن عمرو، والقراءة الأخرى بمنع التنوين، وهي على وجهين: أحدهما أن يكون عزير خبراً لمبتدأ محذوف، وابن وصفاً له، فحذف التنوين من عزير؛ لأن ابناً وصف له، فكأنهم قالوا:

هو عزيز بن الله، والوجه الآخر أن يكون جعل ابناً خبراً عن عزيز، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

﴿وَقَالَتِ الْتَصَرَّى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ جملة مماثلة معطوفة على سابقتها، وجملة المبتدأ، والخبر مقول القول ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ذلك مبتدأ، وقولهم خبر، وبأفواههم حال، وسيرد في باب: البلاغة سر ذكر الأفواه ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة حالية، وقول مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، ومن قبل حال ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَفَ يُؤْفَكُونَ﴾ قاتلهم الله فعل ومفعول به وفاعل، والجملة دعائية لا محل لها، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال مقدم، ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، أي: كيف يصرفون عن الحق ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ اتخذوا فعل وفاعل، وأحبارهم مفعول به، ورهبانهم عطف على أحبارهم، وأرباباً مفعول به ثان، ومن دون الله صفة لأرباباً، والمسيح عطف على أحبارهم، والمفعول الثاني بالنسبة إليه محذوف، أي: رباً، وابن صفة للمسيح، أو بدل منه، وثبتت الألف فيه لأنه صفة بين علمين، والمسيح لقب، واللقب من أقسام العلم ﴿وَمَا أُمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ الواو للحال، وما نافية، وأمروا فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلا أداة حصر، واللام للتعليل، ويعبدوا منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وواحداً صفة لإلهاً. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الجملة صفة ثانية لإلهاً، وقد تقدم القول مفصلاً في إعراب «لا إله إلا الله» ﴿سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سبحان مفعول مطلق، والهاء مضاف إليه، وهو مصدر بمعنى التنزيه لله عن الإشراف به، وعمما متعلقان بسبحانه، وجملة يشركون صلة ما ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ جملة يريدون حالية لتمثيل حالهم في محاولتهم أن يطفئوا نبوة محمد بالكذب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم، وسيأتي بحث ذلك في باب: البلاغة، وأن وما في

حيزها مفعول يريدون، ونور الله مفعول به، وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيطفئوا ﴿وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ويأبى الله عطف على يريدون، وإلا أداة حصر؛ لأن الكلام على تقدير النفي؛ لأن يأبى تجري مجرى لم يرد، وأن وما في حيزها مفعول يأبى، ولو الواو حالية، ولو شرطية جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه، تقديره: لأتمه ولم يبال بكرهاتهم، والجملة حالية، والمعنى: لا يريد الله إلا إتمام نوره ولو كرهوه، وقد قيل: كيف دخلت «إلا» الاستثنائية على يأبى، ولا يجوز: كرهت أو أبغضت إلا زيداً، وقال الفراء: إنما دخلت لأن في الكلام طرفاً من الجحد، وقال الزجاج: إن العرب تحذف مع أبى، والتقدير: ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره، وقال علي بن سليمان: إنما جاز هذا في أبى لأنها منع أو امتناع فضاغت النفي، قال النحاس: وهذا أحسن، كما قال الشاعر:

وهل لي أم غيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لها ابناً

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ إيهام؛ لأن القول لا يكون إلا بالفم، فما معنى ذكر أفواههم؟ ولكن السر كامن في الأفواه، وهو أن ما تندبه لا يكون إلا مجرد قول لا يؤبه له، ولا يعضده برهان، ولا تنهض به حجة، فما هو إلا لفظ فارغ، وهراء لا طائل تحته، كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم، لا تنطوي على معان، وما لا معنى له لا يعدو الشفتين.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

☆ اللفظة:

﴿يَكْنِزُونَ﴾ يجمعون ويدفنون، وفي المصباح: كنزت المال كنزاً، من باب: ضرب، جمعته وادخرته، وكنزت التمر في وعائه كنزاً أيضاً، وهذا من الكناز، قال ابن السكيت: لم يسمع إلا بالفتح، وحكى الأزهري: كنزت التمر كنزاً وكنازاً بالفتح والكسر، والكنز: المال المدفون معروف تسميته بالمصدر، والجمع كنوز، مثل: فلس وفلوس، واكتنز الشيء اكتنازاً: اجتمع وامتلأ، وفي الأساس: وإنه لكنيز اللحم مكتنزته: صلبه، وناقة كناز اللحم، ومن المجاز: معه كنز من كنوز العلم، وقال زهير:

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرَهَا وَمَنْ يَسْتَحْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ

وهذا كتاب مكتنز بالفوائد.

﴿الذَّهَبَ﴾ معروف، وهو يذكر ويؤنث، وله أسماء عديدة، وهي: نضر، نضار، نضير، زبرج، زخرف، عسجد، عقيان.

○ الإعراب:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الجملة مستأنفة، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة أرسل رسوله صلة، وبالهدى، أي: بالقرآن، متعلق بأرسل، ودين الحق عطف على الهدى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ اللام للتعليل، ويظهر منصوب بأن مضمرة، والهاء مفعول به يعود على الرسول، وعلى الدين جار ومجرور متعلقان ببيظهره، وكله تأكيد للدين، والواو حالية، ولو شرطية وصلية، وكره المشركون فعل وفاعل، والمفعول به محذوف، أي: ذلك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾

إن واسمها، ومن الأخبار صفة لكثيراً، والرهبان عطف على الأخبار، وليأكلون اللام المزلحقة، وجملة يأكلون خبر إن، وأموال الناس مفعول به بالباطل حال، وسيأتي تحقيق الأكل في باب: البلاغة ﴿وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف على يأكلون ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، والذين مبتدأ، وجملة يكتزون صلة، والذهب مفعول يكتزون، والفضة عطف على الذهب، ولا ينفقونها عطف على يكتزون، وفي سبيل الله متعلقان بينفقونها ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الفاء رابطة لما في الشرط من معنى العموم ورائحة الشرط، وبشرهم فعل أمر وفاعل ستر ومفعول به، وبعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم، وأليم صفة، وجملة بشرهم خبر، والأحسن أن يكون الذين منصوباً بتقدير: بشر الذين يكتزون ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ الظرف متعلق بقوله بعذاب أليم، وقيل: بمحذوف يدل عليه عذاب، أي: يعذبون يوم يحمى، أو بمحذوف تقديره: اذكر، وجملة يحمى مضافة للظرف، ويحمى يحتمل أن يكون من حميت وأحميت ثلاثياً ورباعياً، يقال: حميت الحديد وأحميتها، أي: أوقدت عليها لتحمى، ونائب الفاعل المحذوف هو النار، تقديره: يوم تحمى النار عليها، فلما حذف نائب الفاعل ذهبت علامة التانيث لذهابه، كقولهم: رفعت القصة إلى الأمير، ثم تقول: رفع إلى الأمير، وعليها في محل رفع نائب فاعل كما تقدم، وفي نار جهنم متعلق بيحمى، فتكوى الفاء عاطفة، وتكوى عطف على تحمى، وبها متعلقان بتكوى، وجباههم نائب فاعل، وجنوبهم وظهورهم عطف على جباههم، وسيأتي سر تخصيص هذه الأعضاء في باب: البلاغة. ﴿هَذَا مَا كُنَزْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ﴾ الجملة مقول القول محذوف، أي: يقال لهم، وهذا مبتدأ، وما خبره، وجملة كنزتم صلة، ولأنفسكم متعلقان بكنزتم. ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ الفاء الفصيحة، وذوقوا فعل أمر وفاعل، وما مفعول به، وجملة كنتم تكتزون صلة، وجملة تكتزون خبر كنتم.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون عديدة من أفانين البلاغة ، نجملها فيما يلي :

(١) الاستعارة في أكل الأموال ، إذ هي مما لا يؤكل ، ولكن الأكل استعير للأخذ ، ومعنى أكلهم بالباطل : أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام .

(٢) أفرد الضمير في قوله : ﴿يُنْفِقُونَهَا﴾ مع أنه ذكر شيئين ، وهما : الذهب والفضة ، ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحد منهما جملة وافية ، وعدة كثيرة .

(٣) خصص الجباه والوجوه والظهور ؛ لأنهم كانوا يتوخون من جمع الأموال واكتنازها الأغراض الدنيوية ؛ التي يرفعون بها جباههم ، ويصنونون ماء وجوههم ، يحتفل بهم الناس لدى رؤيتهم إياهم ، ويطرحون مناعم الثياب على ظهورهم ، وهذه أسرار انفرد بها القرآن العزيز .

* الفوائد :

روى التاريخ أن أبا ذر قال : نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب وفي المسلمين ، ووجه هذا القول أن أهل الكتاب موصوفون بالحرص على أخذ المال من أي وجه ، ثم ذكر الله بعد ذلك وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين . روى مسلم عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أبو ذر ، فقلت له : ما أنزلك هذا المنزل ؟ قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال معاوية : نزلت في أهل الكتاب ، وقلت أنا : نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذلك كلام ، فكتب إلى عثمان يشكوني ، فكتب إلي أن أقدم المدينة ، فقدمتها ، فزادهم علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريباً منا ، فهذا هو الذي أنزلني هذا المنزل ، ولو أمروا عليّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعت .

حديث هام عن الذهب والفضة:

وروى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «تباً للذهب، تباً للفضة» قالها ثلاثاً، فقالوا له: أي مال نتخذ؟ قال: «لساناً ذاكرًا، وقلباً خاشعاً، وزوجة تعين أحدكم على دينه». هذا وقد اختلف العلماء في حد رأس المال فقال علي: أربعة آلاف فما دونها نفقة، فما زاد فهو كنز، وردوا عليه بأن هذا معقول قبل أن تفرض الزكاة، وهناك كلام طويل يرجع إليه في المطولات، وليس هو من غرض هذا الكتاب.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّ فَوْءٍ كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَفَاءً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ إِنَّمَا الْإِسْلَامُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُمَا عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

☆ اللفظة:

﴿ الْإِسْلَامُ ﴾ مصدر نساء؛ إذا أخره، يقال: نساء نساءً ونسيئاً ونساءً، كقولك: مسه مساً ومساساً ومسيساً، وقيل: هو فعل بمعنى مفعول من نساء: إذا أخره، فهو منسوء، ثم حوّل مفعول إلى فعل، كما حوّل مقتول إلى قتل. وفي المختار: والنسيئة كالفعية التأخير. وكذا النساء بالفتح والمد: التأخير، والنسيء في الآية فعل بمعنى مفعول، من قولك: نساء من باب قطع، أي: أخره، فهو منسوء، فحوّل منسوء إلى نسيء، كما حوّل مقتول إلى

قتيل، والمراد به هنا تأخير حرمة المحرم إلى صفر، وسيأتي في باب: الفوائد تفصيل ذلك.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ إن واسمها، والشهور مضاف إليه، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال، أي: في حكمه، واثنا عشر إن مرفوع بالالف؛ لأنه مثنى، وعشر جزء عددي مبني على الفتح، وشهراً تمييز، وهي الشهور القمرية المعروفة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في كتاب الله صفة لاثني عشر، ويوم ظرف متعلق بمحذوف، أو بكتاب الله إن جعل مصدراً، والمعنى: إن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله الكائنات، وقيل: يوم خلق بدل من قوله عند الله، والتقدير: إن عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، وفائدة الإبدالين تقرير الكلام في الأذهان، وجملة خلق مضاف إليها الظرف ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ منها خبر مقدم، وأربعة مبتدأ مؤخر، وحرمة صفة، والجملة صفة ثانية لاثني عشر شهراً، وهي ثلاثة سرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ذلك مبتدأ، والدين خبر، والقيم صفة ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ الفاء الفصيحة، ولا الناهية، وتظلموا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو فاعل، وفيهن متعلقان بتظلموا، وأنفسكم مفعول به ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ كما يقتلونكم كافةً، والواو عاطفة، وقاتلوا فعل أمر، والواو فاعل، والمشركون مفعول به، وكافة حال من الفاعل أو المفعول، وهي في الأصل مصدر معناه جميعاً، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا تدخله أل، ولا يتصرف فيه بغير الحال، هذا ما قرره النحاة بشأن كافة، ولكن صحح الشهاب الخفاجي أن يقال: جاءت كافة، وأطال البحث فيه في «شرح الشفاء». وقال شارح «اللباب»: إنه استعمل مجروراً، واستدل له بقول عمر بن الخطاب: «على كافة بيت مال المسلمين»، وقال إبراهيم الكوراني: من قال من النحاة: إن كافة

لا تخرج عن النصب فحكمه ناشئ عن استقراء ناقص، واستعملها الزمخشري مجرورة بالكاف في خطبة كتابه «المفصل» فقال: «محيط بكافة الأبواب» كما استعملها في غير الأناسي. كما الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، أو هي حرف جر، وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر صفة لمصدر محذوف، أي: قتالاً كقتالكم، وقد تقدمت له نظائر، فجدد به عهداً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ إنما كافة ومكفوفة، والنسيء مبتدأ، وزيادة خبر، وفي الكفر متعلق بزيادة ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فعل وفاعل، وبه متعلقان به، والذين كفروا فاعله، وقرئ يضل به الذين كفروا بالبناء للمجهول، والجملة خبر ثان للنسيء ﴿يُجْلُونَ عَامًا وَيُحْكَمُونَ عَامًا﴾ الجملة تفسيرية للضلال فلا محل لها، ويجوز أن تعرب حالية، وعاماً ظرف متعلق بيحلونه ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ اللام للتعليل، وهي مع مجرورها المؤول متعلقة ببحرمونه، أو بيحلونه، حسب قانون التنازع، وعدة مفعوله، وما موصول مضاف إليه وجملة حرم الله صلة ﴿فِيُجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ عطف على ليؤاطوا، وما مفعول يحلوا ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ الجملة حالية من الفاعل، أي: مزينين، أو استثنائية، ولعله أولى، ولهم متعلقان بزین، وسوء أعمالهم فاعل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ مبتدأ، وجملة لا يهدي خبر.

* الفوائد:

ما يقوله التاريخ عن النسيء:

روى التاريخ أن العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت عامة معاش العرب من الصيد والغارة، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحرم، فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال فنسؤوا، يعني أخرجوا تحريم شهر إلى شهر آخر فنزلت.

وقال المبرد في «كامله»: «نسأ الله في أجلك، ونسأ الله أجلك، وأنسأ الله أجلك، والنسيء من هذا، ومعناه: تأخير شهر عن شهر، وكانت النساء من بني مذليج بن كنانة فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا السَّيِّئُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لأنهم كانوا يؤخرون الشهور، فيحرمون غير الحرام، ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم، فاستوت الشهور لما جاء الإسلام».

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقَلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ إِلَّا نَنفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ إِلَّا تَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَنَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠١﴾

☆ اللغة:

﴿أَتَأَقَلُّتُمْ﴾ أصله: تثاقلتم، فأبدلت التاء ثاء، ثم أدغمت في الثاء، ثم اجتلبت همزة الوصل توصلًا للنطق بالساكن، وأنشد الكسائي:

تولي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اشْتَاقَهَا خَصْرًا

عَذَبَ الْمَذَاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ الْقُبْلَ

﴿الْغَارِ﴾ الكهف، ويجمع على أغوار وغيران، وألفه منقلبة عن واو، وغار حراء: نقب في جبل ثور عن يمين مكة، على مسيرة ساعة.

○ الإعراب:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنِفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبر، وإذا ظرف مستقبل متعلق بآثاقلتم، وقيل: فعل ماض مبني للمجهول، ولكم جار ومجرور متعلقان به، وانفروا فعل أمر وفاعل، والجملة مقول القول، وفي سبيل الله متعلقان بانفروا، وجملة آثاقلتم حال، وإلى الأرض متعلقان بآثاقلتم، والمعنى: أي شيء لكم من الأعذار حالة كونكم متثاقلين في وقت قول الرسول لكم انفروا، أي: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة تسع بعد رجوعهم من الطائف، وقد استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وتكالب العدو، فشق عليهم. ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ المقترنين بالتعجب، ورضيتم فعل وفاعل، وبالحياة جار ومجرور متعلقان برضيتم، والدنيا صفة، ومن الآخرة متعلقان بمحذوف حال، أي: بديلاً من الآخرة ﴿فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ الفاء الفصيحة، وما نافية، ومتاع مبتدأ، والحياة مضاف إليه، والدنيا صفة وفي الآخرة متعلقان بمحذوف حال، أي: محسوباً في جنب الآخرة، وإلا أداة حصر، وقليل خبر متاع، ويجوز تعليق في الآخرة بقليل، وقد سمى الشهاب «في» الداخلة على الآخرة قياسية، أي: بالقياس إلى الآخرة، ولعمري ليس ببعيد ﴿إِلَّا أَنِفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلُ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ إن شرطية، ولا نافية، وتنفروا فعل الشرط، ويعذبكم جوابه، وعذاباً مفعول مطلق، وأليماً صفة، ويستبدل عطف على يعذبكم، وقوماً مفعول به، وغيركم صفة لـ «قوماً» ﴿وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولا تضره عطف على يستبدل، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الضرر، والله مبتدأ، وقدير خبره، وعلى كل متعلقان بقدير ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إن شرطية، ولا نافية، وقد أدغمنا كما تقدم، وتنصروه

فعل الشرط، والفاء رابطة، وجملة قد نصره الله جواب الشرط، وقد علله الزمخشري تعليلاً حسناً إذ قال: «فإن قلت كيف يكون قد نصره الله جواباً للشرط؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: إلا تنصروه في المستقبل فسينصر من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، ولا أقل من الواحد، فدل بقوله «قد نصره الله» على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت، والثاني: أنه أوجب له النصر، وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده، واتفق المفسرون على أن الجواب محذوف؛ لأن غزوة تبوك في التاسعة، وقوله «إذ أخرجهم الذين كفروا» قبل ذلك بكثير، وقالوا: «فقد نصره الله» بمثابة تعليل للجواب المحذوف، وهذا قريب من قول الزمخشري الأول ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ الظرف متعلق بنصره الله، وجملة أخرجهم في محل جر بإضافة الظرف إليها، والذين فاعل، وجملة كفروا صلة وثاني اثنين حال من الهاء في أخرجهم، والتقدير: إذ أخرجهم الذين كفروا حال من كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر، واثنين مضاف إليه، وإذ بدل من إذ الأولى، أي: يفرض زمن إخراجهم ممتداً بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الغار، وزمن القول المذكور، فهو بدل بعض من كل، وهما مبتدأ، وفي الغار خبر، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ إذ بدل أيضاً، وجملة لا تحزن مقول القول، وجملة إن الله معنا تعليلية، وإن واسمها، والظرف متعلق بمحذوف خبرها ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الفاء عاطفة، وأنزل الله سكينته فعل وفاعل ومفعول به، وعليه متعلقان بأنزل، وأيده عطف على أنزل، وبجنود جار ومجرور متعلقان بأيده، وجملة لم تروها صفة لجنود ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْفُتَى﴾ الواو عاطفة أيضاً، وجعل فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على الله، وكلمة مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة كفروا صلة، والسفلى مفعول به ثان لجعل، وكلمة الواو حالية، وكلمة الله مبتدأ، وهي ضمير فصل أو مبتدأ،

والعليا خبر كلمة ، أو خبر هي ، والجملة خبر كلمة ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الله مبتدأ ، وعزيز حكيم خبراه .

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾

☆ اللفظة:

﴿ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ اختلفت عبارات المفسرين فيهما ، ولكنها ترجع إلى منبع واحد ، أي : انفروا على الصفة التي يخفّ عليكم فيها الجهاد ، وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها الجهاد ، وهذان الوصفان من العموم والشمول بحيث تندرج تحتها جميع الأقسام ، وستأتي قصة والي حمص في باب : الفوائد .

﴿ عَرَضًا ﴾ العرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها ، ومن أقوالهم : الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر .

﴿ قَاصِدًا ﴾ : السفر القاصد : هو الوسط المقارب .

﴿ الشُّقَّةُ ﴾ : المسافة الشاططة الشاقة .

○ الإعراب:

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ انفروا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وخفافاً وثقالاً حالان ، وجاهدوا عطف على انفروا ، وبأموالكم جار ومجرور متعلقان بجاهدوا ، وأنفسكم عطف على بأموالكم ، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بجاهدوا

أيضاً، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلكم مبتدأ، أي: المذكور من الأمرين، وهما: انفروا وجاهدوا، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وجملة تعلمون خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف، أي: فجاهدوا، أو فلا تثاقلوا ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبِعُوكَ﴾ لو شرطية امتناعية، وكان عرضاً: كان واسمها مستتر تقديره الشأن، أي: ما دعوا إليه، وعرضاً خبرها، وسفراً قاصداً عطف عليه، لا تتبعوك: اللام واقعة في جواب لو، واتبعوك فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك مهمل للتخفيف، وبعدت عليهم الشقة فعل وفاعل، وعليهم متعلقان ببعدت، والجملة حالية ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ الواو استئنافية، والسين للاستقبال، وبالله متعلقان يبحلفون، وجملة لو استطعنا جواب القسم، وجملة لخرجنا جواب لو، ولك أن تجعل جملة لو استطعنا مقول قول محذوف منصوب على الحال، أي: قائلين فتكون لخرجنا سادة مسد القسم والشرط جميعاً، ومعكم ظرف متعلق بخرجنا ﴿يَهْلِكُونَ أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ جملة يهلكون أنفسهم بدل من سيحلفون، أو حال، أي: مهلكين، وأنفسهم مفعول به، والله مبتدأ، وجملة يعلم خبر، وإن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ جملة دعائية، قدم «عفا» فيها في معرض المعاتبة تلييناً لقلب الرسول ورأفة به، وقد أخطأ الزمخشري إذ فسره بقوله: أخطأت وبشس ما فعلت، ولقد أحسن من قال في هذه الآية: إن من لطف الله تعالى بنبیه أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه. ولم: اللام حرف جر، دخل على ما الاستفهامية فحذف ألفها، وقد تقدم حكمها، وكلتا اللامين متعلقة بالإذن لاختلافهما في المعنى، فالأولى للتعليل والثانية للتبليغ، والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الإنكار إلى الإذن لشموله الجميع ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذَّابِينَ﴾ حتى حرف غاية وجر، أي: إلى أن يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه، ولك متعلقان بيبين،

والذين فاعل، وجملة صدقوا صلة، وتعلم عطف على يتبين، والكاذبين مفعول به.

* الفوائد:

قصة والي حمص والدمشقي:

ونروي بصدد الجهاد والدعوة إلى الاستنفار القصة الرائعة التالية، ونكتفي بها لأن مباحث الجهاد والاستنفار مبسطة في المطولات:

فمن صفوان بن عمر قال: كنت والياً على حمص، فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه، وقال: يا بن أخي استنفروا الله خفافاً وثقالاً، إلا أن من يحبه الله يبتليه.

تكثير السواد وحفظ المتاع:

وعن الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، ف قيل له: إنك عليل صاحب ضرر! فقال: استنفروا الله الخفيف والثقل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

﴿ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [١] إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٢﴾ ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [٣] لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

☆ **اللمعة:**

﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ أي: لسعوا بينكم بالنمائم وإفساد ذات البين، وأصل
الإيضاع: الإسراع.

○ الإعراب:

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الجملة استئنافية،
مسوقة لتقرير ما يستدل منه على أن المؤمنين ليس من عادتهم أن يستأذنوك في
أن يجاهدوا، ويستأذنك فعل مضارع ومفعول به، والذين فاعل، وجملة
يؤمنون صلة، وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنون، واليوم الآخر معطوف
على الله ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أن وما في حيزها
منصوب بنزع الخافض، أي: في الجهاد، وهو متعلق يستأذنك، وبأموالهم
جار ومجرور متعلقان بجاهدوا، وأنفسهم عطف على أموالهم، والله مبتدأ،
وعليم خبر، وبالمتقين متعلقان بعليم.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إنما كافة ومكفوفة،
وما بعده تقدم إعرابه، والمعنى: إن الذين يستأذنون هم المترددون
المتحIRON، أما المستبصرون المؤمنون فهم مستقرون على ما عزموا عليه
وما هو واجب عليهم، وهذا من أرقى أفانين الأدب الواجبة الاحتذاء، فإنه
لا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه في أن يسدي إليه معروفاً، كما لا يليق بالمضيف
أن يستأذن ضيفه في أن يقدم إليه، فإن الاستئذان في هذا الموطن دليل التكلف،
وخليق بذوي المروءة وأرباب الفتوة أن لا يثاقلوا إذا نذبوا إلى أمر جدير
بالمروءة، قال طرفة:

إذا القومُ قالوا مَنْ فتى؟ خلْتُ أنِّي

عُنيْتُ فلم أكسل ولم أتبلد

وقال آخر:

إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
وَأَشْعَارَهُمْ طَافِحَةً بِذَلِكَ .

﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ عطف على لا يؤمنون،
وارتابت قلوبهم فعل وفاعل، أي: شكت في الدين، فهم الفاء عاطفة، وهم
مبتدأ، وفي ريبهم جار ومجرور متعلقان بيتدردون، وجملة يترددون خبر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ كلام معطوف أيضاً، ولك أن
تجعله مستأنفاً، ولو شرطية، وأرادوا الخروج فعل وفاعل ومفعول به، واللام
واقعة في جواب لو، وأعدوا فعل وفاعل، وله متعلقان بأعدوا، وعدة مفعول
به ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ الواو عاطفة على محذوف، كأنه قيل:
ما خرجوا ولكن كره الله انبعاثهم ﴿فَثَبَطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾
الفاء عاطفة، وثبطهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وقيل فعل ماض مبني
للمجهول؛ لأن القائل محتمل أن يكون عائداً إلى الله، ويحتمل أن يكون عائداً
إلى ما ركز في أنفسهم من الشقاء وسوء المصير، واقعدوا فعل أمر وفاعل،
ومع ظرف متعلق باقعدوا، والقاعدین مضاف إليه، وسيرد في باب: البلاغة
سر قوله مع القاعدین ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ كلام مستأنف،
مسوق لتقرير المفاسد المترتبة على خروجهم، وخرجوا فعل وفاعل، وفيكم
متعلقان بخرجوا، وجملة ما زادوكم لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير
جازم، وزادوكم فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وخبالاً مفعول به
ثان، والاستثناء هنا متصل لا منقطع؛ لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون
المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: ما زادوكم خيراً إلا خبالاً،
والمستثنى منه غير مذكور في الآية، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام
الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً؛ لأن الخبال بعض أعم العام، كأنه
قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، والخبال: الفساد والشر، وذلك بتخذيل
المؤمنين، وإدخال الوهن في قلوبهم. ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

أَلْفِتْنَةً ﴿٤٤﴾ ولأوضعوا معطوف على ما زادوكم، اللام واقعة في جواب لو، وخلالكم منصوب على الظرفية، ومتعلق بأوضعوا، أي: سعوا بينكم بالنمائم والإغراء، وجملة ييغونكم حال من فاعل أوضعوا، أي: لأسرعوا فيما بينكم باغين فتنتكم، والفتنة مفعول ييغونكم، والكاف منصوب بنزع الخافض، أي: ييغون لكم الفتنة ﴿٤٥﴾ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ الواو للحال، وفيكم خبر مقدم، وسماعون مبتدأ مؤخر، ولهم متعلقان بسماعون، والمعنى: وفيكم عيون لهم يتجسسون عليكم وينقلون إليهم أخباركم ويكشفون لهم خططكم، والله مبتدأ وعليم خبر وبالظالمين متعلق بعليم.

□ البلاغة:

في الآية التتيميم بذكر «مع القاعدين» وعدم الاكتفاء بذكر اقعدوا، لأنه لو اقتصر على الأمر لم يفد سوى القعود، ولكنه أراد أن ينظمهم في سلك الزمنى، والمرضى، وأصحاب العاهات، والمعتوهين، والنساء، والصبيان؛ الذين من شأنهم الجثوم في البيوت بأنهم الموصوفون عند الناس بالتخلف، والتقاعد، والموسومون بسمة التلكؤ والجبانة. وسيرد المزيد من هذا الفن العجيب.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ٤٨ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا نَفْتِنَىٰ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ اللام جواب لقسم محذوف، وابتغوا الفتنة فعل وفاعل ومفعول به، ومن قبل متعلقان بابتغوا، وبنيت على الضم لقطعها عن الإضافة لفظاً لا معنى، أي: من قبل غزوة تبوك، وقلبو لك الأمور: عطف على ما سبقه، وتقلب الأمر: تصريفه على أوجه شتى لتدبير الحيلة والمكيدة، ويقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل: حول وقلب ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ حتى حرف غاية وجر، أي: واستمروا على تقلب الأمور، وحوك الدسائس، وتبيت المكائد، وجاء الحق فعل وفاعل، وظهر أمر الله فعل وفاعل أيضاً، وهم كارهون الواو للحال، وهم كارهون مبتدأ وخبر، والجملة نصب على الحال ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُوْلُ أَثَدْنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وجملة يقول صلة، واثذن فعل أمر، ولي جار ومجرور متعلقان به، والواو عاطفة، ولا ناهية، وتفتني مجزوم بلا، والنون للوقاية، والياء مفعول به ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ ألا أداة تنبيه، وفي الفتنة متعلقان بسقطوا، وجمع الضمير والقائل واحد مراعاة للمعنى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومحيطه خبر إن، وبالكافرين متعلقان بمحيطه، والكلام معطوف على الجملة السابقة داخل في نطاق التنبيه ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسُّوْهُمُ﴾ إن شرطية، وتصيبك فعل الشرط، والكاف مفعول به، وحسنة فاعل، وتسؤهم جواب الشرط. ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ عطف على ما تقدم، ومعنى أخذنا أمرنا، أي: تلافينا وتفادينا كل خطأ، وأخذنا بأسباب الحيلة، والحذر، والتوقي، والحزم ﴿وَيَكْتُولُوا وَهُمْ فَارِحُونَ﴾ ويتولوا عطف على يقولوا، أي: ويعرضوا عن مجلس النبي، والواو للحال، وهم فرحون مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية حالية من

الضميرين في يقولوا ويتولوا، لا من الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ جملة لن يصيبنا مقول القول، وإلا أداة حصر، وما فاعل، وجملة كتب الله لنا صلة، أي: قل لهم ذلك للإطاحة بما بنوا عليه مسرتهم وغبطتهم من اعتقاد مزيف ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ مبتدأ وخبر، والجملة حال من الله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الفاء للتعليل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل، واللام لام الأمر، ويتوكل مجزوم باللام، والمتوكلون فاعل.

□ البلاغة:

المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ والعلاقة الحالية، أي: في جهنم فأطلق الحال، وأريد المحل؛ لأن الفتنة لا يسقط فيها الإنسان؛ لأنها معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانها، فاستعمال الفتنة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال، وأريد المحل.

* الفوائد:

روى التاريخ أن النبي ﷺ لما تجهز إلى غزوة تبوك قال للجد بن القيس: «يا أبا وهب! هل لك في جلاد بني الأصفر؟» وهم ملوك الروم، فقال الجد: قد علمت الأنصار أنني مستهتر بالنساء، فلا تفتني ببناات الأصفر، يعني: نساء الروم. ولكن أعينك بمالي فاتركني.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِي بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْخُذَ بِيَدَيْنَا فَنَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْضُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

وَبِرَسُولِهِ ۖ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ۚ

○ الإعراب:

﴿ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ هل حرف استفهام، وتربصون فعل مضارع حذف إحدى تاءيه، أي: تنتظرون، وبنا متعلقان بتربصون، وإلا أداة حصر، وإحدى الحسينين مفعول به ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبِّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ الواو عاطفة، أو حالية، ونحن مبتدأ، وجملة نتربص خبر، وبكم متعلقان بتربص، وأن وما في حيزها مفعول به، والله فاعل، وبعذاب متعلقان بيصيبكم، ومن عنده صفة لعذاب، أو بأيدينا عطف على من عنده، أي: بعذاب بأيدينا ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وتربصوا فعل أمر، أي: إذا أردتم أن تعلموا النتائج وما يلقاه كل منا ومنكم فتربصوا، وإن واسمها، ومعكم ظرف متعلق بمتربصون، ومتربصون خبر إنا ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ جملة أنفقوا مفعول القول، والواو فاعل، وطوعاً وكراً مصدران نصباً على الحال، أي: طائعين أو مكرهين ﴿ لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ لن حرف نفي ونصب واستقبال، ويتقبل بالبناء للمجهول مضارع منصوب بلن، ومنكم متعلقان بيقبل، وإن واسمها، وجملة كنتم قوماً من كان واسمها، وخبرها خبر إن، وفاسقين صفة قوماً ﴿ وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، منعهم فعل ومفعول به، وأن تقبل أن وما في حيزها مفعول منع الثاني، ومنهم متعلقان بتقبل، ونفقاتهم نائب فاعل، وإلا أداة حصر، وإن وما في حيزها فاعل منع، أي: ما منعهم قبول نفقاتهم شيء من الأشياء إلا كفرهم، وما عطف عليه ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، ويأتون الصلاة فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وهم كسالى مبتدأ وخبر،

والواو للحال، والجملة حالية ﴿وَلَا يُفْقُونَ إِلَا وَهُمْ كَدِرْهُونَ﴾ عطف على ما تقدم.

□ البلاغة:

فن التعطف أو المشاركة:

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يوردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر، وهما مفترقتان كل لفظة منهما في طرف من الكلام، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ فقد أتى التعطف من صدر الآية في قوله: ﴿تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ ومن عجزها في قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ مع تجنيس الازدواج، ووقع مع التعطف مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف، فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب اللفظ: قل هل ترصدون بنا إلا إحدى الحسينين: أن يصيبنا الله بعذاب من عنده، أو بأيديكم ونحن نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، فحذف لتوخي الإيجاز تفسير الحسينين من الجملة الأولى، وأثبت في الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ وتكثيره، كما حذف الحسينين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أولاً، فحصل في الآية التعطف والمقابلة والإيجاز والتفسير، فاكتملت فيها أربعة أضرب من البديع، وهذا هو السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ٥٦ لَوْ يَخْدُونَ مَلَجَتًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ

مُدَّخَلًا لَّوَلَوْ اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَاِنْ اَعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

☆ اللغة:

﴿تُحِبُّكَ﴾ الإعجاب بالشيء: أن يسرَّ به سرور راض به متعجب من حسنه. والمعنى: فلا تستحسن ولا يستهويك ما أوتوا من زينة الدنيا وبها رجاها، وفي المصباح: ويستعمل التعجب على وجهين: أحدهما: ما يحمده الفاعل، ومعناه: الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني: ما يكرهه، ومعناه: الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني، وفي الذم والإنكار: عجبت، وزان: تعبت.

﴿يَقْرُؤُونَ﴾ يخافون، وفي المختار: فرق فرقاً، من باب: تعب، خاف، ويتعدى بالهمزة، فيقال أفرقته.

﴿مَفَرَاتٍ﴾ جمع مغارة، وهي المكان المنخفض في الأرض، أو في الجبل. والغور - بالفتح -: من كل شيء قعره، والغور: المطمئن في الأرض، وغار الرجل غوراً: أتى الغور، وهو: المنخفض من الأرض، وأغار بالألف مثله، والغار والمغار والمغارة كالكهف في الجبل، والكهف كالبيت في الجبل، والجمع كهوف، ثم انظر إلى الدقة في الترتيب مما يتناهى فيه نظم الكلام إلى أسمى الحدود، ذكر أولاً الأمر الأعم، وهو الملجأ من أي نوع كان، ثم ذكر الغيران التي يختفى فيها في أعلى الأماكن، وهي الجبال، ثم الأماكن التي يختفى فيها في الأماكن السافلة، وهي التي عبر عنها بالمدخل.

﴿يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء، من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، وفي المصباح: جمح الفرس براكبه يجمع - بفتحيتين - من باب: خضع جهاحاً بالكسر، وجموحاً: استعصى حتى غلبه، فهو جموح بالفتح، وجامح، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

﴿يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك، وفي المصباح: «لزمه لماً، من باب: ضرب، عابه، وقرأ بها السبعة، ومن باب قتل، لغة، وأصله: الإشارة بالعين ونحوها» فهو أخص من الغمز، إذ هو الإشارة بالعين ونحوها، سواء أكان على وجه الاستنقاص أو لا، وأما اللمز فهو خاص بكونه على وجه العيب، وفي المصباح: غمزه غمزاً، من باب: ضرب، أشار إليه بعين أو حاجب.

○ الإعراب:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وسيأتي سر استعمالها، ولا ناهية، وتعجبك مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر تقديره أنت، والخطاب وإن كان منصرفاً إلى النبي ﷺ إلا أن المراد به جميع المؤمنين، وأموالهم فاعل، ولا أولادهم عطف عليه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويريد الله فعل مضارع وفاعل، واللام للتعليل، ويعذبهم منصوب بأن مضمرة، وأورد اللام للتقوية، والأصل: يريد أن يعذبهم، وبها متعلقان يعذبهم، وفي الحياة الدنيا حال ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ عطف «تزهق» على «ليعذبهم»، وأنفسهم فاعل، والواو حالية، وهم مبتدأ، وكافرون خبر ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ والواو استثنائية، ويحلفون فعل مضارع وفاعل، وبالله جار ومجرور متعلقان يحلفون، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومنكم خبرها، والواو للحال، وما نافية حجازية، وهم اسمها، ومنكم خبرها، والجملة حالية ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْهَمُونَ﴾ الواو عاطفة، ولكن واسمها، وقوم خبرها، وجملة يفرقون صفة ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ لو

شرطية، ويجدون ملجأ فعل مضارع وفاعل ومفعول به، أو مغارات أو مدخلًا معطوفان على ملجأ، لولوا: اللام واقعة في جواب لو، وإليه متعلقان بولوا، وهم: الواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة يجمعون خبر، والجملة حالية، وجملة لولوا لا محل لها ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يلمزك صلة، وفي الصدقات جار ومجرور متعلقان بيلمزك ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وأعطوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط، ومنها في محل نصب مفعول به ثان؛ لأن الواو وهي نائب الفاعل مفعوله الأول، وإن لم يعطوا منها عطف على الجملة الأولى، وإذا فجائية، وهم مبتدأ، وجملة يستخطون خبر، وجملة إذا هم يستخطون في محل جزم جواب الشرط؛ لأن «إذا» تخلف الفاء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت رضاهم، وما مفعول به، وجملة آتاهم الله ورسوله صلة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ حسبنا مبتدأ، والله خبر أو بالعكس، والجملة مقول القول، سيؤتينا الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ومن فضله جار ومجرور متعلقان بيؤتينا، ورسوله عطف على الله ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ وإن واسمها، وإلى الله جار ومجرور متعلقان براغبون، وراغبون خبر إنا ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وهي للقصر، قصرت الصدقات على الأصناف المحدودة، والصدقات مبتدأ، وللفقراء خبر، والمساكين عطف على الفقراء والعاملين عليها عطف أيضاً، وأراد بهم السعاة الذين يقبضونها من: جاب، وقاسم، وكاتب، وحاشر، وحاسب، والمؤلفة قلوبهم عطف على ما تقدم أيضاً، وقلوبهم نائب فاعل ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وفي الرقاب معطوف على قوله للفقراء، أي: ومصرفه في الرقاب، ولا بد من تقدير مضاف، أي: وفي فك الرقاب، والغارمين عطف أيضاً، أي: الذين فدحتهم الديون إن استدانوا الغير معصية، أو لإصلاح ذات البين، وفي

سبيل الله عطف أيضاً، أي: القائمين بالجهاد، وابن السبيل عطف أيضاً، وهو: المنقطع، فهو فقير حيث هو، غني حيث ماله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: فرض الله ذلك فريضة، ويجوز إعرابها حالاً من الفقراء ومن بعدهم، أي: إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة، وهي فعيلة بمعنى مفروضة، وإنما دخلتها التاء، وحقها أن يستوي فيها المذكر والمؤنث؛ لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة، ومن الله صفة، والله مبتدأ، وعليم خبر أول، وحكيم خبر ثان.

□ البلاغة:

مخالفة الحروف:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ إلى آخر الآية فن طريف من فنون البلاغة لطيف المأخذ، دقيق المغزى، قل من يتفطن إليه، فقد عدل عن اللام إلى في، في الأربعة الأخيرة، وذلك لسر يخفى على المتأمل السطحي، وهو أن الأصناف الأربعة الأوائل، وهم: الفقراء، والمساكين، والعاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، ملاك لما عساه يدفع إليهم، فكان دخول اللام لا ثِقاً بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم، فالمال الذي يصرف في الرقاب إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محال لهذا الصرف، والمصلحة المتعلقة به، وكذلك الغارمون إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصاً لذمهم لا لهم، وأما سبيل الله فواضح فيه ذلك، وأما ابن السبيل فكانه كان مندرجاً في سبيل الله، وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب، إذا تقرر هذا تبين لك ما تميز به الأئمة الأربعة من رهاقة ذوق، وإصابة حدس في استنباط الأصول الفقهية من مخالفة الحروف، ووجه

آخر أشار إليه الزمخشري، وذكره ابن الأثير في كتابه الممتع: «المثل السائر» نلخصه فيما يلي:

إنما عدل عن اللام إلى «في» في الثلاثة الأخيرة؛ للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره باللام؛ لأن «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء، ويجعلوا مظنة لها، وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخليص والإنقاذ، وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين، وسياق الكلام أن يقال: وفي الرقاب، والغارمين، وسبيل الله، وابن السبيل، فلما جيء بـ «في» مرة ثانية، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله، علم أن سبيل الله أؤكد في استحقاق النفقة فيه، وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف.

* الفوائد:

وفيما يلي فصل ممتع كتبه عالم جليل من علماء الأزهر، نشبه لأصالته في الصدقات والزكوات، قال:

«تدفع الزكاة لثمانية أصناف:

(١) الفقير: وهو الذي لا مال ولا كسب لائق يقع موقعاً من كفايته، بأن ينقص عن نصف ما يحتاجه كمن يحتاج إلى عشرة لا يملك ولا يكسب إلا درهمين أو ثلاثة.

(٢) المسكين: من له مال أو كسب لا يكفيه كمن يحتاج إلى عشرة دراهم وعنده سبعة.

(٣) العاملين عليها: الساعين في تحصيلها كالكاتب لأموال الزكاة.

(٤) المؤلفة قلوبهم: وهم الذين أسلموا وإسلامهم ضعيف، أو كان قوياً، ولكن يتوقع بإعطائهم إسلام غيرهم.

(٥) الرقاب: وهم المكاتبون من الأرقاء لغير المزكي كتابة صحيحة.

(٦) الغارم: وهو الذي تداين ديناً لنفسه وحل الدين ولا قدرة له على وفائه وقصد صرفه في مباح، أو صرفه فيه، أو تداين لإصلاح ذات البين إن حل الدين، ولم يوفه من ماله، ولو كان غنياً، أو تداين لضمان إن أعسر هو والمضمون.

(٧) وأهل سبيل الله: وهم الغزاة المتطوعون بالجهاد، وإن كانوا أغنياء إعانة على الجهاد.

(٨) وابن السبيل: وهو المسافر سفيراً مباحاً من بلد الزكاة، ولو مجتاز إلى وطنه، أو غيره، فيعطى من مال الزكاة ما يوصله إلى مقصده إن احتاج.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ١٢ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ١٣﴾

☆ اللفظة:

﴿أُذُنٌ﴾ - بضمين -: الجارحة المعروفة عضو السماع، مؤنثة، والجمع آذان، وأذن الكوز: عروته، وتصغيرها أذينة، وفلان أذن من الآذان؛ إذا كان يسمع مقال كل أحد وتكون بلفظ واحد مع الجميع، ويقال: جاء لابساً أذنيه، أي: غافلاً، وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب: البلاغة والفوائد.

﴿يُحَادِدِ﴾ يشاقق، وفي القاموس وغيره: حادّه: عاداه وغازبه.

○ الإعراب:

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ كلام مستأنف، مسوق للحديث عن فرقة من المنافقين، كما سيأتي في باب: الفوائد، ومنهم خبر مقدم، والذين مبتدأ

مؤخر، وجملة يؤذون النبي صلة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ويقولون عطف على يؤذون، وجملة هو أذن من المبتدأ، والخبر مقول القول، وقل فعل أمر، وأذن خبر، والمبتدأ محذوف، وخير مضاف إليه، ولكم صفة ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ جملة يؤمن بالله تفسيرية؛ لكونه أذن خير لهم، ويؤمن للمؤمنين عطف على يؤمن بالله، وعدى الإيمان إلى الله بالباء لتضمنه معنى التصديق، ولموافقة ضده، وهو الكفر، في قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ وعداه للمؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد، وموافقته لكثير من الآيات، كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ وقوله: ﴿أَفَنظَمُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ ويمكن أن يجاب بأنه عدى فعل الإيمان إلى الله بالباء، وإلى المؤمنين باللام؛ لأن إيمان الأمان من الخلود في النار، وهو المقابل للكفر حقه أن يعدى بالباء، وأما الإيمان بمعنى التصديق والتسليم فإنه يعدى باللام للفرقة بينهما، وإن كان حقه أن يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك. ورحمة للذين آمنوا عطف على أذن خير، وللذين آمنوا صفة لرحمة، ومنكم حال من الضمير في آمنوا ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الذين مبتدأ، وجملة يؤذون رسول الله صلة، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة، والجملة الاسمية خبر الذين ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ الجملة خبر ثان للذين، ولكم متعلقان بيحلفون، واللام للتعليل، ويرضوكم منصوب بأن مضمرة، والواو فاعل، والكاف مفعول به، ولام التعليل ومجورها متعلقان بيحلفون أيضاً ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الواو للحال، والله مبتدأ، ورسوله عطف على الله، وأحق خبر مقدم، وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر الله، ووحيد الضمير لتلازم الرضاءين، وإفراد الضمير في يرضوه إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر، ولكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله، فأرضاء الله إرضاء لرسوله، أو المراد الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، كما قال سيبويه، ورجَّحه النحاس، أو لأن الضمير موضوع موضع

اسم الإشارة، فإنه يشار به إلى الواحد والمتعدد، أو الضمير راجع إلى المذكور وهو يصدق عليهما، وقال الفراء: المعنى: ورسوله أحق أن يرضوه، والله افتتاح كلام، كما تقول: ما شاء الله وشئت. وإن شرطية، وكانوا فعل الشرط، ومؤمنين خبر كانوا، والجواب محذوف، أي: فالله ورسوله أحق، ويجوز أن يكون الكلام جملتين حذف خبر إحداهما لدلالة الثاني عليه، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُكَادِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويعلموا مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وأن واسمها، ومن شرطية مبتدأ، ويحادث فعل الشرط، ولفظ الجلالة مفعوله، ورسوله عطف على اللام ﴿فَأَن تَأْرَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الفاء رابطة، وإن حرف مشبه بالفعل، وله خبرها المقدم، ونار جهنم اسمها المؤخر، وخالداً حال من الضمير المجرور باللام، وفيها متعلقان بخالداً، وجملة اسم الشرط وفعله، وجوابه خبر أنه الأولى، وذلك مبتدأ، والخزي خبره، والعظيم صفة.

□ البلاغة:

المجاز المرسل:

في قوله: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ مجاز مرسل، كما يراد بالعين الرجل إذا كان ربيثة، لأن العين هي المقصودة منه، فصارت كأنه الشخص كله، وهو من إطلاق اسم الجزء على الكل للمبالغة، والعلاقة تسمى الجزئية، قال الشاعر:

كَمْ بَعَثْنَا الْجِيْشَ جَرًّا رَأَوْا رُسُلَنَا الْعُيُونَا

وفي ردِّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ﴾ إطماع لهم بالتسليم أولاً، ثم إيذان باليأس ثانياً، ولا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه يكرّر على طمعهم بعد الموافقة في الظاهر عليه بالحسم، ويعقبه باليأس منه، ويسمى

«القول بالموجب» والموجب - بكسر الجيم - لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم، فهو اسم فاعل من أوجب، ويحتمل فتح الجيم إن أريد بالقول الحكم الذي أوجبه الصفة، فيكون اسم مفعول، والمعنيان صحيحان، وهو قسمان:

(١) أن تقع صفة في كلام الآخر كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبت في كلامك تلك الصفة من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه عنه، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَك الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبتوا لفريقهم المكنى عنه بالأعز؛ الإخراج، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو: الله ورسوله والمؤمنون، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم؛ الذي هو الإخراج للموصوفين بالعز، أعني الله ورسوله والمؤمنين ولا لغيرهم، ومنه قول القبعثري للحجاج لما توعدده فقال: لأحملنك على الأدهم، يعني: القيد، فرأى القبعثري أن الأدهم يصلح صفة للقيد والفرس، فحمل كلامه على الفرس، فقال مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال الحجاج: إنه - أي: الأدهم - حديد، فقال القبعثري: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، فحمل الحديد على خلاف مراده أيضاً.

(٢) حمل لفظ وقع في كلام الآخر، على خلاف مراده بما يحتمله بذكر متعلقه، وقد شاع هذا الضرب على ألسنة الشعراء، وتداولوه في أشعارهم كثيراً، قال ابن حجاج:

قال: ثقلت إذ أتيت مراراً قلت: ثقلت كاهلي بالأأيادي

قال: طوَّلت، قلت: أوليت طولاً قال: أبرمت قلت: حبل ودادي

وقد أوردنا في أواخر سورة الأنعام أبياتاً لصفى الدين الحلي كرر فيها هذا

الضرب، ويصح حمل الآية الكريمة على هذا الضرب بذكر متعلق الأذن، وهو خير.

* الفوائد:

روى التاريخ أنه اجتمع ناس من المنافقين، فيهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في رسول الله ﷺ وذموه، وقال الجلاس بن سويد، وهو بوزن غراب، كما في القاموس: نقول ما شئنا، ثم نأتيه، فننكر ما قلنا، ونحلف فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن، وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس، فأتى النبي ﷺ وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا، وحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله الآية.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَعَايِنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝﴾

○ الإعراب:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما يضطرم في صدور المنافقين من حسد وعداوة للمؤمنين، فهم يخشون أن تنزل عليهم خبرهم بما تنطوي عليه نفوس المنافقين، ولا تقل: إن الضمائر متفككة، فما أسهل إرجاع كل ضمير إلى أصحابه، ويحذر المنافقون فعل مضارع وفاعل، وأن تنزل عليهم مفعول به

ناصبه يحذر؛ فإنه يتعدى بنفسه، خلافاً للمبرد الذي زعم أن حذر لا يتعدى، وقال: إنه من هيئات النفس كفزع، والرد عليه من أوجه:

آ- أن ذلك غير لازم ولا مضطرد، فكثير من هيئات النفس متعدد كخاف وخشي.

ب- قوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ﴾ فلولا أنه متعدد في الأصل لواحد لما اكتسب بالتضعيف مفعولاً ثانياً.

ج- أجمعت معاجم اللغة على أنه يتعدى بنفسه وبال حرف.

وعليهم متعلق بتنزل، وسورة نائب فاعل، وجملة تنبئهم صفة لسورة، وبما في موضع المفعول الثاني لتنبئهم، وفي قلوبهم متعلق بمحذوف صلة ما ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُوكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾ استهزئوا فعل أمر يراد به التهديد، وإن واسمها وخبرها، وما موصول مفعول مخرج لأنه اسم فاعل، وجملة تحذرون صلة ما ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [والواو استئنافية، واللام رابطة للقسم، وإن: شرطية، وسألتهم: فعل ماض وفاعل ومفعول به، وجملة: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾^(١) مقول القول؛ وجملة نخوض خبر كنا. وهو في محل جزم فعل الشرط، وليقولن اللام واقعة في جواب القسم، ويقولن فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو فاعل، والنون المشددة للتوكيد، وجملة إنما كنا نخوض ونلعب مقول القول، وجملة نخوض خبر كنا ﴿قُلْ أَيْدِيكُمْ وَأَيْدِي رَسُولِي كُنْتُمْ تُسْتَهْزِئُونَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وبالله متعلقان بتستهزئون، وآياته ورسوله عطف على الله، وكنتم تستهزئون كان واسمها، والجملة الفعلية خبرها ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لا ناهية، وتعتذروا مضارع مجزوم بلا الناهية، وقد حرف تحقيق، وكفرتهم فعل وفاعل، وبعد متعلق بكفرتهم، وإيمانكم مضاف إليه ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع، وأثبتناه من عندنا لإتمام إعراب الكلام.

طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ إن شرطية، ونعف فعل الشرط، وعن طائفة متعلقان بنعف، ومنكم صفة ونعذب جواب الشرط، وطائفة مفعول به، وبأنهم متعلقان بنعذب، والباء للسببية، وإن واسمها، وجملة كانوا مجرمين خبرها، وكان واسمها وخبرها.

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ فَأَسْمَتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

☆ اللغة:

﴿الْخَلَاقُ﴾ - بفتح الخاء - : النصيب، وهو: ما خلق للإنسان، أي:

قدر من خير.

الإعراب:

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ المنافقون مبتدأ، والمنافقات عطف عليه، وبعضهم مبتدأ، ومن بعض خبر، أي: متشابهون كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ الجملة خبر ثان للمنافقون، والأول هو الجملة الاسمية، وينهون عن المعروف عطف على الجملة السابقة، ويقبضون أيديهم عطف أيضاً، وسيأتي معناها في باب: البلاغة ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ﴾

أَلْفَسِقُونَ ﴿١﴾ نسوا الله فعل وفاعل ومفعول به، فنسيهم عطف على نسوا، وسيأتي بحث هذا المجاز المرسل، وإن واسمها، وهم مبتدأ ثان، أو ضمير فصل، والفاسقون خبر «هم»، أو خبر إن، والجملة الاسمية خبر إن ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وعد الله المنافقين فعل وفاعل ومفعول، والمنافقات عطف، وكذلك الكفار، ونار جهنم مفعول به ثان، ووعد يستعمل في الخير والشر ﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ خالدين حال من المفعول الأول، وهي مبتدأ، وحسبهم خبر، والجملة حالية ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ الواو عاطفة، ولعنهم الله فعل ومفعول به وفاعل، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، ومقيم صفة ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ الكاف اسم بمعنى مثل خبر لمبتدأ محذوف، أي: أنتم مثل الذين، ويجوز أن تكون الكاف حرف جر، والجار والمجرور خبراً للمبتدأ المقدر، ومن قبلكم صلة الذين، وكانوا أشد: كان واسمها وخبرها، ومنكم جار ومجرور متعلقان بأشد، وقوة تمييز ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ عطف على أشد منكم قوة ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ﴾ الفاء عاطفة، واستمتعوا فعل وفاعل، وبخلاقهم متعلقان باستمتعوا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ﴾ عطف على ما تقدم ﴿كَأَمَّا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُقِهِمْ﴾ الكاف محلها نصب على المفعولية المطلقة، والذين فاعل، ومن قبلكم صلة الذين، وبخلاقهم جار ومجرور متعلقان باستمتع ﴿وَحُضُّنْكُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة حبطت خبر، وأعمالهم فاعل، وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بحبطت ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر، وهم ضمير فصل، أو مبتدأ ثان.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فنون من البلاغة:

(١) الكناية في قوله تعالى: ﴿وَيَقِضُون أَيُّهُمْ﴾ كناية عن الشح،

والأصل في هذه الكناية أن المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء فقليل لمن منع وبخل قد قبض يده .

(٢) المجاز المرسل في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ لأن النسيان هنا غير وارد فهو بالنسبة إليهم مسقط التكليف عنهم ، وهو بالنسبة إليه تعالى محال ، ولذلك لا بد من حمل الكلام على المجاز المرسل والعلاقة اللازمة ، فالمراد لازم النسيان ، وهو : الترك ، أي : أنهم أغفلوا ذكر الله فتركهم من رحمته وفضله ، أو يقال فيه : فن المشاكلة ؛ لأن النسيان الحقيقي لا يصح إطلاقه على الله سبحانه ، وإنما أطلق عليه هنا من باب المشاكلة ، أي : تركوا ما أمرهم به ، فتركهم من رحمته وفضله .

(٣) التكرير في ترديد : استمتعوا ، ذلك أنه شبه حالهم بحال الأولين ، ففي التكرير تأكيد ومبالغة في ذم المخاطبين ، وتقبيح حالهم واستهجان أمرهم .

(٤) الاستعارة التصريحية في خضتم ، شبه الباطل بماء ، وحذف المشبه ، وأبقى المشبه به ، وهو الماء ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

(٥) التنكيت في قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ ﴾ إلى آخر الآية ، ثم قوله بعد ذلك : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ ﴾ إلى آخر الآية ، فإن لقائل أن يقول : ما النكته التي أوجبت وصف المنافقين والمنافقات بالتلاحم الشديد دون المؤمنين والمؤمنات ، بحيث لا يجوز التبديل في الخبرين ، فيجعل التلاحم بين المؤمنين وغيره بين المنافقين ؟ فيقال في الجواب : لما كان المنافقون والمنافقات كلهم يهود وهم من بني إسرائيل ، كان اتصال بعضهم ببعض اتصال نسب ، أو ما نطلق عليه : العنصرية والجنس ، ولما كان المؤمنون من شعوب متفرقة وأمم شتى ، كان اتصالهم اتصال سبب ، وهو جعل الإسلام بينهم من التحاب في الله ، والولاء فيه ، والتناحر في سبيله ، ومن هاهنا لم يجوز التبديل بين الخبرين بأن يجعل اتصال النسب للمؤمنين واتصال السبب للمنافقين .

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ٧٠ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٧١ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٧٢

☆ اللغة:

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ مدائن قوم لوط، وقيل: قريات قوم لوط وهود
وصالح، واثفاكهن: انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر، أو المنقلبات التي
جعل الله عليها سافلها، ويقال: أفكه: إذا قلبه، وبابه: ضرب، ويقال:
أفكته فائتفك، فهو مطاوعه، أي: قلبته فانقلب، والمادة تدل على التحول
والصرف.

﴿ عَدْنٍ ﴾ إقامة، وهي هنا: علم على الجنة، وأصلها: من عدن القوم
بالبلد: أقاموا فيه، وطال عدنهم فيه وعدونهم، وفلان في معدن الخير
والكرم، وهو من مراكز الخير ومعادنه، وعليه عدنيات، أي: ثياب كريمة،
وأصلها النسبة إلى عدن - بفتحتين - . ومن أقوالهم: «مرت جوار مدنيات
عليهن رباط عدنيات» وكثر حتى قيل للرجل الكريم الأخلاق: عدني، كما
قيل للشيء العجيب من كل فن: عبقرى، قال ابن جابر المحاربي:

سَرَتْ مَا سَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ

إِلَى عَدْنِي ذِي غَنَاءٍ وَذِي فَضْلٍ

إلى ابن حَصَانٍ لم تخضرم جدودها

كريم النَّثَا والخِيم والعقل والأصل

○ الإعراب:

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفى وقلب وجزم، ويأتهم مجزوم بلم، والهاء مفعول به، ونبا فاعل، والذين مضاف إليه، ومن قبلهم صلة ﴿ قَوْمٌ نُوْحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ قوم بدل من الذين، بدل بعض من كل، وقوله: وعاد إلى آخر المعطوفات كلها معطوفة على قوم نوح، غير أن الأخير، وهو المؤتفكات، على حذف مضاف، أي: قريات قوم لوط، وإنما اقتصر القرآن الكريم هذه الطوائف الست؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام واليمن والعراق، وكل ذلك قريب من أرض العرب في شبه جزيرتهم، فكانوا يعرجون بها، ويتنسمون أخبار أهلها ﴿ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الجملة استئنافية لبيان أخبارهم وأحاديثهم، ورسلمهم فاعل ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، كان الله: كان واسمها، واللام للجحود، ويظلمهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والجار والمجرور متعلقان بالخبر، أي: مريدًا لِيظْلِمَهُمْ، ولكن الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة، وكان واسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون خبر كانوا، وقدم المفعول به اهتماماً به مع مراعاة الفاصلة ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ المؤمنون مبتدأ، وبعضهم مبتدأ ثان، وأولياء خبر، والجملة خبر المؤمنون، وقد مرت مقابلتها مع الإشارة إلى فن التنكيت بين الجملتين في الخبر ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ الجملة خبرية، وقد تقدم إعرابها ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ عطف على ما تقدم ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ عطف أيضاً ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة سيرحمهم الله خبر، وإن واسمها وخبرها ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ﴿٦٦﴾ وعد الله المؤمنين فعل وفاعل ومفعول به، وجنات مفعول به ثان، وجملة تجري صفة، والأنهار فاعل، ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ خالدين فيها حال من المؤمنين، ومسكن عطف على جنات، وطيبة صفة، وفي جنات عدن صفة ثانية ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مبتدأ ساغ الابتداء به، لأنه وصف بقوله: من الله، وأكبر خبره، ولم يسلكه في نظام الموعود به؛ لأنه متحقق في ضمن كل موعود، ولأنه قصارى ما ترقى إليه آمال النفوس ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، والفوز خبر هو، والجملة خبر اسم الإشارة، والعظيم صفة.

﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ ٧٣ يَلْفُتُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جاهد فعل أمر، والكفار مفعول به والمنافقين عطف ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ واغلظ عطف على جاهد، أي: لا تأخذك هوادة فيهم، وحاربهم بالسيف، وأقم زيفهم بالمنطق والحجة. ﴿وَمَا وَادَّاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ قال أبو البقاء في إعرابه: «إن قيل كيف حسنت الواو هنا؟ والفاء أشبه بهذا الموضع، ففيه ثلاثة أجوبة: أحدها أن الواو واو الحال، والتقدير: افعل ذلك في حال استحقاقهم جهنم، وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم. والثاني أن الواو جيء بها تنبيهاً على إرادة فعل محذوف تقديره: واعلم أن جهنم مأواهم. والثالث: أن الكلام قد حمل على

المعنى، والمعنى أنه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهد والغلظة وعذاب الآخرة بجعل جهنم مأواهم، ولا حاجة إلى هذا كله؛ لأن الواو استئنافية، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مآل أمرهم بعد بيان عاجله، وبئس المصير الواو عاطفة، وبئس المصير فعل وفاعل، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به، أي: مصيرهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما صدر عنهم من الأعمال المنكرة الموجبة للأمر بجهدهم والغلظة عليهم، وبالله جار ومجرور متعلقان بيحلفون، وما نافية، وقالوا فعل وفاعل، وجملة ما قالوا جواب القسم ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب القسم المحذوف، وقالوا فعل وفاعل، وكلمة الكفر مفعول قالوا، قيل: هي كلمة الجلاس بن سويد الآنف الذكر، وقد قيل: هي كلمة عبد الله بن أبي ابن سلول حيث قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، وكفروا عطف على قالوا، وبعد ظرف متعلق بكفروا ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَزَيْنَا لَوْ﴾ عطف على ما تقدم، وبما متعلقان بهموا، وجملة لم ينالوا صلة، وسيأتي نبأ هذا الهم، وهو الفتك برسول الله، في باب الفوائد ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ونقموا فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها مفعول نقموا، وأغناهم الله فعل ومفعول به وفاعل، ورسوله عطف على الله، ومن فضله متعلقان بأغناهم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، ويتوبوا فعل الشرط، ويك جواب الشرط مجزوم بالسكون على النون المحذوفة للتخفيف، وقد تقدمت قاعدتها في خصائص كان، واسم يك مستتر، أي: المتاب، وخيراً خبر، ولهم متعلقان بـ «خيراً» ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويتولوا فعل الشرط، ويعذبهم جواب الشرط، والهاء مفعول به، والله فاعل، وعذاباً مفعول مطلق، وأليماً صفة، وفي الدنيا متعلقان بيعذبهم، والآخرة عطف على الدنيا ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولهم خبر مقدم، وفي الأرض

حال، ومن حرف جر زائد، وولي مبتدأ مؤخر محلاً، ولا نصير عطف على ولي.

□ البلاغة:

في هذه الآية: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ تأكيد المدح بما يشبه الذم، وقد تقدم مبحث هذا الفن في المائدة، كأنه قال ليس له صفة تعاب وتكره، إلا أنه ترتب على قدومه إليهم وهجرته عندهم إغناء الله إياهم بعد الخصاصة والفاقة وشدة الحاجة، وهذه ليست صفة ذم، فحيث لم يكن له صفة تدم أصلاً.

* الفوائد:

محاولة الفتك بالنبي ﷺ:

روى التاريخ أنهم قرروا فيما بينهم الفتك بالنبي ﷺ ليلة العقبة عند عودته من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، وقد اجتمع رأيهم على أن يدفعوه عن راحلته ليقع في الوادي فيموت، فلما وصل إلى العقبة نادى مناديه بأمره: إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي ﷺ العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون، وتلثموا، وسلخوا العقبة، وكان النبي قد أمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته ويقودها، وأمر حذيفة أن يسوقها من خلفها، فبينما النبي يسير في العقبة إذ غشيه المنافقون، فنفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم، فولوا مدبرين، وعلموا أنه اطلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي. واختلطوا بالناس، فرجع حذيفة يضرب الناقة، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟» قال: لا، كانوا متلثمين، واللييلة مظلمة، قال: «هل علمت مرادهم؟» قال: لا، قال النبي: «إنهم مكروا، وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحوني عنها، وإن الله خبرني بهم وبمكرهم» فلما رجع جمعهم،

وأخبرهم بما مكروا به، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا. وهناك روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى يرجع إليها في المطولات.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ٧٥ ﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ٧٦ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ٧٧ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ٧٨ ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٧٩ ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ٨٠

○ الإعراب:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ استئناف، مسوق لبيان قصة ثعلبة بن حاطب، وهو نموذج مجسد للنفاق، وسيأتي حديثه في باب: الفوائد، ومنهم خبر مقدم، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وجملة عاهد الله صلة ﴿ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وآتانا فعل ماضٍ، ونا مفعول به، وهو فعل الشرط، ولنصدقن جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، واللام في لنصدقن واقعة في جواب القسم، ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له، ولنكونن عطف على لنصدقن، ومن الصالحين خبر نكونن، والاسم مستتر تقديره: نحن ﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، أو رابطة، وآتاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومن فضله جار ومجرور

متعلقان بآثامهم، وجملة بخلوا به لا محل لها، وتولوا عطف على بخلوا، والواو حالية، وهم مبتدأ، ومعرضون خبر ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ الفاء عاطفة، وأعقبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، ونفاقاً مفعول به ثان، وفي قلوبهم صفة نفاقاً، أي: متمكناً راسخاً في قلوبهم، وإلى يوم حال، أي: ممتداً، وجملة يلقونه مضاف إليها الظرف ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ الباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أي بسبب إخلافهم الله الوعد، والله مفعول أخلفوا، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مفعول أخلفوا، وبما كانوا يكذبون عطف على ما تقدم مماثل له في الإعراب ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، ويعلموا مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وسرهم مفعول يعلم، ونجواهم عطف على سرهم، وأن الله علام الغيوب أن واسمها وخبرها، وهي معطوفة على أن الأولى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الذين في محل خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم، أو مبتدأ، ويلمزون صلة، والمطووعين مفعول به، ومن المؤمنين حال، وفي الصدقات متعلقان بيلمزون صلة، أي: يعيبنهم فيها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ عطف على الذين يلمزون، وإلا أداة حصر، وجهدهم مفعول يجدون ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ عطف على يلمزون، ومنهم متعلقان بيسخرون ﴿سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ جملة سخر الله منهم خبر الذين، ولهم خبر مقدم، وعذاب مبتدأ مؤخر، وأليم صفة ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أمر يراد به الخبر، كأنه قيل: لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وأو للتخير والعطف، ولا ناهية، وتستغفر مجزوم بلا، ولهم متعلقان بالفعل، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب: البلاغة ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ إن شرطية، وتستغفر فعل الشرط، ولهم متعلق بتستغفر، وسبعين ظرف، خلافاً لأبي البقاء إذ أعربها مفعولاً مطلقاً، ولكن ورود مرة بعدها، وهي ظرف أكدت حتمية كونها ظرفاً، ومرة تمييز، والسبعون جار مجرى المثل في

كلامهم للتكثير، قال علي بن أبي طالب:

لأصبحن العاصي وابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي التواصي

والفاء رابطة، ولن حرف ناصب، ويغفر منصوب بلن، والله فاعل، ولهم متعلق بيغفر ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ذلك مبتدأ، وبأنهم خبر، وأن وما في حيزها مصدر مجرور بالباء، وجملة كفروا خبر أن، وبالله متعلقان بكفروا، ورسوله عطف على الله، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي خبر، والقوم مفعول به، والفاستقين نعت.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ خروج الأمر والنهي عن معناهما الأصلي إلى معنى آخر، وهو التسوية، كقول كثير عزة:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

كأنه يقول لها: امتحني محلك عندي، وقوة محبتي لك، وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة أو محسنة؟ وكذلك معنى الآية: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه؟ وهو من أبلغ الكلام.

* الفوائد:

قصة ثعلبة بن حاطب:

(١) وهذه قصة رائعة يتجسد فيها النفاق، ونلخصها لطولها، ولعل القارئ يرجع إليها في المطولات. روى التاريخ أن ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدي منه كل ذي حق حقه، فدعا له، فوسع عليه، وكان ثعلبة صحيح الإسلام في ابتداء أمره، وكان ملازماً لمسجد رسول الله، حتى لقب بحمامة المسجد، فلما تم له الرزق الوفير انقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، إلى آخر تلك القصة الفريدة في التاريخ.

(٢) قاعدة هامة: قد يوضع الطلب موضع الخبر للرضا بالواقع، حتى كأنه مطلوب، وعليه قول كثير:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

أي: لا ملومة أنت لدينا ولا مبغوضة، فذكر لفظ الأمر، ثم عطف عليه بلفظ أو، فالأمر يفيد الإساءة، والمعنى على الإخبار، أي: نحن راضون بما تفعلين، لا نلومك أسأت أم أحسنت، ولا نبغضك إن أبغضت، ففيه تنبيه على إظهار مزيد الرضا بكل ما اختارته عزة في حقه، وتنبيه على عدم تفاوت جواب كثير بتفاوت ما اختارت عزة، وعليه الآية الكريمة الآتفة الذكر، فإنه لا يتفاوت عدم غفران الله لهم بتفاوت استغفار الرسول عليه السلام وقوعاً وعدم وقوع، فإن مقتضى المقام هاهنا هو الإخبار لا الأمر؛ لأنه لا يصح أن يحمل هاهنا على حقيقة الأمر؛ وهو: طلب شيء مع ضده.

وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمئة ونحوها في التكرير لاشتغال السبعة على جملة أقسام العدد، وكأنه العدد بأسره، وتوضيح هذا الكلام أن السبعة أول عدد كامل، حيث جمعت العدد كله؛ لأن العدد أزواج وأفراد، فالأزواج والأفراد منها أول وثنان، فالاثنتان أول الأزواج، والأربعة زوج ثان، والثلاثة أول الأفراد، والخمسة فرد ثان، فإذا جمعت الزوج الأول مع الفرد الثاني، أو الفرد الأول مع الزوج الثاني، كانت سبعة، وهذه الخاصة لا توجد في عدد قبل السبعة، وقيل: إن العرب تبالغ في العدد بالسبعة؛ لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة، إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولا زيادة على ذلك، ولذلك قالوا للأسد: سبع؛ لأنه قد ضوعفت قوته سبع مرات ثم سبعون غاية الغايات؛ لأن غاية الأحاد العشرات، فمعنى الآية: أنه تعالى لا يغفر لهم وإن استغفرت بكل الأعداد دائماً.

﴿ فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا

يَأْمُرُهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ
كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

○ الإعراب:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ فرح المخلفون فعل وفاعل، وهم الذين خلفهم الكسل، وأقعدهم عن الإسهام في واجباتهم المقدسة، بعد أن استأذنوا النبي ﷺ في القعود، وبمقعدهم متعلق بفرح، وخلاف رسول الله: أي: خلفه، منصوب على أنه مفعول لأجله، أو حال، أي: قعدوا لمخالفتة، أو مخالفين له، ويجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر، مدلول عليه بقوله مقعدهم؛ لأنه في معنى تخلفوا، أي: تخلفوا خلاف رسول الله، ويجوز أن ينتصب على الظرف، أي: بعد رسول الله، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، وعيسى بن عمر، والأخفش، واقتصر عليه أبو البقاء ﴿ وَكَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عطف على فرح المخلفون، وأن وما في حيزها مفعول كرهوا، أي: وكرهوا الخروج إلى الجهاد ﴿ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنفروا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وفي الحر جار ومجرور متعلقان بتنفروا، وقل فعل أمر، ونار جهنم مبتدأ، وأشد خبر، وحرًا تمييز، ولو شرطية، وكان واسمها، وجملة يفقهون خبرها، وجواب لو محذوف تقديره: ما تخلفوا. ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ الفاء الفصيحة، واللام لام الأمر، ويضحكوا مجزوم بها، وقليلاً مفعول مطلق، أو ظرف زمان بمعنى ضحكاً قليلاً، أو وقتاً قليلاً، وليبكوا كثيراً عطف ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ جزاء مفعول لأجله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، وبما متعلق بجزاء، أو بمحذوف صفة له، وما مصدرية، أو موصولة، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبرها.

□ البلاغة:

- (١) الطباق بين الضحك والبكاء، وبين قليل وكثير، فهو مقابلة.
- (٢) إخراج الخبر مخرج الإنشاء؛ لأن معناه فسيضحكون قليلاً وسيكون كثيراً، ولكنه أخرج الخبر مخرج الأمر؛ للدلالة على أنه أمر حتمي لا بد منه.

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَائِلِينَ ٨٤ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ٨٥ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ٨٥ ﴾

☆ النسخة:

﴿ رَجَعَكَ ﴾ ردك الله إلى المدينة، ورجع يستعمل لازماً ومتعدياً، فاللازم من باب جلس، والمتعدي من باب قطع. ومعنى الرجوع: تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه يقال رجعته رجعاً، كقولك: رددته رداً.

○ الإعراب:

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ الفاء تفرعية للأمر، وإن شرطية، ورجعك الله فعل ومفعول به وفاعل، والفعل فعل الشرط، وإلى طائفة متعلق برجعك، وهم المنافقون، ومنهم صفة، فاستأذنوك عطف على رجعك، وللخروج متعلق باستأذنوك ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتخرجوا مضارع منصوب بلن، والواو فاعل، ومعني ظرف مكان متعلق

بتخرجوا، وأبدأ ظرف زمان متعلق بتخرجوا أيضاً ﴿وَلَنْ نُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ عطف على لن تخرجوا، وإعرابها مماثل لما تقدم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إن واسمها، وجملة رضىتم خبرها، وبالقعود متعلق برضىتم، وأول مرة ظرف زمان، واستبعد أبو البقاء ذلك، وقال: «ومرة مصدر، كأنه قيل: أول خرجة دعيتم إليها؛ لأنها لم تكن أول خرجة خرجها الرسول للغزاة، فلا بد من تقييدها، إذ الأولية تقتضي السبق، وقيل: التقدير أول خرجة خرجها الرسول لغزوة الروم بنفسه، وقيل: أول مرة قبل الاستئذان» فعلى هذا تعرب أول مرة مصدراً لمحذوف ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الفاء عاطفة، واقعدوا فعل أمر، والواو فاعل، ومع ظرف متعلق باقعدوا، أو بمحذوف حال من فاعل اقعدوا، والخالفين مضاف إليه، وهم المتخلفون؛ فاللام للعهد، وهم: مجموعة الزمنى، والنساء، والأطفال، والمقعدون ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية، وتصل فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله أنت، وعلى أحد متعلق بتصل، ومنهم صفة لأحد، وجملة مات صفة ثانية، وأبدأ ظرف زمان متعلق بتصل ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ عطف على ولا تصل، وعلى قبره متعلقان بتقم ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ إن واسمها، وجملة كفروا خبرها، وبالله متعلق بكفروا، ورسوله عطف عليه، وماتوا عطف على كفروا، والواو حالية، وهم مبتدأ، فاسقون خبر، والجملة نصب على الحال، وجملة إنهم تعليلية لا محل لها ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتعجبك مضارع مجزوم بلا، والكاف مفعول به، وأموالهم فاعل، وأولادهم عطف على أموالهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويريد الله فعل مضارع وفاعل، وأن وما في حيزها مفعول يريد، والجملة تعليلية لا محل لها، وبها متعلق بيعذبهم، وفي الدنيا حال ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكَاذِبُونَ﴾ وتزهق عطف على يعذبهم، وأنفسهم فاعل، والواو للحال، وهم مبتدأ، وكافرون خبر، والجملة حالية.

□ البلاغة:

المخالفة والفرق بين الألفاظ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ الخ، وفي الآية التي سبق ذكرها وهي: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فأما سر التكرار والحكمة فيه فهو أن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيده، كأنما يريد أن يكون المخاطب به على بال، ولا يغفل عنه، ولا ينساه، وأن يعتقد أن العمل به مهم وإن أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه، وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب، واستهواء لها: هو الاشتغال بالأموال والأولاد، وما كان بهذه المثابة من التغرير والإغواء يجب التحذير منه مرة بعد مرة، وأما سر المخالفة، والفرق بين بعض ألفاظ الآيتين، فنبين وجهه فيما يلي:

(١) قال تعالى في الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ بالفاء، وقال هنا: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾ بالواو، والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ وصفهم بكونهم كارهين للإنفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد، فحسن العطف عليه بالفاء تعقياً وترتيباً، وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها؛ فلهذا أتى بالواو.

(٢) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ وأسقط حرف لا في الثانية فقال: ﴿وَأَوْلَادُهُمْ﴾ والسبب أن حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد، فيدل على أنهم كانوا معجبين بكثرة الأموال والأولاد، وإعجابهم بأولادهم أكثر، وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه لا تفاوت بين الأمرين.

(٣) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بحرف اللام، وقال هنا: ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ بحرف أن، والفائدة فيه: التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال، وإنه وإن ورد فيه حرف اللام فمعناه «أن»، كقوله: ﴿وَمَا

أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِنْ مَعْنَاهُ: وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله .

(٤) وقال تعالى في الآية الأولى: ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وقال هنا: «في الدنيا» والفائدة في إسقاط لفظ الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة والمهانة إلى حيث أنها لا تستحق أن تذكر، ولا تسمى حياة، بل يجب الاختصار عند ذكرها على لفظ الدنيا، تنبيهاً على كمال ذمها .

﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِدِينَ ﴾^{٨٦} رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوهُ^{٨٧} لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^{٨٨} أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^{٨٩} ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول، وسورة نائب فاعل، ويجوز أن يراد بالسورة تمامها، وأن يراد بعضها، وأن مفسرة؛ لأن في الإنزال معنى القول دون حروفه، ويجوز أن تكون مصدرية، فتكون مع مدخولها في محل نصب بنزع الخافض، أي: بأن آمنوا، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا، وجاهدوا مع رسوله عطف على آمنوا بالله ﴿ اسْتَأْذَنَكَ ﴾ جملة استأذنتك جواب إذا، والكاف مفعول به، وأولو الطول فاعل، وهم الأغنياء وأصحاب البسطة في الجاه والقوة، ومنهم حال ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِدِينَ ﴾ ذرنا: فعل أمر أمات العرب ماضيه، فلم يأت منه إلا المضارع والأمر، ونا مفعول به، ونحن جواب الطلب، فلذلك جزم، واسم نحن ضمير مستتر تقديره نحن، ومع القاعدين ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر نكن ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ جملة رضوا

استثنائية، مسوقة لبيان سوء صنيعهم، وبأن يكونوا متعلق برضوا، والواو اسم يكونوا، ومع الخوالب خبر ﴿وَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ عطف على رضوا، وعلى قلوبهم متعلق بطبع، فهم الفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يفقهون خبر ﴿لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ لكن تخفة مهملة، والرسول مبتدأ، والذين عطف عليه، وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف متعلق بآمنوا، وجملة جاهدوا بأموالهم وأنفسهم خبر الرسول ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، والخيرات مبتدأ مؤخر، وجملة لهم الخيرات خبر أولئك، وأولئك هم المفلحون عطف على ما تقدم، وقد سبق إعرابها ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ جملة مستأنفة لبيان مآلهم الطيب، وأعد فعل ماض، والله فاعله، ولهم متعلق بأعد، وجنات مفعول به، وجملة تجري صفة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ خالدين حال، وفيها متعلق بخالدين، وذلك مبتدأ، والفوز العظيم خبره.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ٩٢﴾

☆ النِّفْت:

﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ اسم فاعل من عذر في الأمر إذا قصر فيه، وتوانى، ولم يجد، وحقيقته: أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل، ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين.

﴿الْأَعْرَابِ﴾ سكان البادية وهم أخص من العربي، إذ العربي من تكلم باللغة العربية، سواء كان يسكن البادية أو الحاضرة.

○ الإعراب:

﴿وَجَاءَ الْمَعَذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة للشروع في بيان أحوال سكان البادية، وجاء المعذرون فعل وفاعل، ومن الأعراب حال، وليؤذن تعليل مضارع منصوب بأن مضمرة، ولهم متعلق بيؤذن ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عطف على جاء، والذين فاعل، وكذبوا صلة الذين، ولفظ الجلالة مفعول كذبوا، ورسوله عطف عليه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ السين حرف استقبال ويصيب فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره هو، والذين مفعول به، وجملة كفروا صلة، ومنهم حال، وعذاب فاعل يصيب، وأليم صفة ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ ليس فعل ماض ناقص، وعلى الضعفاء خبر ليس المقدم، ولا على المرضى عطف على الضعفاء، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون عطف أيضاً، وخرج اسم ليس ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الظرف متعلق بمعنوي مقتبس من النفي، أي: انتفى عنهم الحرج إذا نصحوا فلا يخرجون حينئذ، وجملة نصحوا في محل جر بإضافة الظرف إليها، ورسوله عطف على الله، وما نافية، وعلى المحسنين خبر مقدم، ومن زائدة، وسبيل مبتدأ مؤخر محلاً، والله مبتدأ، وغفور خبر أول، ورحيم خبر ثان ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وعلى الذين معطوف على قوله على الضعفاء، فهو بمثابة خبر مقدم، والمبتدأ محذوف، أي: حرج، وجملة إذا ما أتوك صلة الذين، وإذا ظرف مستقبل، وما زائدة، وجملة أتوك مضاف إليها الظرف، ولتحملهم علة الإتيان، أي: لتحملهم معك إلى الغزو، وهم كما يروي التاريخ سبعة من الأنصار، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري كما في البخاري ﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ

مَا أَجْمَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿٩٠﴾ جملة قلت حالية من الكاف في أتوك، بتقدير وقد قبلها، أي: إذا ما أتوك قائلاً: لا أجد، وما مفعول أجد، وجملة أحملكم صلة، وعليه متعلق بأحملكم ﴿٩١﴾ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ جملة تولوا جواب إذا، ويجوز أن تكون جملة قلت لا أجد جواب إذا الشرطية، وإذا وجوابها في موضع الصلة، وعلى هذا فيكون قوله تولوا جواباً لسؤال مقدر، كأن قائلاً قال: ما كان حالهم وقت أن أجيبوا بهذا الجواب، فأجيب بقوله تولوا، وأعينهم مبتدأ، والواو للحال، وجملة تفيض خبر، ومن الدمع تمييز، أي: تفيض دمعاً، وهو أبلغ من: يفيض دمعها؛ لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض، وقد تقدم القول في هذه الجملة في المائدة مع بسط لم يسبق إليه، فجدد به عهداً، وحزناً مفعول لأجله، أو حال، وأن لا يجدوا أن وما في حيزها مفعول لأجله، والعامل فيه حزناً، ويجوز أن نعرب حزناً مفعولاً مطلقاً، فيكون العامل في أن لا يجدوا تفيض، وما مفعول يجدوا، وجملة ينفقون صلة.

وقد اعترض أبو البقاء على إعراب الزمخشري من الدمع تمييزاً، فقال: «لا يجوز ذلك؛ لأن التمييز الذي أصله فاعل لا يجوز جره بمن، أيضاً فإنه معرفة، ولا يجوز إلا على رأي الكوفيين؛ الذين يجيزون مجيء التمييز معرفة».

□ البلاغة:

فن التلميح أو التلميح:

في قوله: ﴿٩٠﴾ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٩١﴾ فن من فنون البديع يسمى «التلميح»، وهو: أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو شعر نادر، أو قصة مشهورة، أو ما يجري مجرى المثل، ومنه قول يسار بن عدي حين بلغه قتل أخيه وهو يشرب الخمر:

اليوم خمراً ويبدو في غد خبر والدَّهر من بين إنعام وإيثاس
ويسميه قوم «التمليح» بتقديم الميم، كأن الشاعر أتى في بيته أو الناثر في
فقرته بنكتة حسنة زادت الكلام ملاحظة، كقول ابن المعتز:

أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أنني مقيمٌ وقلبي راحلٌ فيهم أمامَ الجمال
مثل صاعِ العزيز في أرحل القو م ولا يعلمون ما في الرِّحال

وهذا التلميح فيه إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع في
رحل أخيه وإخوته لم يشعروا بذلك، ومن لطائف التلميح قول أبي فراس:
فلا خيرَ في ردِّ الأذى بمذلة كما ردَّه يوماً بسوءته عمرو

وهذا التلميح أو التلميح فيه إشارة إلى قصة عمرو بن العاص مع الإمام
علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في يوم صفين، حين حمل عليه الإمام،
ورأى عمرو أن لا مخلص منه، فلم يسعه غير كشف العورة.

ومن لطائف التلميح قصة الهذلي مع منصور بن العباس، فإنه حُكي أن
المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي، فحجاً معاً، ومراً في المدينة النبوية ببيت
عاتكة، فقال الهذلي: يا أمير المؤمنين! هذا بيت عاتكة التي يقول فيها
الأحوص:

يا بيتَ عاتكة الذي أتعزَّل حَذَرَ العِدا وبه الفؤادُ مُوَكَّل

فأنكر عليه أمير المؤمنين؛ لأنه تكلم من غير أن يسأل، فلما رجع الخليفة
نظر في القصيدة إلى آخرها؛ ليعلم ما أراد الهذلي بإنشاد ذلك البيت من غير
استدعاء، فإذا فيها:

وأراكُ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم مذقُّ اللسان يقولُ ما لا يفعل

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب، فتذكر ما وعده به،
وأنجزه له، واعتذر إليه من النسيان.

ومثله ما حُكي أن أبا العلاء المعري كان يتعصَّب للمتنبّي، فحضر يوماً

مجلس الشريف المرتضى، فجرى ذكر أبي الطيب، فهضم المرتضى من جانبه، فقال له أبو العلاء: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله:

«لك يا منازل في القلوب منازل» لكفاء، فغضب المرتضى، وأمر به، فسُحِبَ، وأُخْرِجَ، وبعد إخراجهِ قال المرتضى: هل تدرون ما عنى بذكر البيت؟ فقالوا: لا، والله! فقال: عنى به قول أبي الطيب في قصيدته:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمَمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

ومن هذا القبيل قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضاً، فإن السري الرفاء كان من مُدَّاح سيف الدولة، وجرى يوماً في مجلسه ذكر أبي الطيب، فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه، فقال له السري: أشتي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لأعارضها له، ويتحقق بذلك أنه أركب المتنبي في غير سرجه، فقال له سيف الدولة على الفور: عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها:

لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ

قال السري: فكتبت القصيدة، واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب، لكن رأيتَه يقول في آخرها عن ممدوحه:

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِخْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ: الْحَقُّ

فقلت: والله! ما أشار سيف الدولة إلا إلى هذا البيت، وأحجمت عن معارضة القصيدة.

والطف من هذا ما حكاه ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء» فإنه من غرائب التلميح قال: قعد رجل على جسر بغداد، فأقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله علي ابن الجهم، فقالت له: رحم الله أبا العلاء المعري، وما وقفا بل سارا مغرباً ومشرقاً، قال الرجل: فتبعت المرأة فقلت لها: والله إن لم تقولي ما أراد باين الجهم فضحتك، قالت: أراد به:

عيونُ المها بين الرّصافةِ والجسرِ
جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أَدري ولا أدري

وأردتُ بأبي العلاء قوله:

فيا دارها بالكرخِ إنّ مَزَارَها قريبٌ ولكن دُونَ ذلك أهوال

* الفوائد:

أورد ابن هشام هذه الآية شاهداً على خروج إذا عن الاستقبال، وذلك على وجهين، أحدهما: أن تحيء للماضي كما جاءت إذ للمستقبل في قول بعضهم، والثاني: أن تحيء للحال، وذلك بعد واو القسم، نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ قيل: لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفاً يفعل القسم لأنه إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأن قسم الله سبحانه قديم، ولا لكون محذوف هو حال من الليل والنجم؛ لأن الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف لأحدهما على أن المراد به الحال اهـ.

والصّحيح أنه لا يصح التعليق بأقسم الإنشائي؛ لأن القديم لا زمان له لا حال ولا غيره، بل هو سابق على الزمان، وأنه لا يمتنع التعليق بكائناً مع بقاء إذا على الاستقبال، بدليل صحة مجيء الحال المقدرة باتفاق، كمررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أي: مقدراً الصيد به غداً، كذا يقدرون، وأوضح منه أن يقال مريداً به الصيد غداً، كما فسر قمتم في: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بأردتم.

وقال القاضي محب الدين «شارح التسهيل»: يمكن أن المراد حكاية حالهم حين ابتدؤوا هم في الفعل، فإذا في محلها، ورده الدماميني بأن الحكاية إنما تحقق الحال، ولا تكون إذا في محلها إلا إذا تحقق الاستقبال، وأجاب الشمني بأن الحالية في مبدأ الفعل تستلزم الاستقبال بالنظر لتمامه، فبهذا الثاني تكون إذا واقعة محلها، ولعلك تقول: كلام القاضي على الابتداء في فعل الإتيان،

ولا شك أن التولي، أو القول العامل في إذا على ما سبق مستقبل إذ ذاك، فتدبر.

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٩٣ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ٩٥

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، قيل: هي للتوكيد والمبالغة فيه، وقيل: هي للحرص، والسبيل مبتدأ، وعلى الذين خبر، وجملة يستأذنونك صلة، وهم: الواو للحال، وهم مبتدأ، وأغنياء خبر، والجملة حالية ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ جملة مستأنفة، أو حالية بتقدير قد، بأن يكونوا متعلقان برضوا، والواو اسم يكونوا، والظرف خبرها ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الجملة معطوفة على ما تقدم، والفاء عاطفة، وهم مبتدأ، وجملة لا يعلمون خبر ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان ما يبررون به موقفهم المتخاذل، روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل، وإليكم جار ومجرور متعلقان بيعتذرون، وإذا ظرف مستقبل متعلق بجوابه المحذوف، أي: يعتذرون، وجملة رجعتم مضاف إليه، وإليهم جار ومجرور متعلقان برجعتم ﴿ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ جملة لا تعتذروا مقول القول، وجملة لن

نؤمن لكم مستأنفة، كأنها تعليل للنهي، ولكم جار ومجرور متعلقان بنؤمن ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ قد حرف تحقيق، ونبأنا نصبت هنا مفعولين، أولهما نا، والثاني الجار والمجرور، أو جملة من أخباركم، فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف، أما المفعول الثالث فقد حذف اختصاراً للعلم به، والتقدير: نبأنا الله من أخباركم كذباً وأراجيف ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ السين حرف استقبال، ويرى فعل مضارع، والله فاعل، والرؤية هنا بمعنى العلم، وعملكم مفعول يرى الأول، والثاني محذوف تقديره: واقعاً، ورسوله عطف على الله ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ثم عطف للترتيب مع التراخي، وتردون فعل مضارع، ونائب فاعل، وإلى عالم الغيب جار ومجرور متعلقان بتردون ﴿فَيَنبِتْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، وينبتكم فعل وفاعل مستتر، والكاف مفعوله الأول، وبما كنتم مفعوله الثاني، وجملة تعملون خبر كنتم، والعائد محذوف، أي: تعملونه، وما هنا موصولة، أو مصدرية ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ﴾ السين للتأكيد مع الاستقبال، ويحلفون فعل مضارع، والواو فاعل، وبالله جار ومجرور متعلقان به، والجملة بدل من يعتذرون، ولكم حال، والمحذوف عليه محذوف اعتماداً على فهم القارئ، أي: إنهم معذرون في تخلفهم، وإذا ظرف متعلق بيحلفون، وإليهم جار ومجرور متعلقان بانقلبتم، ولتعرضوا: اللام للتعليل، وتعرضوا منصوب بأن مضمرة بعدها، والجار والمجرور متعلقان بيحلفون، وقد امتنع نصب المفعول لأجله لاختلاف الفاعل، أي: لتركوا معاتبته، وعندهم جار ومجرور متعلقان بتعرضوا ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ الفاء الفصيحة، وأعرضوا فعل أمر، والواو فاعل، وعندهم جار ومجرور متعلقان بأعرضوا، وإن واسمها وخبرها ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الواو استئنافية، وما واهم مبتدأ، وجهنم خبر، وجزاء مفعول لأجله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يجوزون جزاء، وبما متعلقان بجزاء، وما مصدرية، وكان واسمها، وجملة يكسبون خبرها.

﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ٩٦ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٩٧ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٩٨ ﴿

☆ اللغة:

﴿الْأَعْرَابُ﴾: مر الحديث عنها، ونضيف هنا أن اللام فيها للجنس، أي: جنسهم لا كل واحد منهم؛ لأنه سيستثنى منهم كما سيأتي، وهو اسم جمع جاء على صورة الجمع، وليس جمعاً لعرب؛ لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفردة؛ لأن الأعراب سكان البادية خاصة، والعرب المتكلمون باللغة العربية سواء كانوا من سكان البادية أو الحاضرة وفي المصباح: «وأما الأعراب: فأهل البدو من العرب، الواحد أعرابي بالفتح أيضاً، وهو: الذي يكون صاحب نجعة وارتياح للكلاء، وزاد الأزهري فقال: سواء كان من العرب أو من مواليهم قال: فمن نزل البادية، وجاور البادين، وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء». وقال غيره: عَرَبُ لسانه عرابة، وما سمعت أعرب من كلامه، وهو من العرب العرباء. والعاربة: وهم الصرحاء الخللص، وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم، وفيه لوثة أعرابية، قال:

وَإِنِّي عَلَىٰ مَا فِيَّ مِنْ عُنْجُهِتِي وَلَوْثَةِ أَعْرَابِيَّتِي لِأَدِيبُ

وقال الكمي:

لَا يَتَقَضُّ الْأَمْرُ إِلَّا رِيثَ يُرْمُهُ وَلَا تُعَرَّبُ إِلَّا حَوْلَهُ الْعَرَبُ

أي: لا تعزّ وتتمنع عزة الأعراب في باديتها إلا عنده، وسيأتي مزيد من بحثه.

﴿الدَّوَائِرُ﴾: دوائر الزمان: دوله وعقبه، وهي: جمع دائرة، والدائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة، أخذاً من الدائرة المحيطة بالشيء، وأصله داورة؛ لأنها من دار يدور، فقلبت الواو همزة، وقد اختلف اللغويون فيها، فقال قوم: هي فاعلة كقائمة، وقال قوم: هي مصدر كالعاقبة.

○ الإعراب:

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ يحلفون بدل من سيحلفون، ولكم جار ومجرور متعلقان بيحلفون، أو بمحذوف حال، ولام التعليل متعلقة مع مجرورها بيحلفون، وعنهم متعلقان بترضوا ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، والجواب محذوف، أي: إن ترضوا عنهم فلا ينفعهم رضاكم، فإن الفاء للتعليل، وإن واسمها، وجملة لا يرضى عن القوم الفاسقين خبرها ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ الأعراب مبتدأ، وأشد خبر، وكفراً تمييز، ونفاقاً عطف عليه؛ وذلك لجفائهم، وقسوتهم، وابتعادهم عن معالم الحضارة، وهو من باب وصف الجنس بأحد أفراده أو بعضهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ إذ ليس كلهم كما ذكر، وسيأتي بحث «أل المعرفة» في باب الفوائد مع ذكر أقسامها ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ وأجدر عطف على أشد، وأن وما في حيزها منصوبة بنزع الخافض، أي: بأن لا يعلموا، وهي متعلقة بأجدر، وحدود مفعول يعلموا، وما مضاف إليه، وجملة أنزل الله صلة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مبتدأ وخبراه ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ من الأعراب خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يتخذ صلة، وفاعل يتخذ مستتر تقديره هو، وما مفعول به أول، وجملة ينفق صلة، ومغرمًا مفعول يتخذ الثاني، أي: خسارة؛ لأنه لا يرجو الثواب، بل يخشى العقاب ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بَكُمْ الدَّوَائِرُ﴾ ويتربص، الواو للحال، ويجوز أن تكون

عاطفة، فتكون يتربص داخلة في حكم الصلة، وبكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والدوائر مفعول به ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة دعائية لا محل لها، وعليهم خبر مقدم، ودائرة السوء مبتدأ مؤخر، والله مبتدأ، وسميع خبره الأول، وعليم خبره الثاني.

* الفوائد:

حكم أل:

(أل) كلها حرف تعريف، على الأصح، وهي إما أن تكون لتعريف الجنس وتسمى «الجنسية»، وإما لتعريف حصة معهودة منه، وتسمى «العهدية».

أل العهدية: تكون على ثلاثة أقسام:

أ- إما أن تكون للعهد الذكري وهي: ما سبق لمصحوبها ذكر في الكلام، كقولك: جاءني ضيف فأكرمت الضيف، أي: المذكور، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾.

ب- وإما أن تكون للعهد الحضورى، وهي ما يكون مصحوبها حاضراً، مثل: جئت اليوم، أي: اليوم الحاضر الذي نحن فيه.

ج- وإما أن تكون للعهد الذهني، وهي ما يكون مصحوبها معهوداً ذهنياً، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، مثل: حضر الرجل، أي: الرجل المعهود ذهنياً بينك وبين من تخاطبه.

أل الجنسية، وهي قسمان:

أ- إما أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس، وهي: ما تشمل جميع أفرادها، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.

ب- وإما لاستغراق جميع خصائصه، مثل: أنت الرجل، أي: اجتمع فيك كل صفات الرجال.

تنبيهات هامة:

(١) علامة أل الاستغراقية: أن يصح وقوع «كل» موقعها.

(٢) أل التي لبيان حقيقة الجنس وماهيته وطبيعته، بقطع النظر عما يصدق عليه من أفراده، ولذلك لا يصح حلول «كل» محلها، تسمى: «لام الحقيقة، والماهية، والطبيعة» وذلك مثل: الإنسان حيوان ناطق، أي: حقيقته أنه عاقل مدرك، وليس كل إنسان كذلك، ومثل: الرجل أصبر من المرأة، فليس كل رجل كذلك، وقد يكون بين النساء من تفوق بصبرها وجلدها كثيراً من الرجال، فأل هنا لتعريف الحقيقة، غير منظور بها إلى أفراد الجنس، بل إلى ماهيته من حيث هي، وعلى هذا تحمل أل الداخلة على «الأعراب»، فليسوا جميعاً بهذه المثابة من شدة الكفر، والنفاق، والنبو عن استماع الكلام الطيب.

أل الزائدة:

وقد تزداد أل فلا تفيد التعريف، وزيادتها إما أن تكون لازمة، فلا تفارق مصحوبها، كزيادتها في الأعلام التي قارنت وصفها، كالكالات، والعزى، والسموأل، وكزيادتها في الأسماء الموصولة، كالذي، والتي ونحوهما؛ لأن التعريف الموصول بالصلة لا بأل على الأصح، وإما أن تكون زيادتها غير لازمة، كزيادتها في بعض الأعلام المنقولة عن أصل للمعنى الأصلي كالفضل، والحارث، والنعمان، والوليد، والرشيد ونحوها، وزيادتها سماعية، فلا يقال: المحمد، والمحمود، فما ورد عن العرب من ذلك يُسمع، ولا يقاس عليه غيره.

أل الموصولية:

وقد تكون أل اسم موصول بلفظ واحد مطلقاً، وهي الداخلة على اسم الفاعل والمفعول، بشرط ألا يراد بها العهد أو الجنس، نحو: أكرم المكرم ضيفه، والمكرم ضيفه، أي: الذي يُكرم ضيفه، والذي يُكرم ضيفه، وإذا

كانت الصفة الواقعة صلة لأل الموصولية في قوة الفعل ، ومرفوعه حسن عطف الفعل ومرفوعه عليها ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا ﴾ ١ ﴿ فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ﴾ ٢ ﴿ فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا ﴾ ٣ فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ٤ ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ ٥ وسيأتي بحث ذلك في حينه .

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ١٩ ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ٢٠

○ الإعراب:

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ومن الأعراب خبر مقدم ، ومن مبتدأ مؤخر ، وجملة يؤمن بالله صلة ، واليوم الآخر عطف على الله ﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ ويتخذ عطف على يؤمن ، وفاعله هو ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة ينفق صلة ، وقربات مفعول به ثان ، وعند الله ظرف في محل نصب صفة ، وصلوات الرسول فيها وجهان : أظهرهما : أنها معطوفة على قربات ، والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله ، وصلوات الرسول ؛ لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ، ويستغفر لهم ، وثانيهما : أنها عطف على ما ينفق ، وتقديره : وصلوات الرسول قربات ، وقربات مفعول ثان ليتخذ ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ألا حرف تنبيه ، والجملة مستأنفة ، مؤكدة بآلا ، وإنها لثبات الأمر . وإن واسمها وخبرها ، ولهم صفة لقربة ، وسيدخلهم السين حرف استقبال ، ويدخلهم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ، وفي رحمته جار ومجرور متعلقان بيدخلهم ،

وإن واسمها وخبرها ﴿وَالسَّيْقُوتِ﴾ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ ﴿السَّابِقُونَ مَبْتَدَأُ، وَالْأَوَّلُونَ صِفَةٌ، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: حَالٌ، وَالَّذِينَ: عَطْفٌ عَلَى السَّابِقُونَ، وَاتَّبَعُوهُمْ صِلَةٌ، وَبِإِحْسَانٍ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مَتَعَلِّقَانِ بِمَحذُوفٍ حَالٍ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الْجُمْلَةُ خَبَرُ السَّابِقُونَ، وَهَنَّاكَ وَجْهَانِ فِي الْخَبَرِ ذَكَرَهُمَا أَبُو الْبَقَاءِ، وَتَبِعَهُ أَكْثَرُ الْمَفْسَرِينَ لَا أَعْلَمُ كَيْفَ اسْتَسَاغَهُمَا، الْأَوَّلُ أَنَّ الْخَبَرَ هُوَ الْأَوَّلُونَ، وَهُوَ ظَاهِرُ التَّهَافُتِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهُوَ أَشَدُّ تَهَافُتًا ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ تَقْدَمُ إِعْرَابُ نِظَائِرِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ كَثِيرًا، فَلَا حَاجَةَ لِلْإِعَادَةِ.

﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ١٠١ ﴿وَأَخْرُوجُوا يُذْنِبُوا يَخْلُوعُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يَنْتَوِي عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٠٢ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٠٣ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ١٠٤

☆ النُّصْحَةُ:

﴿مَرَدُّوا﴾: تَمَرَّنَا عَلَيْهِ، وَجَوَّافِيهِ، يُقَالُ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ إِذَا عَتَا وَتَجَبَّرَ، وَمِنْهُ الشَّيْطَانُ: الْمَارِدُ، وَتَمَرَّدَ فِي مَعْصِيَتِهِ، أَيْ: ثَبَتَ عَلَيْهَا، وَاعْتَادَهَا، وَلَمْ يَتَبَّعْنَهَا، وَأَصْلُ مَرَدٍ وَتَمَرَّدٍ: اللَّيْنُ، وَالْمَلَّاسَةُ، وَالتَّجَرُّدُ، فَكَأَنَّهُمْ تَجَرَّدُوا لِلنَّفَاقِ، وَمِنْهُ غَصْنٌ أَمْرَدٌ: لَا وَرَقَ فِيهِ عَلَيْهِ، وَفَرَسٌ أَمْرَدٌ: لَا شَعْرَ فِيهِ، وَغَلَامٌ أَمْرَدٌ: لَا شَعْرَ بِوَجْهِهِ، وَأَرْضٌ مَرْدَاءٌ: لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَصَرَحَ مَرْدٌ: مُجْرَدٌ. فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَى النَّفَاقِ، وَثَبَتُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْتَوُوا عَنْهُ.

﴿سَكَنٌ﴾: السكن: الطمأنينة، فعل بمعنى مفعول، كالقبض بمعنى المقبوض.

○ الإعراب:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان حال منافقي أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، بعد بيان حال أهل البادية، ومن خبر مقدم، وحولكم الظرف صلة الموصول، ومن الأعراب حال، ومنافقون مبتدأ مؤخر ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ ومن أهل المدينة يجوز أن يكون معطوفاً على من المجرورة بمن، فيكون المجروران مشتركين في الإخبار بهما عن المبتدأ، وهو: منافقون، كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم، ومن أهل المدينة، ويجوز أن يكون الكلام تم عند قوله منافقون، ويكون قوله ومن أهل المدينة خبراً مقدماً، والمبتدأ بعده محذوف قامت صفته مقامه، وحذف الموصوف، وإقامة صفته مقامه مطرد نحو: منا ظعن ومنا أقام، نحو قوله:

أنا ابنُ جَلَا وطلَّاعُ الشَّايَا متى أضعِ العِمَامَةَ تعرفوني
والتقدير: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾
سَعْدِيهِمْ مَرَّتَيْنِ ﴿الجملة في محل رفع صفة لمنافقون، أو مستأنفة، ونحن مبتدأ، وجملة نعلمهم خبر، ومفعول نعلمهم الثاني محذوف تقديره: منافقين، وكذلك مفعول تعلمهم الثاني، سنعدبهم السين حرف استقبال، ونعدبهم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومرتين ظرف ﴿ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ الجملة معطوفة، ويردون فعل ونائب فاعل، والجار والمجرور متعلقان بيردون، وعظيم صفة ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وآخرون عطف على منافقون، أو مبتدأ، وجملة اعترفوا بذنوبهم صفته، وجملة خلطوا خبره، وعملاً مفعول خلطوا، وصالحاً صفة، وآخر عطف على عملاً، وسيئاً صفة، وسيأتي في باب: الفوائد كيفية هذا الخلط وما فيه من أسرار ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عسى من أفعال

المقاربة، وتفيد الرجاء والله اسمها، وأن وما في حيزها خبر، وعليهم جار ومجرور متعلقان ببيتوب، وإن واسمها وخبرها ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ خذ فعل أمر، وفاعله أنت، ومن أموالهم جار ومجرور متعلقان بخذ، ويكون معنى «من» التبعض، وصدقة مفعول به، ويجوز أن تتعلق بمحذوف حال؛ لأنها كانت في الأصل صفة لصدقة، فلما قدمت نصبت حالاً منها، وجملة تطهرهم حال من فاعل خذ؛ إذا كانت التاء في تطهرهم خطاباً للنبي ﷺ، أو صفة لصدقة؛ إذا كانت التاء للغيبة، وتزكيهم بها عطف على تطهرهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وصل عطف على خذ، وعليهم متعلقان بصل، وإن واسمها وخبرها، ولهم صفة لسكن، والله مبتدأ، وسميع عليم خبراه. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويعلموا مضارع مجزوم بلم، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلموا، وأن واسمها، وهو مبتدأ، وجملة يقبل خبره، والجملة خبر أن، ولا يجوز أن يكون هو فصلاً؛ لأن ما بعده لا يلتبس بالوصفية، وعن عباده متعلقان بيقبل ﴿وَيَأْخُذْ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ عطف نسق على ما تقدم، ويجوز في «هو» هنا أن يكون ضمير فصل، وأن يكون مبتدأ.

* الفوائد:

(١) حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه:

يجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم، وكان النعت صالحاً لمباشرة العامل، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَكِينَتٍ﴾ أي: دروعاً سابغات، أو كان النعت جملة، أو شبهها، وكان المنعوت مرفوعاً، وبعض اسم متقدم عليه مخفوض بـ «من» أو «في»، فالأول كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، فظعن وأقام جملتان في موضع رفع، وهما نعتان لمنعوتين محذوفين مرفوعين على الابتداء، أي: منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، والثاني كقول أبي الأسود الحماني يصف امرأة: لو قُلْتُ ما في قَوْمِها لم يَشِمَّ يفضُلُها في حَسَبٍ وميسم

أصله: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها لم تأثم في مقالتك، فحذف الموصوف وهو أحد، وأقام جملة يفضلها مقامه.

هذا؛ ويجوز حذف النعت إن علم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة، وقول عباس بن مرداس:

وقد كنتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَأُ فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمنع

فحذف النعت وأبقى المنعوت، أي: شيئاً طائلاً، والذي أحوج إلى تقدير هذا النعت تحري الصدق، فإن الواقع أنه أعطي شيئاً، بدليل قوله: ولم أمنع، ولكنه لم يرتضه فيحتاج إلى تقدير صفة يكتسي بها الكلام جلباب الصدق، ويتحلّى بزنة الحق وقول المرقش الأكبر:

وربَّ أسيلة الخدَّين بكر مهفهفة لها فرعٌ وجيد

أي: فرع فاحم وجيد طويل، بدليل أن حسن التغزل يستدعي إثبات الفرع والجيد موصوفين بصفتين محبوبتين.

بقي أنه يجوز حذف المنعوت والنعت معاً، كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: حياة نافعة، وقد يحذفان إذا قام مقام النعت معموله، كما قالوا في «والله ما هي بنعم الولد» أي: والله! ما هي بولد مقول فيه نعم الولد، «ونعم السير على بئس العير» أي: على عير مقول فيه: بئس العير.

(٢) أيهما المخلوط والمخلوط به؟

في قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ جعل كلا منهما مخلوطاً، فما المخلوط به؟

والجواب أن كل واحد مخلوط ومخلوط به؛ لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء واللبن، تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن؛ لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما، كأنك قلت: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء.

ومن جهة ثانية كان العدول عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل كأنه قيل: عملوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ثم انضاف إلى العمل معنى الخلط، فعبّر عنهما معاً به .

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥ ۝ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَإِلَهِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٠٧ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْجُونَ أَنْ يَطْهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ ١٠٨ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠٩ ۝ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ ۝ ﴾

☆ اللفظة:

﴿ مُرْجَوْ ﴾ : اسم مفعول من أرجيته، أي: أخرته، ويقال: أرجأته بالهمز أيضاً، ومنه المرجئة .

﴿ وَإِرْصَادًا ﴾ : وإعداداً وارتقاباً .

﴿ شَفَا ﴾ : طرف وحرف .

﴿ جُرْفٍ ﴾ : - بضم الراء وسكونها - : جانب البئر التي لم تطو، وقيل: الهوة، وما يجرفه السيل من الأودية . قال أبو عبيدة: وقيل هو المكان الذي يأكله الماء فيجرفه، أي: يذهب به .

﴿هَارٍ﴾: فيه ثلاثة أقوال: أحدهما، وهو المشهور أنه مقلوب بتقديم لامه على عينه، وذلك أن أصله هاور أو هاير، بالواو أو الياء؛ لأنه سمع فيه الحرفان، قالوا: هار يهور ويهار، وهار يهير، وتهور البناء وتهير، فقدمت اللام، وهي الراء، على العين، وهي الواو، أو الياء، فصار كغاز ورام، فأعلّ بالنقص كإعلاهما، فوزنه بعد القلب فاع، ثم نزل به بعد الحذف على فال، والقول الثاني أنه حذفت عينه اعتباطاً، أي: لغير موجب، وعلى هذا فتجري وجوه الإعراب على لامه، فيقال: هذا هارٌ، ورأيت هاراً، ومررت بهارٍ، ووزنه أيضاً فال. والقول الثالث أنه لا قلب فيه ولا حذف، وأن أصله هوراً وهير، فتحرك حرف العلة، وانفتح ما قبله، فقلب ألفاً، فتجري وجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله، كما تقول: هذا بابٌ، ورأيت باباً، ومررت ببابٍ، وهذا أعدل الوجوه لاستراحته من ادعاء القلب والحذف؛ اللذين هما على خلاف الأصل، ولكنه غير مشهور عند أهل التصريف، ومعنى هارٍ: متداعٍ، وساقط، ومنهال.

○ الإعراب:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ جملة اعملوا مقول القول، والفاء الفصيحة، والسين بالنظر للمجازاة لا للعلم، لأن العلم حاصل غير متقيد بزمان، والله فاعل يرى، وعملكم مفعوله، ورسوله والمؤمنون معطوفان على الله ﴿وَسَرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عطف على سيري، وإلى عالم جار ومجرور متعلقان بتردون، والغيب مضاف إليه، والشهادة معطوف على الغيب ﴿فَيَذَرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، وبما متعلقان بينبئكم، وجملة كنتم تعملون صلة ما ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ عطف نسق على ما تقدم، أي: وآخرون اعترفوا، ومرجون صفته، ولأمر الله متعلقان بمرجون، يعني: وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم. ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا تِوبٌ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إما حرف شرط وتفصيل، ويعذبهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة نصب على الحال، أي: هم

مؤخرون إما معذبين وإما متوباً عليهم، وإما هنا للشك بالنسبة للمخاطب، وإما للإيهام بالنسبة لله تعالى، بمعنى أنه تعالى أبهم أمرهم ومصيرهم على المخاطبين، ويجوز أن نعرب آخرون مبتدأ، ومرجون صفته، وجملة إما يعذبهم خبر آخرون، وإما يتوب عليهم عطف، والله مبتدأ، وعليه حليم خبره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لك في الذين وجهان: النصب على الاختصاص بالذم، ومثله قوله تعالى: ﴿وَالْمُصِيبِينَ الْفُلُوحَ﴾ على الاختصاص بالمدح والرفع على الابتداء، والخبر محذوف، معناه: فيمن وصفنا الذين اتخذوا، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ وهذا الوجه ارتضاه سيبويه، وقد تقدم قوله وإفياً فيه، وتقديره: فيما يتلى عليكم الذين، فحذف الخبر، وأبقى المبتدأ. والواو استئنافية على كل حال، وجملة اتخذوا صلة، ومسجداً مفعول به، وضارراً مفعول ثان لاتخذوا، أو مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، أي: يضارون بذلك ضراراً، أو حال، أي: مضارين لإخوانهم، وكل هذه الأوجه متساوية الرجحان، وكفراً وتفريقاً عطف على ضراراً، وبين ظرف متعلق بتفريقاً ﴿وَلِرِصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وإرصاداً عطف أيضاً، ولمن حارب الله متعلقان بإرصاداً، وجملة حارب الله صلة، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بحارب ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ اللام واقعة في جواب قسم مقدر، وإن نافية، وأردنا فعل وفاعل، والجملة جواب القسم، وإلا أداة حصر، والحسنى مفعول أردنا ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، وجملة يشهد خبر، وإن وما في حيزها مفعول يشهد، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وكاذبون خبرها، وستأتي قصة مسجد الضرار في باب: الفوائد ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا ناهية، وتقم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفيه جار ومجرور متعلقان بتقم، وأبدأ ظرف متعلق بتقم أيضاً، أي: لا تصل فيه أبداً ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ، وجملة أسس على التقوى صفة لمسجد، وعلى التقوى جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو بأسس، وأحق خبره، ومن أول يوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو بأسس،

وأن تقوم مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن تقوم فيه، وهو متعلق بأحق وفيه متعلقان بتقوم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فيه خبر مقدم، ورجال مبتدأ مؤخر، وجملة يحبون صفة لرجال، وأن وما في حيزها مفعول يحبون، أي: يحبون الطهارة من الذنوب والحوادث والمعاصي، وقيل: من الذنوب طهارة الباطن، ومن الأحداث طهارة الظاهر، والله مبتدأ، وجملة يحب المطهرين خبر ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أبعد ما علم حالهم أفمن أسس بنيانه على تقوى. . الخ، ومن مبتدأ، وجملة أسس بنيانه صلة، وعلى تقوى جار ومجرور متعلقان بأسس، ومن الله صفة لتقوى، ورضوان عطف على تقوى، وخير خبر لمن ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ أم حرف عطف، ومن معطوفة على من الأولى، وخبرها محذوف تقديره خير، وعلى شفا جرف هار متعلقان بأسس ﴿فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الفاء عاطفة، وانهار عطف على أسس، وفاعله إما ضمير البنيان، وإما ضمير الجرف، وهو أولى؛ لأن انهياره يترتب عليه انهيار الشفا والبنيان جميعاً، ولا يلزم من انهيارهما، أو انهيار أحدهما، انهياره، وبه متعلقان بانهار إذا كانت الباء للتعدي، وبمحذوف حال إن كانت للمصاحبة، وكلاهما جائز، والله مبتدأ، وجملة لا يهدي القوم الظالمين خبر ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بنيانهم اسم لا يزال، والذي: صفة بنيانهم، وجملة بنوا: صلة، وريبة خبر لا يزال، وفي قلوبهم: صفة لريبة ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ استثناء من أعم الأزمنة، فالمستثنى منه على هذا محذوف، أي: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم، وأن مصدرية، وتقطع أصلها تتقطع منصوب بها، وقلوبهم فاعل، والله مبتدأ، وعليم حكيم خبراه.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على فنون من البلاغة، ندرجها فيما يلي:

(١) فن الترديد، وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ ﴿فَيَعْلَمُونَ الْأُولَىٰ مَنِيَّةً، والثانية مثبتة، ولكل من المعنيين مناسبة اقتضت ذلك المعنى، وقوله الذي نحن بصدده: ﴿لَمَّا سَجَدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا﴾ ففيه الأولى متعلقة بتقوم، وفيه الثانية خبر مقدم، ولكل منهما معنى.

ومن أمثلة الترديد في الشعر بيت ورد في أبيات قالها سيف الدولة، وذلك أنه كانت جارية من بنات الروم لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق عليها من الريح الهابة، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها منه، وأزمن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها، وقال في ذلك:

راقتني العيونُ فيكِ فأشفق	تُ ولم أخل قطُّ من إشفاق
ورأيتُ العذولَ يحسدني في	كِ مجدداً يا أنفَسَ الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً	والذي بيننا من الود باق
ربَّ هجرٍ يكون من خوفٍ هجرٍ	وفراقٍ يكون خوفَ فراق

(٢) الاستعارة: في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: على قاعدة راسخة ثابتة وطيدة هي التقوى من الله، فشبه التقوى والرضوان بقاعدة يعتمد عليها البناء، تشبيهاً مضمراً في النفس، وأسس بنيانه تخييل على قاعدة الاستعارة التصريحية.

(٣) الاستعارة التمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار، شبه عدم القيام بأمور الدين بمن بني بنيانه على شفا، فهو يسقط به، فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط، والمشبه: هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق.

* الفوائد :

قصة مسجد الضرار :

روى التاريخ أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدتهم أخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: بنينا مسجداً ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم، وهو الذي سماه رسول الله الفاسق، وقال لرسول الله يوم أحد: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر، وآتٍ بجنود، ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجداً بجانب مسجد قباء، وقالوا للنبي ﷺ: بنينا مسجداً لذوي العلة، والحاجة، والليلة المطيرة، والشاتية، ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة، فقال النبي: «إني على جناح سفر وحال شغل، وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه». فلما قفل من غزوة تبوك، سألوه إتيان المسجد، فنزل عليه، فدعا بمالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً، فقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا، وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام بقتلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩٩﴾ التَّحْيَاتُ

الْمَكِيدُونَ الْخَكِيدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ
الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لترغيب المؤمنين بالجهاد، وذلك ببيان فضيلته، وما يترتب على الاستشهاد في سبيل الله، وإن واسمها، وجملة اشترى خبرها، ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان باشتري، وأنفسهم مفعول به، وأموالهم عطف على أنفسهم ﴿يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ الباء ومدخولها متعلقة باشتري، وسيأتي المزيد من حقيقة هذه الشروى في: البلاغة، ولهم خبر إن المقدم، والجنة اسمها المؤخر ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة مستأنفة، لا لبيان نفس الاشتراء؛ لأن قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء من الله أنفسهم وأموالهم، بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعونها بالجنة، فقيل: يقاتلون، وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيقاتلون ﴿يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ الفاء عاطفة، ويقتلون بالبناء للمعلوم، ويقتلون بالبناء للمجهول معطوفان على يقاتلون، ووعداً وحقاً مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف، أي: وعدهم وعداً، وحق ذلك الوعد حقاً، وفي التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لوعداً، أي: وعداً كائناً ومذكوراً في التوراة، ويجوز أن يعلق باشتروا، والإنجيل والقرآن معطوفان على التوراة. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، أو عاطفة، ومن اسم استفهام مبتدأ، وأوفى خبره، وبعهده ومن الله متعلقان بأوفى ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا ببيعكم﴾ الذي بايعتم به، وذلك هو ألفوز العظمى ﴿الفاء الفصيحة﴾، واستبشروا فعل أمر وفاعل، وبيعكم جار ومجرور متعلقان باستبشروا، والذي صفة، وبايعتم به صلة، وذلك مبتدأ، وهو

ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والفوز خبر ذلك، أو خبر هو، والعظيم صفة ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخبار لمبتدأ محذوف، أي: هم التائبون العابدون... الخ، أي: على المدح، وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف، أي: التائبون العابدون من أهل الجنة أيضاً، وإن لم يجاهدوا، وقيل: هو رفع على البذل من الواو في يقاتلون، وحاصل ما ذكر أوصاف تسعة: الستة الأولى تتعلق بمعاملة الخالق، والسابع والثامن يتعلق بمعاملة المخلوقين، والتاسع يعم القبيلين. وبشر المؤمنين الواو عاطفة، وبشر فعل أمر، وفاعل مستتر، والمؤمنين مفعول به.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على أنواع من البلاغة، نوردها فيما يلي:

(١) الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْكُمُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ فقد استعار الشراء لقبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله، وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة.

(٢) الالتفات بقوله: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ زيادة في سرورهم والفاء الفصيحة لترتيب الأمر به على ما قبله، وجعله بمثابة الشرط له، والسين ليست للطلب، بل للمطاوعة كاستوقد.

(٣) التذييل وهو أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجمله تحقق ما قبلها، وتلك الزيادة على ضربين:

أ- ضرب لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤكد ويحققه.

ب- وضرب يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليشتهر المعنى لكثرة

دورانه على الألسنة، وقد جاء في هذه الآية الكريمة الضربان :

آ - قوله : ﴿ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ فإن الكلام قد تم وكمل قبل ذلك، ثم أتت جملة التذييل لتحقيق ما قبلها وتؤكد.

ب - قوله : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ ﴾ مخرجاً ذلك مخرج المثل، فسبحان المتكلم بمثل هذا الكلام.

* الفوائد :

(١) واو الثمانية : عدّد الله تسعة أوصاف، ولم ينسقها بالواو، حتى إذا كان الثامن أدخل الواو، وذلك لسر في كلامهم، وهو أن للعرب واو أسموها واو الثمانية، وهي تدخل على ما كان ثامناً، كذا قرر بعض العلماء، ورد عليهم آخرون، وأكثروا، وأطالوا، ولما كان الكلام في هذا الصدد لا يخلو من متعة وفائدة، نرى من الأولى تلخيصه بما يلي :

استدلّ المثبتون لهذه الواو بقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ فأتى بالواو هنا، ولم يأت بها في ذكر جهنم ؛ لأن للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية، وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وقد منع بعض المحققين هذا، وقال : إنما تقع بين المتضادين ؛ لأن الثيبات غير الأبقار في قوله تعالى : ﴿ ثَبِتَتْ أَبْكَارًا ﴾ ولأن الأمرين ضد الناهين في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها. قال أبو حيان : والصفات إذا تكررت، وكانت للمدح أو الذم، أو الترحم، جاز فيها الاتباع للمنعوت والقطع في كلّها أو بعضها، وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مباحيناً للنهي، إذ الأمر طلب فعل، والنهي ترك فعل، حسن العطف في قوله : والناهون، ودعوى الزيادة، أو واو الثمانية ضعيف، وقال في قصة أهل الكهف : إنه إنما أتى بالواو مع الثمانية ؛ لأن القول الثالث أقرب إلى الحق، أو هو الحق، لأنه قال في القولين : ﴿ رَحِمًا بِالْعِيبِ ﴾ وفي الثالث قال : ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ وقال في قصة أهل الجنة

وأثبت الواو لأن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها زيادة في الضيق على من بها، وأما أبواب الجنة فتفتح لأهلها قبل دخولهم إليها إكراماً لهم؛ لقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْفُتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله: إن القاضي الفاضل كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية يعني: ﴿تَنَبَّتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ويقول هي واو الثمانية، إلى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقرئ، فبين له أنه وهم، وأن الضرورة تدعو إلى دخولها هنا، وإلا فسد المعنى، بخلاف واو الثمانية، فإنه يؤتى بها لا الحاجة، فقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

نقول: وعمن اعترف بواو الثمانية الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره الكبير» وقال: إن الواو في قوله تعالى: ﴿وَنَامَتْهُمْ كَلْبُهمُ﴾ هي واو الثمانية. وسيأتي مزيد بحث عنها عند الكلام على هذه الآيات في مواضعها.

السائحون:

اختلف العلماء في الصفة الثالثة، وهي السائحون، وأصح الأقوال أنهم الصائمون، شُبِّهُوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم، وقيل: هم طلبة العلم يطلبونه في مظانه، ويضربون في مناكب الأرض لتحصيله، وفي القاموس: والسَّيَّاحَةُ - بالكسر - : الذهاب في الأرض للعبادة، ومنه المسيح بن مريم. والسائح: الصائم، الملازم للسياسة.

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

☆ اللفظة:

(الأواه) فعال من أوه كـ: لآل من اللؤلؤ، وهو: الذي يكثر التأوه، ومعناه أنه لفرط حبه لأبيه، وترحمه، ورقته، وحلمه، كان يتعطف على أبيه الكافر، ويستغفر له مع شكاسته عليه، هذا ما قاله الزمخشري وقد استدرك عليه أبو حيان فقال: «وتشبيه أواه من أوه بـ: لآل من اللؤلؤ ليس بجيد؛ لأن مادة أوه موجودة في صورة أواه، ومادة لؤلؤ مفقودة في لآل؛ لاختلاف التركيب إذ لآل ثلاثي ولؤلؤ رباعي، وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الأصلية». وفي المختار: وقد أوه الرجل تأويهاً، وتأوه تأوهاً: إذا قال أوه. وجميل قول الزجاج، ونقله بنصه: «قال أبو عبيدة: هو المتأوه شفقاً وفرقاً، المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة، وقد انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه، وأصله: من التأوه، وهو أن يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء» وقيل: الكلمة حبشية، ومعناها: الموقن. وقال ابن النقيب في كتابه «خصائص القرآن»: «إن القرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير» وسترده معنا الألفاظ غير العربية، التي فطن الأقدمون لها عند الكلام على لغة القرآن.

○ الإعراب:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وللنبي خبر كان المقدم، والذين عطف على النبي، وجملة آمنوا صلة، وإن وما في حيزها اسم كان المؤخر، ويستغفروا فعل مضارع منصوب بأن، وللمشركين جار ومجرور متعلقان بيستغفروا ﴿ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الواو حالية، ولو وصلية، وكانوا كان واسمها، وأولي خبرها، وقربى مضاف إليه، ومن بعد متعلقان

بما في النفي من معنى الفعل، أي: انتفى الاستغفار من بعد، وما مصدرية، وهي وما في حيزها مضافة لبعد، أي: من بعد تبيان، ولهم جار ومجرور متعلقان بتبين، وأنهم أن وما في حيزها فاعل تبين، وأصحاب الجحيم خبر أن ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما سبق، ودعمه بشواهد وقرائن، ودفع ما يرد من إيهام بحسب ما يبدو في الظاهر بالمخالفة، وكان واسمها، وإبراهيم مضاف إليه، ولأبيه جار ومجرور متعلقان باستغفار، وإلا أداة حصر، وعن موعدة خبر كان، فالاستثناء مفرغ من أعم العلل، أي: لم يكن استغفار إبراهيم لأبيه ناشئاً إلا عن موعدة وعدها إياه، أي: لأجلها ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وله متعلقان بتبين، وأن وما في حيزها فاعل تبين، وجملة تبرأ منه لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وأن واسمها، واللام المزحلقة، وأواه خبر إن الأول، وحليم خبرها الثاني ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام للجحود، ويضل منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، وهي مع مدخولها خبر كان، وقد تقدمت كثيراً وقوماً مفعول به، وبعد ظرف متعلق بيضل، وهو مضاف، والظرف إذ مضاف إليه، وجملة هداهم مضاف إليها الظرف، وقد تقدم القول فيه في آل عمران أن فيه وجهين: أحدهما: أن «إذ» بمعنى «أن»، والثاني: أنها ظرف بمعنى وقت، أي: بعد أن هداهم، أو بعد وقت هدايتهم ﴿حَقَّ يَتَّبِعْ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حتى حرف غاية وجر، ويبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ولهم جار ومجرور متعلقان بيبين، وما مفعول به، وجملة يتقون صلة، وأن واسمها وخبرها، وبكل شيء متعلقان بعليم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ إن واسمها، وله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وجملة يحيي خبر ثان لأن، والخبر الأول جملة له ملك السموات، ويميت عطف على يحيي ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن دون الله جار

ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومن زائدة، وولي مبتدأ مؤخر محلاً، ولا نصير عطف على من ولي.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨﴾

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ سيأتي في باب: الفوائد معنى توبة الله على النبي، والجملة استثنائية، مسوقة لبيان التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إليها، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وتاب الله فعل وفاعل، وعلى النبي جار ومجرور متعلقان بتاب، والمهاجرين والأنصار عطف على النبي، والذين نعت، وجملة اتبعوه صلة الموصول، وفي ساعة العسرة جار ومجرور متعلقان باتبعوه، وسيأتي ذكر ساعة العسرة في باب: الفوائد. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ من بعد متعلقان بمحذوف حال لبيان الشدة وبلوغها الحد الأقصى، واسم كاد ضمير الشأن، وجملة يزيغ خبر، وقلوب فاعل، وفريق مضاف إليه، ومنهم صفة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ثم حرف عطف للتراخي، وتاب عطف على تاب الأولى، وفائدة التكرير التنبيه على أنه تاب عليهم لما كابده في ساعة العسرة، وإنه: إن واسمها، وبهم متعلقان برؤوف، ورؤوف رحيم خبران لأن. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وعلى الثلاثة عطف على ما تقدم، والمراد بهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، والذين صفة، وجملة خلفوا

صلة، وخلفوا بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل، أي: عن الغزو ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ حتى حرف غاية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ضاقت مضاف إليها وعليهم جار ومجرور متعلقان بضاقت، والأرض فاعل، وبما رحبت، أي: برحبها، فالباء حرف جر للمصاحبة، وما مصدرية، ومعنى الباء هنا المصاحبة، وعلامتها أن يصح حلول «مع» محلها، أو أن يغني عنها وعن مصحوبها الحال، وهنا تصح فيها «مع» أي: مع رحبها، أما مثال ما يغني عنها وعن مصحوبها الحال، فقوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: كافرين، وعلى كل هي ومصحوبها في محل نصب على الحال، أي: حالة كونها رحيبة، وضاقت عليهم أنفسهم عطف على ما تقدم، وهو مثل للحريرة في أمرهم، كأنهم لا يجدون مكاناً يقرون فيه ﴿وَضَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ وظنوا عطف على ضاقت، والظن هنا بمعنى اليقين، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، ولا نافية للجنس، وملجأ اسمها، ومن الله خبرها، وإلا أداة حصر، وإليه جار ومجرور متعلقان بملجأ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ثم حرف عطف، وتاب فعل ماض، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتاب، وليتوبوا: اللام قيل هي للتعليل، أي: وفقهم للتوبة ليحصلوا عليها وينشئوها، فحصلت المغايرة، وصح التعليل، وأرى أنه لا مانع من أن تكون لام العاقبة، أو الصيرورة، أي: فكانت عاقبتهم التوبة، وإن واسمها، وهو مبتدأ، أو ضمير فصل، والتواب الرحيم خبران لإن، أو هو.

* الفوائد:

(١) تنطوي هاتان الآيتان على كثير من الفوائد، وقبل الشروع فيها نتحدث عن إشكال ورد فيها وهو جواب إذا، وعطف ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين: أولهما: أن تكون إذا زائدة، فلا تحتاج إلى جواب، ويستقيم المعنى، والثاني: أن تكون ثم زائدة، فتكون جملة تاب

عليهم هي الجواب، ولا يمكن حل الإشكال إلا بافتراض زيادة إحداهما، وممن قال بزيادة «ثم» زكريا في حاشيته على البيضاوي، أو غيره، فاختاروا زيادة إذا.

وهذا ما قاله أبو حيان: «وجاءت هذه الجملة في كنف إذا في غاية الحسن والترتيب، فذكر أولاً: ضيق الأرض عليهم، وهو كناية عن استيحاishهم ونبوة الناس عن كلامهم، وثانياً: وضائق عليهم أنفسهم، وهو كناية عن تواتر الهم والغم على قلوبهم، حتى لم يكن فيها شيء من الانشراح والاتساع، فذكر أولاً ضيق المحل ثم ثانياً ضيق الحال فيه؛ لأنه قد يضيق المحل، وتكون النفس منسرحة: «سم الخياط مع الأحباب ميدان»، ثم ثالثاً: لما يشوا من الخلق عزموا أمورهم بالله، وانقطعوا إليه، وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ وإذا إن كانت شرطية فجوابها محذوف تقديره: تاب عليهم، ويكون قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، ونظير قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية، ودعوى أن ثم زائدة وجواب إذا ما بعد ثم بعيد جداً، وغير ثابت من لسان العرب زيادة ثم، ومن زعم أن إذا بعد حتى قد تجرد من الشرط، وتبقى لمجرد الوقت، فلا تحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها، وهو قوله: «خلفوا» أي: خلفوا إلى هذا الوقت، ثم تاب عليهم ليتوبوا، ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة أخرى ليستقيموا على توبتهم، وينبوا، أو ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة، علماً منهم أن الله تواب على من تاب، ولو عاد في اليوم مئة مرة».

معنى التوبة:

كما اختلف العلماء في معنى توبة الله على النبي، وسنورد أهم الأوجه التي ارتأها أقطاب المفسرين وعلماء اللغة:

أما الزمخشري فنظمها في سلك قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ﴾ وقال: وهو بعث للمؤمنين على

التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي ومن معه من المهاجرين والأنصار، وهذا ما جرينا عليه نحن باعتباره منطقياً ومقيساً.

أما الجلال وشارحو تفسيره فقد ذهبوا إلى معنى الديمومة في التوبة، أي: أدام توبته عليهم، وقال الشارحون في تعليقهم على ما ذهب إليه الجلال: «وهذا جواب عما يقال إن النبي معصوم من الذنب، وإن المهاجرين والأنصار لم يقتربوا ذنباً في هذه القضية، فيين أن المراد بالتوبة في حق الجميع دوامها، لا أصلها» وهذا الرأي بادي الاضطراب.

أما الخازن فقد ارتأى رأياً كدنا، نؤثره حتى على الرأي الأول، وهو قوله: «ومعنى توبته على النبي عدم مؤاخذته بإذنه للمؤمنين في التخلف عنه في غزوة تبوك، وهو كقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ فهو من باب: ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً».

وهناك رأي لا يقل وجاهة عما تقدم عبر عنه أصحاب المعاني بقولهم: وهو كلام للتبرك، فهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي ﷺ، كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾.

ساعة العسرة:

المراد وقتها لا الساعة الفلكية، فالساعة مستعملة في معنى الزمن المطلق، كما استعملت الغداة والعشية واليوم، كقول زفر بن الحارث الكلابي:

وكنّا حسبنا كلّ بيضاء شحمة عشية قارعنا جذامَ وحيرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

فالمراد مطلق الوقت لا العشية على حقيقتها، وكقول حاتم الطائي:

إذا جاء يوماً وارثي يبتغي الغنى
يحدّ جمع كفٍ غير ملأى ولا صفر
يحدّ فرساً مثل العنانِ وصارماً
حُساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر
وأسمَرَ خطيّاً كأنّ كعوبه

نوى القسبِ قد أربى ذراعاً على العشر .

المراد باليوم مطلق الزمان، وهكذا غالب استعمال العرب، ويلاحظ أنه جزم بـ «إذا» تشبيهاً لها بالأدوات التي تجزم فعلين وقد نصّ النحاة على ورودها، كقوله:

استغنٍ ما أغناكَ ربُّكَ بالغنى وإذا تُصِبَكَ خاصةٌ فَتَجَمَّلِ

ولساعة العسرة التي وقعت في غزوة تبوك حوادث نكتفي برواية لعمر بن الخطاب عنها، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، وحتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، وحتى إن الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله. قال: «أحب ذلك؟» فقال الصديق: نعم. فرفع صلى الله عليه وسلم يديه، فلم ترجعاً حتى قالت السماء، فأظلمت، ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الأوعية، ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر» ومعنى قالت السماء: مالت وسقطت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٧ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَلَا
يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾

☆ اللغة:

﴿مَخْصَصَةٌ﴾: جوع، وفي فعله ثلاث لغات فهو خصص بفتح الميم وكسرها وضمها، ومصدره خصص ومخمصة، وهو خييص البطن، وهي خميسة البطن، وهو خصمان، وهي خصانة، وهم خصاص، وهن خائص. ومن المجاز: زمن خييص، أي: ذو جماعة، قال:

كلوا في بعضِ بطنكمُ تعِفُوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصٌ

وكل شيء كرهت الدنو منه فقد تخامصت عنه، قال الشماخ:

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الْوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ

تَخَامَصَ جَانِي الْخَيْلِ فِي الْأَمْعَزِ الْوَجِي

وتخامص الليل: رقت ظلمته عند وقت السحر، قال الفرزدق:

فَمَا زِلْتُ حَتَّى صَعَّدْتَنِي جِبَالُهَا إِلَيْهَا وَلَيْلِي قَدْ تَخَامَصَ آخِرُهُ

﴿يَنَالُونَ﴾: في معاجم اللغة: نال خيراً ينال نيلاً: أصاب، وأصله:

نيل ينيل، من باب: فهم، والأمر منه: نل، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون، فتقول: نلت. وفي المصباح: نال من عدوه، من باب: تعب، نيلاً: بلغ منه مقصوده، ومنه قيل: نال من امرأته ما أرد.

﴿وَادِيًا﴾: الوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسيل، وهو

في الأصل فاعل من ودي: إذا سال، ومنه الودي. وقد شاع استعمال العرب بمعنى الأرض، يقولون: لا تصل في وادي غيرك، وهو المراد هنا. وفي المصباح: «وودي الشيء: إذا سال، ومنه اشتقاق الوادي، وهو: كلّ منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل، والجمع: أودية»، وفي القاموس

وغيره: ودى يدي وذياً ودية القاتل القاتل: أعطى وليه ديته، وودى الأمر: قرّبه، وودى الشيء: سال، ومنه اشتقاق الوادي، لأن الماء يدي فيه، أي: يسيل ويجري، والجمع: أودية وأودية وأوداء وأوداه، فما شاع على السنة الكتاب من جمعه على وديان خطأ ظاهر.

○ الإعراب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تقدم إعرابها كثيراً ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ اتقوا الله فعل وفاعل ومفعول به، وكونوا عطف على اتقوا، والواو اسم كان، ومع الصادقين متعلقان بمحذوف خبر كونوا، قالوا: أتت بمعنى من؛ أي من الصادقين، والذي حملهم على ذلك أنه قرىء شذوذاً «وكونوا من الصادقين» ولا داعي لهذا التكلف؛ لأن بقاء مع على معناها أولى، والمعنى: كونوا مع المهاجرين والأنصار، ووافقوهم، وانتظموا في سلكهم ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولأهل المدينة خبر كان المقدم، ومن عطف على أهل، وحولهم ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، ومن الأعراب حال، وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر، وعن رسول الله متعلقان يتخلفوا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ الواو عاطفة، ويرغبوا يجوز فيه النصب على العطف على أن «لا» نافية، والجزم على أن «لا» ناهية، وبأنفسهم متعلقان يرغبوا، والباء للتعدية فقوله: رغبت عنه معناه: أعرضت عنه، والمعنى: ولا يجعلوا أنفسهم راغبة عن نفسه، وعن نفسه حال، أي: عليهم أن يصحبوه على كل حال، وفي البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأحوال، ويحتملوا المشاق والمكاره، وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، فكأنه لم يصن نفسه، ولم يربأ بها عندما ناهز الشدائد، وكابد الأحوال، فما أجدرهم بالخذو حذوه، واقتفاء آثار خطاه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذلك مبتدأ، وبأنهم خبر، ولا يصيبهم ظمأ فعل مضارع مرفوع ومفعول به وفاعل، ولا نصب ولا مخمصة عطف على

ظماً، وفي سبيل الله حال من الهاء، أو صفة لمخمصة ﴿وَلَا يَطْغَوْا مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ ولا يطؤون عطف على لا يصيبهم، وموطئاً إما اسم مكان فيعرب مفعولاً به، أي: يدوسون مكاناً، وإما ظرف فيعرب مفعولاً مطلقاً، وجملة يغيب الكفار صفة لموطئاً ﴿وَلَا يَنَالُوكَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾ عطف على ما تقدم، ومن عدو جار ومجرور متعلقان بينالون ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلا أداة حصر، وجملة كتب في موضع نصب على الحال، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، وكتب فعل ماض مبني للمجهول، ولهم جار ومجرور متعلقان بكتب وكذلك به، وعمل نائب فاعل، وصالح نعت، وإن واسمها، وجملة لا يضيع أجر المحسنين خبر إن ﴿وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ عطف على لا ينالون، ونفقة مفعول به، أي: ولو ترة فما فوق ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ عطف على ما تقدم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمُ﴾ الجملة استثنائية من أعم الأحوال كما تقدم، ونائب الفاعل محذوف؛ لأنه سبق ذكره، أي: عمل صالح ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ اللام للتعليل، ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والهاء مفعول به أول، والله فاعل، وأحسن مفعول به ثان، أو مفعول مطلق بمعنى، أي: يجزيهم أحسن جزاء، وما موصول مضاف لأحسن، وكان واسمها، وجملة يعلمون خبرها.

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِنلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَءَاعِلْمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

☆ اللفظة:

﴿يُلُونَكُمْ﴾ يقربون منكم، وفي المصباح: «الْوَلِيُّ مثل فلس: القُرب، وفي الفعل لغتان أكثرهما وليه يليه بكسرتين، والثانية من باب: وعد، وهي قليلة الاستعمال، وجلست مما يليه، أي: يقاربه» وكأن الآية جاءت على اللغة الثانية، وأصله يليون بوزن يعدون، فنقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء لالتقاءها ساكنة مع الواو.

○ الإعراب:

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ الواو عاطفة ليتناسق الكلام، فإنهم لما وبخوا بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ...﴾ الخ وأرسل النبي سرية نفروا جميعاً فتزل ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الخ. ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، والمؤمنون اسمها، ولينفروا اللام للجحد، أي: لتأكيد النفي، وينفروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحد، واللام ومدخولها خبر كان، وكافة حال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ الفاء الفصيحة، ولولا حرف تحضيض، أي: هلاً، ونفر فعل ماض، ومن كل فرقة جار ومجرور متعلقان بنفر، ومنهم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لطائفة، وليتفقها اللام للتعليل، ويتفقها منصوب بأن مضمرة، وفي الدين جار ومجرور متعلقان بيتفقها، فالمعنى على الطلب، كأنه قال: لتخرج طائفة وتبقى أخرى ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ولينذروا عطف على ليتفقها، والواو فاعل، وقومهم مفعول به، وإذا رجعوا: جملة رجعوا مضاف إليها، وإليهم جار ومجرور متعلقان برجعوا، ولعل واسمها، وجملة يحذرون خبرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قاتلوا فعل أمر وفاعل، والذين مفعول به،

وجملة يلونكم صفة، ومن الكفار حال ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ الواو عاطفة، واللام لام الأمر، ويجدوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والواو فاعل، وفيكم جار ومجرور متعلقان بيجدوا، وغلظة مفعول به، واعلموا عطف على الأمر السابق، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا، وأن واسمها، ومع المتقين ظرف متعلق بمحذوف خبرها ﴿وَإِذَا مَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وما زائدة، وجملة أنزلت مضاف إليها، وسورة نائب فاعل ﴿فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ الفاء رابطة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وهي اسم موصول، أو نكرة تامة موصوفة بجملة يقول، أي: فريق يقول، ولعلها أولى، وجملة يقول صلة، وأيكم مبتدأ، وجملة زادته خبر، والهاء مفعول به، وهذه فاعل، وإيماناً مفعول به ثان ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الفاء تفرعية، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين مبتدأ، وجملة آمنوا صلة، والفاء رابطة، وزادتهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة في محل رفع خبر الذين، وإيماناً مفعول به ثان، أو تمييز ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ وأما عطف على أما الأولى، والذين مبتدأ، وفي قلوبهم خبر مقدم، ومرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة، فرادتهم الفاء رابطة، وجملة زادتهم خبر الذين، ورجساً مفعول به ثان، وإلى رجسهم صفة، أي: مضموماً إلى رجسهم ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كَاْفِرُونَ﴾ عطف على زادتهم، والواو للحال، وجملة كافرون من المبتدأ، والخبر حالية ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو عاطفة على مقدر، ويرون فعل مضارع وفاعل، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي فعل الرؤية القلبي، وجملة يفتنون خبر إن، وفي كل عام متعلقان بيفتنون، ومرة ظرف متعلق بيفتنون، وأو حرف عطف، ومرتين عطف على مرة ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، وجملة لا يتوبون عطف على يفتنون،

والواو حرف عطف، وهم مبتدأ، وجملة يذكرون خبر.

* الفوائد:

(١) وجوب القتال:

قال المفسرون وعلماء الفقه: يتعين القتال على أحد فريقين: إما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه، ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا، وإذا أوجب الله على هذه الأمة القتال وإزعاج العدو في دياره وإخراجه من أرضه وقراه فوجوبه - وقد نزل العدو بدار الإسلام، واحتمل أماكنهم المقدسة، وانتهك حرمتها، وعاث فيها فساداً - أجدر.

(٢) مصدر الحركات الثلاث:

الغلظة: أصلها في الأجرام، ثم استعيرت للشدة والصبر والجلادة في القتال، ومن عجيب هذا المصدر أنه قرئ بالحركات الثلاث، فهو الغلظة بالكسر وهي لغة أسد، والغلظة بالفتح وهي لغة أهل الحجاز، والغلظة بالضم وهي لغة تميم، ويقال غلظ يغلظ، من بابي: تعب وظرف، والمصدر غلظ بكسر الغين، وغلظة وغلظة وغلظة بالحركات الثلاث كما تقدم، وغلظة بالكسر، خلاف دق، أورق، أولان.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۚ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ﴾

☆ اللغة:

﴿عَزِيزٌ﴾: شديد.

(العت): المشقة واللقاء المكروه.

○ الإعراب:

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ عطف على ما تقدم، وجملة نظر بعضهم جواب إذا لا محل لها، وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بنظر، أي: تغامزوا بالعيون من غيظهم ﴿ هَلْ يَرَيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ الجملة في محل نصب مقول قول محذوف، أي: قائلين، وجملة القول نصب على الحال، ويراكم فعل مضارع ومفعول به، ومن زائدة، وأحد فاعل محلاً ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا ﴾ صرفك الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴿ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا ﴾ ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم، وجملة صرف الله قلوبهم يصح أن تكون إخبارية حالية، ويصح أن تكون إنشائية دعائية، فتكون لا محل لها؛ وبأنهم متعلقان بصرف، والباء للسببية، وأن واسمها، وجملة لا يفقهون خبرها ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءكم رسول فعل ومفعول به وفاعل، ومن أنفسكم صفة، أي: من جنسكم، ومن نسبكم، عربي مثلكم. ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ عزيز صفة ثانية لرسول، وفي النحاة من يمنع تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، ويمكن أن يجاب بأن «من أنفسكم» جار ومجرور متعلقان بجاءكم، وعليه متعلقان بعزير، وما مصدرية، أو موصولة، وعلى كلا التقديرين فهي ومدخولها، أي: هي وصلتها فاعل عزيز؛ الذي هو صفة مشبهة، ويجوز أن يكون عزيز خبراً مقدماً، وما عنتم في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لرسول، وحريص صفة ثالثة، أو ثانية، وعليكم جار ومجرور متعلقان بحريص، وبالمؤمنين متعلقان برؤوف، ورؤوف رحيم صفتان رابعة وخامسة، أو ثالثة ورابعة لرسول. ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ الفاء عاطفة، وتولوا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وحسبي الله خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ تقدم إعرابها مستوفى

فجدّد به عهداً، والجملة حالية ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
 عليه جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وهو مبتدأ، ورب العرش خبر، والعظيم
 صفة للعرش .



سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝٤﴾

☆ **اللمعة:**

﴿الر﴾ تقدم القول فيها مفصلاً فجدد به عهداً.

(الآية): العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة.

﴿الْحَكِيم﴾: - ها هنا - بمعنى المحكم، فعيل بمعنى مفعول، قال

الأعشى:

وغريبة تأتي الملوك حَكِيمَةً قد قَلَّتْهَا لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَهَا؟
وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم، ودليله قوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وسيأتي القول في باب: الفوائد عن الحكمة وشيوعها في
القرآن.

﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾: القَدَم - بفتحيتين -: الشيء الذي تقدمه أمامك ليكون لك
عدة حتى تقدم عليه، وقال أبو عبيدة والكسائي: كل سابق خير أو شر فهو
عند العرب قدم، وهو مؤنث، يقال: قدم حسنة، قال حسان بن ثابت:
لَنَا الْقَدَمُ الْعُلْيَا إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لَأَوَّلْنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعُ
وقال ذو الرمة:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يَنْكَرُ النَّاسُ أَنَّهَا مَعَ الْحَسْبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ
وسيأتي في باب: البلاغة المزيد من بحثها.

(القِسْط) العدل، وهي بكسر القاف، ومنه القسط، أي: النصيب،
والقَسْط بفتح القاف: الجور، وبفتح السين: اعوجاج في الرجلين.

(الحميم): الماء الذي أسخن بالنار أشد إسخان، قال المرقش الأصغر:
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ

○ الإعراب:

﴿الرَّتِّلْكَ أَيْتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ الرتقدم إعرابها في سورة البقرة، فجذد به
عهداً، وتلك مبتدأ، وآيات الكتاب خبر، والحكيم صفة للكتاب ﴿أَكَانَ
لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري المشوب
بالتعجب، وكان فعل ماض ناقص، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف
حال؛ لأنه تقدم على الصفة، وعجباً خبر كان مقدم، وأن أوحينا مصدر في
محل رفع اسم كان، وإلى رجل جار ومجرور متعلقان بأوحينا، ومنهم صفة
لرجل ﴿أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ﴾ أن مفسرة، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول
دون حروفه، أو مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة أنذر الناس

مقول قول محذوف هو في محل رفع خبر إن على معنى : أن الشأن قولنا أنذر الناس ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وبشر معطوف على أنذر، والذين مفعول به، وجملة آمنوا صلة، وأن حرف مشبه بالفعل، وهي وما في حيزها نصب بنزع الخافض، أي: بأن، ولهم خبرها المقدم، وقدم صدق اسمها المؤخر، وعند ربهم الظرف متعلق بمحذوف صفة لقدم صدق ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الجملة مستأنفة، كأنه قيل: ماذا صنعوا بعد التعجب، وقال الكافرون فعل وفاعل، وإن واسمها وخبرها، واللام المرحقة، ومبين صفة لساحر، والجملة مقول القول ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إن واسمها وخبرها، والذي صفة لله، وجملة خلق السموات والأرض صلة، وفي ستة أيام متعلقان بخلق ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، واستوى عطف على خلق، وعلى العرش جار ومجرور متعلقان باستوى، وجملة يدبر الأمر خبر ثان لأن، ويجوز أن تكون حالية، ويجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ما نافية حجازية، ومن زائدة، وشفيع مجرور لفظاً اسم ما محلاً، وإلا أداة حصر، ومن بعد إذنه متعلقان بمحذوف خبر ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ذلكم مبتدأ، والله بدل، وربكم خبر ذلكم، والفاء الفصيحة، واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به، والهمزة للاستفهام الإنكاري، المراد به: الحث على التفكير والتذكر، والفاء عاطفة على محذوف، ولا نافية، وتذكرون فعل مضارع أصله تتذكرون ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ إليه خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر، وجميعاً نصب على الحال ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ وعد الله منصوب على المصدر؛ لأن قوله إليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع، وحققاً منصوب على المصدرية، والتقدير: حق ذلك حقاً ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إن واسمها، وجملة يبدأ خبرها، والخلق مفعول به، ثم يعيده عطف على يبدأ الخلق، والجملة مستأنفة، مسوقة لتعليل وجود الخلق، ومرجعهم إليه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ اللام للتعليل، ويجزي مضارع منصوب بأن مضمرة، والذين مفعول يجزي،

وجملة آمنوا صلة، وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، وبالقسط جار ومجرور متعلقان بيجزي، أي: بسبب قسطهم وعدلهم، ويجوز أن يكون حالاً، إما من الفاعل، وإما من المفعول، أي: يجزيهم متلبساً بالقسط، أي: عادلاً، أو متلبسين به ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ والذين مبتدأ، وجملة كفروا صلة، ولهم خبر مقدم، وشراب مبتدأ مؤخر، ومن حميم صفة لشراب، وعذاب عطف على شراب، وجملة لهم شراب خبر الذين، وأليم صفة لعذاب، وبما الباء حرف جر سببية، وما مصدرية، وكانوا كان واسمها، وجملة يكفرون خبرها، أي: بسبب كفرهم، والجار والمجرور صفة ثانية لعذاب، ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي: ذلك بسبب كفرهم.

□ البلاغة:

(١) المجاز المرسل في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ فقد أطلق لفظ القدم على السعي والسبق؛ لأنهما لا يحصلان إلا بالقدم، فسُمي المسبب باسم السبب، كما سُميت النعمة يداً؛ لأنها تعطى باليد، فالعلاقة هنا السببية، وقد تقدم بحثه، ونزيد هنا أن المجاز لا يكون مطرداً، فلا يصح أن يقال قدم سوء، وهذه خاصة عجيبة من خصائص المجاز، يكاد الحكم فيها مرده إلى الذوق.

(٢) المناسبة اللفظية بين حميم وأليم والمناسبة ضربان: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ، وقد مرَّ ذكر المناسبة المعنوية في الأنعام، أما هنا فالمناسبة لفظية، وهي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة، فهو تام وناقص، وقد وقعت الناقصة في الكلام الفصيح أكثر؛ لأنَّ التقفية غير لازمة فيها.

* الفوائد:

(١) الحكمة في القرآن:

شاعت لفظة الحكمة في القرآن ووصف القرآن بالحكيم، وقد مرّ معنا الكثير من ذلك، وسيمرّ أكثر منه، وسنجد لفظ الكتاب مقترناً بلفظ الحكمة معطوفة عليه. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ويرى الأستاذ مصطفى عبد الرازقي في أبحاثه عن الفلسفة الإسلامية: «إن من الممكن أن تكون كلمة «حكمة» في اللغة العربية مرادفة لكلمة «فلسفة» اليونانية، وتتبع هذه الكلمة يهديننا إلى أصل التفكير الممتاز عند العرب، وقد وجدت الكلمة في الجاهلية، والشواهد عليها كثيرة جداً، ومعنى الحكمة في القرآن، في أكثر الأحيان، سنة النبي، ولا خلاف في تقرير هذا المعنى، وقال اللغويون: الحكمة والحكم من مادة واحدة، ويرى بعض المستشرقين أن الكلمة عبرية، ومعناها في هذا اللسان: القضاء، أي: الحكم أيضاً، والحكمة في معناها العام تدل على السداد وإتقان الرأي والفعل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وهذا القول من الوجهة إلى حد كبير وقد سبق الإمام الشافعي إلى تقرير شيء من ذلك، فقال: «إن المقصود بالحكمة سنة النبي ﷺ».

(٢) إضافة الموصوف إلى الصفة، وبالعكس: الأصل أن لا يضاف موصوف إلى صفته كرجل فاضل، ولا تضاف صفة لموصوفها كفاضل رجل، وما ورد من ذلك يؤول، كقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ صِدْقٌ﴾ ومسجد الجامع، وصلاة الأولى، وحب الحصيد، وحب الحمقاء، وتأويله أن يقدر موصوف أضيف إليه المضاف المذكور، والتقدير في هذه الأمثلة: قدم سعي صدق، ومسجد المكان الجامع، وصلاة الساعة الأولى، وحب البقلة الحمقاء، وإنما وصفوها بالحمق؛ لأنها تنبت في مجاري السيول، فيمر السيل بها فيقطعها فتطوؤها الأقدام، ومن أمثلة إضافة الصفة إلى موصوفها قولهم: جَرَّدَ قَطِيفَةً، بفتح الجيم وسكون الراء، وفتح القاف وكسر الطاء، وسَخَقَ عِمَامَةً بفتح السين وسكون الحاء وكسر العين، وتأويله أن يقدر موصوف أيضاً، ويقدر إضافة الصفة إلى جنسها، ويجر جنسها بمن، لأن الإضافة بمعنى من أي شيء

جرد من نفس القطيفة، وشيء سحق من جنس العمامة فشيء موصوف
وجرداً، وسحق صفته، والصفة فيهما مضافة إلى جنسها معنى.

(٣) ابن هشام وتعليق «للناس»: وأجاز ابن هشام أن يتعلق قوله «للناس»
بكان في بحثه المتعلق بالتعليق بالفعل الناقص، قال:

«هل يتعلقان بالفعل الناقص؟ من زعم أنه لا يدل على الحدث منع من
ذلك، وهم: المبرد، الفارسي، فابن جني، فالجرجاني، فابن برهان، ثم
الشلوبين، والصحيح أنها كلها دالة عليه إلا ليس» أي: ف«كان» تدل على
حدث، وهو كون مطلق والمقيد له خبرها، فمعنى كان زيد: حصل زيد،
وقولك قائماً أفاد أن المراد حصول قيام زيد، وتدل أيضاً على زمن خاص،
وهو الزمن الماضي، وأما خبرها، وهو قائم، فيدل على زمن مطلق فيقيد،
ويعين بالزمن في كان، أو يكون فتحصل أن «كان» تدل على حدث مطلق يقيد
بالخبر، والخبر يدل على زمن مطلق يقيد بالزمن المستفاد من كان، فتعاضداً،
وأما بقية الأفعال كـ «صار» الدالة على الانتقال، و«أصبح» الدالة على الدخول
في الصباح . . . الخ، فدلالتهما على حدث لا يدل عليه الخبر في غاية الظهور،
وقد استدل على بطلان القول بأنها لا تدل على الحدث بأمور منها: أن الأصل
في الفعل الدلالة على الحدث والزمان؛ إذ الدال على الحدث وحده مصدر،
وعلى الزمان وحده اسم زمان، ولا يخرج الفعل عن أصله إلا بدليل، ومنها:
أن الأفعال المتساوية في الزمان إنما تمتاز بالأحداث، فإذا زال مابه الافتراق،
وبقي ما به التساوي فلا فرق بين كان زيد غنياً، وصار زيد غنياً، والفرق
حاصل فبطل ما يوجب خلافه، ومنها: أنه لو كان معناها الزمن لجاز أن
ينعقد جملة تامة من بعضها، ومن اسم معنى كما ينعقد منه، ومن اسم زمان.

ثم قال ابن هشام:

«واستدل لمثبتي ذلك التعلق بقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾
فإن اللام لا تتعلق بعجباً لأنه مصدر مؤخر، ولا بأوحينا لفساد المعنى، ولأنه

صلة لأن، ويجوز أيضاً أن تكون متعلقة بمحذوف هو حال من عجباً، على حد قوله :

لَيْتَ مُوحِشاً طَلُلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلُلُ

وعبارة ابن يعيش : «فقوله للناس متعلق بكان، وذلك أنه لا يخلو إما أن يكون متعلقاً بعجباً، أو بأوحينا، أو بكان، فلا يجوز أن يتعلق بعجباً نفسها؛ لأنه مصدر ومعموله من صلتته، فلا يتقدم عليه، ولا يكون صفة لعجباً على أنه يتعلق بمحذوف لتقدمه عليه، والصفة لا تتقدم على الموصوف، ولا يجوز أن يتعلق بأوحينا؛ لأنه في صلتته، ولا يجوز تقديمه عليه، وإذا بطل تعلقه بما ذكرنا تعين أن يكون متعلقاً بكان نفسها تعلق الظرف بالفعل».

ولا أدري كيف منع ابن يعيش تقديم الصفة على الموصوف، وقد أجمع النحاة على أنها إذا تقدمت عليه أعربت حالاً، وأنشدوا البيت الآنف الذكر.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٠ إِنَّ فِي آخِذِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ٥١﴾

☆ الضياء:

(الضياء): يجوز أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط، وحوض وحياض، ويجوز أن يكون مصدر ضاء يضيء ضياء وضوءاً، مثل عاذ يعوذ عياداً وعوداً، وعلى أي الوجهين، فالمضاف محذوف، وتقديره: جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور، ويكون جعل الضياء، والنور لكثرة ذلك فيهما، وقد تقدم في سورة البقرة الفرق الدقيق بين الضوء والنور فارجع إليه.

○ الإعراب:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ هو مبتدأ، والذي خبره، وجملة جعل صلة، وإن كان الجعل بمعنى التصوير كانت الشمس مفعولاً أولاً، وضياء مفعولاً ثانياً، وإن كان الجعل بمعنى الخلق كانت الشمس مفعولاً به، وضياء حال، والقمر نوراً عطفاً عليهما ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدْدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وقدره فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ومنازل، أي: في منازل فهو منصوب على الظرفية، ويجوز أن يكون التقدير ذا منازل، وقدر على هذا متعدية إلى مفعولين؛ لأن معناه جعل، وصير فيكون مفعولاً ثانياً، ويجوز أن يكون قدر متعدياً إلى واحد بمعنى خلق، وهو الهاء، ومنازل حال، أي: متنقلاً، وارتأى أبو البقاء وجهاً طريفاً لا يخلو من وجاهة، وهو أن يكون الضمير منصوباً بنزع الخافض، فحذف حرف الجر، أي: قدر له منازل، ومنازل مفعول به، واللام للتعليل، وتعلموا منصوب بأن مضمرة، وعدد مفعول به، والسنين مضاف إليه، والحساب معطوف على عدد، سئل أبو عمرو عن الحساب أنصبه أم نجره؟ فقال: ومن يدري عدد الحساب، ومعنى جوابه: أنه سئل هل نعطفه على عدد فننصبه أم على السنين فنجره؟ فكأنه قال: لا يمكن جره إذ يقتضي ذلك أن يعلم عدد الحساب، ولا يقدر أحد أن يعلم عدده ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما نافية، وخلق الله ذلك فعل وفاعل ومفعول به، وإلا أداة حصر، وبالحق حال، فالاستثناء المفرغ من أعم الأحوال، أي: ما خلق ذلك إلا متلبساً بالحق والحكمة البالغة، ولم يخلقه عبثاً، وجملة يفصل الآيات حال أيضاً، والآيات مفعول به، ولقوم متعلقان بيفصل، وجملة يعلمون صفة لقوم ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ الجملة مستأنفة لتعليل تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما بالزيادة والتقصان، وإن حرف مشبه بالفعل، وفي اختلاف خبر مقدم لأن، وما اسم موصول معطوف على اختلاف، ويجوز أن تكون مصدرية، والمصدر معطوفاً على اختلاف، وفي

السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بخلق، ولآيات اللام المرحلة، وآيات اسم إن المؤخر، ولقوم متعلقان بصفة آيات، وجملة يتقون صفة لقوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيِنِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مَأْوٍهُمْ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

☆ اللفظة:

(الرجاء): له معنيان صالحان في هذه الآية، فالأول: الخوف، ومنه قول الشاعر:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ ثُوبٍ عَوَاسِلِ

والثاني: الطمع، ومنه قول الشاعر:

أَتَرْجُو بَنُو مِرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمِي تَمِيمَ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

فالمعنى على الأول: لا يخافون عقاباً، وعلى الثاني: لا يطمعون في ثواب.

وقيل: المراد بالرجاء هنا التوقع، فيدخل تحته الخوف والطمع.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ إن واسمها، وجملة لا يرجون صلة، ولقاءنا مفعول به ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ عطف على لا يرجون لقاءنا، فهو داخل في حكم الصلة، ويحتمل أن تكون الواو للحال، وقد مقدرة، وكذلك يقال في واطمأنوا بها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيِنِنَا غَافِلُونَ﴾ والذين عطف على الذين المتقدمة، فيكون قسماً مابيناً للذين لا يرجون، وقد

أخبر عن الصنفين فيما يأتي، وهم مبتدأ، وعن آياتنا جار ومجرور متعلقان بغافلون، وغافلون خبر هم، والجملة صلة الموصول ﴿أُولَئِكَ مَأْوُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أولئك مبتدأ، ومأواهم مبتدأ ثان، والنار خبر الثاني، والثاني وخبره خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر إن، وبما كانوا يكسبون تقدم في إعراب بما كانوا يكفرون. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة، وعملوا عطف على آمنوا، والصلوات مفعول، وجملة يهديهم ربهم خبر إن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ الجملة خبر ثان لأن، أو حال من مفعول يهديهم، أو مستأنفة، وفي جنات النعيم خبر ثالث، أو حال ثانية، أو متعلقان بتجري ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ دعواهم مبتدأ، وفيها جار ومجرور متعلقان بدعواهم، أو بمحذوف حال، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف، والجملة المؤلفة منه خبر دعواهم، والمعنى: أن دعاءهم هو هذا اللفظ فالخبر هو نفس المبتدأ، واللهم منادى مفرد علم، والميم المشددة عوض عن حرف النداء، وتحييتهم مبتدأ، وفيها متعلقان بتحييتهم، أو بمحذوف حال، وسلام خبر تحيتهم، والمصدر يعني التحية مضاف لمفعوله، والفاعل مستتر، أي: تحية الله لهم، أو تحية الملائكة إياهم، أو مضاف لفاعله، أي: ويحيي بعضهم بعضاً ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو عاطفة، وآخر مبتدأ، ودعواهم مضاف إليه، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والحمد مبتدأ، والله خبر، ورب العالمين صفة، أو بدل من الله وجملة الحمد لله خبر إن.

﴿وَلَوْ يُعِزُّ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْبَجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن

لَوْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّ مَسَّةٍ كَذَلِكَ زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتصوير حالة الناس، وتحسيد ما انطوى عليه كيانه من مطاوعة لنوازع النفس التي تغضب وتبهرم بسواها، فتبدر منها في حالات الأزمات النفسية أدعية يتمنون فيها الموت لأولادهم وذويهم، ولكن الله يتجاوز عن الاستجابة؛ لأنه لو استجاب لكل ما يصدر عنهم لفرغ من هلاكهم، ولو حرف شرط للامتناع، ويعجل فعل مضارع، والله فاعل، وللناس جار ومجرور متعلقان بيعجل، والشر مفعول به، واستعجالهم مفعول مطلق، وبالخير متعلقان بالمصدر الذي هو استعجالهم، واللام واقعة في جواب لو، وقضي فعل ماض بالبناء للمجهول، وإليهم متعلقان بقضي، وأجلهم نائب فاعل، والمعنى لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة، وسيرد في باب: البلاغة المزيد من النكت الرائعة في هذا التعبير الرشيق، وهذا هو المشهور في الإعراب، على أن سيبويه أعرب استعجالهم حالاً، وأن التقدير عنده استعجلاً مثل استعجالهم، ثم حذف الموصوف، وهو استعجال، وأقيمت صفته مقامه، وهي مثل فبقي، ولو يعجل مثل استعجالهم، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب حالاً من ذلك المصدر المقدر، والأول أسهل كما سيأتي، ويجوز أيضاً أن يعرب منصوباً بنزع الخافض على إسقاط كاف التشبيه، والتقدير، كاستعجالهم ﴿ فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الفاء عاطفة، ونذر عطف على مفهوم النفي؛ لأن لو يعجل متضمن معنى النفي للتعجيل، كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والذين مفعول به وجملة لا يرجون لقاءنا صلة، وفي طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون، وجملة يعمهون حال، أي: مترددين في عماهم، متخبطين في دجنات آثامهم ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

الضَّرُّ ﴿الواو للاستئناف، والجملة استئنافية، مسوقة لتقرير ضعف الإنسان ونهاية عجزه، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة مس مضاف إليها، والإنسان مفعول به، والضَّرُّ فاعل ﴿دَعَانَا لِجَنُوبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ جملة دعانا لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، ولجنبه في محل نصب حال من فاعل دعانا بدليل ما عطف عليه من الحالين الآتين، أو حرف عطف، وقاعدًا معطوف على محل لجنبه، وكذلك أو قائمًا، ومعنى هذه الأحوال: أن المضرور لا يزال لاهجًا بالدعاء لا يفتر عنها في مطلق الأحوال كلها، سواء أكان منبطحاً عاجزاً عن النهوض، أو كان قاعدًا متخاذلاً لا يقدر على القيام، أو كان قائمًا لا يطيق المشي ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ صُرِّ مَسَّهُ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وكشفنا فعل وفاعل، وعنه متعلقان بكشفنا، وجملة مر لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يدعنا خبرها، وإلى ضر جار ومجرور متعلقان بيدعنا، وجملة مسه صفة لضر ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كذلك مفعول مطلق، أي: مثل ذلك التزيين، وزين بالبناء للمجهول، وللمسرفين جار ومجرور متعلقان بزین، وما موصول نائب فاعل، وجملة كانوا صلة، والواو اسم كان، وجملة يعملون خبر كان.

□ البلاغة:

(١) التنكيت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴿فقد كان سياق الكلام يقضي أن يأتي بالمصدر المناسب لفعله، وهو: التعجيل، ولكنه عدل إلى الاستعجال، وهو مصدر لاستعجل؛ لنكتة تدق على الأفهام، وتكاد تذهل عنها الخواطر، إذ لا يكاد وضع المصدر مؤكداً ومقارناً لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من نكتة، وقصارى ما يقوله النحاة في ذلك: أنه أجرى المصدر على الفعل مقدراً عدم الزيادة، وإذا تسوّر القارئ الفطن بفكر مراقبي البيان، علم أن وراء الجنوح إلى هذا المصدر بدلاً عن المصدر الملائم للفعل سراً، إذ وضع الاستعجال

موضع التعجيل إيذاناً وإشعاراً بسرعة إجابته لهم، وإسعافه بطلبتهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ في التنبيه على حتمية نفوذ القدرة في المقدور، وسرعة إمضاء الحكم، وسيأتي في حينه.

(٢) التقسيم، أو صحة الأقسام، وهو: عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو أخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً، وقوله: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعًا أَوْ قَابًا﴾ استوفى جميع الهيئات التي يكون عليها الإنسان، وقد تردد التقسيم في آل عمران، فارجع إليه.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِفَرِّغَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ١٧﴾

☆ اللفظة:

﴿الْقُرُونَ﴾: جمع قرن - بفتح القاف - وهو: أهل كل عصر، سموا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض. ومنه قرن الكبش لمقارنته آخر بإزائه. والقرن - بكسر القاف - هو: المقام لقربه في الشدة ويؤخذ من المعاجم أيضاً أن القرن - بفتح القاف - هو مئة سنة، وأمة بعد أمة، والوقت المطلق من الزمان،

والقرون الخالية الأمة المتقدمة على التي بعدها.

﴿خَلِّيفَ﴾: جمع خليفة، وهو: من يخلف غيره، ويقوم مقامه، والإمام الذي ليس فوقه إمام، وهو مذكر، فيقال: هذا خليفة آخر، وربما أنث مراعاة للفظ، فيقال: خليفة أخرى، ويجمع على خلفاء وخلائف، والعدد مع الجمع الأول مذكر، فيقال: ثلاثة خلفاء، ومع الثاني يجوز أن يكون مذكراً ومؤنثاً، فيقال: ثلاثة وثلاث خلائف.

(القرآن): هناك خمسة أقوال في لفظ القرآن، نلخصها بما يلي:

(١) ما ذهب إليه الشافعي من أنه ليس مهموزاً ولا مشتقاً، بل وضع علماً على الكلام المنزل.

(٢) ما نقل عن الأشعري وغيره من أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء: إذا ضمته إليه، ثم جعل علماً على اللفظ المنزل، وسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض.

(٣) ذهب الفراء إلى أنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، وجعل علماً على اللفظ المنزل لذلك، وهو على هذين غير مهموز أيضاً، كالذي قبلهما، ونونه أصلية.

(٤) قال الزجاج: هو وصف على وزن فعلان، وهو مهموز، مشتق من القرء، بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض: إذا جمعته، وسمي الكلام المنزل على النبي المرسل به قرآناً؛ لأنه جمع السور، أو جمع ثمرات الكتب السابقة.

(٥) ما ذهب إليه اللحياني وجماعة من أنه مصدر مهموز، بوزن الغفران، سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.

وينقل السيوطي في «الإتقان» عن الجاحظ: أن الله سمي كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم، سمي جملة قرآناً، كما سمي العرب جملة كلامهم

ديواناً، وسمى بعضه سورة كقصيدة، وسمى بعض السورة آية كالبيت، وسمى آخر السورة الفاصلة كالقافية.

أما «دائرة المعارف الإسلامية» فتبدأ بحثها في مادة قرآن بذكر اختلاف المسلمين في نطق واشتقاق ومعنى كلمة قرآن، فبعضهم يقول القرآن بغير همز، ويذهب إلى أنها كلمة وضعت، كما وضعت كلمة تورا وإنجيل، وهو كما ترى قول الشافعي، ثم تمضي الدائرة في ذكر بقية الأقوال الخمسة الآتية الذكر، وتضيف إليها قولاً سادساً، وهو: ما ذهب إليه شفالي، وولها وزن، من أن الكلمة عبرية أو سريانية، ومعناها: ما يقرأ، وتجنح «دائرة المعارف» مع هذين العالمين، إلى رأيهما الذي يقول بأن قرأ بمعنى تلا ليست كلمة عربية النسب، ولكنها دخيلة على اللغة.

هذا؛ وسيرد المزيد من هذا البحث الطريف في مواقع أخرى، يتبين فيها أرجح الأقوال.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الواو استئنافية، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وأهلكنا القرون فعل وفاعل ومفعول، ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بأهلكنا، ولا يجوز أن يكون حالاً من القرون؛ لأنه ظرف زمان، فلا يقع حالاً عن الجثة، كما لا يقع خبراً لها، وقد تقدم بحثه ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ لما حينية، متعلقة بأهلكنا، أو رابطة، وظلموا فعل وفاعل، وجاءتهم: الواو واو الحال بإضمار قد، وقد تقدم بحث واو الحال، وقيل: الواو للعطف على ظلموا، ولعل الأول أولى، وجاءتهم رسلهم فعل ومفعول به وفاعل، وبالبيّنات متعلق بجاءتهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ عطف على ظلموا، واللام في ليؤمنوا للجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة، وهي مع مدخولها خبر كانوا، وكذلك في محل نصب صفة لمصدر محذوف، ونجزي القوم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والمجرمين صفة للقوم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ

بَعْدِهِمْ ﴿ ثم حرف عطف ، وجعلناكم عطف على أهلكنا ، وخلائف مفعول به ثان ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخلائف ، ومن بعدهم متعلقان بجعلناكم ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ اللام للتعليل ، وننظر منصوب بأن مضمرة بعدها ، وكيف اسم استفهام في محل نصب مفعول به لتعملون ، أي : لننظر أي عمل تعملونه ، لا لننظر ؛ لأن لها الصدارة فلا يعمل فيها ما قبلها ، ولا يبعد أن تكون في محل نصب على الحال ، أي : على أي حالة تعملون الأعمال اللاتقة بالاستخلاف . ﴿ وَإِذَا قُتِلَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ الواو عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة تتلى مضاف إليها ، وتتلى فعل مضارع بالبناء للمجهول ، وعليهم متعلقان بتتلى ، وآياتنا نائب فاعل ، وبيانات حال .

﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِشَرٍّ آذٍ أََوْ هَذَا ءَوْ بَدِّلْهُ ﴾ الجملة لا محل لها ؛ لأنها جواب إذا ، والذين فاعل ، وجملة لا يرجون صلة ، ولقاءنا مفعول يرجون ، وجملة انت مقول القول ، وبقران متعلقان بآنت ، وغير صفة لقرآن ، وهذا مضاف لغير ، وأو حرف عطف ، وبدله عطف على آنت . ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُمْ مِنْ تِلْقَائِي أَنفُسِي ﴾ ما نافية ، ويكون فعل مضارع ناقص ولي خبرها المقدم ، وأن وما في حيزها اسمها المؤخر ، ويجوز أن تكون تامة ، والمصدر فاعل ، من تلقاء نفسي متعلقان بأبدله ، ونفسي مضافة لتلقاء ، وقد تقدم القول في التلقاء ﴿ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ إن نافية ، وأتبع فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره : أنا ، وإلا أداة حصر ، وما مفعول به ، وجملة يوحى إلي صلة ﴿ إِنْ أَحَافَ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إن واسمها ، وجملة أخاف خبرها ، وإن شرطية ، وعصيت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل ، وربى مفعول به ، وعذاب مفعول به لأخاف ، ويوم مضاف إليه ، وعظيم صفة ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ لو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، وجملة ما تلوته عليكم جواب لو ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بتلوته ، ولا الواو عاطفة ، ولا نافية ، وأدراكم

فعل ماض، وفاعله مستتر، والكاف مفعول به، وبه متعلقان بأدراكم ﴿فَكَذَّبْتَ﴾
 لَيْسَتْ فِيكُمْ عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿الفاء تعليلية، وقد حرف
 تحقيق، ولبثت فعل وفاعل، وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال،
 وعمراً ظرف زمان متعلق بلبثت، ومن قبله متعلقان بلبثت، أفلا: الهمزة
 للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على مقدر، ولا نافية، وتعقلون معطوف
 على المقدر ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الفاء
 عاطفة، ومن اسم استفهام للنفي مبتدأ، وأظلم خبره، ومن متعلقان بأظلم،
 وجملة افتري صلة الموصول، وعلى الله متعلقان بافتري، وكذباً مفعول به، وأو
 حرف عطف، وكذب عطف على افتري، وبآياته متعلقان بكذب، والمعنى:
 لا أحد أظلم ممن افتري على الله الكذب، وزيادة كذباً مع أن الافتراء لا يكون
 إلا كذباً؛ لبيان أن هذا مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه، فربما يكون
 الافتراء كذباً في الإسناد فقط، كما إذا أسند ذنب زيد إلى عمرو. ﴿إِنَّهُمْ لَا
 يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الجملة تعليل؛ لكونه لا أظلم ممن افتري على الله كذباً،
 أو كذب بآياته، وإن واسمها، وجملة لا يفلح خبرها، والمجرمون فاعل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً
 فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ
 فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ الواو استئنافية،
 والجملة مستأنفة لحكاية جنابة أخرى من جناباتهم، ويعبدون فعل مضارع

مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومن دون الله متعلقان بمحذوف حال من فاعل يعبدون، أي: متجاوزين الله، لا بمعنى ترك الله بالكلية، بل بمعنى عدم الاكتفاء بها، وضم عبادة الأوثان إليها للشفاعة والتقرب، وما موصول مفعول به، وهي راجعة إلى الأصنام، ولكنه راعى لفظها فأفرد في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وراعى معناها في قوله ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ فجمع، وجملة لا يضرهم صلة الموصول، ولا ينفعهم عطف، وقيل ما موصوفة ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، ويقولون معطوف على يعبدون، وهؤلاء مبتدأ، وشفعاؤنا خبر، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ قل فعل أمر، وجملة أتنبهون مقول القول، والمقصود بالأمر: التبكيت، والهمزة للاستفهام الإنكاري كأنه يؤنبهم، وينكر عليهم أن يخبره بما لا يعلم لها وجوداً في السموات والأرض، وهو الشفيع، ولو أنه كان ثمة شفيع لعلمه، وربما الباء حرف جر، وما موصولة، أو نكرة موصوفة، وعلى كلا التقديرين العائد محذوف، أي: يعلمه، والجار والمجرور متعلقان بتنبهون، وفي السموات حال من العائد المحذوف في يعلم، وجملة «لا يعلم» صلة ما ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سبحانه تقدم أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى فعل ماض، وعمّا يشركون متعلقان بتعالى، وما موصولة، أو مصدرية ﴿وَمَا كَانَ الْكَاسِ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان أن الفطرة والتشريع تتطلب وحدة البشر، ولكنهم نزوعاً منهم إلى أهواء النفس ومتطلباتها اختلفوا وقد أفاض المفسرون في كيفية ذلك والرجوع إليه في المطولات. وما نافية، وكان الناس كان واسمها، وإلا أداة حصر، وأمة خبر كان، وواحدة صفة، فاختلفوا عطف على المعنى، أي: كان الناس جميعاً على الحق فاختلفوا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الواو عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود، وكلمة مبتدأ محذوف الخبر، وجملة سبقت صفة لكلمة، ومن ربك متعلقان بسبقت، ولقضى اللام جواب لولا، وجملة قضى لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونائب

الفاعل مستتر تقديره الأمر، وبينهم متعلقان بقضي، أي: لفصل بينهم، ولميز المحق من المبطل، ولكن كلمته سبقت بالتأخير لتكون هذه الدار دار تكليف، وتلك دار ثواب أو عقاب، وفيما متعلقان بقضي أيضاً، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون صلة الموصول ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الواو عاطفة، ويقولون فعل مضارع وفاعل، ولولا حرف تحضيض، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه متعلقان بأنزل، وآية نائب فاعل، ومن ربه صفة لآية، وأتى بالمضارع لاستحضار صورة ما قالوه ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ الفاء واقعة في جواب لولا، وإنما كافة ومكفوفة، والغيب مبتدأ، والله خبر، فانتظروا: الفاء الفصيحة، وانتظروا فعل أمر وفاعل، وإني: إن واسمها، ومن المنتظرين خبرها، ومعكم ظرف متعلق بالمنتظرين.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْغَرَابِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرْجٌ طَبَقَتْ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَيْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّاهُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

☆ اللغة:

﴿الْفُلِكِ﴾: السفن، وسميت فلکاً لدورانها في الماء، وأصله الدور، ومنه فلكة المغزل، وتفلك ثدي الجارية: إذا استدار، والفلك يكون جمعاً وواحداً، وهو هنا جمع.

﴿رِيحٌ﴾: في المصباح: الريح: الهواء المسخر بين السماء والأرض، وأصلها الواو، لكن قلبت لانكسار ما قبلها، والجمع أرواح ورياح، وبعضهم يقول أرياح بالياء على لفظ الواحد، وغلظه أبو حاتم. والريح مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الريح، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الريح، نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها وكذلك سائر أسمائها، إلا الإعصار فهو مذكر، وراح اليوم يروح روحاً من باب: قال، وفي لغة من باب: خاف، إذا اشتدت ريجه، فهو رائح.

﴿عاصِفٌ﴾: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، قال:

حتى إذا عصفت رِيحٌ مزعزعة فيها قطارٌ ورعدٌ صوته زجل

ويقال: أعصفت الريح، فهي معصفة ومعصف، والجمع معاصف ومعاصيف.

○ الإعراب:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ الواو استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجملة أذقنا في محل جر بالإضافة إليها، وجوابها في إذا الثانية الفجائية، وإنما جعلت جواباً لكونها بمعنى المفاجأة، كأنه قال: وإذا رحنهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكروه منهم، وسارعوا إليه، وقد يقدم القول في إذا الفجائية، وهل هي حرف أم ظرف زمان، أم ظرف مكان، ورحمة مفعول به ثان، ومن بعد صفة لرحمة، وضراء مضافة لـ: رحمة وجملة مستهم صفة لضراء، وإذا الفجائية، ولهم خبر مقدم، ومكر مبتدأ مؤخر، وفي آياتنا صفة لمكر ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ الله مبتدأ، وأسرع خبر، ومكراً تمييز ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يكتبون خبرها، وما موصول مفعول به، وجملة تمكرون صلة، والجملة تعليلية لسرعة مكره تعالى وتعجيله العقوبة ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لبيان جريمة أخرى من

جرائمهم، قائمة على اختلاف ما يعترهم من تقلب بالنسبة لما يصيبهم من سراء وضراء، وهو مبتدأ، والذي خبره، وجملة يسيركم صلة، والكاف مفعول به، وفي البر والبحر جار ومجرور متعلقان بيسيركم ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرْنَ بِيَمٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ حتى حرف غاية وجر، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة كنتم مضافة إليها، والتاء اسم كان، وفي الفلك خبرها، وجرين عطف على كنتم على طريق الالتفات، كما سيأتي في باب: البلاغة، والنون للنسوة فاعل جرين، وبهم جار ومجرور متعلقان بجرين، وبريح طيبة حال، أي: مسوقين، وطيبة صفة، وفرحوا بها عطف على وجرين، ويجوز أن تكون جملة حالية من الضمير بهم، وقد مضمرة ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ جملة جاءتها لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وريح فاعل جاءتها، وعاصف صفة، وجاءهم الموج عطف على جاءتها، ومن كل مكان متعلقان بجاءهم، أو بمحذوف حال من الموج، أي: منحدرًا ﴿وظَنُّوا أَنَّهُمُ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ عطف على جاءهم، وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظنوا، وجملة أحيط بهم خبر أنهم، ويلاحظ القارئ أنه جعل الشرط أموراً ثلاثة، وهي الكون في الفلك، والجري بهم بريح طيبة، والفرح بها، وجعل الجواب أموراً ثلاثة أيضاً، وهي: مجيء الريح العاصف، ومجيء الموج، وظنهم الإحاطة بهم. ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ جملة دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال، لما بينهما من الملازمة والتلازم، ذلك لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك، فهو ملتبس به، أو استئنافية مبنية على سؤال يخطر للذهن، وهو: فماذا صنعوا؟ فقل: دعوا الله، ودعوا الله فعل وفاعل ومفعول ومخلصين حال وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين، والدين مفعول به ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وأنجيتنا فعل وفاعل ومفعول به، وهي فعل الشرط، ومن هذه متعلقان بأنجيتنا، والإشارة للأهوال، وما وقعوا فيه من مشاركة الهلاك في البحر، ولنكونن جوابه وجواب الشرط محذوف لتقدم القسم، والقسم وجوابه في محل نصب بقول مقدر، وذلك القول المقدر في محل نصب حال،

والتقدير : دعوا الله قائلين لئن أنجيتنا من هذه الأهوال لنكونن من الشاكرين ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الفاء عاطفة ، ولما حينية ، أو رابطة ، وأنجاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وإذا فجائية ، وهم مبتدأ ، وجملة يبغون خبرهم ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيبغون ، وبغير الحق حال ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ إنما كافة ومكفوفة ، وبغيركم مبتدأ ، وعلى أنفسكم خبر ﴿ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ قرأ حفص وابن إسحاق والمفضل بنصب متاع على المفعولية المطلقة بفعل محذوف ، أي : تتمتعون متاع الحياة الدنيا ، أو على أنه مفعول به لفعل محذوف ، أي : تبتغون متاع الحياة الدنيا ، وقرأ الباقون بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو متاع الحياة الدنيا ، وقيل غير ذلك ، والأرجح ما ذكرناه ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ ، وإلينا خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، فننبئكم : الفاء عاطفة وننبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، وبما كنتم تعملون متعلقان بننبئكم ، وجملة كنتم صلة ما ، وجملة تعملون خبر كنتم .

□ البلاغة :

في هذه الآيات ضروب متعددة من البلاغة ، تقدم ذكر بعضها ، واحتاج بعضها الآخر إلى مزيد من البسط ، ومن أهم فنونها :

(١) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ثم العودة إلى الغيبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ إلى آخر الآية ، وقد تقدم القول في الالتفات ، ونوضحه هنا فنقول : لما كان قوله هو الذي يسيركم خطاباً ينطوي على الامتنان ، وإظهار نعمة المخاطبين ، ولما كان المسير في البر والبحر مؤمنين وكفاراً ، والخطاب شامل لهم جميعاً حسن خطابهم بذلك ؛ ليستديم الصالح الشكر ، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة ، فيتهياً قلبه لتذكر وشكر مُسديها ، ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة ؛ لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم ،

وهو البغي بغير الحق، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، والتقبيح لما اقترفوه، ففي الالتفات فائدتان، وهما: المبالغة، والمقت والتباعد، قال الرازي: «الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام الغيبة في هذا المقام دليل المقت والتباعد، كما أن عكس ذلك في قوله: إياك نعبد، دليل الرضا والتقريب».

(٢) المجاز المرسل: في قوله: ﴿بَغْيُكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ لأن البغي لا يقع على الأنفس، وإنما هو الوبال، ولما كان البغي هو سببه، ذكره على طريق المجاز المرسل والعلاقة السببية.

(٣) المشاكلة: أفرد لفظ الريح للمشاكلة لوجهين؛ لأنه في مقابلة قوله سبحانه: جاءتهم ريح عاصف، ولأن الرحمة تقتضي هنا وحدة الريح، فإن السفينة إنما تسير بريح واحدة، ولو اختلفت عليها الرياح هلكت، ولذا أكد بوصف الطيبة.

وفي تسمية عقوبة الله سبحانه مكرراً فن المشاكلة، وقد تقدم بحثها.

(٤) الإشارة: وفي قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ فن الإشارة؛ لأن أفعال التفضيل دلّ على أن مكرهم كان سريعاً، ولكن مكر الله أسرع منه، وإذا الفجائية يستفاد منها السرعة، والمعنى أنهم فاجئوا المكر، أي: أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة.

* الفوائد:

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ . . .﴾ فائدة منقطعة النظر، ترتبت عليها أحكام فقهية، نشير إليها، وهي ما ذكره الزمخشري في «كشافه» قال: «فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر، والتسيير في البحر إنما هو بعد الكون في الفلك؟ قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير، ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها، كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة،

وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف، وتراكم الأمواج، وظن الهلاك والدعاء بالإنجاء» إلى آخر هذا الفصل . وقد سبق مثل هذه الآية، وفاتنا أن نشير إلى هذا السر في حينه، وهي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ فقد استدل الزمخشري بها لأبي حنيفة في أن الصغير يتلى قبل البلوغ بأن يسلم إليه قدر من المال يمتحن فيه، خلافاً لمالك فإنه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ، أما الشافعي فله قولان: أحدهما يوافق أبا حنيفة، والآخر يوافق مالكا، وللأئمة في هذا الصدد مناقشات تخرج عن صدد الكتاب، وإنما أشرنا إلى مكان الفائدة البيانية والنحوية، والرجوع لمعرفة الأحكام الفقهية، إلى المظان.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَلَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ﴾

☆ اللفظة:

(الزخرف): - بالضم -، الذهب، وكمال حسن الشيء، ومن القول: حسنه، ومن الأرض: ألوان نباتها.

﴿وَأَزَّيَّنَتْ﴾: أصله: تزينت، فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي، فاجتلبت لها همزة الوصل.

﴿تَغْنَبْ﴾: مضارع غني بالمكان: أقام به، والمغاني: المنازل، قال

النابغة:

غَنَيْتَ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِيرَةٌ مِنْهَا يَعْطِفُ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدٍ

وفي القاموس ما يقتضي أن غني يأتي بمعنى كان ووجد، كقوله: غنيت دارنا بتهامة، أي: كانت بها.

○ الإعراب:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال الدنيا وسرعة تقضيها، وأنها بعد أن تستهوي الأعين برونقها تحمل أهلها على أن يسفك بعضهم دم بعض، ويمتشقوا الحسام فيما بينهم لتعكير صفو السلم الذي يجب أن يسود بينهم، وضرب لذلك مثلاً من التشبيه المركب. وإنما كافة ومكفوفة، ومثل مبتدأ، والحياة مضاف إليه، والدنيا صفة، كماء: الجار والمجرور خبر مثل، أو هي اسم فهي الخبر، وجملة أنزلناه صفة لماء، ومن السماء متعلقان بأنزلناه ﴿ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾ الفاء عاطفة، واختلط عطف على أنزلناه، وبه متعلقان باختلط، ونبات الأرض فاعل اختلط، ومما يأكل الناس الجار والمجرور حال من نبات الأرض، وجملة يأكل الناس صلة، والأنعام عطف على الناس ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ حتى حرف غاية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب، وهو أتاها، وجملة أخذت مضافة إليها، والأرض فاعل، وزخرفها مفعول به، وازينت عطف على أخذت ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰهَا ﴾ وظن عطف أيضاً، وأهلها فاعل ظن، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي ظن، وقادرون خبر أن، وعليها جار ومجرور متعلقان بقادرون ﴿ أَتَنَهَا آمُرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ أتاها جواب إذا، والهاء مفعول به، وأمرنا فاعل، وليلاً ظرف متعلق بأتاها، وأو حرف عطف، ونهاراً معطوف على ليللاً ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ﴾ الفاء عاطفة، وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به أول، وحصيداً مفعول به ثان، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم تغن خبرها، وبالأمس جار ومجرور متعلقان بتغن، وأراد بالأمس مطلق الزمان الماضي، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك، ولذلك أعربه، وأدخل عليه «أل» ولو قال أمس للزم البناء على الكسر

والتجرد من أل ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ كذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق، ونفصل الآيات فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجار والمجرور متعلقان بنفصل، وجملة يتفكرون صفة لقوم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ والله مبتدأ، وجملة يدعو خبر، وإلى دار السلام متعلقان بدعو، وسيأتي الفرق بين الدعاء والأمر في باب: الفوائد. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويهدي عطف على يدعو، ومن مفعول به، وجملة يشاء صلة، وإلى صراط متعلقان يهدي، ومستقيم صفة.

□ البلاغة:

(١) في هذه الآية تشبيه تمثيلي ومركب، وهو هنا يحتمل شيئين:

أ- أنه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع، ثم الانقطاع.

ب- أنه شبهها بالنبات في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما التف، وتكاثر، وزين الأرض بخضرتة ورفيفه.

(٢) وفي قوله ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ استعارة مكنية حيث جعلت الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النبات، كالعروس التي أخذت من أنواع الزينة والثياب فترينت بها.

* الفوائد:

الفرق بين الدعاء والأمر أن الأول طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه وهو لا يكون إلا من الأدنى إلى الأعلى، أما الأمر فهو ترغيب في الفعل وزجر عن تركه، وهو يقتضي أن المأمور دون الأمر في الرتبة.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنْ أَلِيلٍ مُّظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

☆ اللفظة:

﴿يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ﴾ أي: يغشاها، والرهق: الغشيان، يقال: رهقه يرهقه، من باب: طرب، أي: غشيه بسرعة، ومنه: ﴿وَلَا تُرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ و﴿فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ يقال: رهقته وأرهقته، مثل ردفته وأردفته، ففعل وأفعل بمعنى، ومنه أرهقت الصلاة إذا أخرتها حتى غشي وقت الأخرى، أي: دخل، وقال بعضهم: الرهق: المقاربة، ومنه غلام مراهق، أي: قارب الحلم، وقال آخرون: الرهق: لحاق الأمر، ومنه: راهق الغلام إذا لحق بالرجال، ورهقه في الحرب: أدركه، وقال الأزهري: الرهق: اسم من الإرهاق، وهو: أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه، ومنه: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ وللراء مع الهاء خاصة غريبة، فهما لا تفيدان معنى واحداً، وإنما تفيدان إحداث التأثير، وقد أحصيناها فلم تحتل هذه القاعدة المطردة، فـ: رهياً الحمل: جعل أحد العدلين أثقل من الآخر، وترهيات السحابة: تمخضت بالمطر، ورهبته: خفت منه، وفي قلبي منه رهبة، وهو رجل مرهوب، عدوه منه مرعوب، قالت ليلي:

وقد كان مرهوبَ السنانِ ويبيِّن الـ

لسانٍ ومجذامِ السُّرى غيرَ فاتِرٍ

وهو راهب بين الرهبانية، وهؤلاء رهبان ورهبة ورهابين ورهابة، قال رجل من الصُّباب:

قد أدبرَ اللَّيْلُ وقَضَى أَرَبَهُ وارْتَفَعَتْ في فَلَكيْها الكَوْكَبَةُ
كَأَنَّها مُصْبِحُ دَيْرِ الرَّهْبَةِ

ورماه فأصاب رُهابته، وهي عظيم في الصدر مطلق على البطن كأنه طرف

لسان الكلب . ومن المجاز : أَرَهَبَ الْإِبِلَ عَنْ الْحَوْضِ : ذَاذَهَا ، وَأَرَهَبَ عَنْهُ
النَّاسَ بِأَسْهٍ وَنَجَدْتَهُ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ جَزَمَ :

إِنَّا إِذَا الْحَرْبُ نُسَاقِيهَا الْمَالَ

وَجَعَلْتُ تَلْقَحُ ثُمَّ تَحْتَالُ

يُرْهِبُ عَنَّا النَّاسَ طَعْنُ إِيْغَالٍ

شَزَرَ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ الشَّلْشَالِ

أي : ننفق عليها المال ، وهو من فصيح الكلام ، وإنما فصّحه ملح
الاستعارة ، والرهج : الغبار ، ولا يخفى ما يحدثه من أثر ، وأرهج الغبار :
أثاره ، وأرهجت حوافر الخيل ، ومن المجاز : أَرَهَجَ فُلَانٌ نَارَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْقَوْمِ ،
وله بالشر لهج ، وله فيه رهج ، ورهز وارتبز لأمر كذا : تحرك له ، واهتز ،
ونشط ، ونشط من الرهز ، وهو الحركة في الجماع وغيره ، ومن أقوالهم : فُلَانٌ
لِلطَّمَعِ مَرْتَبَزٌ وَلِفَرْصِهِ مُنْتَهَزٌ ، ورهص : أصلح بإحكام ، وإذا بنيت جداراً
فأحكم رهصه وهو عرقه الأسفل ، ومن المجاز أَرَهَصَ الشَّيْءُ : أثبتّه وأَسَّسَهُ ،
وكان ذلك إرهاباً للنبوة ، ورهصه : لأمه ، وهو من الرَّهْصَةِ ، وتقول : فُلَانٌ
ما ذكر عنده أحد إلا غمصه ، وقدح في ساقه ورهصه ، وفلان أسد رهيص ،
أي : لا يبرح مكانه كأنما رُهِصَ ، والرهط : من الثلاثة إلى العشرة ، وأثرهم
واضح في اجتماع الشمل ، وانتظام العمل ، وإحراز النصر ، قال الوليد بن
عقبة أخو عثمان بن عفان حين قتل ، وبويع علي بن أبي طالب ، وأمر بقبض
ما في الدار من السلاح وغيره :

بَنِي هَاشِمٍ إِنَّا وَمَا كَانَ بَيْنَنَا

كَصَدْعِ الصِّفَا لَا يَرَأْبُ الدَّهْرُ شَاعِبَهُ

ثَلَاثَةُ رَهْطٍ : قَاتِلَانِ وَسَالِبٌ

سَوَاءٌ عَلَيْنَا قَاتِلَاهُ وَسَالِبُهُ

ورَهْفٌ سيفه : رِقٌّ حده ، وسيف رهيف ومرهف الحد ، ورجل مرهف

الجسم : دقيقه ، وقد شحذت علينا لسانك وأرهفته ، وفيه رَهْلٌ : أي :

انتفاخ، وروضة مرهومة ممطورة. قال ذو الرمة:

أَوْ نَفْحَةٌ مِنْ أَعَالِي حَنْوَةٍ مَعَجَتْ

فِيهَا الصَّبَا مَوْهِناً وَالرَّوْضُ مَرْهُومٌ

والرهن معروف، وقبض الرهن والرّهون والرّهان والرّهن، واسترهني فرهنته ضيعتي، ومن المجاز فيه: جاءا فرسني رهان، أي: متساويين، وإني لك رهن بكذا، أي: أنا ضامن له، ورجلي رهينة، أي: مقيدة قال السهري بن أسد العكلي:

لَقَدْ طَرَقْتُ لَيْلَى وَرَجُلِي رَهِينَةً فَمَا رَاعَنِي فِي السَّجْنِ إِلَّا سَلَامُهَا

وفلان رهن بكذا ورهين ورهينة، ومرتهن به: مأخوذ به، قال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ والرّهو: السكون. قال تعالى: ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا﴾ أي: ساكناً. وعيش راه، أي: ساكن. ومرّ بأعرابي فالج فقال: سبحان الله رهويين سنّامين. ويقال: طلع رهواً ورهوةً، وهو نحو التل. قال ذو الرمة:

يُجَلِّي كَمَا جَلَّى عَلَى رَأْسِ رَهْوَةٍ

مِنَ الطَّيْرِ أَفْنَى يَنْفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقُ

وجاءت الخيل رهواً، أي: متتابعة. وأتاه بالشيء رهواً سهواً، أي: عفواً سهلاً لا احتباس فيه، قال:

يَمْشِينَ رَهَوًّا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ

وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

وهذا من عجيب أمر هذه اللغة الشريفة.

(الْقَتَرُ): والقطرة: الغبار معه سواد، يقال: قتر كفرح ونصر وضرب،

ومنه قول الفرزدق:

مَتَوَجَّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتَّبِعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَا

وقيل: القتر: الدخان، ومنه: غبار القدر، وقيل: القتر: القدر القليل،

والإقترار في المعيشة، ويقال: قترت الشيء واقترته، أي: قللته، ومنه: ﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِفِ قَدَرٌ﴾.

(الِقِطْعُ): جمع قطعة من الليل فيها ظلمة، والقِطْعُ - بكسر القاف وسكون الطاء -: الجزء من الليل الذي فيه ظلمة، وقد قرىء بهما.

○ الإعراب:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ للذين خبر مقدم، وجملة أحسنوا صلة، والحسنى مبتدأ مؤخر، وزيادة عطف على الحسنى، أي: ما يزيد على المثوبة ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ يجوز في الواو أن تكون مسأفة لتعدد النعميات على المحسنين، ويجوز أن تكون عاطفة، وجملة يرهق وجوههم معطوفة على الحسنى، ولا بد حيثئذ من تقدير أن، فإن شئت نصبت، وإن شئت رفعت على حد قول ميسون:

ولبس عباة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

ولا نافية، ويرهق وجوههم فعل مضارع ومفعول به، وقتر فاعل، ولا ذلة عطف على قتر ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أولئك مبتدأ، وأصحاب خبر، والجنة مضاف إليه، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر، والجملة حالية ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ يجوز أن تكون الواو عاطفة، والذين معطوفة نسقاً على الذين الأولى، أي: للذين أحسنوا الحسنى، وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، فيتعادل التقسيم، وهذا أسهل الوجوه التي ذكرها العربون والنحاة، ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والذين مبتدأ خبره جزاء سيئة بمثلها، وهو قول سهل أيضاً، لا تكلف فيه، وهناك أقوال أضربنا عنها؛ لأنها تكلف لا حاجة إليه. وكسبوا السيئات: الجملة من الفعل والفاعل والمفعول به صلة الموصول، وجزاء مبتدأ ثان، وسيئة مضاف إليه، وبمثلها خبر جزاء، أي: مقدر بمثلها ﴿وَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ قيل: هذه الجملة عطف على كسبوا، وفيه ضعف من وجهين: أولهما: أن المستقبل لا يعطف على الماضي، وثانيهما: أنه فصل بينهما بجملة مطولة،

وقيل: الواو حالية، وجملة ترهقهم ذلة حالية، ولا يخفى ما فيه من تكلف،
وقيل: الواو معترضة، والجملة اعتراضية، ولكن الاعتراض غير وارد هنا؛
لأنه بصدد تعداد أحوال عذابهم، ونرى أن تكون الواو مستأنفة، والجملة
استثنائية، كأنما هو يُعدّد أصناف العذاب لهم تهويلاً، وكذلك قوله: ﴿مَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ ما نافية، أو حجازية، ولهم خبر مقدم، ومن الله جار
ومجرور متعلقان بعاصم، ومن زائدة، وعاصم مبتدأ مؤخر، أو اسم
ما مؤخر؛ عند من يميز تقدم خبرها ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ
مُظْلِمًا﴾ وهذه جملة مستأنفة، استوفت المصائر الثلاثة لهم، وهي: الجزء
المعادل، والذلة التي رهقته، وغشيان وجوههم قطعاً من الليل، وكأنما
كافة ومكفوفة، وأغشيت فعل ماض مبني للمجهول، ووجوههم نائب
فاعل، وقطعاً مفعول به ثان، ومن الليل صفة لقطع، ومظلماً صفة ثانية
لقطعاً بكسر القاف وسكون الطاء. وعلى قراءة قطعاً يشكل أن تكون مظلماً
صفة، فتعرب حالاً من الليل، والعامل فيه إما أغشيت؛ من قبل من أن الليل
صفة لقوله قطعاً، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، وإما أن
يكون معنى الفعل في قوله: من الليل ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
وهذه جملة مستأنفة رابعة؛ تتم فيها المصائر المحتومة لهم، وأولئك مبتدأ،
وأصحاب النار خبر، وهم فيها خالدون جملة اسمية حالية منهم.

* الفوائد:

قول ابن هشام في ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا...﴾:

قال ابن هشام في هذه الآية: جملة ﴿وَتَرَهُمْ ذُلًّا﴾ معطوفة على
﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ فهي من الصلة وما بينهما اعتراض بين به قدر جزائهم،
وجملة ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ خبر، قاله ابن عصفور، وهو بعيد؛ لأن
الظاهر أن ﴿وَتَرَهُمْ﴾ لم يؤت به لتعريف ﴿وَالَّذِينَ﴾ فيعطف على صلته،
بل جيء به للإعلام بما يصيبهم جزاء على كسبهم السيئات، ثم إنه ليس
بمتعين لجواز أن يكون الخبر ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ فلا يكون في الآية

اعتراض، ويجوز أن يكون الخبر جملة النفي كما ذكر، وما قبلها جملتان معترضتان، وأن يكون الخبر ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ فالاعتراض بثلاث جمل، أو ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فالاعتراض بأربع جمل، ويحتمل - وهو الأظهر - أن ﴿الَّذِينَ﴾ ليس مبتدأ، بل معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ الأولى، أي: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ولـ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ فمثلها هنا في مقابلة الزيادة هناك. ونظيرها في المعنى قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وفي اللفظ قولهم: في الدار زيد والحجرة عمرو، وذلك من العطف على معمولي عاملين مختلفين عند الأخفش، وعلى إضمار الجار عند سيبويه والمحققين، ومما يرجح هذا الوجه أن الظاهر أن الباء في ﴿بِمِثْلِهَا﴾ متعلقة بالجزاء، فإذا كان ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ احتيج إلى تقدير الخبر، أي: واقع، قاله أبو البقاء، أو «لهم» قاله الحوفي، وهو أحسن؛ لإغنائه عن تقدير رابط بين هذه الجملة ومبتدئها، وهو الذين، وعلى ما اخترناه يكون ﴿جَزَاءُ﴾ عطفاً على ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ فلا يحتاج إلى تقدير آخر، وأما قول أبي الحسن وكيسان أن ﴿بِمِثْلِهَا﴾ هو الخبر، وأن الباء زيدت في الخبر، كما زيدت في المبتدأ في «بحسبك درهم» فمردود عند الجمهور، وقد يؤنس قولهما بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا نَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

☆ اللفظة:

﴿فَزَيَّلْنَا﴾: فرقنا.

﴿ تَبَلَّوْا ﴾: تختبر.

○ الإعراب:

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الظرف متعلق بمحذوف مفهوم من الآية السابقة، أي: نفعل ذلك كله يوم نحشرهم، وجملة نحشرهم مضاف إليها، وجميعاً نصب على الحال ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، ونقول معطوف على متعلق الظرف، أي: نفعل ذلك كله، ثم نقول: أو معطوف على نحشرهم، وللذين متعلقان بنقول، وجملة أشركوا صلة، ومكانكم اسم فعل أمر معناه: الزموا، وسيأتي بحثها في باب: الفوائد، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع تأكيد للضمير في مكانكم، وشركاؤكم عطف عليه ﴿ فَرَزَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴾ الفاء استئنافية، وزيلنا فعل وفاعل، وبينهم ظرف متعلق بزيلنا، وقال شركاؤهم فعل وفاعل، وما نافية، وكنتم كان واسمها، وإيانا ضمير منفصل مفعول مقدم لتعبدون، وجملة تعبدون نصب خبر كنتم ﴿ فَكَفَىٰ لِلَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الفاء استئنافية، وكفى فعل ماض، والباء حرف جر زائد، والله فاعل محلاً، وشهيداً: قال الزجاج منصوب على التمييز إن شئت، وإن شئت على الحال، فإن كان الاسم جامداً فالنصب على التمييز، كقول بشار:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَىٰ سَجَايَاهُ كُلُّهَا

كفى المرء نبلاً أن تعدّ معاييه

﴿ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ إن مخففة من الثقيلة، وليست نافية كما قال أحد الأئمة، وهي مهملة كما تقدم، وكنا: كان واسمها، وعن عبادتكم متعلقان بغافلين، واللام الفارقة، وهي التي أبعدت إن النافية، وغافلين خبر كنا ﴿ هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بتبلو، واللام للبعد، والكاف للخطاب، وتبلو كل نفس فعل مضارع وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، وجملة أسلفت صلة ﴿ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ﴾ الواو عاطفة، وردوا فعل ماض مبني

للمجهول، والواو نائب فاعل، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بردوا، ومولاهم صفة، أو بدل من الله، والحق صفة لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾ وضل: الواو عاطفة، وضل معطوف على ردوا، وعنهم متعلقان بضل، وما اسم موصول فاعل، وكانوا كان واسمها، وجملة كانوا يفترون صلة، وجملة يفترون خبر كانوا.

* الفوائد:

﴿مَكَانَكُمْ﴾ كلمة جرت مجرى الوعيد، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، وانتظري، والصحيح عند المحققين أن مكانك ودونك من أسماء الأفعال. ونقول: إن أسماء الأفعال قسمان: مرتجلة ومنقولة، فالمرتجلة: هي ما وضعت من أول أمرها أسماء أفعال، وهي ثلاثة أقسام: اسم فعل ماض كهيئات، واسم فعل مضارع كأف، واسم فعل أمر كأمين، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك. والمنقولة: هي ما استعملت في غير اسم الفعل، ثم نقلت إليه، والنقل يكون:

(١) إما عن جار ومجرور مثل: عليك نفسك، أي: الزمها، وإليك عني، أي: تنح.

(٢) وإما عن ظرف مثل: دونك الكتاب، أي: خذه، ومكانك، وقد تقدمت.

(٣) وإما عن مصدر مثل: رويد أخاك، أي: أمهله، وبله الشر، أي: دعه واتركه.

(٤) وإما عن تنبيه مثل: ها الكتاب، أي: خذه، و﴿هَؤُلَاءِ أَرَأَوْا كُنْيَةً﴾.

(٥) وإما معدولة؛ كنزال، وحذار.

تنبيهات:

(١) الكاف التي تلحق اسم الفعل المنقول تتصرف بحسب المخاطب أفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنثياً، وهي حرف خطاب لا محل لها من

الإعراب؛ لأنها بمثابة جزء من الكلمة لا إعراب له .

(٢) اسم الفعل المنقول والمعدول لا يأتي إلا للأمر، ولا يأتي لغيره بعكس المرتجل، كما تقدم .

(٣) المرتجل والمنقول سماعيان لا يقاس عليهما .

(٤) المعدول قياسي، وهو بني على وزن فعال من كل فعل ثلاثي مجرد تام متصرف .

وسياق مزيد منه في أثناء هذا الكتاب .

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣١ ﴿ فَلَا لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ ﴾ ٣٢ ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٣ ﴿

○ الإعراب:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وجملة يرزقكم خبر، ومن السماء جار ومجرور متعلقان بـيرزقكم، والأرض معطوفة ﴿ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ أم حرف عطف، وهي منقطعة؛ لأنها ليست مسبوقة بهمزة الاستفهام، ولا بالتسوية، ومن اسم استفهام مبتدأ، وجملة يملك خبر، والسمع مفعول به، والأبصار عطف على السمع ﴿ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ عطف أيضاً، وما بعده عطف ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ الفاء استئنافية، ويقولون فعل وفاعل، والله خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله، أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: يفعل هذه الأشياء كلها، والجملة مقول القول ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الفاء الفصيحة، وقل فعل أمر، والهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف، ولا نافية، وتتقون فعل

مضارع وفاعل ﴿فَذَلِّكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الفاء عاطفة، وذلكم مبتدأ، والله خبر، وربكم بدل من الله، أو صفة، والحق صفة لربكم، ويجوز أن يعرب الله مبتدأ ثانياً، وربكم خبره، والجملة خبر اسم الإشارة ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ﴾ الفاء عاطفة، وماذا تقدم أن فيها وجهين: الأول: أن تكون كلها اسماً واحداً لتركبهما، وغلب الاستفهام على اسم الإشارة، وصار معنى الاستفهام هنا النفي، ولذلك أتى بعده بإلا، وهو في محل رفع مبتدأ، والثاني: أن يكون ذا موصولاً خبراً لما الاستفهامية، وبعد ظرف متعلق بمحذوف حال، وإلا أداة حصر، والضلال بدل من ذا، والاستفهام بمعنى النفي أيضاً، والفاء عاطفة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال من فاعل تصرفون، وتصرفون بالبناء للمجهول فعل مضارع ونائب فاعل ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم، أي: مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به في قوله: «فسيقولون الله» أو الإشارة إلى الحق، وحقت كلمة ربك فعل وفاعل، وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بحقت، وجملة فسقوا صلة، وأن وما في حيزها بدل من كلمة ربك، أي: حقيق عليهم أنهم لا يؤمنون، وجملة لا يؤمنون خبر أن.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ هل حرف استفهام، ومن

شركائكم خبر مقدم، ومن موصول مبتدأ مؤخر، وجملة يبدأ الخلق صلة، وثم حرف عطف على يبدأ ﴿قُلِ اللَّهُ يَكْبِدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُفَكُّونَ﴾ الله مبتدأ، وجملة يبدأ الخلق خبره، والجملة الاسمية مقول القول، ثم يعيده عطف على يبدأ، والفاء عاطفة، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال، وتؤفكون فعل مضارع بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿قُلِ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ احتجاج آخر على ما ذكر، ومن شركائكم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، ويهدي فعل مضارع يتعدى إلى اثنين ثانيهما إما باللام أو بإلى، وقد يحذف حرف الجر تخفيفاً، وقد جمع في هذه الآية بين التعديتين بحرف الجر، فعدى الأول والثالث بإلى، وعدى الثاني باللام، وحذف المفعول به الأول من الأفعال الثلاثة، والتقدير: هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق، أفمن يهدي غيره إلى الحق؟ وسيأتي السر في مخالفة حروف الجر في باب: البلاغة ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ تقدم إعراب نظيرها ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وهو ثامن سؤال لم يذكر جوابه، وهو هنا الله، ومن مبتدأ، وأحق خبره، وأن حرف مصدري ونصب، ويتبع بالبناء للمجهول، والمصدر المؤول مضاف لأحق بعد نصبه بنزع الخافض، أي: أحق بالاتباع ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ أم عاطفة، ومن مبتدأ، وجملة لا يهدي صلة، وإلا أداة حصر، وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور في محل نصب حال، فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا يهدي أو يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهدائه، أي: إهداء الآخرين إياه، والخبر محذوف تقديره: أحق، ولك أن تنسق من على الأولى، فلا تحتاج إلى الخبر ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ الفاء استئنافية، وما استفهامية مبتدأ، ولكم خبره، أي: فأي شيء ثبت لكم في اتخاذ هؤلاء العاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف تحكمون بالباطل، وتجعلون لله أنداداً وشركاء؟ ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان السر في عدم اكتناهم الحق، وفهمهم لمضمون البرهان، وما نافية، ويتبع أكثرهم فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، وظناً

مفعول به ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان العلة في إخفاقهم في الفهم، وعدم الاكتناه، وإن واسمها، وجملة لا يغني خبرها، ومن الحق حال مقدمة، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الإغناء، أو مفعول به بتضمين يغني معنى يدفع ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ إن واسمها وخبرها، وبما متعلقان بعليم، وجملة يفعلون لا محل لها؛ لأنها صلة ما، سواء كانت موصولة، أو مصدرية.

□ البلاغة:

مخالفة حروف الجر:

وهذا باب تقدمت الإشارة إليه في الأنفال، وهو ينطوي على السر في مخالفة حروف الجر، وأكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها، ويجهلون الدقائق الكامنة في وضعها حيث وضعت، وهنا عدى فعل هدى إلى الحق بإلى مرتين، وفي الثالثة عداه باللام، والنحاة يغفلون عن هذا السر، ويقولون: إن ما يصح جره بإلى يجوز جره باللام التي تفيد الغاية مثلها ولا عكس، فلا يقال في قلت له: قلت إليه، ويقولون: الماء في الكأس؛ لأن في للظرفية، ويجيزون التعدي بالباء لأنها تخلفها في الظرفية، ولا يجوز أن يقال في مررت به: مررت فيه، إذا تقرر هذا نقول - والله أعلم -: إن هناك سراً وراء الصورة، فالهداية لما أسندت إليهم وجبت تعديتها بإلى التي تفيد البعد، كأنها ضمناً بعيدة عنهم، ولكنها لما أسندت إلى الله تعالى وجب تعديتها باللام؛ التي تفيد القرب، كأنها من خصائصه وحده، وملك يمينه، وهو المنفرد بها على وجه الديمومة والكمال، وستأتي نماذج من هذه المخالفة السامية.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٧﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا

بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الواو استئنافية، وما نافية،
وكان واسمها، والقرآن بدل من هذا، وأن وما في حيزها خبر كان، أي:
افتراء ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الواو عاطفة، ولكن مخففة مهملة،
وتصديق معطوف على افتراء المؤولة، ووقعت لكن أحسن موقع؛ لأنها بين
نقيضين، وهما: الكذب والصدق، ولهذا لا حاجة إلى الأوجه التي تكلفها
بعض الأئمة، وهي سائغة ومقبولة، ولكن ما أوردناه أولى بالتقديم، والذي
مضاف لتصديق، وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، ويديه مضاف
لبين بمعنى أمامه ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وتفصيل عطف
على تصديق، ولا نافية للجنس، وريب اسمها مبني على الفتح، وفيه خبر لا،
ومن رب العالمين حال، وجملة لا ريب فيه معترضة، وهو الظاهر بين تفصيل
ومن رب العالمين، والتقدير: ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
كائناً من رب العالمين، وجنح الزمخشري إلى جعل لا ريب فيه حالاً داخلاً في
حيز الاستدراك، كأنه قيل: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب،
كائناً من رب العالمين، ولك أن تعلق من رب العالمين بـ: تفصيلاً، ويكون
لا ريب فيه اعتراضاً. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أم عاطفة منقطعة، فهي بمعنى بل،
حتى لقد وردت قراءة شاذة بها، فهي للإضراب الانتقالي، والهمزة
للاستفهام الإنكاري للواقع واستبعاده، ويجوز أن تكون متصلة، وحيث فلا
بد من حذف جملة ليصح التعادل، والتقدير: أيقرون به أم يقولون افتراء،
وجملة افتراء مقول القول ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ الفاء الفصيحة، أي: قل
تبكيئاً لهم إن كان الأمر كما تقولون فأتوا، واثتوا فعل أمر وفاعل، وبسورة
جار ومجرور متعلقان باثتوا، ومثله صفة ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ وادعوا عطف على فائتوا، والواو فاعل، ومن اسم موصول مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن دون الله حال، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وصادقين خبر كان، وجواب الشرط محذوف، أي: فائتوا وادعوا ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿٣٩﴾ بل حرف إضراب، وعطف، وكذبوا فعل وفاعل، وبما متعلقان بكذبوا، وجملة لم يحيطوا صلة ما، والواو للحال، ويجوز أن تكون عاطفة، أي: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وبما لم يأتهم تأويله، أو هذه الجملة في محل نصب على الحال، أي: كذبوا به حال كونهم لم يفهموا ما كذبوا به، ولا بلغت عقولهم، ولما حرف جازم، ويأتهم مضارع مجزوم بلما، والهاء مفعول به، وتأويله فاعل يأتهم، ويجوز أن تكون الواو للعطف، والجملة معطوفة على لم يحيطوا، فتكون داخلية في حكم الصلة، ولمجيء «ما» سر ستقف عليه في باب البلاغة ﴿٤٠﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، أي: كذلك التكاليف كذبوا رسلهم، وكذب الذين فعل وفاعل، ومن قبلهم صلة الذين، فانظر: الفاء عاطفة على محذوف، أي: فأهلكنا، فانظر، وكيف اسم استفهام في موضع نصب على أنه خبر كان، ولا يصح أن يعمل فيه الفعل فانظر؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه، وعاقبة اسمها، والظالمين مضاف إليه ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٣﴾ ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، وجملة يؤمن به صلة، وجملة ومنهم من لا يؤمن عطف على الجملة السابقة، وربك مبتدأ، وأعلم خبر، وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بأعلم.

□ البلاغة:

لـ «لما» في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ سر عجيب، أفاد الكلام معنى لم يكن ليتأتى لولا دخولها؛ لأنها تفيد التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه، فقد أفادت الأمور التالية:

(١) أنهم كذبوا على البديهة قبل أن يتدبروه، ويكتنهموا مطاويه.

(٢) الإصرار على التقليد الأعمى، ومساوقة آبائهم الذين طبعوا على اللجاج، والسفسطة، وإنكار الحق رغم ظهوره ونصاعته.

(٣) أن التكذيب قبل الإحاطة بالعلم ربما يوهم لهم عذراً، فجاءت كلمة «لما» حاسمة مشعرة بأنهم قد أحاطوا بعلمه، قطعاً لحججهم وتحقيقاً لشقائهم.

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۝١١ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ۝١٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٤ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، فقل الفاء رابطة؛ لأن ما بعدها جملة طلبية، وقل فعل أمر، ولي خبر مقدم، وعملي مبتدأ مؤخر، ولكم عملكم عطف، وجملة لي عملي في محل نصب مقول القول ﴿ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ ﴾ أنتم مبتدأ، وبريئون خبر، ومما متعلقان ببريئون، وجملة أعمل صلة الموصول ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، والإعراب ظاهر ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ الواو عاطفة، ومنهم خبر مقدم، ومن مبتدأ مؤخر، ويستمعون صفة لمن إذا كانت نكرة موصوفة، أي: ناس يستمعون، وصلة إذا كانت موصولة، وأعاد الضمير جمعاً مراعاة لمعنى من، والأكثر مراعاة لفظه، كقوله: «ومنهم من ينظر إليك»، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك مراراً، وإليك متعلقان بيسمعون ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة للتعقيب، وفيه الوجهان

المشهوران من اعتبار الحذف للمعطوف عليه، أو اعتبار التقديم والتأخير، وقد تقدمت الإشارة إليهما، والواو عاطفة، ولو وصلته، وكانوا: كان اسمها، وجملة لا يعقلون خبرها. قال الزجاج: معناه: ولو كانوا جهالاً بالإضافة إلى الصمم، وإذا اجتمع سلب السمع والعقل، فقد تم الأمر، وفقد الإنسان كل خصائص إنسانيته ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ عطف على سابقتها ومثيلتها، ولكنه حمل الضمير هنا على لفظ من، والفرق بين الموضعين أن الغالب على المستمعين أن يكونوا جماعة، والغالب على الناظر أن يكون مفرداً ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، والمعنى: ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله: «أفأنت تسمع الصم»، وقوله: «أفأنت تهدي العمي» وكل منهما معطوف على جملة مقدرة مقابلة لها، وكلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق، أي: أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون، ولو كانوا لا يعقلون، أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون، ولو كانوا لا يبصرون، أي: لا تسمعهم، ولا تهديهم على كل حال، وسيأتي المزيد من هذا التشبيه في باب البلاغة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ إن حرف مشبه بالفعل، والله اسمها، وجملة لا يظلم خبرها، والناس مفعول به، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الظلم، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً ليظلم، بمعنى: لا ينقص الناس شيئاً من أعمالهم ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الواو حالية، ولكن حرف استدراك ونصب، والناس اسمها، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون خبر لكن.

□ البلاغة:

(١) الاستعارة التمثيلية:

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ﴾ إلى آخر الآية استعارة تمثيلية، وقد تقدم القول: أن الاستعارة التمثيلية هي: تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة، فقد شبههم في عدم الاهتداء بالصم والعمي،

بل هم أعظم؛ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولأن الأصم العاقل ربما استعان بالفراصة على الاستدلال، والأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحس ويتظن، وقد جاء المشبه به مركباً؛ لأن المشبه مركب أيضاً، ولو أنه لجأ إلى التشبيه لضل الأثر الفني، ولم تكن له تلك القيمة التي نلاحظها في الاستعارة؛ لأن الاستعارة وإن تكن مبنية على المشاهدة إلا أن تركيبها يمحلتنا على تناسي التشبيه، ويدعونا لتخيل صورة جديدة، وهي من ناحية اللفظ - كما ترى في الآية - ترك التعبير الثنائي، أي: المشبه والمشبه به، وتستعمل التعبير الأحادي الذي يدعي أن ليس هناك إلا شيء واحد نتحدث عنه، ويبقى للابتكار أثره في عقد الاستعارة الموفقة، وفي هذا المضمار تتجلى عبقرية الفنانين والمبدعين.

هذا؛ وقد رمق أبو الطيب سماء هذه البلاغة بقوله:

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَيْبِ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَانِي مُقْلَةً عَمِيَاءَ

يريد أنه إذا خفي مكانه على الغيب وهو الجاهل الذي لا يعرف شيئاً ولم يعرف قدره ولم يقر بفضلنا فأنا أعذره لأن الجاهل كالأعمى، والمقلة العمياء إن لم تر فهي في عذر لعماهما، وكذلك الجاهل الذي يجهلني ويجهل قدره، ومن قبل المتنبي قيل:

وَقَدْ بَهَرْتُ فَمَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا

(٢) التهذيب:

وفي هذه الآيات المقدمة فن بدعي يقال له: فن التهذيب، وقد أطل فيه علماء هذا الفن، ويمكن تلخيصه بأنه وصف يعم كل كلام منتحل، وهو ترداد النظر في الكلام بعد عمله، وإمعان الفكر في تهذيبه وتنقيحه نظماً كان أو نثراً، وكشف ما يشكل من عويص معانيه، وغريب إعرابه، وطرح ما يتجافى عن مواطن الرقة من لفظ قاس، وكلمة نابية جافية، وقد عبر عنه أبو تمام في وصيته للبحثري، نقل عن أبي عباد قال: «كنت في حدائثي أروم الشعر، وأرجع فيه إلى طبع سليم، ولم أكن وقفت له على تسهيل مأخذ، ووجوه

اقتضاب، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت إليه، فكان أول ما قال لي: «يا أبا عبيدة! تحير الأوقات، وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم أن العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء، أو حفظه، أن يختار وقت السحر، ولا تعمل نظماً ولا نثراً عند الملل، فإن الكثير منه قليل والخواطر ينبع، إذا رفقت بها جمت، وإذا عنفت عليها نزحت، وترنم بالشعر وقت عمله فإنه يعين عليه، وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه مرة، ولا يمكنه أخرى، وإياك وتعقيد المعاني، واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف لئلا يتلف أحدهما الآخر، ومتى عصى الشعر اتركه، ومتى طاولك عاوده، وروّح الخاطر إذا كلّ، واعمل في أحب المعاني إليك، وفي كل ما يوافقه طبعك؛ فالنفوس تعطي على الرغبة، ولا تعطي على الإكراه، واعمل الأبيات متفرقة على ما يجود به الخاطر، ثم انظمها في الآخر، وحصل المبدأ والمقطع والمخرج، فهو أصعب ما في القصيدة، وميّز بفكرك محطّ الرسالة، ومصبّ القصيدة، فإنه أسهل عليك، وانظمها أولاً، وهذبها آخراً».

التهذيب في الآية:

أما الآية التي نحن بصدد البحث فيها، فهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الضُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ، وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ فإن لقائل أن يقول: ما فائدة الفاصلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما؟ فيقال: في الكلام تقديم وتأخير إذا علم سقط معه السؤال، وهو أن يقال: «ومنهم من ينظر إليك، ولو كانوا لا يبصرون، أفأنت تهدي العمي» والأخرى كذلك، ويرد على ذلك قول من يقول: فما الداعي إلى وضع الكلام على التقديم والتأخير، الذي هو أحد أسباب التعقيد؟ قلت: الداعي إليه توخي الإتيان بمقاطع الكلام متماثلة مع ما قبلها ومع ما بعدها من الفواصل، فإن قبلها: ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آَعَمَلُوا وَأَنَا بَرِيْعٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. وبعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ومعظم فواصل السورة على هذه الزنة والتقفية .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ الظرف متعلق بـ يتعارفون على أصح الأقوال، وجملة يحشرهم مضاف إليها، وكأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة لم يلبثوا خبر كأن، وجملة كأن لم يلبثوا جملة حالية من الهاء في يحشرهم، وإلا أداة حصر، وساعة ظرف متعلق بـ يلبثوا، ومن النهار صفة لساعة ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ الجملة حالية من الواو في يلبثوا، فتكون حالاً متداخلة، أو من الضمير في يحشرهم، فتكون حالاً مترادفة، وبينهم ظرف متعلق بـ يتعارفون، والمعنى بعد هذا الإعراب إن الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت، كما كانوا في الدنيا، وكأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب، ويتبرأ بعضهم من بعض، وهناك أعاريب أخرى يضيق عن استيعابها المجال، وما أوردناه أقربها ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ قد حرف تحقيق، وخسر الذين فعل وفاعل، وجملة كذبوا صلة، وبلقاء الله جار ومجرور متعلقان بكذبوا، وجملة قد خسر مستأنفة، والواو عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، ومهتدين خبرها، وهي معطوفة على قد خسر، أو على صلة الذين؛ لأن من كذب بالله غير مهتد ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ ﴾ إن شرطية، وما زائدة، ونرينك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير

مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول به، وبعض مفعول ثان، والذي مضاف إليه، وجملة نعدمهم صلة، وأو حرف عطف، وننوفينك عطف على نرينك ﴿فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ الفاء رابطة، وإلينا خبر مقدم، ومرجعهم مبتدأ مؤخر، والجملة جواب الشرط، ثم حرف عطف، لا للترتيب الزمني، بل لترتيب الأخبار، والله مبتدأ، وشهيد خبر، وعلى ما يفعلون متعلقان بشهيد، وجملة يفعلون صلة ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ لكل خبر مقدم، وأمة مضاف لكل، ورسول مبتدأ مؤخر ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الفاء عاطفة على صفة رسول، أي: يُبعث إليهم فإذا، وإذا ظرف مستقبل، وجملة جاء رسولهم مضاف إليها، وجملة قضي لا محل لها، وبينهم ظرف متعلق بقضي، وبالقسط حال من فاعل قضي، وهم: الواو حرف عطف، أو حالية، وهم مبتدأ، وجملة لا يظلمون خبر.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٤٩ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٠ ﴿أَنَّمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَكُنْ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥١ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٥٢

○ الإعراب:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الواو استئنافية، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومتى استفهام عن الزمان، متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والوعد بدل، وهذا التعبير بمثابة استبعاد لما وعدوه من عذاب، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وصادقين خبرها، والجواب محذوف، أي: فمتى هذا الوعد؟ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ جملة لا أملك مقول القول،

ولنفسى متعلقان بأملك، وضراً مفعول به، ولا نفعاً عطف على ضراً، وإلا أداة استثناء، أو حصر لوجود النفي، وما اسم موصول مستثنى، قيل: الاستثناء متصل، وقيل: منقطع، وإذا كانت «إلا» حصراً فما بدل من ضراً ونفعاً، وجملة شاء الله صلة ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ تتمه مقول القول، ولكل خبر مقدم، وأمة مضاف إليه، وأجل مبتدأ مؤخر ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ إذا ظرف مستقبل، وجملة جاء مضاف إليها، وأجلهم فاعل جاء، والفاء رابطة، ولا نافية، وجملة يستأخرون لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وساعة ظرف متعلق بيسأخرون، ولا يستقدمون عطف على فلا يستأخرون ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا﴾ قل فعل أمر، وفاعله أنت، أي: محمد، وجملة أرايتم مقول القول، وقد تقدم الكلام في سورة الأنعام على أرايتم، وقلنا هناك: إن العرب تضمن أرايت معنى أخبرني، وإنها تتعدى إذ ذاك إلى مفعولين، وإن المفعول الثاني يكون غالباً جملة استفهام ينعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر، تقول العرب: أرايت زيد ما صنع، والمعنى: أخبرني عن زيد ما صنع، إذا ذكرت هذا فأرايتم هنا المفعول الأول لها محذوف، ولا يصح أن تقع جملة الشرط موقعه، والمسألة من باب التنازع، تنازع أرايتم وإن أتاكم في قوله: عذابه، وإعمال الثاني هو المختار، فلما أعمل حذف من الأول، والمعنى: قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل؛ لأن العذاب كله مَرَّ المذاق، سيء المغبة، موجب للنفور منه، وإن شرطية، وأتاكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والجواب جملة الاستفهام على تقدير الفاء في الجملة الاسمية، وبياتاً منصوب على الظرف، متعلق بأتاكم، أو نهراً عطف عليه ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ما يجوز أن يكون في موضع رفع، وذلك إذا كان ذا بمعنى الذي، والمعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون، فيكون ما مبتدأ، والذي خبره، ويجوز أن يكون في موضع نصب، وذلك إذا جعلت ما وذا اسماً واحداً، والمعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون، فيكون مفعول يستعجل، والمجرمون فاعل يستعجل ﴿أَنَّمْ إِذَا مَا

وَقَعَّ آمَنُكُمْ بِهِ ۖ ءَاثَنَ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٣﴾ أُنِمْ الهمزة للاستفهام الإنكاري، وثم حرف عطف، وإذا ظرف مستقبل، وما زائدة، وجملة وقع في محل جر بالإضافة إليها، وجملة آمنتم به صلة، والظرف متعلق بآمنتم، وآلان الهمزة للاستفهام الإنكاري، وآلان ظرف متعلق بمحذوف يفهم من سياق الكلام، تقديره: آلان به تؤمنون، والواو حالية، وقد حرف تحقيق، وكنتم كان واسمها، وبه جار ومجرور متعلقان بتستعجلون، وجملة تستعجلون خبر كنتم ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ ثم حرف عطف، وقيل فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وللذين متعلقان ب قيل، وجملة ظلموا صلة، وجملة ذوقوا مقول القول، وعذاب مفعول به، والخلد مضاف إليه، وهل حرف استفهام، وتجزون فعل مضارع ونائب فاعل، وإلا أداة حصر، وبما متعلقان بتجزون، وجملة كنتم صلة وجملة تكسبون خبر كنتم.

□ البلاغة:

في قوله: يباتاً ونهاراً، وضراً ونفعاً، طباق تكرر فسمي مقابلة، واستعارة مكنية في قوله: «ذوقوا عذاب الخلد» وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك كله.

﴿٥٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقِي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۚ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٠﴾

☆ اللفظة:

(الاستنباء): طلب النبا الذي هو الخبر.

(الافتداء) إيقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به، يقال: فداه يفديه فدية وفداءً وافتداه وفاداه مفاداة، وافتدى يجوز أن يكون متعدياً، وأن يكون لازماً، فإذا كان مطاوِعاً لمُتَعَدِّ كان لازماً، تقول: فديته فافتدى، وإن لم يكن مطاوِعاً يكون بمعنى فدى، فيتعدى لواحد، والفعل هنا يحتمل الوجهين، فإن جعلناه متعدياً فمفعوله محذوف، تقديره: لافتدت به نفسها.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾: قيل: أسر من الأضداد يستعمل بمعنى أظهر، ويستعمل بمعنى أخفى، وهو المشهور في اللغة، وهو في الآية يحتمل الوجهين.

○ الإعراب:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَقِي﴾ وبستنّبئونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وأحق: الهمزة للاستفهام الإنكاري المشوب بالاستهزاء، وحق خبر مقدم، وهو مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب مفعول به ليستنبئونك، وقيل: الجملة في محل نصب يقولون، وتكون يستنبئونك متعدية لواحد، وأصل استنبأ أن يتعدى إلى مفعولين أحدهما بـ «عن» تقول: استنبأت زيدا عن عمرو، أي: طلبت منه أن ينبئني عن عمرو. وقل فعل أمر، وإي حرف جواب، وسترّد أحرف الجواب في باب الفوائد، وربى الواو للقسم، وربى مجرور بواو القسم، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ إن واسمها، واللام المرحقة، والواو حرف عطف على جواب القسم، أو استئنافية، مسوقة لبيان عدم خلوصهم من عذاب الله بوجه من الوجوه، وما حجازية، وأنتم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومعجزين خبرها في محل نصب محلاً، ومجرور بالياء الزائدة لفظاً ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية امتناعية على ما هو الكثير فيها، وأن حرف مشبه بالفعل، ولكل خبر أن المقدم، ونفس مضاف إليه، وجملة ظلمت صفة لنفس، وما اسم موصول في محل نصب اسم أن، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت ذلك، وفي الأرض

صلة ما، واللام واقعة في جواب لو، وافتدت به جملة فعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ الواو عاطفة، وأسروا الندامة فعل وفاعل ومفعول به، ولما رابطة، أو حينية، وجملة رأوا مضاف إليها، أو صلة، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والمعنى أنهم بهتوا، وشدهوا لرؤيتهم، ما لم يكن يدور لهم بخلد، أو يخطر لهم على بال، فانظروا على مضض، وحاذروا بوحه المتجلد، ولم يملكوا سوى إسرار الندم، والحسرة في القلوب، وقيل: أسروا الندامة أظهروها، من قولهم: أسر الشيء وأشره؛ إذا أظهره، قال هذا أبو عبيدة والجبائي، وأنكر الأزهري أن يكون بمعنى الإظهار، وقال: إنه غلط محض؛ لأن ما يكون بمعنى الإظهار يكون بالشين المثلثة ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ يجوز أن يكون الكلام مستأنفاً، وأن يكون معطوفاً، وقضي فعل ماضٍ بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، وبينهم ظرف متعلق بقضي، وبالقسط حال، وهم الواو عاطفة، وجملة لا يظلمون خبر ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ألا كلمة تستعمل في التنبيه، ويفتح بها الكلام فتسمى استفتاحية، وأصلها لا، دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً وتذكيراً، فصارت تنبيهاً، وكسرت إن بعد ألا لأن ألا يستأنف ما بعدها؛ لينبه بها على معنى الابتداء، ولذلك يقع بعدها الأمر والدعاء، كقول امرئ القيس:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البالي

وهل يَعْمَنَ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الخالي

ولله خبر إن المقدم، وما اسمها المؤخر، وفي السموات والأرض صلة ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ألا تأكيد لـ: ألا الأولى، وقد صدرت الجملتان بحرفي التنبيه للدلالة على التحقيق والتسجيل لمضمونهما، وإن واسمها، وحق خبرها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو حالية، أو استئنافية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هو مبتدأ، وجملة يحيي خبر، وجملة يميت عطف، وإليه جار ومجرور متعلقان بترجعون.

* الفوائد:

حروف الجواب:

حروف الإيجاب، أو الجواب، أو التصديق هي: نعم وبلى وأجل وجير وإي وإن، وقد تقدم القول في بعضها، ونتكلم هنا عن إي وإن؛ فأما إي فحرف إيجاب لا يستعمل إلا في القسم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُ﴾ وهزتها مكسورة والياء فيها ساكنة، قال الزمخشري: «وسمعتهم يقولون إيوة، فيصلونه بواو القسم، ولا ينطقون به وحده» وقال غيره: «ومنه قول الناس في الجواب إي والله وقولهم «إيوة» فالواو للقسم، والهاء مأخوذة من الله» فقول العامة «إيوة» صحيح لا غبار عليه.

حروف التنبيه:

هي: ها وألا وأما، ومعنى هذه الحروف تنبيه المخاطب إلى ما تحدث به، فإذا قلت هذا عبد الله منطلقاً، فالتقدير: انظر إليه منطلقاً، أو انتبه عليه منطلقاً، فأنت تنبه المخاطب لعبد الله حال انطلاقه، وقال النابغة:

ها إنَّ تَا عِذْرَةً إن لم تُكُنْ نَفَعَتْ

فإنَّ صاحبَهَا قَدْ تَاَه في الْبَلَدِ

فأدخل ها التي للتنبيه على إن، والعذر والمعذرة والعذرى واحد، والعذرة بالكسر كالركبة والجلسة بمعنى الحالة، قال آخر:

تَقَبَّلَ عِذْرَتِي وَحَبَا بِدُهُمِ

يُصَمُّ حَنِينَهَا سَمَعَ الْمَنَادِي

وأكثر ما تدخل ها على أسماء الإشارة والضمائر كقولك: هذا وهذه وهأنذا وها أنت ذا وهامي ذه وما أشبه ذلك، وإنما كثر التنبيه في هذه الأسماء المبهمة لتحريك النفس على طلب بعينه إذ لم تكن علامة تعريف في لفظه، والفرق بين ألا، وأما أن أما للحال، وألا للاستقبال، فتقول: أما إن

زيداً عاقل : تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز، فأما قول الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمر

فأدخل أما على حرف القسم كأنه ينبه المخاطب على استماع قسمه وتحقيق المقسم عليه، وقد يحذفون الألف عن أما، فيقولون أم والله وفي كلام هجرس بن كليب «أم وسيفي وزريه، ورمحي ونصلي، وفرسي وأذنيه، لا يدع الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه».

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذُنٌ لَّكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِبْرَ اللَّهِ لَدُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٦١﴾

○ الإعراب:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قد حرف تحقيق، وجاء تكم موعظة فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربكم صفة لموعظة، وتكون من للتبعية، أو متعلقة بجاء تكم فتكون للابتداء ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وشفاء عطف على موعظة وشفاء هو في الأصل مصدر جعل وصفاً للمبالغة، أو هو اسم لما يشفى به ويتداوى، ولما في الصدور يجوز أن يكون صفة لشفاء فيتعلق بمحذوف، وأن تكون اللام زائدة في المفعول به،

وفي الصدور صلة ما، وهدى ورحمة معطوفان أيضاً، وللمؤمنين صفة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الباء متعلقة بمحذوف، وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك، ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر، ثم أدخلت الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته ليفرحوا، ثم قال: فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير، ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، والفاء الأولى جزائية، والثانية للسببية، ثم قالوا الفاء الداخلة على بذلك زائدة، وبذلك بدل من بفضل والأولى أن تكون عاطفة، وبذلك عطف على بفضل الله، وذلك أصح من جعلها زائدة، أما الفاء الداخلة على فليفرحوا، فهي الفصيحة؛ لأنها داخلة لمعنى الشرط، كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوها بالفرح، فإنه ليس ثمة ما هو أدعى إلى الفرح وأثلج للصدور منهما، وهو مبتدأ، وخير خبر، ومما متعلقان بخير، ويجمعون صلة ما ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ رأيتم تقدم القول أنها بمعنى أخبروني، وما أنزل الله: ما اسم موصول مفعول لأرأيتم، أو لأنزل، وجملة أنزل صلة، والعائد محذوف، أي: أنزله الله، ويجوز أن تكون ما استفهامية في محل نصب بأنزل، وهي حينئذ معلقة لأرأيتم عن العمل، ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء، وجملة الله أذن لكم خبر، ولكم متعلقان بأنزل، ومن رزق حال ﴿فَجَعَلْتُمْ مِثْلَهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ فجعلتم عطف على أنزل، وجعلتم فعل وفاعل، ومنه متعلقان بجعلتم، وحراماً مفعول جعلتم، وحلالاً عطف، الله الهمزة للاستفهام الإنكاري، والله مبتدأ، وجملة أذن خبره، ولكم متعلقان بأذن، أم منقطعة بمعنى بل، أو متصلة، أي: الله أذن لكم، أم تكذبون عليه، ولعل اتصالها أظهر، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيفترون ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ الواو عاطفة، وما استفهامية مبتدأ، وظن خبرها، والذين مضاف إليه، وجملة يفترون صلة، وعلى الله متعلقان بيفترون، والكذب مفعول به، ويوم القيامة ظرف متعلق بالظن، والمعنى أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم أنه صانع بهم،

فمفعولا الظن سدت مسدهما أن المقدرة وما بعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إن واسمها، واللام المرحقة، وذو فضل خبرها، وعلى الناس متعلقان بفضل، ولكن الواو حالية، أو استثنائية، ولكن واسمها، وجملة لا يشكرون خبرها ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وتكون فعل مضارع ناقص، واسمها مستتر، أي: أنت، وفي شأن خبر تكون، وما: الواو عاطفة، وما نافية وتتلو فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، ومنه متعلقان بتتلو، والضمير يعود إلى القرآن، أو إلى الشأن فتكون من تعليلية، أي: من أجل الشأن الذي كنت مسترسلاً فيه، ومن زائدة، وقرآن مفعول به محلاً، أي: وما تتلون من التنزيل من قرآن؛ لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ ولا تعملون عطف على ما تقدم، ومن حرف جر زائد، وعمل مفعول به محلاً، أو مفعول مطلق، وإلا أداة حصر، وكنا كان واسمها، وعليكم متعلقان بقوله شهوداً، أي: شاهدين، وشهوداً خبر كنا، وشهود جمع شاهد، وكذلك إشهداد، وإذ ظرف لما مضى متعلق بشهوداً، وجملة تفيضون مضافة للظرف، وفيه متعلقان بتفيضون ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ الواو حرف عطف، وما نافية، وعن ربك جار ومجرور متعلقان بيعزب، ومن حرف جر زائد، ومثقال ذرة فاعل يعزب محلاً، وفي الأرض حال من مثقال ذرة، أو صفة، ولا في السماء عطف ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الواو استثنائية، والجملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدم، ولا نافية للجنس، وأصغر اسمها، ومن ذلك متعلقان بأصغر، ولا أكبر عطف على ولا أصغر، وإلا أداة حصر، وفي كتاب مبين خبر لا، ومبين صفة لكتاب.

وعبارة ابن هشام في «المغني»: «وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ فظاهر الأمر جواز كون أصغر وأكبر، معطوفين على لفظ مثقال، أو على محله، وجوز كون

لا مع الفتح تبرئة، ومع الرفع مهمة، أو عاملة عمل ليس ويقوي العطف أنه لم يقرأ في سورة سبأ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ...﴾ الآية إلا بالرفع لما لم يوجد الخفض في لفظ مِثْقَال، ولكن يشكل عليه ثبوت العزوب عند ثبوت الكتاب، كما أنك إذا قلت: ما مررت برجل إلا في الدار، كان إخباراً بثبوت مرورك برجل في الدار، وإذا امتنع هذا تعين أن الوقف على السماء، وإن وما بعدها مستأنف، وإذا ثبت ذلك في سورة يونس قلنا به في سورة سبأ، وإن الوقف على الأرض، وإنه إنما لم يجيء فيه الفتح اتباعاً للنقل، وجوز بعضهم العطف فيهما، على أن لا يكون معنى يعزب يخفى، بل يخرج إلى الوجود.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ تقديم الأرض في الذكر على السماء، ومن حقها التأخير؛ لأن الأرض جزء من السماء وما فيها من أفلاك ونجوم سوابح، وهو جزء ضئيل جداً من حقه التأخير، ولكنه جنح إلى تقديمه؛ لأنه في معرض حديثه عن الأرض، وذكر شهادته على شؤون أهل الأرض، وأحوالهم، وأعمالهم، ومعاشهم، ووصل ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ لاءم بينهما ليلى المعنى المعنى، فإن قيل قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن، قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لذلك من سبب اقتضاه، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض الباحثين دون بعض، وسيأتي من غرائب التقديم والتأخير ما يدهش العقول في مواضعه من هذا الكتاب.

* الفوائد:

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ إشكال واضح، إذ ما حقيقة هذا الاستثناء؟ وهل هو متصل أو منقطع؟ إن في جعله متصلاً إشكال؛ لأنه يصير المعنى: إلا في كتاب فيعزب، وهو فاسد، فالأولى جعله منقطعاً، وإلا بمعنى

لكن، والمعنى لا يعزب عن ربك شيء، لكن جميع الأشياء في كتاب، وقد حاول الفخر الرازي جعله متصلاً بعبارة طويلة محصلها: أنه جعله استثناء مفرغاً من أعم الأحوال، فقال: وهو حال من أصغر وأكبر، وهو في قوة المتصل، ولا يقال فيه متصل ولا منقطع.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ١٣ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٤ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٥﴾

☆ اللفظة:

(الولي) ضد العدو، فهو المحب، ومحبة العباد لله: طاعتهم له، ومحبة لهم: إكرامه إياهم، وعلى الأولى يكون فعيل بمعنى فاعل، وعلى الثاني بمعنى مفعول، فهو مشترك بينهما، هذا وقد تفصينا جميع التراكيب في الكلمات التي فاؤها وعينها ولامها واواً ولاماً وياء، فرأيناها تنحصر في الدلالة على معنى القرب والدنو، يقال: وليه، ولياً: دنا منه، وأوليته إياه: أدنيته منه، وكُلُّ مما يليك، وجلست مما يليه، وسقط الولي - وهو المطر الذي يلي الوسمي - وقد وُلِّيت الأرض، وهي مَوْلِيَّة، وولي الأمر، وتولاه، هو وليه ومولاه، وهو ووليّ اليتيم، ووليّ القليل، وهم أولياؤه، ووليّ ولاية، وهو والي البلد، وهم ولاته، ورحم الله ولاية العدل، واستولى عليه، وهذا مولاي: ابن عمي، وهم موالي، ومولاي: سيدي وعبدي، وموَلَّى بين الولاية سيداً ناصر، وهو أولى به، ووالاه موالاة، ووالى بين الشيئين، وهما على الولاء، وتقول العرب: وال غنمك من غنمي، أي: اعزلها وميزها، وإذا كانت الغنم ضائعاً ومعزى قيل: والها. قال ذو الرمة:

يُوَالِي إِذَا اضْطَرَّكَ الْخُصُومُ أَمَامَهُ

وُجُوهَ الْقَضَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَظَالِمِ

وولاه ركنه ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وتوليته: جعلته ولياً
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فِئْتَهُ مِنْهُمْ﴾ وتولاك الله بحفظه، ووضع الولية على الراحلة،
وهي البرذعة، قال أبو زيد:

كَالْبَلَايَا رُؤُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَانِحَاتِ السُّمُومِ حُرَّ الْخُدُودِ

وولى عني وتولى، و ﴿أَوَّلَا لَكَ﴾ ويل لك، واستولى على الغاية، وهذا من
الغريب بمكان.

○ الإعراب:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ألا حرف تنبيه،
يستفتح بها الكلام، مركبة من الهمزة ولا النافية، مغيرة عن معناها الأول إلى
التنبيه، وإن أولياء الله: إن واسمها، ولا نافية، خوف مبتدأ، وساخ الابتداء
به لنفيه، وعليهم خبر، ولا الواو حرف عطف، ولا نافية، وهم مبتدأ،
وجملة يحزنون خبر.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الذين آمنوا يحتمل موضعه ثلاثة أوجه
متساوية الأرجحية، الأول: النصب على أنه صفة أولياء الله، والثاني: الرفع
على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين آمنوا، والثالث: الرفع على
الابتداء، والخبر جملة لهم البشرى الآتية، وجملة آمنوا صلة، وكانوا يتقون
عطف على الصلة، وجملة يتقون خبر كانوا.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لهم خبر مقدم، والبشرى مبتدأ مؤخر،
وفي الحياة متعلق بمحذوف حال من البشرى، والعامل في الحال الاستقرار في
لهم، والدنيا صفة للحياة، وجملة لهم البشرى، إما مستأنفة، وإن جعلت
الذين مبتدأ كانت في محل رفع خبر.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ أَنْ يَكْمَلَ اللَّهُ﴾ وفي الآخرة عطف على في الحياة

الدنيا، ولا نافية للجنس، وتبديل اسمها، ولكلمات الله خبر لا .

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ذلك مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، الفوز خبر هو، والجملة خبر ذلك، والعظيم صفة الفوز، والجملتان معترضتان ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا، والكاف مفعول به، وقولهم فاعل، وإن واسمها، وكسرت همزتها؛ لأن الجملة مستأنفة بمعنى التعليل لعزة الله، ولا يجوز أن تكون كسرت لأنها وقعت بعد القول؛ لأنه يصير حكاية عنهم، وإن النبي ﷺ تحزن لذلك، وهذا كفر، والله خبر إن، وجميعاً حال من العزة، ويجوز أن يكون توكيداً، ولم يؤنث بالتاء، لأن فاعلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو مبتدأ، والسميع خبره الأول، والعليم خبره الثاني.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَجِيبُوا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١٦ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ١٧

☆ اللفظة:

﴿يَخْرُصُونَ﴾ أصل معنى الخرص: الحزر، أي: التخمين والتقدير، ويستعمل بمعنى الكذب لغلبته في مثله. وفي المصباح: خرصت النخل خرصاً، من باب: قتل، حزرت ثمره، والاسم الخِرص بالكسر، وخرِص الكافر خرصاً: كذب، فهو خارِص وخرَّاص.

○ الإعراب:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ألا حرف تنبيه، وقد تقدمت الإشارة إليه، وإن حرف مشبّه بالفعل، والله خبرها المقدم، ومن اسمها المؤخر وخص العقلاء بالذكر تضحيماً لأنهم إذا كانوا له وداخلين في

ملكه، فما وراءهم مما لا يعقل أولى ألا يكون له نداً وشريكاً، وفي السموات صلة من، ومن في الأرض عطف على «من في السموات».

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ما نافية، ويتبع الذين فعل مضارع وفاعل، وجملة يدعون صلة، ومن دون الله حال من شركاء لتقدمه عليه، وشركاء مفعول به ليتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى، والتقدير: وما يتبع الذين من دون الله آلهة شركاء، أي: وما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها شركاء؛ لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون إلا ظنهم أنهم شركاء، ويجوز أن تكون ما استفهامية، وتكون حينئذ منصوبة بما بعدها، أي: ما يتبع؟ وإلى هذا الإعراب جنح أبو البقاء، ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من، كأنه يقول: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم، ويجوز أن تكون ما الموصولة هذه في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل، فهذه أربعة أوجه أوردناها لتقاربها في الأرجحية، وإن كان الأول أسهلها.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ إن نافية، ويتبعون فعل وفاعل، وإلا أداة حصر، والظن مفعول به، وإن نافية أيضاً، وهم مبتدأ وإلا أداة حصر، وجملة يخرسون خبر هم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ هو مبتدأ، والذي خبر، وجملة جعل صلة الموصول، ثم الجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق نصب مفعولاً واحداً، وإن كان بمعنى التصيير نصب مفعولين، وعلى كل لكم متعلق بجعل، والليل مفعول به، لتسكنوا: اللام للتعليل، وتسكنوا منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور إما مفعول لأجله، أو مفعول به ثان، وفيه متعلق بتسكنوا، والنهار عطف على الليل، ومبصراً إما حال، وإما مفعول به ثان كما تقدم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبر مقدم لأن، واللام المرحقة، وآيات اسم إن

المؤخر، ولقوم صفة لآيات، وجملة يسمعون صفة القوم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَالْتَهَارُ مُبْصِرًا﴾ مجاز عقلي، فإن إسناد الإبصار إلى النهار غير حقيقي، وقد تقدم أن المجاز العقلي هو إسناد الفعل، أو شبهه، إلى غير ما هوله، على حد قول أبي تمام:

تكاد عطاياهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ

ويجوز أن يجري على أنه استعارة مكنية إذا قصد التشبيه، ومنه قول جرير:

لقد لمتنا يا أمّ غالب في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٨ قُلِ الْبَٰتِلُ الَّذِيْنَ يُفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبُ لَا يُفْلِحُونَ ٦٩ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثَمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٧٠﴾

○ الإعراب:

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ قالوا فعل وفاعل، واتخذ الله ولداً فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مقول القول، وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هو مبتدأ، والغني خبره، وله خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر، وفي السموات صلة، وما في الأرض عطف على ما في السموات.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا﴾ إن نافية، وعندكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وسلطان مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً مجرور لفظاً، وبهذا صفة لسلطان ﴿أَتَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الهمزة

للاستفهام الإنكاري، وتقولون فعل مضارع وفاعل، وعلى الله متعلق بتقولون، وما مفعول به، وجملة لا تعلمون صلة.

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ قل فعل أمر، وفاعله أنت، وإن الذين إن واسمها، وجملة يفترون صلة الذين، وعلى الله متعلق بيفترون، والكذب مفعول به، وجملة لا يفلحون خبر إن.

﴿ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثَمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ متاع خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذاك، أو هو، وفي الدنيا صفة، ويجوز أن يكون متاع مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: لهم متاع، وساغ الابتداء به لوصفه، وثم حرف عطف وتراخ، وإلينا خبر مقدم، ومرجعهم مبتدأ مؤخر، ثم حرف عطف أيضاً ونذيقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول، والعذاب مفعول به ثان، والشديد صفة، وبما الباء حرف جر للسببية، وما مصدرية، أي: بسبب كونهم كافرين، والجار والمجرور متعلقان بنذيقهم.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

☆ اللفظة:

﴿ فَأَجْمِعُوا ﴾ يقال: أجمع الأمر وأزمعه: إذا نواه، وعزم عليه، قال المؤرج: أجمعت الأمر أفصح من: أجمعت عليه، وقال أبو الهيثم: أجمع أمره:

إذا جعله جمعاً بعدما كان متفرقاً (الغمة) ضيق الأمر من غمه إذا ستره، ومنها قوله ﷺ: «ولا غمة في فرائض الله» وغم الهلال: إذا حال من دونه غيم يحجب رؤيته.

○ الإعراب:

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله أنت، وعليهم متعلقان باتل، ونبأ مفعول به، ونوح مضاف إليه، وإذ ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب بدل من نبأ بدل اشتمال، أو متعلق به، ولا معنى لقول أبي البقاء أنه حال من نبأ، كما لا يجوز تعليقه بالفعل، وهو: اتل؛ لفساد المعنى؛ لأن اتل مستقبل والظرف ماض، وجملة «قال لقومه» مضافة للظرف ﴿يَقُومِرَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِ بِشَايَةِ اللَّهِ﴾ فعلى الله توككْتُ ﴿يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وقد تقدم بحثه، وإن شرطية، وكان فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن المحذوف، وجملة كبر عليكم مقامي خبرها، والمراد بتكبير المقام تعظيم الشقة، والمقام - بالفتح -: المنزل والمكانة، قال تعالى: «ولن خاف مقام ربه جنتان» والمقام - بالضم -: الإقامة والقيام على الدعوة خلال مدة اللبث؛ لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وتذكيري عطف على مقامي، وبآيات الله متعلقان بتذكيري، فعلى الله: الفاء رابطة، والجار والمجرور متعلقان بتوكلت.

﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الفاء الفصيحة، وأجمعوا فعل أمر، والواو فاعل، وأمركم مفعول به، لأنه يتعدى بنفسه وبالحرف، كما تقدم في باب: اللغة، وشركاءكم: الواو للمعية، وشركاءكم مفعول معه، نصّ على ذلك سيبويه، وأنشد:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال

وقال النحاس: في نصب الشركاء على قراءة الجمهور ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى: وادعوا شركاءكم، قاله الكسائي والفراء، أي: ادعوهم نصرتكم، فهو على هذا منصوب بفعل مضمر.

الثاني: وقال محمد بن يزيد المبرد: هو معطوف على المعنى كما قال الشاعر:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
والرمح لا يتقلد به لكنه محمول كالسيف.

الثالث: وقال الزجاج: المعنى: مع شركائكم، فالواو على هذا واو مع، وأما على قراءة اجمعوا بهمزة وصل، فالعطف ظاهر، أي: أجمعوا أمركم، واجمعوا شركاءكم، وأما توجيه قراءة الرفع، فعلى عطف الشركاء على الضمير المرفوع في أجمعوا وحسن هذا العطف مع عدم التأكيد بمتفصل كما هو المعتبر في ذلك.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ ثم حرف عطف وتراخ، ولا ناهية، ويكن مجزومة بلا، وأمركم اسم يكن، ويكن حال؛ لأنه كان صفة في الأصل، وتقدمت وغمة خبر يكن ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ثم حرف عطف كما تقدم، واقضوا فعل أمر وفاعل، وإليّ متعلق به، ولا: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنظرون أصله تنظرونني مجزوم بلا، حذفت النون للجازم، وحذفت ياء المتكلم للفواصل، أي: لا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وتوليتم فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وما نافية، وسألتكم فعل وفاعل، ومن زائدة، وأجر مفعول به محلاً.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر، وأمرت: الواو عاطفة، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن أكون: أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، أي: بأن أكون. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّتْهُ وَمَنْ

مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴿ الفاء عاطفة على ما تقدم، وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به، فنجيناه عطف على كذبوه، ومن اسم موصول معطوف على الهاء، والظرف متعلق بمحذوف هو الصلة، أي: استقروا معه في السفينة، وفي الفلك جار ومجرور متعلقان بنجيناه، أو في الاستقرار الذي هو الصلة، أي: والذين استقروا معه في الفلك، وجعلناهم خلائف فعل وفاعل ومفعولاه ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ وأغرقنا عطف على نجيناه، ونا فاعل، والذين مفعول به، وجملة كذبوا بآياتنا صلة، وبآياتنا متعلقان بكذبوا ﴿ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذَرِّينَ ﴾ الفاء استئنافية، وانظر فعل أمر، وفاعله مستتر، وكيف اسم استفهام خبر كان مقدم، وعاقبة اسمها، والمنذرين مضاف إليه.

□ البلاغة:

- (١) المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي ﴾ فقد أسند الكبر إلى المقام، والمقام: هو كناية عن النفس لأن المكان من لوازمه.
- (٢) الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَقْضَوْا إِلَيَّ ﴾ أي: نفذوا ذلك الأمر، أو أدوا إلى ذلك الأمر، شبه الأمر المحذوف بالذئ، ثم حذف المشبه به، وأخذ شيئاً من خصائصه، وهو القضاء، يقال: قضى فلان دينه، أي: أداه.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ٧١ ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ٧٢ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ٧٣ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ٧٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

○ الإعراب:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ عطف على قصة نوح، وبعثنا: فعل وفاعل، ومن بعده حال، ورسلًا مفعول به، وإلى قومهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ الفاء عاطفة، وجاءوهم فعل وفاعل ومفعول به، وبالبيّنات متعلقان بجاءوهم، والفاء عاطفة، وما نافية، وكان واسمها، واللام لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة بعدها، واللام ومدخولها خبر كان، وبما متعلقان بيؤمنوا، وجملة كذبوا صلة، وبه متعلقان بكذبوا، ومن قبل حال، وبنيت قبل على الضم لانقطاعها عن الإضافة لفظاً لا معنى ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع نطبع، وعلى قلوب المعتدين جار ومجرور متعلقان بنطبع ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ يَتْلِيَانَا﴾ عطف قصة على قصة أيضاً من باب: عطف الخاص على العام، ومن بعدهم حال وموسى مفعول به لبعثنا، وهارون معطوف على موسى، وإلى فرعون متعلقان ببعثنا، وملئه عطف على فرعون، وبآياتنا متعلقان بمحذوف حال، أي: متلبسين بآياتنا التسع التي سيصرح بها في سورة «الإسراء»، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وقد تقدم منها ثمانية في سورة: «الأعراف» اثنتان في قوله: ﴿فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾ وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ وواحدة في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ وخمسة في قوله: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وستأتي التاسعة في هذه السورة في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي: امسخها حجارة، كما سيأتي في حينه. ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ الفاء عاطفة، واستكبروا فعل وفاعل، وكانوا كان واسمها، وقومًا خبرها، ومجرمين صفة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وجملة جاءهم مضافة، أو لا محل لها، والحق فاعل،

ومن عندنا متعلقان بجاءهم ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّثْنٍ﴾ جملة قالوا لا محل، وإن واسمها، واللام المرحلة، وسحر خبر إن، ومبين صفة ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ قال موسى فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام، وتقولون فعل مضارع وفاعل، وللحق جار ومجرور متعلقان بتقولون، ولما حينية، وجملة جاءكم مضافة، أسحر الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وسحر خبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول، ولا الواو للحال، ولا نافية، ويفلح الساحرون فعل مضارع وفاعل، والجملة حالية ﴿قَالُوا أَاجْتَنَّا لِتُلْفَنَّا وَعَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ قالوا فعل وفاعل، والهمزة للاستفهام البياني؛ الذي يستفرغ فيه المكابر المعاند حججه المتهاففة؛ ليبرر إصراره على اللجاج، والمواربة، والعناد، وجملة أجتنا مقول القول، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ولتلفتنا اللام للتعليل، وتلفت فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعما متعلقان بتلفتنا، وجملة وجدنا صلة، وعليه متعلقان بمحذوف حال تقديره: عاكفين، وآباءنا مفعول به ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ ءَالِكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ الواو عاطفة، وتكون فعل مضارع ناقص، ولكما خبرها المقدم، والكبرياء اسمها المؤخر، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي: ممتدة والكبرياء مصدر على وزن فعلياء، ومعناها: العظمة، وقيل: الملك؛ لأن الملوك موصوفون بالكبر، ولذلك قيل للملك الجبار، قال بشار بن برد:

إذا الملك الجبار صعر خدّه مشينا إليه بالسيف نعبته

ووصفوا بالصيد والشوس، ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله:

ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، وبمؤمنين الباء زائدة، ومؤمنين خبر ما محلاً.

* الفوائد:

قال ابن هشام في صدد حديثه عن حذف المفعول: «ومن غريبه حذف المقول وبقاء القول، نحو: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ أي: هو سحر بدليل: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾».

وهذا القول فيه شيء كثير من الغموض، وقد تعقبه الدسوقي فقال: «ما ذكره المصنف أحد أوجه ذكرها في «الكشاف» وعبارته: فإن قلت: هم قطعوا بقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ على أنه سحر، فكيف قيل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾؟ قلت: فيه أوجه أن يكون معنى قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾: أتعيبونه، وتطعنون فيه، وكان عليكم أن تدعنوا له، وتعظموه، من قولهم: فلان يخاف القالة، وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه، ونحو القول الذكر في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَيَذْكُرُهُمْ﴾ ثم قال: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ أنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه، وأن يحذف مفعول أتقولون، وهو: ما دل عليه قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ كأنه قيل: أتقولون ما تقولون، يعني قولهم: إن هذا لسحر مبين. ثم قيل: أسحر هذا، وأن يكون جملة قوله ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُلْحِقُ السَّاحِرُونَ﴾ حكاية لكلامهم، كأنهم قالوا: أجتئنا بالسحر تطلبان به الفلاح» انتهى ما قاله الزمخشري. وقد تصرف به الدسوقي تصرفاً مخالفاً، ولهذا أثرنا نقل ما قاله الزمخشري بنصه من «الكشاف» ومع ذلك لا يخلو من غموض، وإيضاحه: إن القول على الوجه الأول وقع كناية عن العيب فلا يتقاضى مفعولاً، وفي الثاني على أنه يطلب مفعولاً، والذي نراه أن سؤال ابن هشام غير وارد، واعتراض الزمخشري وتكلفه الإجابة عنه غير وارد أيضاً، ولهذا ضربنا صفحاً في الإعراب عن هذا كله، وأحسن من الجميع عبارة أبي السعود وهي: «قال موسى: أي: قال جملاً ثلاثاً الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ والثانية: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ والثالثة: ﴿وَلَا يُلْحِقُ السَّاحِرُونَ﴾ وقوله ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: في شأنه ولأجله وقوله: ﴿لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ أي: حين مجيئه إياكم من أول الأمر من غير تأمل وتدبر،

وهذا مما ينافي القول المذكور. وقوله: «إنه لسحر» هذا مقول القول، فحذف لدلالة ما قبله عليه، وإشارة إلى أنه لا يتفوه به وقوله: ﴿أَسْحَرُ هَذَا﴾ مبتدأ وخبر، وهو استفهام إنكار مستأنف من جهته عليه السلام، تكذيباً لقولهم، وتوبيخاً إثر توبيخ، وتجهيلاً بعد تجهيل. وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ جملة حالية من ضمير المخاطبين، والرابط هو الواو بلا ضمير، كما في قول من قال: «جاء الشتاء ولست أملك عدة» أي: أتقولون للحق إنه لسحر، والحال أنه لا يفلح فاعله، أي: لا يظفر بمطلوب، ولا ينجو من مكروه، فكيف يمكن صدوره عن مثلي من المؤيدين من العزيز الحكيم».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٨٠ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ٨١ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ٨٢﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ الواو عاطفة لتساوق فصول القصة، وقال فرعون فعل وفاعل، وأتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبكل متعلقان بأتوني، وساحر مضاف إليه، وعليم صفة ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ الفاء عاطفة على محذوف، أي: فأتوا بالسحرة، وجملة «قال لهم موسى» لا محل لها، وألقوا فعل أمر وفاعل، وما اسم موصول مفعول به، وأنتم مبتدأ، وملقون خبر، والجملة الاسمية صلة الموصول، وجملة ألقوا مقول القول ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾ ما اسم موصول مبتدأ، وجملة جئتم به صلة، والسحر خبر، وفي قراءة السحر بهمزتين همزة استفهام، وهمزة أل، فتكون ما استفهامية في محل رفع مبتدأ، وجئتم به الخبر، والتقدير: أي شيء جئتم به، كأنه استفهام إنكار وتقليل لما

جاؤوا به، والسحر بدل من اسم الاستفهام؛ لذلك أعيدت معه أدياته، أو يكون السحر خبراً لمبتدأ محذوف، أي: أهو السحر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبَّطُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿إِنْ وَاسْمَهَا، وجملة سيبطله خبرها، وإن واسمها، وجملة لا يصلح خبرها، وإن الثانية للتعليل، وعمل المفسدين مفعول به ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الواو عاطفة، ويحق الله فعل وفاعل، والحق مفعول به، وبكلماته متعلقان بيقق، ولو الواو حالية، ولو وصلية، وكره المجرمون فعل وفاعل.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

○ الإعراب:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الفاء عاطفة على محذوف يفهم من السياق، ومما فصل في مواضع آخر، أي: ﴿فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما نافية، وآمن فعل ماض، ولموسى متعلق به، وإلا أداة حصر، وذرية فاعل، ومن قومه صفة ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ على بمعنى مع، وهي مع مجرورها في محل نصب على الحال، ومن فرعون جار ومجرور متعلقان بخوف، وملئهم عطف على فرعون، وإنما أعاد الضمير إليه جمعاً؛ لأنه بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون بأمره، وأن يفتنهم: أن وما في حيزها بدل اشتمال من فرعون، أي: على خوف من فتنة فرعون، أو مفعول لأجله بعد حذف اللام ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الواو اعتراضية، وهذه الجملة والتي بعدها اعتراض تذييلي، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وعال خبر إن مرفوع،

وعلازمة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بعالم، وإنه: الواو اعتراضية أيضاً، وإن واسمها، واللام المرحقة، ومن المسرفين خبر إن ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ يا قوم: يا حرف نداء، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم، وقد تقدم حكمه، ونزيد هنا أن حذف الياء أقوى من إثباتها لقوة النداء على التغير، وإن شرطية، وكنتم في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسم كان، وجملة آمنت خبر كنتم، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتهم، فعليه: الفاء رابطة لجواب الشرط، وعليه متعلقان بتوكلوا، وتوكلوا فعل أمر وفاعل، وإن شرطية، وكنتم مسلمين كان واسمها وخبرها، وجواب الشرط محذوف، وكرر الجملة تأكيداً، وسيأتي في باب الفوائد تحقيق تعليق الحكم بشرطين ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ الفاء للعطف، وقالوا فعل وفاعل، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا، وتوكلنا فعل وفاعل ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ربنا منادى مضاف، وحرف النداء محذوف، ولا ناهية، وتجعلنا فعل مضارع مجزوم بلا، ونا مفعول به أول، وفتنة مفعول به ثان، وللقوم صفة، والظالمين صفة لقوم ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ الواو عاطفة، ونج فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، ونا مفعول به، وبرحمتك متعلقان بمحذوف حال، ومن القوم متعلقان بنجنا، والكافرين صفة لقوم.

* الفوائد:

متى لم يترتب الشرطان في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول، ولذلك لم يجب تقديمه على الأول، وقد بنى الفقهاء على ذلك حكماً طريفاً، وهو أن يقول الرجل لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق إن كلمت زيدا، فمجموع قوله إن دخلت الدار، فأنت طالق مشروط بقوله: إن كلمت زيدا، والمشرط متأخر عن الشرط، وذلك يقتضي أن يكون المتأخر في اللفظ متقدماً في المعنى، وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخراً في المعنى، فكأنه يقول لامرأته: حالما كلمت زيدا إن دخلت الدار فأنت طالق، فلو حصل هذا المعلق قبل إن كلمت

زيداً لم يقع الطلاق، وفي الآية التي نحن بصددھا قوله: **إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ** فعليه توكلوا **إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ**، يقتضي أن يكون كونهم مسلمين شرطاً لأن يصيروا مخاطبين بقوله: **إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ** فعليه توكلوا، فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه: **إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** بالله فعلى الله توكل، والأمر كذلك؛ لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو: الانقياد لتكليف الله، وترك التمرد والإيمان عبارة عن معرفة القلب بأن واجب الوجود لذاته واحد، وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره، فإذا حصلت هاتان الحالتان، فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى، ويحصل في القلب نور التوكل على الله.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَتَهُ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)

☆ اللفظة:

﴿تَبَوَّءَا﴾: تبوأ المكان: اتخذ مباءة، كقولك: توطئه؛ إذا اتخذ وطناً، وبوأ له بيتاً: أي: اتخذته، وقال أبو علي: **إِنْ تَبَوَّأَ فَعَلٌ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ**.
﴿اطْمِسْ﴾: الطمس: إزالة أثر الشيء بالمحو، وطمست الريح آثار الديار، والطمس: تغير إلى الدثور والدروس، قال كعب بن زهير:

من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت

عُرِضَتْهَا طامس الأعلام مجهول

○ الإعراب:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ الواو استئنافية، وأوحينا فعل وفاعل، وإلى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا، وأخيه عطف على موسى، وأن يجوز أن تكون مفسرة؛ لأنه قد تقدمها ما هو بمعنى القول دون حروفه، وهو الإيحاء، ويجوز أن تكون مصدرية على بابها، وهي مع مدخولها في موضع نصب مفعول أوحينا، أي: أوحينا إليهما التبوء، ولقومكما متعلقان بتبوءاً، وباعتبارها مفعولاً ثانياً، وبمصر حال، وبيوتاً مفعول تبوءاً، وجوز أبو البقاء أن يتعلق بتبوءاً ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ واجعلوا عطف على تبوءاً، ويؤتكم مفعول اجعلوا الأول، وقبله مفعول اجعلوا الثاني، وأقيموا الصلاة عطف، وهو فعل أمر وفاعل ومفعول به، وبشر المؤمنين عطف أيضاً، وسيأتي في باب البلاغة سرّ تنوع الخطاب ﴿ وَقَالَ كَمْ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال موسى فعل وفاعل، وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وإن واسمها، وجملة آتيت خبر إن، وفرعون مفعول به، وملاه عطف على فرعون، وزينة مفعول به ثان، وأموالاً عطف على زينة، وفي الحياة الدنيا صفة لزينة ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ ربنا منادى مضاف، وأعيد للتوكيد، واللام لام الصيرورة والعاقبة، أي: آتيتهم النعم المذكورة ليشكروها، ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروها، وضلوا عن سبيلك، ويجوز أن تكون لام العلة، والمعنى: أنك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، فكان الإيتاء لهذه العلة، وقال الحسن البصري: هي لام الدعاء عليهم بأن يبقوا على ما هم عليه من الضلال، وعن سبيلك جار ومجرور متعلقان بضلوا ﴿ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ اطمس فعل أمر، وفاعله أنت، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان باطمس، واشدد على قلوبهم عطف على اطمس على أموالهم ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ يحتمل يؤمنوا نصب والجزم، فالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية العاطفة،

أو العطف على قوله ليضلوا فلا يؤمنوا، واختاره المبرد، وعلى هذا يكون قوله: ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضاً، والجزم على وجه الدعاء عليهم، على أن لا التي يسميها النحاة ناهية، وهي بالنسبة إلى الله تعالى لام الدعاء، ومثله بيت الأعشى:

فلا ينسط من بين عينيك ما انزوى

ولا تلقني إلا وأنفك راغم

وحتى حرف غاية وجر، ويروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والأليم صفة ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ جملة قد أجيبت مفعول القول، ودعوتكما نائب فاعل ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الفاء الفصيحة، واستقيما فعل أمر، والألف فاعل، ولا تتبعان: الواو عاطفة، ولا ناهية، وتبعان فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، وألف الاثنين فاعل، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة، وكسرت لوقوعها بعد ألف الاثنين، وقرأ حفص تتبعان بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء، فتحتمل أن تكون لا للنفي، وأن تكون للنهي، فإن كانت للنفي كانت النون نون رفع، والجملة اسمية، أي: وأنتما لا تتبعان، أو أنه خبر محض مستأنف لا تعلق له بما بعده، وإن كانت للنهي كانت النون للتوكيد، وهي الخفيفة، وسبيل مفعول به، والذين مضاف إليه، وجملة لا يعلمون صلة.

□ البلاغة:

التنوع في الخطاب، فقد نوع سبحانه في خطابهم، فثنى أولاً، ثم جمع، ثم وحد آخرًا، والسر في ذلك أن موسى وهارون خطبا بأن يتبوا لقومهما بيوتا، ويختاراها للعبادة، ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد للصلاة فيها؛ لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص آخراً موسى بالبشارة التي هي الغرض الأسمى، تعظيماً لها وللمبشر بها.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَقًّا
 إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
 بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

☆ اللغة:

﴿وَجَوَزْنَا﴾ : هو من جاوز المكان ؛ إذا تحطاه ، وخلفه وراءه .

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ : في المختار : تبعه من باب : طرب وسلم ؛ إذا مشى خلفه ،
 أو مرّ به فمضى معه ، وكذا اتّبعه ، وهو افتعل ، وأتبعه على أفعل ؛ إذا كان قد
 سبقه فلحقه . وقال الأخفش : تبعه وأتبعه مثل ردفه وأردفه ، وحكى
 أبو عبيدة عن الكسائي : أنه قال : إذا أريد بهم أنه أتبعهم خيراً أو شراً قالوا
 بقطع الهمزة ، وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم ، قالوا بتشديد التاء
 ووصل الهمزة .

﴿بَغْيًا﴾ : البغي : طلب الاستعلاء بغير الحق .

﴿وَعَدُوًّا﴾ : في الصحاح للجوهري : عدا عَدُوًّا وَعُدُوًّا وَعَدَاءً ، وفي
 القاموس والتاج : وَعُدُوًّا وَعِدُوًّا ، وَعُدُوٌّ عَلَيْهِ : ظلمه ، ويقال : «ما عدا
 مما بدا» أي : ما الذي صرفك عني بعد ما بدا منك ؟

﴿نُنَجِّيكَ﴾ : من النجوة ، وهي : الأرض التي لا يعلوها السيل ،
 وأصلها من الارتفاع .

○ الإعراب:

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة ،
 مسوقة لبيان ما آل إليه أمر فرعون وقومه ، وجاوزنا فعل وفاعل ، وبيني
 إسرائيل متعلقان بجاوزنا ، والباء للتعدية ، أي : جعلناهم مجاوزين البحر ،

والبحر مفعول به ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ فأتبعهم: الفاء عاطفة، وأتبعهم فعل ومفعول به، وفرعون فاعل، وجنوده عطف على فرعون، وبغياً مفعول لأجله، وعدواً معطوف عليه، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال، أي: باغين معتدين ﴿حَقَّقَ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ حتى حرف غاية لاتباعه، وإذا ظرف مستقبل، وأدركه الغرق فعل ومفعول به وفاعل، والجملة في محل جر بالإضافة، وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آمنت مقول القول، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور صلة آمنت، ولا إله إلا الذي تقدم القول فيها مشبعاً، وجملة آمنت صلة الذي وبه متعلقان بآمنت، وبنو إسرائيل فاعل آمنت، وأنا الواو عاطفة، وأنا مبتدأ، ومن المسلمين خبر ﴿ءَأَلَفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الآن الهمزة للاستفهام، والآن ظرف متعلق بمحذوف، وتقديره: الآن آمنت، وقد: الواو للحال، وقد حرف تحقيق، وعصيت فعل وفاعل، وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وكنت من المفسدين عطف على عصيت، وكنت كان واسمها، ومن المفسدين خبرها ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ الفاء استئنافية، واليوم ظرف متعلق بننجيك، وببدنك حال من الكاف، أي: مصاحباً لبदनك، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب: البلاغة، ولتكون اللام للتعليل، وتكون منصوب بأن مضمرة، واسم تكون مستتر تقديره: أنت، وآية خبرها، ولمن خلقتك حال، والظرف متعلق بالاستقرار؛ الذي هو صلة الموصول ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ الواو اعتراضية، والجملة اعتراض تذييلي جيء به عقب الحكاية، وإن واسمها، ومن الناس صفة لكثيراً، وعن آياتنا متعلقان بغافلون، واللام المرحقة، وغافلون خبر إن.

□ البلاغة:

في الآية تورية إذا فسر البدن بالدرع، أما إذا فسر بالجسم فيكون المعنى ننجيك في الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن، أو بيدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء، أما تفسير البدن بالدرع فيدل عليه قول عمرو بن معدي كرب:

أَعَاذِلُ شَكَّتِي بَدَنِي وَسَيْفِي وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسُ الْقِيَادِ

وكانت لفرعون درع من ذهب يعرف بها، وعندئذ صح في البدن التورية، وهي: أن البدن في القريب الظاهر بمعنى الجسم، وفي البعيد الخفي بمعنى الدرع، ومراده البعيد الخفي؛ فإن نجاة فرعون، أي: خروجه من البحر بعد الغرق بدرعه، أعجب آية من خروجه مجرداً، والتورية في القرآن قليلة، وسترد مواضعها في حينها، ونتحدث عنها هنا باختصار، فنقول:

تعريف التورية: التورية: هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان: قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد. وتنقسم إلى أربعة أقسام:

(١) التورية المجردة، وسميت بذلك لتجردها من اللوازم، وهي قسمان أيضاً:

أ - المجردة التي ذكر معها لازم المورى به، وهو المعنى القريب، ولازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد، كقول مجير الدين بن تميم:

وليلة بئ أسقى في غياهيها راحاً تسلُّ شباي من يد الهرم
ما زلتُ أشربها حتى نظرتُ إلى غزالة الصُّبح ترعى نرجسَ الظلم

فالصبح من لوازم الغزالة الشمسية، والرعي من لوازم الغزالة الوحشية.

ب - المجردة التي لم يذكر معها لازم من لوازم المورى به، ولا لازم من لوازم المورى عنه، كقول بعضهم في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً، فأزهت الأرض:

كأنَّ نيسانَ أهدى من ملابسه لشهرِ كانون أنوعاً من الحلل
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرقُ بين الجدي والحمل
فالتورية هنا مجردة؛ إذ لم يذكر الشاعر شيئاً من لوازم المورى به، أو لوازم
المورى عنه.

(٢) التورية المرشحة: وهي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى به،
كقول القائل:

يا سيداً حازَ لطفاً له البرايا عبيد
أنتَ الحسينُ ولكن جفاكَ فينا يزيد
فإن ذكر الحسن لازم لكون يزيد اسماً علماً بعد احتمال له للفعل المضارع؛
الذي هو معناه المقصود المورى عنه.
ولابن خطيب داريا في حمص:

مدينة حمص كعبة الحسن أصبحت
يطوفُ بها دانٍ ويسعى بها قاصي
له حلّة من نبتها سندسية
تعلّق في أذيالٍ أستارها العاصي

فإن ذكر التعلق بأذيال الكعبة هنا على سبيل الاستعارة ترشيح للعاصي من
العصيان كما سبق، وقد ردّ بعضهم على ابن خطيب داريا فقال:

مدينة حمص لم تكن قطّ كعبةً يطوفُ بها دانٍ ويسعى بها قاصي
ولكنّها للهو والقصفِ حانة ألم تنظروها كيف جاورها العاصي؟!

(٣) التورية المبينة: هي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى عنه، ومن
أمثلتها ما يحكى أن نقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاماً اسمه صدقة،
أخذه ابن المنير الطرابلسي يوماً، وأضافه، وجلسوا في طبقة، وإذا بالشرif
أتى إليهم مستخفياً، وقال لهم:

يا مَنْ هُمْ في الطبقة هل عندكم من شَفقة؟

قد جاءكم متيّمٌ يطلب منكم «صدقة»

فأجابه ابن المنير في الحال :

يا مَنْ أتانا سرقه بمهجةٍ محترقة
جُدُّك يا ذا لم يحزْ أَخْذُكَ منا «صدقة»

فخجل ، وذهب عنهما ، والشاهد في قول الشريف «متيّم» يرشح المعنى المورى عنه في صدقة ، وهو اسم محبوبه ، والمعنى الثاني ظاهر ، وهو : الصلة للفقراء .

(٤) التورية المهيئة : وهي التي لا يتهياً معها في الكلام تورية إلا باللفظ قبله ، أو الذي بعده ، كقول الدماميني :

يا عدولي في مغنٍ مطرب حرك الأوتار لما سَفرا
لم تهز العطف منه طرباً عندما تسمع منه وترا
فإن اللفظة تسمع هيأت قوله «وترأ» للتورية بالرؤية ، وهو المعنى البعيد ، وأما المعنى القريب فأحد الأوتار للطنبور .

* الفوائد :

﴿ءَالْتَنَ﴾ ظرف زمان للوقت الذي أنت فيه ، مبني على الفتح ، ويجوز أن يدخله من حروف الجر من وإلى وحتى ومذ ومنذ مبنياً معهن على الفتح ، ويكون في موضع الجر .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩١) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّكَ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا

يَا أَيُّهَا اللَّهُ فَتَكُونُ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

☆ اللغة:

﴿مُبَوَّأٌ صَدَقَ﴾ اسم مكان، أي: مكان صدق، والمعنى: وأنزلناهم منزلاً محموداً، ويجوز أن يكون مصدراً.

(الامتراء) طلب الشك مع ظهور الدليل، وهو من مرى الضرع، وهو: مسح ليدّر.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مُبَوَّأً صَدَقَ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان النعم التي أفاضها الله على بني إسرائيل بعد إنجائهم، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وبوأننا فعل وفاعل، وبني إسرائيل مفعول به، ومبوءاً صدق مفعول به ثان لبوأن، أو مفعول مطلق إن كانت مبوءاً مصدراً ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ ورزقناهم عطف على بوأننا، وهو فعل وفاعل ومفعول به، ومن الطيبات متعلقان برزقناهم، فما: الفاء عاطفة، وما نافية، واختلفوا فعل وفاعل، وحتى حرف غاية وجر، وجاءهم العلم فعل ومفعول به وفاعل، والمراد بالاختلاف: ما تعاورهم من شكوك بعد مجيء الرسول محمد ﷺ، وتضافر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ إن واسمها، وجملة يقضي خبرها، وبينهم متعلقان بيقضي، ويوم القيامة ظرف متعلق بيقضي أيضاً، وفيما متعلقان بمحذوف حال، أي: فاصلاً فيما، وجملة كانوا صلة ما، وكانوا الواو اسمها، وفيه متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون خبر كانوا ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الفاء استئنافية، وإن شرطية، وكنت كان واسمها، والفعل في محل جزم فعل الشرط، وفي شك خبرها، وما متعلقان بمحذوف صفة لشك، وجملة أنزلنا إليك صلة ما ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ

يَقْرَءُونَ أَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٩٣﴾ الفاء رابطة، واسأل فعل أمر، وفاعله أنت، والذين مفعول به، وجملة يقرءون الكتاب صلة، ومن قبلك حال ﴿٩٤﴾ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٥﴾ اللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وجاءك الحق فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربك متعلقان بجاءك، والفاء عاطفة، ولا ناهية، وتكونن مجزوم بلا محلاً؛ لأنه مبني، واسمها مستتر تقديره: أنت، ومن الممترين خبرها ﴿٩٦﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ ﴿٩٧﴾ تقدم إعرابها ﴿٩٨﴾ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٩﴾ الفاء سببية، وتكون مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، ومن الخاسرين خبرها، وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في هذه الآية ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ إن واسمها، وجملة حقت صلة، وعليهم متعلقان بحقت، وكلمة فاعل، وربك مضاف لكلمة، وجملة لا يؤمنون خبر إن ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠٣﴾ الواو حالية، ولو شرطية، وجاءتهم كل آية فاعل، وحتى غاية النفي، ويروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والواو فاعل، والعذاب مفعول به، والرؤية عينية، ولذلك نصبت مفعولاً واحداً فقط، والأليم صفة، وجواب لو محذوف، أي: فلا ينفعهم إيمانهم حينئذ كما لم ينفع فرعون.

* الفوائد:

قال الزجاج: إن هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها، وفي السورة ما يدل على بيانها؛ فإن الله سبحانه يخاطب النبي، وذلك الخطاب شامل للخلق، فالمعنى: فإن كنتم في شك فاسألوا، والدليل عليه قوله في آخر السورة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ . . .﴾ الآية فأعلم الله سبحانه أن نبيه ليس في شك، ومثل هذه قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فقال: طلقتم والخطاب للنبي ﷺ وحده، قال أبو عمرو ومحمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت

الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان: معنى «فإن كنت في شك» أي: قل يا محمد للكافر: فإن كنت في شك.

وقال الفراء: إن الخطاب لرسول الله ﷺ وإن لم يشك، وعلم الله أنه غير شاك، ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والإفهام، كما يقول الابن لأبيه: إن كنت والدي فتعطف علي، أو لولده: إن كنت ابني فأطعني، يريد بذلك المبالغة، وربما خرجوا في المبالغة إلى ما يستحيل كقولهم: بكت السماء لموت فلان، أي: لو كانت السماء تبكي على ميت لبكت عليه، وكذلك يكون هاهنا المعنى: لو كنت ممن يشك فشككت فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك.

وقال الزمخشري: إن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وحجة نبوة محمد ﷺ، ويبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً - وسبيل من خالجه شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها، إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلتها، وإما بمقادحة العلماء المنتهين إلى الحق - فسأل علماء أهل الكتاب.

وقال أبو حيان: «والذي أقوله: أن إن الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحميم وقوعه وإمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة، كقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْلُغَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي: فافعل، لكن وقوع «إن» للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك، ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا

عَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

○ الإعراب:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ﴾ الفاء استثنائية، ولولا تحضيضية، وهذا التحضيض فيه معنى التوبيخ والنفي، وقد تقدمت الإشارة إلى حروف التحضيض، وكانت قرية فعل وفاعل؛ لأن كان هنا تامة، وجملة آمنت صفة لقرية ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ الفاء عاطفة، ونفعها معطوف على الصفة عطف المسبب على السبب، وإيمانها فاعل نفعها، والجملة قد تقوم مقام الصفة للنكرة، وإلا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ، فكأنه قال: هلاً آمن أهل قرية، والجميع مشتركون في العقاب، وقوم يونس مستثنى من الجميع، ومثل هذا الاستثناء قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾. وقال الزجاج إلا قوم يونس استثناء منقطع، وتقديره: لكن قوم يونس لما آمنوا، ومثله قول النابغة:

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً كِي أُسَائِلَهَا عَيَّتُ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيَّ لِأَيَّامٍ أَبَيَّنَهَا وَالنُّوْي كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ

ويونس مضاف إليه ممنوع من الصِّرف للعلمية والعجمية ﴿كَمَا ءَامَنُوا﴾ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿لما حينية، أو رابطة، وآمنوا فعل وفاعل، وجملة كشفنا لا محل لها، وعنهم متعلقان بكشفنا، وعذاب الخزي مفعول به، وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال، والدنيا صفة، ومتعناهم عطف على كشفنا، وإلى حين متعلقان بمتعناهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ الواو استثنائية، ولو شرطية، وشاء ربك فعل وفاعل لآمن، واللام واقعة في جواب لو، وجملة آمن لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم، ومن فاعل آمن، وفي الأرض صلة من، وكلهم تأكيد لمن، وجميعاً نصب على الحال من «من» ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة، وأنت مبتدأ، والجملة بعده خبر، وقد مر معنا أن الهمزة مقدمة على العاطف، أو ثم جملة محذوفة، وحتى حرف تعليل وجر، ويكونوا منصوب بأن مضمرة بعد حتى، ومؤمنين خبر يكونوا ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنفس خبرها المقدم، وأن المصدرية، وما في حيزها اسمها المؤخر، وإلا أداة حصر، وبإذن الله متعلقان بتؤمن ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ويجعل معطوفة على مقدر، كأنه قيل: فيأذن لبعضهم في الإيمان، ويجعل مضارع، والرجس مفعوله، وعلى الذين متعلقان بيجعل، وجملة لا يعقلون صلة.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَسِجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

☆ اللغة:

(النظر): طلب الشيء من جهة الفكر، كما يطلب إدراكه بالعين، والمعنى: تأملوا تأمل اعتبار.

﴿وَالنُّذُرُ﴾: جمع نذير، وهو: صاحب النذارة.

○ الإعراب:

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قل فعل أمر، وجملة انظروا مقول القول، وماذا يحتمل أن تكون ما استفهامية مبتدأ، وذا اسم موصول خبر،

وتكون الجملة في محل نصب لتعليق العامل، وهو انظروا بالاستفهام، ويحتمل أن تكون ماذا بتمامها استفهاماً في محل رفع مبتدأ، وفي السموات خبره، وعلى الأول يكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف هو الصلة للموصول، أي: ما الذي استقر في السموات والأرض ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الجملة إما حالية من الواو في انظروا؛ كأنه قيل: انظروا، والحال أن النظر لا ينفعكم، وإما معترضة، وما نافية، أو استفهامية في محل نصب على أنها مفعول مطلق لتغني، أي: أي: غناء تغني، والآيات فاعل، والنذر عطف على الآيات، وعن قوم جار ومجرور متعلقان بتغني، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الفاء استئنافية، وهل حرف استفهام، ويتنظرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، ومثل مفعول ينتظرون، وأيام مضاف إليه، والذين مضاف لأيام، وجملة خلوا صلة، ومن قبلهم متعلقان بخلوا، أو بمحذوف حال ﴿قُلْ فَأَنْظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ قل فعل أمر والفاء الفصيحة، وانتظروا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وإن واسمها ومن المنتظرين خبرها، والظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي، وننجي فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره نحن، والجملة عطف على كلام محذوف، تقديره: نهلك الأمم، ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية، ورسلنا مفعول به، والذين عطف على رسلنا، وجملة آمنوا صلة ﴿كَذَلِكَ حَقَّقْنَا نَجِيَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الكاف في محل نصب صفة لمصدر محذوف، أي: إنجاء مثل ذلك الإنجاء، فهي مفعول مطلق، والعامل فيه ننجي المؤمنين، ولك أن تجعل الكاف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، وقدروه بقولهم: الأمر كذلك، وحقاً نصب على المصدر، أي: يحق حقاً، ويجوز أن يعرب نصباً على الحال، وإن كان لفظه لفظ المصدر، وأورد جامع العلوم الضرير النحوي وجهاً طريفاً، وهو: أن ينصب على البدلية من كذلك، وعلينا متعلقان بحقاً، وننجي فعل مضارع، والمؤمنين مفعول به.

□ البلاغة:

التشبيه التمثيلي في قوله ﴿كَذَلِكَ نُنْجِي...﴾ الخ فقد شبه نجاة من بقي من المؤمنين بنجاة من مضى في أنه واجب لهم، وحق على الله . ووجه الشبه استحقاق كل منهم بالنجاة .

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِلَيْهِ يَرْدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُفَّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ قل فعل أمر، ويا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً، وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، وهي كان واسمها، وفي شك خبرها، ومن ديني صفة لشك ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا نافية، وأعبد فعل مضارع فاعله أنا، والذين مفعول أعبد، وجملة تعبدون صلة، ومن دون الله حال ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ﴾ الواو عاطفة، ولكن حرف استدراك لا عمل لها، وأعبد فعل مضارع، وفاعله أنا، ولفظ الجلالة مفعوله، والذي صفة، وجملة يتوفاكم صلة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعل، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع

الخافض، أي: بأن أكون، والجار والمجرور متعلقان بأمرت، واسم أكون مستتر تقديره: أنا، ومن المؤمنين خبر أكون ﴿وَأَنْ أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ الواو عاطفة، وأن وما في حيزها عطف على ما قبلها، كأنه قيل: وقيل لي: وأقم، ولكن يشكل إعراب المصدر؛ لأن عطفه على أن أكون فيه إشكال؛ لامتناع عطف الإنشاء على الخبر، ولكن سيبويه سوغ أن توصل أن بالأمر والنهي، وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل على الخطاب؛ لأن الغرض وصلها بما تكون معه بمعنى المصدر، والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال. وقد لخص البيضاوي ما أفاض فيه سيبويه قال: «﴿وَأَنْ أَقَمَّ﴾ عطف على ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر، ولا ضمير في ذلك؛ لأن مناط جواز وصلها بصيغ كل الأفعال دلالتها على المصدر، وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية، ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي، إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجملة، وهي لا توصف إلا بالجملة الخبرية، وليس الموصول الحرفي كذلك». وهو تلخيص لما قاله الزمخشري أيضاً، وجرى عليه أبو السعود، أما غيرهما فاختر أن «أن» المصدرية وما في حيزها في محل رفع بفعل مقدر، أي: وقيل لي، ولا نرى هذا الرأي. أما السمين شهاب الدين الحلبي فقال ما نصه: «قوله ﴿وَأَنْ أَقَمَّ﴾ يجوز أن يكون على إضمار فعل، أي: وأوحى إلي أن أقم، ثم لك في أن وجهان: أحدهما: أن تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدرة، وفيه نظر؛ لأن المفسر لا يجوز حذفه. والثاني: أن تكون مصدرية، فتكون هي وما في حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر».

وأقم فعل أمر، ووجهك مفعول به، وللدين متعلقان بأقم، وحنيفاً حال من الدين، أو من الوجه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتكونن فعل مضارع مبني لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا، واسم تكونن مستتر تقديره: أنت، ومن المشركين خبرها. ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتدع مضارع مجزوم بلا،

والفاعل أنت، ومن دون الله حال، وما موصول مفعول به، وجملة لا ينفعك صلة وجملة ولا يضررك عطف على لا ينفعك. ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وفعلت في محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، ومن الظالمين خبر إن ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويمسك فعل الشرط، والكاف مفعول به، والله فاعل، وبضر جار ومجرور متعلقان بيمسك، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وكاشف اسمها مبني على الفتح، وله متعلقان بكاشف، والخبر محذوف، ويجوز أن يكون له هو الخبر، أي: كائن له، وإلا أداة حصر، وهو بدل من الخبر المحذوف، على ما تقدم في «لا إله إلا الله» ﴿وَإِنْ يُرْدِكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ويردك فعل الشرط مجزوم، والكاف مفعول به، وبخير متعلقان بيردك، والفاء رابطة، ولا نافية للجنس، وراد اسمها، ولفضله متعلقان براد، والخبر محذوف، ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو الخبر كما تقدم ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ جملة يصيب استئنافية، والفاعل هو، وبه جار ومجرور متعلقان بيصيب، ومن مفعول يصيب، وجملة يشاء صلة، ومن عباده حال، وهو الواو استئنافية، وهو مبتدأ، والغفور خبر أول، والرحيم خبر ثان ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قد جاءكم الحق فعل ومفعول به وفاعل، ومن ربكم متعلقان بجاءكم ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ الفاء الفصيحة، ومن شرطية، أو موصولية مبتدأ، واهتدى فعل الشرط، والجملة صلة الموصول، والفاء رابطة، وإنما كافة ومكفوفة، ويهتدي فعل مضارع، والفاعل هو، ولنفسه متعلقان بيهتدي ﴿وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنْهَا﴾ تقدم إعراب مماثلتها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ الواو استئنافية، وما نافية حجازية، وأنا اسمها، وعليكم متعلقان بوكيل، ووكيل خبر ما الحجازية محلاً ﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الواو استئنافية لاستبعاد عطف الإنشاء على الخبر، واتبع فعل أمر، وفاعله أنت، وما مفعول به، وجملة يوحى صلة، وإليك متعلقان بيوحى ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٤﴾ واصبر فعل أمر معطوف على اتباع ، وحتى حرف غاية وجر ، ويحكم الله منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والله فاعله ، وهو : الواو استئنافية ، وهو مبتدأ ، وخير الحاكمين خبره .

* * *

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كَنَتْ أَحَكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ؕ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

☆ **اللمعة:**

﴿أَحَكَمَتْ ءَايَتُهُ﴾: نظمت نظماً رصيناً محكماً، لا يعتوره نقض ولا خلل، كأنه البناء المحكم المرصف، ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة، من حُكْم - بضم الكاف - أي: صار حكيماً، وقيل معناه: منعت من الفساد، من قولهم: أحكمت الدابة إذا وضعت فيها الحكمة لتمنعها من الجراح، قال جرير:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سَفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا

وقد تقدم بحث مسهب عن الحكمة في القرآن، وسيرد المزيد منها أيضاً.

○ الإعراب:

﴿الرَّ كَنْبُ أُحْكَمَتْ ءَايَتُهُ﴾ أَلر تقدم القول فيها، وكتاب خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كتاب، وجملة أحكمت آياته صفة لكتاب، وآياته نائب فاعل ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، وفصلت فعل ماض مبني للمجهول، ومن حرف جر، ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر، وهما متعلقان بفصلت، أو بمحذوف صفة لكتاب، وهذا أولى؛ لأنه وصف أولاً بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات، ثم وصف بهذه الصفة الدالة على علو شأنه من حيث الإضافة، وحكيم مضاف إلى لدن، وخير صفة لحكيم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْمُتُهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ يجوز أن تكون أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا ناهية، وتعبدوا مجزوم بلا، والجملة خبر أن المخففة، ويجوز أن تكون أن حرفاً مصدرياً ناصباً، ولا نافية، والفعل بعدها منصوب بأن، وأن وما في حيزها مفعول لأجله بتقدير اللام، على معنى: لئلا تعبدوا، ويجوز أن تكون تفسيرية؛ لأن في تفصيل الآيات معنى القول؛ كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله، ولعل هذا أسهل من الوجهين السابقين، وإن كانت الأوجه الثلاثة متساوية في الرجحان، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها، ونون الوقاية بينهما، وبكم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير، ومنه حال، ونذير خبر إن، وبشير عطف على نذير ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ الواو عاطفة، وأن معطوفة على أن الأولى، عطف علة على أخرى، وتجري مجراها في الإعراب، وربكم مفعول استغفروا، ثم حرف عطف، وتوبوا عطف على أن استغفروا، فهو علة ثالثة. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون «وأن استغفروا» وما بعده كلاماً مبتدأً منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ؛ إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة، ويدل عليه قوله: ﴿إِنِّي لَكُرْمُتُهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ﴿يَمْنَعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يمتنعكم فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وهو قوله: ﴿وَأَنْ

أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴿٥﴾ والكاف مفعول به، ومتاعاً مفعول مطلق، وحسناً صفة، وإلى أجل متعلقان بيمتتعكم، ومسمى صفة لأجل ﴿٦﴾ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿٧﴾ الواو عاطفة، ويؤت عطف على يمتتعكم مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل هو، أي: الله، وكل مفعول به أول، وذو فضل مضاف إليه، وفضله مفعول به ثان ﴿٨﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل مضارع، أصله: تتولوا، مجزوم لأنه فعل الشرط، والواو فاعل، والفاء رابطة، وإن واسمها، وجملة أخاف عليكم خبر إن، وجملة ﴿٩﴾ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴿١٠﴾ في محل جزم جواب الشرط، وعذاب مفعول به، ويوم مضاف إليه، وكبير صفة ليوم، ويوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل ﴿١١﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾ إلى الله خبر مقدم، ومرجعكم مبتدأ مؤخر، وهو مبتدأ، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير، وقدير خبر هو.

﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَىٰ عَلِيمٍ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾

☆ اللغة:

﴿يَنْتُونُ﴾: الثني: العطف، تقول: ثنيته عن كذا، أي: عطفته، ومنه

الاثنان لعطف أحدهما على الآخر في المعنى، ومنه الشئاء لعطف المناقب في المدح، ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالإخراج منه، وأصل يثنون يثنيون؛ لأنه من باب: يرمي، فالمصدر الشني نقلت ضمة الياء إلى النون قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه يعفون؛ لأن الياء المحذوفة هي لام الكلمة. وقال الزمخشري: يثنون عنه: يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدوره، ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره، وطوى عنه كشحه.

﴿لِيَسْتَخْفُوا﴾: الاستخفاء: طلب خفاء الشيء، يقال: استخفى وتخفى.

﴿يَسْتَعْشُونَ﴾: يطلبون الغطاء، قالت الخنساء:

أرعى الثُجُومَ وما كُلُّتُ رِعْيَهَا وتارةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِي

وفي القاموس: واستغشى ثوبه: تغطى به كيلا يسمع ولا يرى.

(الدابة): الحي الذي من شأنه أن يدب، وقد صار في العرف مختصاً بنوع من الحيوان، وفي المصباح: دب الصغير يدب، من باب: ضرب، إذا مشى، ودب الجيش ديباً: سار سيراً ليناً، وكل حيوان في الأرض: دابة.

○ الإعراب:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ ألا أداة استفتاح وتنبيه، وإن واسمها، وجملة يثنون صدورهم خبرها، واللام للتعليل، ويستخفوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ بِيَا بَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ألا تأكيد للتنبيه، وحين ظرف، والعامل فيه مقدر، وهو يستخفون، ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم، أي: ألا يعلم سرهم وعلمهم حين يفعلون كذا، وجملة يستغشون مضافة للظرف، وثيابههم منصوب بنزع الخافض، ويعلم فعل مضارع، وفاعله هو الله، وما مفعول به، وجملة يسرون صلة، وما يعلنون عطف عليه ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾ إن واسمها وخبرها، وبذات الصدور متعلقان بعلم ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الجملة مستأنفة،

مسوقة لبيان كونه تعالى محيطاً بجميع الكائنات، عالماً بكل ما هب ودب، وما نافية، ومن زائدة، ودابة مبتدأ مرفوع محلاً مجرور بمن لفظاً، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر مقدم، ورزقها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر دابة ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ الواو حرف عطف، ويعلم فعل مضارع، وفاعله هو، ومستقرها مفعول يعلم، ومستودعها عطف على مستقرها، وهما اسما مكان، أي: يعلم مواضع استقرارها ومساكنها، ومواطن استيادها من صلب، أو رحم، أو بيضة ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كل مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، أي: كل واحد من الدواب، وستأتي أحكام «كل» في باب: الفوائد، وفي كتاب خبر، ومبين صفة ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الواو عاطفة، وهو مبتدأ، والذي خبر، وجملة خلق السموات والأرض صلة، وفي ستة أيام متعلقان بخلق ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ كان واسمها، وعلى الماء خبرها، وفي الصورة تجسيد للإحاطة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اللام للتعليل، ويبلوكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولام التعليل الجارة ومدخولها متعلقان بخلق، وأيكم مبتدأ، وأحسن خبر، وعملاً تمييز، والجملة في محل نصب معمولة ليبلوكم، وعلق عنها بأي الاستفهامية، وقد أحسن الزمخشري في تقريره إذ قال: «فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى؟ قلت: لما في الاختبار من معنى العلم؛ لأنه طريق إليه فهو ملابس له، كما تقول: انظر أيهم أحسن وجهاً، واستمع أيهم أحسن صوتاً؛ لأن النظر والاستماع من طرق العلم» ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ الواو عاطفة، واللام موطئة للقسام، ولا يجوز أن تكون للابتداء؛ لأنها دخلت على إن التي هي للجزاء، ولام الابتداء من خصائص الاسم، أو ما يضارع الاسم، وإن حرف شرط جازم، وقلت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وإن واسمها، ومبعوثون خبرها، ومن بعد الموت متعلقان بمبعوثون ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ اللام جواب القسم، وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم؛ لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه، وقد تقدم ذلك، ويقولن

فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم كما تقدم، وإن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وسحر خبر، ومبين صفة، وسيأتي بحث اللام وأقسامها في باب الفوائد ﴿وَلَيْنَ آخَرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ لئن عطف على ما تقدم، وقد تقدم إعراب لئن، وعنهم متعلقان بآخرنا، والعذاب مفعول به، وإلى أمة متعلقان بآخرنا، والمراد بالأمة الطائفة من الأزمنة، وهي في الأصل للطائفة من الناس، ومعدودة صفة لأمة ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ اللام جواب القسم، ويقولن فعل مضارع مرفوع لأنه مفصول عن نون التوكيد بفاصل، وهو واو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين، والأصل: ليقولونن، حذفت إحدى النونات لتوالي الأمثال، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، والضممة على اللام دليل عليها، وقد تقدم تحقيق ذلك، وأعدناه للتذكير، وما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يحبسه خبر، والاستفهام للإنكار والاستهزاء والسخرية حسب اعتقادهم ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ ألا أداة استفهام وتنبيه، وهي داخلة على ليس في المعنى، ويوم يأتيهم نصب على الظرف، وهو معمول لخبر ليس، واسمها مستتر فيها يعود على العذاب، ومصرفاً خبر ليس، وعنهم جار ومجرور متعلقان بمصرفاً، وستأتي الإشارة إلى جواز تقديم خبر ليس عليها في باب الفوائد ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الواو عاطفة، وجملة حاق عطف على جملة ليس، فهو في حيز ألا، وبهم متعلقان بحاق، وما فاعل حاق، وجملة كانوا صلة، والواو اسم كان، وبه متعلقان يستهزئون، وجملة يستهزئون خبر كانوا.

* الفوائد:

(١) ﴿كُلُّ﴾ اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعدد، أو لعموم أجزاء الواحد، ولا تستعمل إلا مضافة لفظاً أو تقديرًا، وتفيد التكرار بدخول ما المصدرية الظرفية عليها، نحو: كلما أتاك أكرمه، وقد تقدم في كلما عند قوله: ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا﴾ وأنها منصوبة على الظرفية باتفاق،

وناصبها الفعل الذي هو جواب في المعنى، والجملة بعدها لا محل لها؛ لأنها صلة موصول حرفي، وتكون «كل» نعتاً لنكرة أو معرفة، فتدل على أنه كامل بلغ الغاية فيما تصفه به، نحو: هو العالم كل العالم، وتكون تأكيداً للمعرفة، أو نكرة، نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ وأقمنا حولاً كاملاً كله، ولفظة كل حكمها الأفراد والتذكير، ومعناها بحسب ما تضاف إليه، فإن أضيف إلى مذكر وجب مراعاة معناها، وجاء الضمير بعدها مفرداً مذكراً ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أو مفرداً مؤنثاً، نحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أو مثني، كقول الفرزدق:

وَكُلُّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ وَإِنْ هُمَا تعاطى القنا قوماً هُما أخوان

ولابن هشام تعسف وخبط في إعراب هذا البيت، نكتفي بالإشارة إليه ليرجع إليه من شاء في «مغني اللبيب».

أو مجموعاً مذكراً كقول لييد:

وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوبِيَّةٌ تَصْفُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

أو مجموعاً مؤنثاً كقول الآخر:

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سَوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةَ الْخُطْبِ

وإن أضيفت إلى معرفة جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها، فيقال: كل القوم حضر، وكل القوم حضروا، وإن قطعت عن الإضافة لفظاً، فقليل: تجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، نحو: كلُّ حضر، وكلُّ حضروا، وقيل: إذا كان المقدر مفرداً نكرة فيجب الأفراد، وإن كان جمعاً معرفاً فيجب الجمع، والتنوين في المنقطعة عن الإضافة لفظاً عوضاً عن المضاف إليه، والتقدير في المثال الأول: كل أحد، وفي الثاني: كلهم، وإن وقعت كل بعد النفي ثباتاً لبعض الأفراد، نحو: ما جاء كل القوم، وإن وقع النفي بعدها ثبت لكل فرد، نحو: كلهم لم يقوموا، ولا تدخلها أل إلا إذا كانت عوضاً عن المضاف إليه، أو أريد لفظها كما يقال الكل لإحاطة الأفراد.

(٢) اللام: اللام على ثلاثة أقسام: عاملة للجبر، وعاملة للجزم، وغير عاملة.

وأقسامها:

١ - اللام الجارة: تكون مكسورة مع الاسم الظاهر، نحو: لزيد، إلا مع المستغاث المباشر لـ «يا» فهي مفتوحة نحو: يا الله، وتكون مفتوحة مع الضمير إلا مع الياء فهي مكسورة، نحو: لك، ولي.

واللام الجارة قسمان:

آ - اللام الداخلة على الاسم، ولها معان كثيرة مذكورة في كتب النحو المطولة، وأشهرها الاختصاص نحو: «الجنة للمؤمن» والاستحقاق نحو: «العزة لله» والملك نحو: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ والتبليغ نحو: «قلت له» والتعديّة نحو: «ما أشد حب زيد لعمرو» والقسم نحو: «لله لأفعلن هذا» أي: والله، والصيرورة نحو: «ولد الإنسان حياة أبدية» وتأني أيضاً بمعنى إلى وعلى وعند وفي وبعد، وقد تكون زائدة، نحو: ضربت لزيد.

ب - أما اللام الداخلة على الفعل، فإن الفعل بعدها ينصب بأن المصدرية مضمرة، وتكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور باللام، وهذه تكون إما للتعليل نحو: «جئتكَ لتعلمني» وإما للصيرورة نحو: ﴿فَالْقَاطِطَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وإما لتوكيد النفي، وهي المسبوقه بكون منفي، وتسمى لام الجحود، ونحو: ما كان زيد ليكذب.

٢ - اللام الجازمة: وهي لام الأمر، وتسمى لام الطلب، وتكون مكسورة نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ وقد تفتح، وإسكانها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها، نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا إِلَىٰ وَلِيٍّ مِّنْهُمْ﴾ وقد تسكن بعد ثم نحو: «ثم ليقض».

٣ - غير العاملة: وتكون مفتوحة أبداً، وهي:

آ- لام الابتداء نحو: «لزيد قائم» و«إن زيدا لقائم» وتسمى بعد إن: اللام المرحقة.

ب- لام الجواب بعد لو ولولا والقسم، ونحو: «لو عدتم لعدنا» و«لولا زيد لهلكنا» و«والله لزيد كريم».

ج- اللام الزائدة كما في قوله: «أراك لشاتي».

د- لام البعد اللاحقة لأسماء الإشارة، وأصلها السكون كما في: تلك، وإنما كسرت مع ذلك لالتقاء الساكنين.

(٣) ليس واسمها وخبرها:

تختص ليس من بين أخوات كان بأمور:

أ- ليس فعل لا يتصرف بحال؛ لأنها وضعت موضع الحرف في أنها لا يفهم معناها إلا مع متعلقها.

ب- لا يجوز أن يتقدم خبرها عليها عند جمهور النحاة، وأجازه بعضهم من قدماء البصريين والفراء وابن برهان والزمخشري من المتأخرين بقوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسٌ مَّصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ وتقرير الحجة منه أن يوم يأتيهم معمول لمصروفاً، وقد تقدم على ليس، وتقدم المعمول لا يصح إلا حيث يصح تقديم عامله، فلولا أن الخبر وهو مصروفاً يجوز تقديمه على ليس، لما جاز تقديم معموله عليها، وأجيب بأن المعمول ظرف فيتسع فيه ما لا يتسع في غيره، أو بأن يوم معمول المحذوف تقديره: يعرفون يوم يأتيهم، وليس مصروفاً جملة حالية مؤكدة، أو مستأنفة، وقال أبو حيان: «وقد تبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها، ولا بتقديم معموله، إلا ما دل عليه ظاهر الآية».

(٤) تعقيب لابن هشام على الزمخشري في تعليقه على قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُوكُمُ أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وقد اضطرب كلام الزمخشري، ثم أورد

ما نقلناه عنه ، وقال : « ولم أقف على تعليق النظر البصري والاستماع إلا من جهته » .

وذكر الرضي أن أفعال الحواس تعلق لأنها طرق للعلم ، وقال عبد القادر البغدادي في شرح شواهد على الكافية : إن كتاب الرضي لم ينقل للقاهرة إلا بعد موت ابن هشام ، فكذا قال ، ولم أقف . . . الخ .

﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۚ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَ الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ تقدم القول في لئن ، وأذقنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ونا فاعل ، والإنسان مفعول به ، ومنا حال ؛ لأنه كان في الأصل صفة لرحمة ، وتقدمت عليها ، ورحمة مفعول به ثان ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۚ ﴾ ثم حرف عطف للترتيب والتراخي ، ونزعنا فعل وفاعل ومفعول به ، ومنه جار ومجرور متعلقان بنزعناها ، وإن واسمها ، واللام المرحلة ، ويؤوس : خبر إن ، وكفور : خبر ثان لأن ﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ ﴾ تقدم إعراب مثيلتها ، وبعد ظرف متعلق بمحذوف صفة لنعماء ، وضراء مضاف إليه ، ومنع من الصرف لانتهائه بألف التانيث الممدودة ، وجملة مسته صفة ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ اللام جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم ، ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح ، وجملة ذهب السيئات مقول القول ، وعني متعلقان بذهب ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ إن واسمها ، واللام المرحلة ، وفرح خبر أول ، وفخور خبر ثان لأن ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ ﴾

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ إلا أداة استثناء، والذين مستثنى من الإنسان لأن اللام فيه للجنس فهو متصل، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، إذ المراد شخص معين، وعلى كل حال هو في محل نصب، وجملة صبروا صلة وعملوا الصالحات معطوفة، وأولئك مبتدأ، ولهم خبر مقدم، ومغفرة مبتدأ مؤخر، والجمله الاسمية خبر أولئك.

□ البلاغة:

(١) في الإذاقة استعارة مكنية، لأنه في الأصل تناول الشيء بالفم لإدراك الطعام، ثم استعير للذات تشبيهاً لها بما يذاق، ثم يزول بسرعة، كما تزول الطعوم.

(٢) بين النعماء والضراء طباق، وجميع هذه الأبحاث تقدم البحث فيها.

* الفوائد:

السراء والنعماء والضراء قيل: إنها مصادر بمعنى المسرة والنعمة والمضرة، والصواب: أنها أسماء للمصادر، وليست أنفسها، فالسراء: الرخاء، والنعماء: النعمة، والضراء: الشدة، فهي أسماء لهذه المعاني، فإذا قلنا: إنها مصادر، كانت عبارة عن نفس الفعل الذي هو المعنى، وإذا كانت أسماء لها كانت عبارة عن المحصل لهذه المعاني.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۚ﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُوبًا فَآتَوْا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ ۖ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا

أُنزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

☆ اللفظة:

﴿وَضَائِقٌ﴾: اسم فاعل من ضاق، وهو أولى بالآية من ضيق لوجهين: أحدهما: أنه عارض، وليس على جهة الثبوت، وثانيهما: أنه أشبه بتارك.

○ الإعراب:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ الفاء استئنافية، ولعل على بابها من الترجي بالنسبة للمخاطب، وقيل: هي للاستفهام الإنكاري كقوله ﷺ: «لعلنا أعجلناك» وسيأتي القول في لعل في باب الفوائد، والكاف اسمها، وتارك خبرها، وبعض مفعول به لتارك، وما اسم موصول مضاف لبعض، وجملة يوحى صلة، وإليك متعلقان بيوحى، أو بمحذوف حال، وضائق عطف على تارك، وبه متعلقان بضائق، وصدرك فاعل لضائق، ويجوز أن يكون ضائق خبراً مقدماً، وصدرك مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ثانٍ ل: لعلك، فيكون قد أخبر بخبرين أحدهما مفرد، والثاني جملة عطفت على مفرد لأنها بمعناه ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ أن وما في حيزها مصدر في موضع نصب مفعول من أجله، أي: مخافة قولهم، وأعربه بعضهم بدلاً من الهاء في قوله: وضائق به صدرك، وليس ببعيد، ولولا تحضيضية، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه جار ومجرور متعلقان به، وكنز نائب فاعل، أو حرف عطف، وجاء فعل ماض، ومعه ظرف متعلق بجاء، وملك فاعل ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ إنما كافة ومكفوفة، وأنت مبتدأ، ونذير خبره، والله مبتدأ، وعلى كل شيء متعلقان بوكيل، ووكيل خبر الله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم منقطعة بمعنى بل، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وجملة افتراه مفعول القول، وهو تقرير في صورة الاستفهام، والتقدير: بل يقولون افتراه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ﴾ الفاء الفصيحة، وأتوا فعل أمر وفاعل،

وبعشر متعلقان به، وسور مضاف إليه، ومثله صفة، ومثل وإن كانت بلفظ الأفراد فإنها يوصف بها المثني والمجموع والمؤنث، كقوله تعالى: ﴿أَتُؤْمِنُ لِشَرِّينَ مِثْلِنَا﴾ وتجاوز المطابقة، قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وادعوا عطف على فائتوا، والواو فاعل، ومن مفعول به، وجملة استطعتم صلة، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف بحال، وإن شرطية، وكنتم كان واسمها، وهو فعل الشرط، وصادقين خبر كنتم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فائتوا وادعوا ﴿فَلَا تَمَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ الفاء عاطفة وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويستجيبوا مجزوم بلم، وهو فعل الشرط، والواو فاعل، والضمير يعود على من استطعتم، ولكم متعلقان ويستجيبوا، والفاء رابطة، واعلموا فعل أمر وفاعل، وأما كافة ومكفوفة، وقد سدت مع مدخولها مسدّ مفعولي اعلموا، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، ويعلم الله حال، أي: متلبساً بعلم الله، فالباء للملابسة ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأن الواو عاطفة، وأن مخففة من الثقيلة، وهي منسوقة على أن قبلها، ولا إله إلا هو تقدم إعرابه مستوفى، والفاء عاطفة، وهل حرف استفهام، وأنتم مبتدأ، ومسلمون خبر.

* الفوائد:

(لعل) هي للتوقع، وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب، نحو: لعل الحبيب قادم وقوله تعالى ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ والإشفاق في الشيء المكروه نحو: ﴿فَلَمَّا كَبُحِ نَفْسُكَ﴾ أي: قاتل نفسك، والمعنى: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك، فتوقع المحبوب يسمى ترجياً، وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً. وقال الأخفش والكسائي: وتأتي لعل للتعليل نحو: «افرغ من عملك لعلنا نتغدى»، ومنه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ليتذكر. وقال الكوفيون: تأتي لعل

للاستفهام، قال في «المغني»: ولهذا علق به الفعل نحو: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ وبعض العرب يجرون بها، ويستشهدون على ذلك بقوله:
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة
لعل أبي المغوار منك قريب

إذا عرفت ما قرره النحاة، فأبي من معاني لعل ينطبق على الآية التي نحن بصدددها؟ إذا كانت للتوقع فتوقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة، وأجابوا عن هذا الاعتراض بأننا لا نسلم أن لعل على بابها من الترجي، بل هي هنا للتبعد، فإنها تستعمل لذلك أيضاً، وجواب آخر وهو أن تكون هنا للاستفهام الإنكاري كما تقدم، والمعنى: أنك بلغ الجهد في تبليغهم أنهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه، وهو جميل جداً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦﴾

☆ اللفظة:

﴿وَزِينَتَهَا﴾ الزينة: تحسين الشيء بغيره من لبسة، أو حلية، أو هيئة، يقال: زانه يزينه زينة، وزينه يزينه تزييناً.

﴿نُوَفِّ﴾: التوفية: تأدية الحق على التمام.

﴿يُبْخَسُونَ﴾: البخس: نقصان الحق، وكل ظالم باخس، وفي المثل: «تحسبها حمقاء وهي باخس».

○ الإعراب:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

يُخَسِّنُونَ ﴿١٥﴾ من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، واسم كان ضمير مستتر يعود على من، وجملة يريد الحياة الدنيا خبر كان، وكان فعل الشرط مجزوم محلاً، وزينتها عطف على الحياة، ونوف جواب الشرط مجزوم بحذف حرف العلة، وإليهم جار ومجرور متعلقان بنوف، وأعمالهم مفعول به، وفيها متعلقان بمحذوف حال، وهم الواو حالية، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بيخسون، وجملة لا يخسون خبر هم، وقال الفراء: كان هنا زائدة، وتقديره: من يرد الحياة الدنيا، وهو قول جميل وطريف لولا أنه غير مطرد، ولا يسوغ حمل القرآن عليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، والذين خبره، وجملة ليس صلة، ولهم خبر مقدم لليس، وفي الآخرة حال وإلا أداة حصر، والنار اسم ليس المؤخر ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الواو عاطفة، وحبط فعل ماضي وما فاعله، وجملة صنعوا صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر فاعل حبط، وفيها متعلقان بصنعوا، أو بحبط، وباطل: الواو عاطفة، وباطل خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، ويجوز أن تكون ما مصدرية، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وكانوا: كان واسمها، وجملة يعملون خبرها.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ وَسَتَلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ كَتَبَ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ ۖ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مَرِيضَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ۖ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ۖ أَلَّا شَهِدْتُمْ هَٰؤُلَاءِ ۖ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۚ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۚ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ

لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ
الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْآخَسَرُونَ ﴿١٩﴾

☆ اللفظة:

(البينة): الحجة الفاصلة بين الحق والباطل .

﴿صَيَّرَ﴾: المرية - بالكسر والضم -: الشك، ففيها لغتان أشهرهما
الكسر، وهي لغة أهل الحجاز، والضم لغة بني أسد .
﴿لَا جَرَمَ﴾: قال السيوطي في الإتيان: «وردت في القرآن في خمسة
مواضع متلوة بأن واسمها، ولم يجرى بعدها فعل، واختلف فيها، فقيل:
لا نافية لما تقدم، وقيل زائدة» .

هذا؛ وفي هذه اللفظة خلاف طويل بين النحاة، ويتلخص ذلك الخلاف
فيما يلي:

الأول: ما ذهب إليه الخليل وسيبويه، وهو أنها مركبة من لا النافية
وجرم، بنيتا على تركيب خمسة عشر، وصار معناهما معنى فعل،
وهو حق، فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ النَّارَ﴾ أي: حق وثبت كون النار لهم، أو استقرارها لهم .

الثاني: أن لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس، وجرم
اسمها مبني على الفتح، وهي واسمها في موضع رفع بالابتداء، وما بعدهما
خبر لا، وصار معناها لا محالة، ولا بد في أنهم في الآخرة، أي: في
خسرانهم، وهذا مذهب الفراء .

الثالث: أن لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة، فرد الله عليهم ذلك
بقوله: لا، كما ترد هذه قبل القسم في قوله: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ ثم أتى بعدها بجمله

فعلية، وهي جرم أن لهم كذا، وجرم فعل ماض معناه: كسب، وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، وأن وما في حيزها في موضع المفعول به؛ لأن جرم يتعدى إذا كان بمعنى كسب، وعلى هذا فالوقف على لا، ثم يتبدأ بجرم بخلاف ما تقدم.

الرابع: أن معناها لا حد ولا منع، ويكون جرم بمعنى القطع تقول: جرمت، أي: قطعت، فيكون جرم اسم لا مبنياً معها على الفتح كما تقدم، وخبرها أن وما في حيزها على حذف حرف الجر، أي: لا منع من خسرانهم.

وفي هذه اللفظة لغات: لا جرم بكسر الجيم، ولا جرم بضمها، ولا جر بحذف الميم، ولاذا جرم، ولاذو جرم، وغير ذلك، وعلى كل فإن هذا التعبير يستعمل في أمر يقطع عليه، ولا يرتاب فيه.

○ الإعراب:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الهمزة للاستفهام التقريري، والفاء استئنافية، ومن موصولية مبتدأ خبره محذوف تقديره: كغيره، أو كمن ليس كذلك، وجواب الاستفهام محذوف أيضاً، تقديره: لا يستويان، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر يعود على من، وعلى بينة خبرها، ومن ربه صفة لبينة ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الواو عاطفة، ويتلوه شاهد فعل مضارع ومفعول به وفاعل، ومنه صفة لشاهد ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الواو عاطفة أيضاً، ومن قبله حال من كتاب موسى المعطوف على شاهد عطف المفردات، هذا ما أعربه معظم المفسرين، وأرى أن الحق مع البيضاوي الذي أعرب من قبله جاراً ومجروراً متعلقين بمحذوف خبر مقدم، وكتاب موسى مبتدأ مؤخر، ففي هذا الإعراب سلامة من المعاطلة الناشئة عن الفصل بين حرف العطف والمعطوف عليه، وإماماً حال من كتاب موسى، ورحمة عطف على إماماً ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة يؤمنون به خبر ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ الواو

عاطفة، ومن شرطية مبتدأ، ويكفر فعل الشرط، وبه متعلقان بيكفر، ومن الأحزاب حال، والفاء رابطة، والنار مبتدأ، وموعده خبر، والجملة الاسمية جواب الشرط. وفي جعل النار موعداً إشعار بأن فيها ما لا يحيط به الوصف من أفانين العذاب، وقد تعلق حسان بأهداب هذا التعبير فقال:

أوردتموها حياضَ الموتِ ضاحيةً

فالتأّر مؤعدها والموت لاقيةا

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتك فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك مستتر تقديره: أنت، وفي مرية خبر، ومنه صفة لمرية ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إن واسمها، والحق خبرها، ومن ربك متعلقان بمحذوف حال، والواو حالية، ولكن واسمها، والناس مضاف إليه، وجملة لا يؤمنون خبر لكن ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، مسوقة لذكر أوصافهم الأربعة عشر، والتي أولها افتراء الكذب، وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم، ومن استفهامية مبتدأ، والاستفهام هنا معناه النفي، أي: لا أحد أظلم، وممن متعلقان بأظلم، وجملة افترى صلة، وعلى الله متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة يعرضون خبره، والواو نائب فاعل، وعلى ربهم متعلقان بيعرضون ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ويقول عطف على يعرضون، والأشهاد فاعل، وهؤلاء مبتدأ، والذين خبره، وجملة كذبوا على ربهم صلة الموصول، وألا أداة تنبيه، ولعنة الله مبتدأ، وعلى الظالمين خبر ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الذين بدل من الظالمين، وجملة يصدون صلة، وعن سبيل الله متعلقان بيصدون، ويبغونها عطف على يصدون، وهو فعل وفاعل ومفعول، وعوجاً حال، أي: معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الواو عاطفة، وهم مبتدأ،

وبالآخرة متعلقان بكافرون، وهم الثانية تأكيد لهم الأولى، وكافرون خبر «هم» الأولى ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أولئك مبتدأ، وجملة لم يكونوا خبر، ومعجزين خبر يكونوا، وفي الأرض حال، أي: أنهم لا يخرجون عن قبضته على كل حال ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولهم خبر كان المقدم، ومن دون الله حال، ومن حرف جر زائد، وأولياء اسم كان محلاً ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ يضاعف فعل مضارع مبني للمجهول، ولهم متعلقان به، والعذاب نائب فاعل، والجملة مستأنفة، وما نافية، وكانوا: كان واسمها، وجملة يستطيعون السمع خبر كان، والسمع مفعول به، وجملة ما كانوا يستطيعون السمع تعليل لمضاعفة العذاب، وجملة وما كانوا يبصرون عطف على ما كانوا يستطيعون السمع، وسيرد في باب البلاغة معنى هذا الكلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أولئك مبتدأ، والذين خبر، وجملة خسروا أنفسهم صلة، وضل عنهم عطف، وما فاعل ضل، وجملة كانوا يفترون صلة ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ﴾ لا نافية، وجرم فعل ماض، وأنهم: أن وما في حيزها في محل رفع فاعل جرم، وقد تمشنا على مذهب سيويه والخليل، وانظر باب: اللغة، وفي الآخرة حال وهم ضمير فصل، أو مبتدأ، والآخرسون خبر أن، أو خبر هم، والجملة خبر أن، وقد تقدمت لضمير الفصل نظائر.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ تشبيه تمثيلي؛ لأنه تشبيه مركب بمركب، شبههم في فرط تصامهم عن استماع الحق، ونبو أسماعهم عنه بمن لا يستطيع السمع، وذلك لوجوه عديدة:

أولها: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون، وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً وإصراراً منهم على الخطل

والصدوف عن الحق، وهذا يقضي أن تكون ما مصدرية، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، وهو الباء على حد قول الشاعر:

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيئًا وَنَبْذِلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ

أراد: نغالي باللحم، وقد ذهب إلى هذا المذهب الفراء.

وثانيها: أنه لاستثقالهم استماع آيات الله، وكراحتهم تذكرها وتفهمها، جروا مجرى من لا يستطيع السمع، وأن أبصارهم لم تنفعهم، مع إعراضهم عن نذر الآيات، فكأنهم لم يبصروا. ومما يجري هذا المجرى قول الأعشى في مطلع معلقته:

وَدَّعْ هُرَيْرَةٌ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ

وهل تطيق وداعاً أيُّها الرَّجُلُ؟!

ومن المعلوم أن الأعشى كان يقدر على الوداع، وإنما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال.

وثالثها: أن ما هنا ظرفية مصدرية، تجري مجرى سأذكرك ما حييت، والمعنى: أنهم معذبون ما داموا أحياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْرَ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

☆ اللفظة:

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا، واطمأنوا، وأنابوا، والإخبات: الطمأنينة، وأصله الاستواء من الخبت، وهو: الأرض المطمئنة المستوية الواسعة، فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه، وهو يتعدى إلى وباللام، فإذا قلت: أخبت فلان إلى كذا، فمعناه: اطمأن إليه، وإذا قلت: أخبت له،

فمعناه خشع وخضع. وللخاء والباء فاءً وعيناً للكلمة خاصة غريبة، إذ أن الكلمة تدل على معنى التغطية، والستر، والخفاء، أو ما هو قريب من ذلك، أو يمت إليه بصلة، فقولهم: خبأ الشيء: ستره وأخفاه، وله خبيئة خبأها ليوم حاجة، ومن أمثالهم: «لا مخبأ لعطر بعد عروس». والله يخرج الخبء، وخبأت الجارية، وجارية مخبأة، ونساء مخبآت، وخب الرجل: نزل المنهبط من الأرض ليجعل منزله، وخب الفرس خباً وخيباً، راوح في عدو بين يديه ورجليه، والخب - بكسر الخاء -: الخداع، وهو إخفاء المكر، وفي حديث عمر بن الخطاب: «ما تكلم أحد بالفارسية إلا خبّ، وما خبّ إلا ذهب مروءته». وخبث فلان: ضد طاب. والخبيث يضمير خلاف ما يظهر، وخبر الشيء: علمه عن تجربة، أي: نفذ إلى دخائله واستوضحها، وخبز الخبز معروف، وإيداعه إلى إخفائه فيه، واختبس الشيء: تناوله وغنمه، وخبش الأشياء: جمعها من هاهنا وهاهنا، وخبص الشيء بالشيء: خلطه به، وخبط البعير بيده الأرض، وبات يخبط الظلماء، وهو خابط عشوة للجاهل، وخبع في المكان: دخل فيه، ويقال: جارية خُبعة طلعة، أي: تخبأ نفسها مرة وتبديها مرة. وخبلة: أفسده أو أفسد عقله، وفساد العقل: ذهابه، قال:

أرى المالَ أفياءَ الظلالِ فتارةً يؤوبُ وأخرى يخيلُ المالَ خابِلُهُ

وخبين الثوب: عطفه وخاطه، وخبين الشاعر: أتى بالخبين في شعره، وهو حذف ثاني الجزء ساكناً، وخبث النار: خمدت وسكنت، واستخبأ الخباء: دخله. ولو شئنا أن نستفيض في النقل من هذه المادة لأريناك العجب العجيب، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد.

○ الإعراب:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إن واسمها، وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا، وكذلك جملة، وأخبتوا إلى ربهم ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أولئك

مبتدأ، وأصحاب الجنة خبر، وهم مبتدأ، وفيها متعلقان بخالدون، وخالدون خبر هم، وجملة أولئك أصحاب الجنة خبر إن، وجملة هم فيها خالدون خبر ثان لأن ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ مثل مبتدأ، والفريقين مضاف إليه، وكالأعمى خبر، أو الكاف اسم بمعنى مثل، خبر، وما بعده عطف عليه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هل استفهام معناه النفي، ويستويان فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، ومثلاً تمييز محول عن الفاعل، والأصل: هل يستوي مثلهم، أفلا تذكرون: الاستفهام للإنكار والتوبيخ.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ...﴾ الخ، تشبيه تمثيلي، أي: مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، وقد زادت الآية على جميع أمثلة التشبيه التمثيلي، كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقول بشار:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّعَقِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا، لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

ففي البيت الأول تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب، وتشبيه قلوب الطير اليابسة بالحشف البالي. وفي البيت الثاني تشبيه الغبار القاتم، والسيوف الملتمة فيه، وبالليل الذي تنقض فيه الشهب والكواكب. أما الآية فقد زادت بتشبيه اثنين بأربعة كما هو واضح، فقد شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين.

هذا؛ ولو جاءت الآية على وجه الطباق خلاف نظمها، بأن يقال: كالأعمى، والبصير، والأصم، والسميع، لفسد المعنى، وإن حصل الطباق في اللفظ؛ لأنه سبحانه قسم المشبه به إلى قسمين كالمشبه؛ لأنه

قسمان مبتلى ومعافى، وضادّ بينهما ليصحّ السؤال بينهما على قصد التوبيخ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ٢٦
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا
نَرَبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَبُّكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِيَ الرَّأْيِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَفْقَوْمَ آرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ
عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّيِّ وَءَالِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ هَا وَانْتُمْ هَا
كَرِهُونَ ٢٨﴾

☆ اللفظة:

﴿أَرَادُنَا﴾ أسافلنا، وفيه وجهان: أحدهما: أنه جمع الجمع، فهو جمع أرذل - بضم الذال - جمع رذل يسكونها، ككلب وأكلب وأكالب. وثانيهما: أنه جمع مفرد، وهو أرذل، كأكبر وأكابر، وأبطح وأباطح، وأبرق وأبارق. والأرذل: المرغوب عنه لرداءته، واختار الزمخشري الوجه الثاني، ورجحه صاحب القاموس.

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ظاهر الرأي، وقد يهمز فيقال: بادىء الرأي، فمن لم يهمز أراد: أنت فيما بدا من الرأي، ومن همز أراد: أنت أول الرأي ومبتداه، ولأبي علي بحث طريف في هذا التعبير نقله بنصه لفائدته:

«المعنى فيمن قال بادى الرأي بلا همز فجعله من بدا؛ إذا ظهر، أي: ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه بنظر فيه وروية، وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى؛ لأن الهمزة في اللام معناها ابتداء الشيء وأوله، واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً، فلذلك يستعمل كل منهما مكان الآخر، وجاز في اسم الفاعل

أن يكون ظرفاً، كما جاز في فعيل نحو قريب ومليء؛ لأن فاعلاً وفعيلاً يتعاقبان على المعنى، نحو: عالم وعليم، وشاهد وشهيد، وحسن ذلك إضافته إلى الرأي، وقد أجروا المصدر أيضاً في إضافته إليه في قولهم: إما جهد رأيي فإني منطلق، فهذا لا يكون إلا ظرفاً» إلى آخر هذا البحث الممتع، وسيرد المزيد في الإعراب.

﴿الرَّأْيُ﴾: مصدر رأى رأياً، ويجمع على آراء، والرأي: هو التفكير في مبادئ الأمور، والنظر في عواقبها، والعلم بما تؤول إليه من الخطأ والصواب، وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل. وقد أجمع الشعراء على امتداح الرأي، فقال أبو فراس الحمداني:

ولا أرضى الفتى ما لم يكْمُلْ برأي الكَهْلِ إقدام الغلام
وقال أبو الطيب المتنبي:

الرأيُّ قبل شجاعة الشُّجعان هو أوَّل وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتماعاً لنفسٍ حُرَّةٍ بلغت من العلياء كلَّ مكان

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للشروع في ذكر عدد من القصص تسلية للنبي ﷺ واعتباراً بها، وتأسياً بما لاقاه أصحابها. وقد احتوت هذه السورة على سبع قصص. واللام موطئة للقسام، وقد حرف تحقيق، وأرسلنا فعل وفاعل، ونوحاً مفعول به، وإلى قومه جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، وإني بكسر الهمزة على إرادة القول، وكثيراً ما يضمّر، وهو غني عن الشواهد، وإن واسمها، ولكم متعلقان بنذير، ونذير خبر إن، ومبين صفته ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أن مفسرة، ولا ناهية، وتعبدوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، ولفظ الجلالة مفعول به، وإن واسمها، وجملة أخاف خبرها، وعليكم متعلقاً بأخاف، وعذاب يوم مفعول أخاف،

وأليم صفة ليوم ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ الفاء عاطفة، وقال الملاء فعل وفاعل، والذين صفة للملاء، وجملة كفروا صلة، ومن قومه حال ﴿مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَادُوا الْبَشَرَ﴾ الجملة مقول القول، وما نافية، ونراك فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا: أداة حصر، والرؤية تحتمل القلبية والبصرية، فبشرًا: مفعول به ثان على الأولى وحال على الثانية، ومثلنا صفة، وما نراك عطف على ما نراك الأولى، وهي أيضاً تحتمل القلبية والبصرية، فجملة اتبعك إما مفعول به ثان، وإما حال، وإلا أداة حصر، والذين فاعل اتبعك، وهم أراذلنا مبتدأ وخبر، والجملة صلة، وبادي الرأي منصوب على الظرفية، أي: أول الرأي، والعامل فيه اتبعك، وقد تقدم القول مسهباً فيه، وقيل: انتصب حالاً من ضمير نوح في اتبعك، أي: وأنت مكشوف الرأي لا حصافة لك ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ وما نرى عطف على ما تقدم، ولكم متعلقان بنرى، وعلينا متعلقان بفضل، ومن: حرف جر زائد، وفصل: مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً، وبل: حرف إضراب وعطف، ونظنكم عطف على ما نرى، والكاف مفعول به أول، وكاذبين مفعول به ثان ﴿قَالَ يَقْوَرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاثَمْتُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للتلطف بهم في الخطاب ومناصفتهم، ويا قوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وأرايتم تقدم الكلام عليه مُفَصَّلاً، ورأيتم فعل وفاعل، أي: أخبروني، وهنا يتطلب البيئة مفعولاً به، وكنت تتطلب البيئة مجرورة بعلى، فأعمل الثاني، وأضمر في الأول، والتقدير: أرايتم البيئة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها، فحذف المفعول الأول، والجملة الاستفهامية هي المفعول الثاني، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه، وإن شرطية، وكنت فعل الشرط، والتاء اسمها، وعلى بيئة خبر كنت، ومن ربي صفة، ومعنى على هنا الاستعلاء؛ لأن صاحب البيئة يكون مستعلياً على سواه، وقيل: هي للمصاحبة بمعنى مع، وليس ببعيد، وآتاني الواو عاطفة، وآتاني فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ورحمة مفعول به ثان،

ومن عنده صفة لرحمة ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمُ أَنْزَلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ الفاء عاطفة، وعميت فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هي، وعليكم جار ومجرور متعلقان بعميت، وسيأتي بيان حقيقة هذا التعبير في باب البلاغة، وأنزل مكموها الهمزة للاستفهام، أي: أنكرهكم عليها، وفي هذا الفعل ثلاثة ضمائر الأول مستتر تقديره: نحن، وهو الفاعل، والثاني ضمير المخاطب أي: الكاف وهو المفعول الأول، والثالث ضمير الغائب، أي: الهاء، وهو المفعول الثاني، والميم علامة جمع الذكور، والواو لإشباع حركة الضم على الميم، وليست ضميراً، وقد روعي الترتيب فيها؛ لأن المتكلم أخص بالفعل، ثم ضمير المخاطب، ثم ضمير الغائب، وأنتم الواو للحال، وأنتم مبتدأ، ولها متعلقان بكارهون، وكارهون خبر، والجملة حالية، وتقدم القول في جملة أنزل مكموها.

□ البلاغة:

(١) في إسناد العمى إلى البيئة مجاز عقلي، تنزيلاً لها منزلة من يعقل، وحقيقته: أن الحجة والبيئة جعلت بصيرة، ومبصرة؛ لأن الأعمى لا يهتدي، ولا يهدي غيره، فعميت عليكم البيئة، فلم تهديكم، كما لو عمى القوم رائدهم؛ الذي يسير بهم في المتاهات المظلمة، والبوادي المتشعبة، فبقوا حائرين يتخبطون، ويلتمسون النجاة من حيرتهم، وحمله بعضهم من باب القلب، أي: أنهم هم الذين عموا، فيكون من باب: أدخلت الخاتم في إصبعي، وأدخلت القلنسوة في رأسي، وقال الشاعر:

ترى الشوك فيها مدخلاً ظلّ رأسه

وسأثره بادٍ إلى الشمس أجمع

(٢) التعريض في قوله: ﴿فَقَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنِكَ إِلَّا الَّذِي كُفِّرْنَا بَأْدَى الرَّأْيِ﴾ وقد تقدم القول في التعريض، وغرضهم هنا منه التعريض بأنهم أحق منه بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد لجعلها فيهم، وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحاً من وجهين:

أحدهما: أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني: أنهم مع ذلك لم يتروا في اتباعه، ولا أمعنوا الفكرة في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك ارتجالاً، ومن غير فكر ولا روية.

﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَّوْا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذِكْرًا قَوْمًا يَتَّبِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مِّن يَتَّبِعُنِي مِّنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

☆ النسخة:

﴿يَطَارِدُ﴾: الطرد: الإبعاد، وتطارد الأقوال: حمل بعضها على بعض.

﴿تَزْدَرِي﴾: الإزدراء: الاحتقار والعيب، افتعال من الزراية، يقال: زريت عليه؛ إذا عبته، وأزرت به، إذا قصرت، قال الشاعر:

رأوه فازدروه وهو خرقٌ وينفعُ أهله الرجلُ القبيحُ
ولم يخشوا مقاتله عليهم وتحت الرغوة اللبنُ الصَّريحُ

○ الإعراب:

﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾ عطف على ما تقدم، ولا نافية، وأسألكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وعليه حال، وما لا مفعول به ثان ﴿إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وياء المتكلم مضافة، وإلا أداة حصر، وعلى الله خبر ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الواو عاطفة، وما حجازية تعمل عمل ليس، وأنا اسمها، والباء حرف جر زائد، وطارد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والذين مضاف إليه، وجملة آمنوا صلة ﴿إِنَّهُمْ مُلَقَّوْا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذِكْرًا قَوْمًا يَتَّبِعُونَ﴾ إن واسمها، وملاقوا

خبرها، ورهم مضاف إليه، ولكني الواو حالية، أو عاطفة، ولكن واسمها،
 وجلة أراكم خبرها، والكاف مفعول أول لأراكم، وقوماً مفعول به ثان،
 وجلة تجهلون صفة ﴿وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ عطف
 على ما قبله، ومن اسم استفهام مبتدأ، وجلة ينصرنى خبر من الله جار ومجرور
 متعلقان بينصرنى، وإن شرطية، وطردتهم فعل الشرط، وهو فعل ماض
 وفاعل ومفعول به، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن ينصرنى،
 وأفلا تذكرون: الهمزة للاستفهام الانكاري، وهي إما داخلة على مقدر
 تقديره: أأمروني بطردهم فلا تذكرون، وإما مقدمة من تأخير، والأصل:
 فألا تذكرون، وقدمت الهمزة على الفاء؛ لأن لها الصدارة، وقد تقدم تقرير
 ذلك، وتذكرون مضارع حذف منه إحدى التائين، وأصله تتذكرون ﴿وَلَا
 أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وأقول فعل
 مضارع فاعله أنا، ولكم متعلقان بأقول، وعندي ظرف مكان متعلق
 بمحذوف خبر مقدم، وخزائن الله مبتدأ مؤخر، ولا أعلم الغيب معطوف
 على عندي خزائن الله، أي: ولا أقول لكم إني أعلم الغيب، ولكن يشكل على
 هذا العطف أنه يترتب عليه أن يكون معمولاً لأقول المنفية، فيصير التقدير:
 ولا أقول لا أعلم الغيب، وهو غير صحيح، والأحوط أن يكون معطوفاً على
 لا أقول، لا على مقولها، فيزول الإشكال، ولا أعلم كيف غرب هذا عن
 الزمخشري وغيره من كبار المعربين ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ نسق على لا أقول
 الأولى أيضاً، وإن واسمها، وخبرها مقول القول ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
 أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ عطف أيضاً، وللذين متعلقان بأقول، وجلة تزدري
 أعينكم صلة، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويؤتيهم منصوب بها،
 والهاء مفعول يؤتي الأول، والله فاعل، وخيراً مفعول يؤتي الثاني ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ الله مبتدأ، وأعلم خبر، وبما متعلقان
 بأعلم، وفي أنفسهم صلة الموصول، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء
 مهمل، واللام المرحقة، ومن الظالمين: خبر إن، والجملة تعليلية لا محل لها.

□ البلاغة:

في هذه الآيات فن رفيع من فنون البديع، وهو الجمع مع التقسيم، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر، ثم يقسم ما جمع، وفي هذه الآيات رد على ما أوردوه من شبه، حيث قالوا: ﴿مَا نَرْبُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْبُّكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ فرد عليهم ردًا يمكن إرجاعه إلى ما أوردوه من شبه، فكانه يقول: إن كان نفيكم الفضل عني متعلقاً بفضل المال والجاه، فأنا لم أدعه، ولم أقل لكم: إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك، وتنكروه. وقد رmq أبو فراس هذه السماء بقوله:

إِنَّا إِذَا اشْتَدَّ الرَّزَّ	مَانَ وَنَابَ خَطْبُ وَاذْلَهُم
أَلْفَيْتَ حَوْلَ بِيوتِنَا	عَدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ
لَلْعَادَا بِيضِ السَّيُوفِ	فَ لِللَّيْذَى حُمُرِ النَّعَمِ
هَذَا وَهَذَا دَابُّنَا	يُودَى دَمٍ وَيُورِقُ دَمٍ

﴿قَالُوا يَنْتُحِقُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَنَّا يَمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٣٤ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلٌّ إِنْ أَفَرَّغْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا بُحْرِمُونَ ٣٥﴾

☆ اللغة:

(الجدال) والمجادلة: المقابلة بما يقتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة، وهو الجدال، أي: شدة الفتل، يقال: جدل الحبل: قتله، وزمام مجدول، وهو الجديل ويقولون: كأن في الجديل إحدى بنات جديل، وطعنه فجذله، أي:

ألقاه على الجدالة، وهي الأرض، قال:

قد أركب الآلة بعد الآله وأترك العاجز بالجداله

ويقال للصقر أجدل؛ لأنه من أشد الجوارح. ويقولون: إن وقفن فجادل، وإن مررن فأجادل، أي: إن وقفن فصقور، وإن مررن فصقور، قال الأعشى:

في مجدلٍ شيدَ بنيائه يزلُّ عنه ظُفُرُ الطائر

ومن المجاز: امرأة مجدولة الخلق: قضيعة، ودرع مجدولة وجدلاء، أي: محكمة، وعمل على جديته، أي: على شاكلته التي جُدل عليها، واستقام جُدول القوم؛ إذا انتظم أمرهم كالجدول إذا اطرَد وتتابع جريه. ونظر أعرابي إلى قافلة الحاج متتابعة فقال: أما الحاج فقد استقام جدولهم. ومن متابعة اشتقاق هذه المادة تبين أن كل ما كانت فاؤه وعينه جيماً ودالاً دلّ على الشدة والفتل والمرة، فجذب المكان جُدوبة، وجذب وأجذب ضد أخصب، ولا يخفى ما في ذلك من شدة وبلاء على الذين تجذب أرضهم، والجدث: القبر، ومن أقوالهم: «شر الأحداث نزول الأجداث». وجدح السويق واللبن بالمجدح، وهو عود في رأسه عودان معترضان يخاض به، حتى يختلط. وأرسلت السماء مجاديع الغيث، والمجاديع: جمع المجدح، أي: الدبران، ونوءه غزير. وفي حديث عمر بن الخطاب: «لقد استسقيت بمجاديع السماء» أراد: الاستغفار، ورجل مجدود وليس في الدنيا أقوى من أفاعيل الجدّ بفتح الجيم، أي: الحظ، والجد - بالكسر -: الجهد والتعب، ومشى على الجادة، وامشوا على الجواد، وهو جمع الجادة، وأجد المسير، وجدّ، قال: أشوقاً ولما يمض لي غير ليلة فكيف إذا جدّ المطيُّ بنا عشرا وجدره: ناداه من وراء الجدار، وهو جدير بكذا، أي: قوي ينهض به، قال زهير:

بخيلٍ عليها جِنَّةٌ عبقريةٌ جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وجُدِر الصبي وجدّر، وهو مجدور الوجه مجدّر. ومن أмалиح ابن المعتز:

بي قمرٌ جُدُرٌ لما استوى فزاده حُسناً وزالت هُموم
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالثُجوم

وجدع أنفه وأذنه فهو مجدوع، وإذا لزم النعت قيل: أجدع، وهي جدعاء. وجَادَعَ صاحبه: شَارَهُ وشَاتَمَهُ، وَجَدَعَهُ: إذا قال له: جدعاً لك، وجدف الملاح السفينة؛ إذا دفعها بالمجداف، قال أعشى همدان:

لَمَنِ الظَّعَائِنُ سَيَرُهُنَّ تَزْحُفُ
عَوَمَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسُ تُجْدَفُ

وخفق الطائر بمجدافيه، أي: بجناحيه، وهما قوته، والجداء والجدوى: العطاء، وما أقواه، واستجديته: سألته، وجدوته واجتديته مثله، قال:

جدوتُ أناساً موسرينَ فما جدوا
ألا الله أجْدُوهُ إذا كنتَ جَادِيَا

وقد فطن أحدُ أدبائنا القدامى إلى هذه المادة، وسر اجتماع الجيم والdal، فأحصى ذلك نظماً، نودره فيما يلي:

عَظْمَةٌ وَالْقَطْعُ حَظْ جَدُّ	والاجتهاد ضد هزل جِدُّ
وَجَانِبٌ وَجَاءَ جَمْعاً جُدُّ	واسم لما بين الكلا من بئر
أُمُّ أَبٍ وَأُمُّ أُمٍّ جَاءَهُ	ومصدر الشيء الجديد جَدَّهُ
مَدِينَةٌ أَيْ بِالْحِجَازِ جُدَّهُ	والضم والكسر لشط النهر
لِلنَّبْتِ وَالْحَائِطِ قِيلَ جُدُرٌ	وللنبات قيل أيضاً جُدُرٌ
وَجَمَعَ جُدُرٌ أَيْ جِدَارٌ جُدُرٌ	وآفة الأطفال داء الجُدري
وَالسَّنَةُ الشَّدِيدَةُ الْجَدَاعُ	أما الجدال فاسمه جداع
وَالْكَلَاءُ الدَّأَوِي هُوَ الْجُدَاعُ	كذا وضيم الكلم المضِرُّ
الْفَتْلُ وَالصَّرْعُ وَعَوْدٌ جَدُلٌ	والصدر بالفتح وكسر جدلٌ
جَمَعَ جَدِيلٌ أَيْ زَمَامٌ جُدُلٌ	وجمع جدلاء لدرع الكر

وهذا من الغرابة بمكان.

○ الإعراب:

﴿ قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾ قالوا فعل وفاعل، ويا أداة نداء، ونوح منادى مفرد علم مبني على الضم، وقد حرف تحقيق، وجادلنا فعل وفاعل ومفعول به، فأكثر عطف على جادلنا، وجادلنا مفعول به ﴿ فَأَنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن كنت صادقاً فائتنا، وبما متعلقان بالفعل، وجملة تعدنا صلة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون ما مصدرية، أي: بوعدك إيانا، وإن كنت من الصادقين شرط جوابه دل عليه ما قبله، أي: فائتنا، ومن الصادقين خبر كنت ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَسْمُ الْمُعْجِزِينَ ﴾ إنما كافة ومكفوفة، ويأتيكم فعل مضارع ومفعول به، وبه متعلقان بيأتيكم، والله فاعل، وإن شاء شرط وفعله، والجواب محذوف، وما الواو حالية، وما حجازية، وأنتم اسمها، وبمعجزين خبرها منصوب محلاً بسبب حرف الجر الزائد ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ الواو عاطفة، ولا نافية، وينفعكم نصحي فعل ومفعول به وفاعل، وإن أردت شرط وفعله، وأن وما في حيزها مفعول أردت، ولكم: متعلقان بأنصح وأن كان شرط وفعله أيضاً، والله اسم كان، وجملة يريد خبر كان، وأن يغويكم أن وما في حيزها مفعول يريد، ووجه ترادف الشرطين: أن جواب الشرط الثاني، وهو إن كان الله يريد أن يغويكم جوابه ما دل عليه قوله: لا ينفعكم نصحي، ويكون الشرط الثاني وجوابه جواب الأول، وسيأتي تفصيل ذلك ومعناه في باب الفوائد ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ هو مبتدأ، وربكم خبر، وإليه متعلقان بترجعون، وترجعون بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ أم منقطعة، ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، وجملة افتراه مقول القول ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَنْحَرُمُونَ ﴾ إن شرطية، وافتريته فعل وفاعل ومفعول به، وهو فعل الشرط، والفاء رابطة،

وعلي خبر مقدم، وإجرامي مبتدأ مؤخر، وأنا مبتدأ، وبريء خبر، ومما متعلقان ببريء، وجملة تجرمون صلة.

* الفوائد:

إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب، يجعل الشرط الثاني شرطاً في الأول، فلا يقع الجواب إلا إن حصل الشرط الثاني، ووجد في الخارج قبل وجود الأول، ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل: «أنت طالق إن شربت إن أكلت»، وهي المترجمة بمسألة اعتراض الشرط على الشرط، فالمنقول أنها إن شربت ثم أكلت لم يحنث، وإن أكلت ثم شربت حنث، وقد قرر المفسرون في الآية أنه إذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الأول في المعنى، وإن كان مؤخراً في اللفظ، والتقدير: ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت أن أنصح لكم. وقال البيضاوي: «هكذا تقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي لذلك، ولو قال: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيداً، فدخلت ثم كلمت زيداً لم تطلق».

وقال ابن هشام في «المغني»:

ذكروا أنه إذا اعترض شرط على آخر نحو إن أكلت إن شربت فأنت طالق، فإن الجواب المذكور للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف مدلول عليه بالشرط الأول، وجوابه (أي: والشرط الأول وجوابه متأخر معنى لكونه دليل الجواب) كما قالوا في الجواب المتأخر عن القسم والشرط، ولهذا قال محققو الفقهاء في المثال المذكور: إنها لا تطلق حتى تقدم المؤخر وتؤخر المقدم، وذلك لأن التقدير حينئذ إن شربت إن أكلت فأنت طالق، وهذا كله حسن، ولكنهم جعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ إن كان الله يريد أن يغويكم. وفيه نظر إذ لم يتوال شرطان وبعدهما جواب، كما في المثال، وكما في قول الشاعر:

إِنْ تَسْتَعِثُوا بَنَا إِنْ تُدْعَرُوا تَجِدُوا مِنْ مَاعِيقٍ عَزَّ زَانَهَا كَرَمُ

وقول ابن دُرَيْد:

فإن عَثَرْتُ بَعْدَهَا إِنَّ وَالْتَ نَفْسِي مِنْ هَاتَا فَقُولَا: لَا لَعَا

إذ الآية الكريمة لم يذكر فيها جواب، وإنما تقدم على الشرطين ما هو جواب في المعنى للشرط الأول، فينبغي أن يقدر إلى جانبه، ويكون الأصل: إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم، وأما أن يقدر الجواب بعدهما، ثم يقدر بعد ذلك مقدماً إلى جانب الشرط، فلا وجه له.

وقال في «الدرر»: وإذا دخل شرط على شرط فتارة يكون بعطف، وتارة يكون بغيره، فإن كان بعطف فأطلق ابن مالك أن الجواب لأولهم لسبقه، وفصل غيره، فقال: إن كان العطف بالواو، فالجواب لهما؛ لأن الواو لمطلق الجمع، نحو: «إن تأتني وإن تحسن إلي أحسن إليك». وإن كان العطف بأو فالجواب لأحدهما؛ لأن «أو» لأحد الشيئين، نحو: إن جاء زيد، أو إن جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها، وإن كان العطف بالفاء فالجواب للثاني، والثاني وجوابه جواب للأول، وإن كان بغير عطف فالجواب لأولهما، والشرط الثاني مقيد للأول، كتقييده بحال واقعة موقعه كما في بيت الشاهد، وإذا دخل الاستفهام على الشرط، فعن يونس أن الجواب للاستفهام لتقدمه على الشرط قياساً على مسألة تقدم القسم على الشرط، نحو: إن قام زيد تقوم؟

خلاصة مفيدة:

توضيح المسألة: إنه قد وجد في هذه الصورة شرطان، وليس فيها ما يصلح للجواب إلا شيء واحد، فلا يخلو إما أن يجعل جواباً لهما معاً، ولا سبيل إليه؛ لما يلزم عليه من اجتماع عاملين على معمول واحد، وهو باطل.

وإما أن لا يجعل جواباً لهما، ولا سبيل إليه لما يلزم عليه من الإيتان بما لا مدخل له في الكلام، وترك ما له مدخل، وهو عبث.

وإما إن يجعل جواباً للآخر دون الأول، وهذا لا سبيل إليه، لأنه يلزم عليه أن يكون الثاني وجوابه جواباً للأول، فيجب الإتيان بالفاء الرابطة، ولا فاء، فتعين القسم الرابع وهو: أن يكون جواباً للأول دون الثاني، ويكون الأول وجوابه دليل جواب الثاني، فالأصل إن شربت فإن أكلت فأنت طالق، وهو لو قال هذا الكلام لم تطلق حتى تشرب ثم تأكل، فكذا ما هو بمعناه.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ أَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ٣٧ وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٩﴾

☆ النسخة:

(الابتئاس) حزن في استكانة، قال:

ما يَقْسِمُ الله أَقْبَلَ غَيْرِ مُبْتَسٍ منه وَأَقْعُدُ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ

وهو افتعال من البؤس. وفي المختار: «ولا تبتئس، أي: لا تحزن ولا تشتك، والمبتئس: الكاره الحزين».

﴿الْفُلْكَ﴾ الجمهور على أنه بضم الفاء وسكون اللام، وقيل: إنه يقال فُلْكَ - بضمين - أيضاً. وأشار الرضي في «شرح الشافية» إلى جواز أن يكون بضمين هو الأصل وإن ضم الأول، وتسكين الثاني لعله تخفيف منه كعنع، وأطال في توجيهه. وفي القاموس: «والفُلْكَ بالضم: السفينة، ويذكر، وهو للواحد والجميع، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد» وهذا بعينه ورد في الصحاح أيضاً والعباب. قال ابن بري: صوابه الفلك الذي هو

واحد؛ لأنك إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكر لا غير، وإن جمعته جمعاً فهو مؤنث لا غير، وقيل: إن الفلك يؤنث وإن كان واحداً، قال تعالى: ﴿قُلْنَا أَجْعَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وعليه فلا تصويب.

○ الإعراب:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ﴾ الواو عاطفة، وأوحي فعل ماض مبني للمجهول، وأن وما في حيزها نائب الفاعل، وجملة «لم يؤمن» خبر أن، وإلا أداة حصر، ومن فاعل يؤمن، وجملة قد آمن صلة ﴿فَلَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُفْعَلُونَ﴾ الفاء عاطفة، ولا ناهية، وتبتس مجزوم بلا، وبما متعلقان بتبتس، وجملة كانوا صلة، وجملة يفعلون خبر كانوا ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ واصنع عطف على ما تقدم، والفلك مفعول به، وبأعيننا في موضع نصب على الحال، أي: مكلوءاً بأعيننا، وحقيقته: متلبساً كأن لله معه أعيناً تكلؤه، ووحينا عطف على أعيننا ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ لا ناهية، وتخاطبني مجزوم بها، والياء مفعول به، وفي الذين متعلقان بتخاطبني، وجملة ظلموا صلة، وإنهم مغرقون، إن واسمها وخبرها، والجملة تعليلية لعدم الخطاب ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ حكاية حال ماضية، فالجملة ابتدائية، مسوقة لهذا الغرض، والتقدير: وجعل يصنع الفلك، والفلك مفعول به، والواو حالية، وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بسخروا منه، وقد مر القول في كلما، ومر عليه ملاً فعل وفاعل، وعليه متعلقان بمر، وجملة سخروا منه: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ قال فعل ماض، وإن شرطية، وتسخروا فعل الشرط، ومنا متعلقان بتسخروا، والفاء رابطة، وإن واسمها، وجملة نسخر منكم خبر إن، وكما تسخرون الكاف صفة لمصدر محذوف، وقد مرت له نظائر كثيرة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ الفاء استئنافية، وسوف حرف ينقل الفعل من الحال إلى الاستقبال، والفرق بينها وبين السين أن في سوف معنى من

التسويق، وهو تعليق النفس بما يكون من الأمور التي يمكن أن تحدث، وتعلمون فعل مضارع وفاعل، ومن: يجوز أن تكون موصولة في محل نصب بتعلمون، وتعلمون بمعنى العرفان، فتنصب مفعولاً واحداً، ويجوز أن تكون استفهامية، وتكون أيضاً مفعولاً به، ويجوز أن تكون تعلمون يقينية، فيكون المفعول الثاني محذوفاً، ويأتيه فعل ومفعول به، وعذاب فاعل، وجملة يخزيه صفة عذاب ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ويحل معطوف على يأتيه، وعليه متعلقان بيحل، وعذاب فاعل، ومقيم صفة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ مجيء الخبر إنكارياً مؤكداً بيان، تأكيداً للكلام، وتنزيلاً للسامع منزلة المتردد؛ لأنه للنفس اليقظة مظنة التردد في حكم الخبر، ومؤونة الطلب له، فقال أولاً: ولا تخاطبني في الذين ظلموا، أي: لا تدعني يا نوح في استدفاع العذاب عنهم، ثم قال: إنهم مغرقون؛ لأن الكلام مظنة أن يتردد نوح بأنه هل يصيبهم بأس، بل بأنهم هل هم مغرقون بملاحظة ما تقدم من قوله: واصنع الفلك، فأورد الخبر مؤكداً، فقال: إنهم محكوم عليهم بالإغراق.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَاهَا مِرْسِيًّا وَمُرْسِيًّا إِنِّي رَءِي لَغُفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأَوَّىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَهُ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

☆ اللفظ:

﴿وَفَارَ﴾ الفور: الغليان، وأصله الارتفاع وفي المصباح: «فار الماء يفور

فوراً: نبع وجري، وفارت القدر فوراً وفوراناً: غلت» ومنه قولهم: فعل ذلك من فوره، أي: من قبل أن يسكن، وشرب فورة العقار، وهي طفاوتها، وما فار منها.

﴿النُّورُ﴾ قيل: وزنه تفعلول، فقلبت الواو الأولى همزة لا نضمامها، ثم حذفت تخفيفاً، ثم شددت النون للعرض عن المحذوف، قال هذا ثعلب، وقال أبو علي الفارسي: وزنه فعول، وقيل: هو أعجمي، والمشهور أنه مما اتفقت فيه لغة العرب والعجم كالصابون وقال في القاموس والتاج: التنور: الكانون يخبز فيه، وصانعه تنار، ووجه الأرض وكل مَفَجَّر ماء ومحفل ماء الوادي، وعقبه التاج بقوله: يقال هو في جميع اللغات كذلك، وقال الليث: التنور: عمت بكل لسان، قال أبو منصور: وهذا يدل على أن الاسم في الأصل أعجمي، فعربته العرب فصار عربياً على بناء فعول، ثم قيل: هو تنور معروف، فالكلام حقيقي، وقيل: هو مجاز، ومعنى قولهم: فار التنور: اشتد به الغضب، كما يقولون: حمي الوطيس، إذا اشتدت الحرب، وفار قدر القوم؛ إذا اشتدت حربهم، قال الشاعر:

تَفُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَنَدِيمُهَا وَنَفْثُهَا عَنَّا إِذَا حَمِيَتْهَا غَلَا

﴿اثنَيْنِ﴾ الوجه في قراءة حفص بالتنوين ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثنَيْنِ﴾ لأن الاثنين زوجان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ والمرأة: زوج الرجل، والرجل: زوجها، وقد يقال للاثنين: هما زوج، قال لبيد:

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظَلُّ عَصِيَّةُ زَوْجٍ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا

ومعنى البيت: الهوادج محفوفة بالثياب، فعيدها تحت ظلال ثيابها، والمضمر بعد القرام للعصي، أو للكيلة.

○ الإعراب:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ النَّورُ﴾ حتى متعلقة بقوله: «واصنع الفلك بأعيننا» أي: إلى هذا الوقت، فهي حرف غاية وجر، وإذا ظرف لما يستقبل من

الزمن، وجملة «جاء أمرنا» في محل جر بالإضافة، وجملة «وفار التنور» معطوفة على جملة «جاء أمرنا» ﴿قُلْنَا أَهْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ الجملة لا محل لها لأنها جواب إذا، وأهمل فعل أمر، وفيها متعلقان بأهمل، ومن كل حال من زوجين؛ لأنه كان في الأصل صفة له، وزوجين مفعول به، واثنين صفة للتأكيد والتشديد، كما قال: ﴿لَا تَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ وأهلك عطف على زوجين، وإلا أداة استثناء، ومن مستثنى متصل، وجملة سبق عليه القول صلة. ﴿وَمَنْ أَمِنَ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ومن آمن عطف، على أهلك، وما: الواو عاطفة، وما نافية، وآمن فعل ماض، ومعه ظرف متعلق بآمن، وإلا أداة حصر، وقليل فاعل آمن ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يُحَرِّبُهَا وَمُرسَهَا﴾ الواو عاطفة، وقال فعل ماض، وجملة اركبوا فيها مقول القول، وفيها متعلقان باركبوا، باسم الله خبر مقدم، ومجراها مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية حال من الواو، أو الهاء، أي: اركبوا فيها مسمين الله، أو قائلين: باسم الله، ومرساها عطف على مجراها، وهما مصدران ميميان الأول من جرى، ولذلك جاء مجرى، والثاني من أرسى، ولذلك جاء مُرسى بضم الميم، وقرئ الاثنان بالضم على أنهما مصدران ميميان أيضاً، ويجوز أن يكونا اسمين للزمان أو المكان، أي: وقت جريانها وإرسائها، وبسم الله حال، أي: متبركين باسم الله، ويتعلق الظرفان بهذا المحذوف، فهو من باب: خفوق النجم، ومقدم الحاج، وهنا أقوال أخرى للمعربين ضربنا عنها صفحاً ﴿إِنَّ رَبِّيَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إن واسمها، واللام المرحقة، وغفور خبر إن الأول، ورحيم خبر إن الثاني ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ حال من محذوف، أي: فركبوا فيها، والحال أنها تجري بهم، ويجوز أن تكون مستأنفة، وهي: مبتدأ، وجملة تجري: خبر، وبهم متعلقان بمحذوف حال، وفي موج متعلقان بتجري، والكاف صفة لموج ﴿وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ الواو عاطفة، ونادى نوح ابنه فعل وفاعل ومفعول، وكان الواو حالية، وكان فعل ماض ناقص، واسمها مستتر تقديره: هو يعود على الابن، وهو كنعان، وفي معزل خبر كان ﴿يَبْنِيَّ

أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ يا حرف نداء، وبني منادى مضاف لياء المتكلم، وأصله بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير، والثانية ياء الكلمة، والثالثة ياء المتكلم، فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة، فيقرأ بكسر الياء وفتحها، فمن قرأ بالكسر جعل الكسرة دالة على الياء المحذوفة، ومن فتح فقد أراد الإضافة كما أرادها في قوله «يا بني» إذا كسر الياء التي هي لام الفعل، كأنه قال: يا بني يابنات ياء الإضافة، ثم أبدل من الكسرة الفتحة، ومن الياء الألف، فصار يابنيا، ثم حذف الألف، كما كان حذف الياء والقراءتان سبعيتان، واركب فعل أمر، ومعنا ظرف متعلق باركب، ولا ناهية، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، واسمها مستتر تقديره: أنت، ومع الكافرين ظرف متعلق بمحذوف خبر ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ جملة سأوي مقول القول، وإلى جبل جار ومجرور متعلقان بآوي، وجملة يعصمني صفة لجبل، ومن الماء متعلقان بيعصمني ﴿قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ لا نافية للجنس، وعاصم اسمها مبني على الفتح، واليوم ظرف متعلق بأمر الله؛ لأنه بمعنى المصدر، وأحسن من ذلك أن يكون خبر «لا» محذوفاً؛ لأنه إذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنون تميم، وكثر حذفه عند أهل الحجاز؛ لأنه لما قال «سأوي إلى جبل يعصمني من الماء» قال له نوح: «لا عاصم» أي: لا عاصم موجود، ويكون اليوم منصوباً على إضمار فعل يدل عليه عاصم، أي: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله، ومن أمر جار ومجرور متعلقان بذلك الفعل المحذوف، ولا يجوز أن يكون اليوم منصوباً بقوله: «لا عاصم» ولا أن يكون «من أمر الله» متعلقاً به؛ لأن اسم لا إذ ذاك كان يكون مطولاً، وإذا كان مطولاً لزم تنوينه وإعرابه؛ ومن أمر الله خبر لا، وإلا أداة استثناء، أو حصر، والاستثناء إما متصل فيكون من مستثنى، وجملة رحم صلة، وإما منقطع، وإلا بمعنى لكن، ومن مبتدأ، وجملة رحم صلة، والخبر محذوف، تقديره: هو المعصوم. ومن المفيد أن نورد هنا ما قاله أبو البقاء: «قوله تعالى لا عاصم اليوم فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه اسم فاعل على بابه، فعلى هذا يكون قوله «إلا من رحم» فيه

وجهان: أحدهما هو استثناء متصل، و«من رحم» بمعنى الراحم، أي: لا عاصم إلا الله. والثاني: أنه منقطع، أي: ماء دافق، أي: مدفوق، فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً، أي: إلا من رحمه الله. والثالث: إن عاصماً بمعنى ذا عصمة على النسب، مثل: حائض وطالق، فالاستثناء على هذا متصل أيضاً، فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم؛ لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجنة، بل الخبر من أمر الله، واليوم معمول من أمر الله، ولا يجوز أن يكون اليوم معمول عاصم؛ إذ لو كان كذلك لنوّن. وأورد صاحب «الانتصاف» كلاماً جليلاً، نورده فيما يلي: «إن الاحتمالات الممكنة هنا أربعة: لا عاصم إلا راحم، ولا معصوم إلا مرحوم ولا عاصم إلا مرحوم، ولا معصوم إلا راحم، فالأولان استثناء من الجنس، والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً. ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ الواو عاطفة، وحال فعل ماضٍ، وبينهما متعلقان بحال، والموج فاعل، فكان عطف على حال، واسم كان مستتر، ومن المغرقين خبر كان.

﴿وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَعِي مَاءَكِ وَيَنْسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

☆ اللفظة:

(البلع) معروف، والفعل منه مكسور العين ومفتوحها، بلع وبلع، حكاها الكسائي والفراء. وفي المصباح: بلعت الطعام بلعاً من باب: تعب، والماء والريق بلعاً، ساكن اللام، وبلعته بلعاً من باب: نفع لغة، وابتلعته، ومن مجاز هذا الفعل: أبلعني ريقى، أي: أمهلني حتى أقول، أو أفعل، قال الزمخشري في «أساس البلاغة»: «قلت لبعض شيوخى: أبلعني ريقى فقال: قد أبلعتك الرافدين».

(الإقلاع) إذهاب الشيء من أصله حتى لا يرى له أثر، يقال: أقلعت

السماء؛ إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى منه شيء، وأقلع عن الأمر؛ إذا تركه رأساً.

﴿وَغِيضٌ﴾ مبني للمجهول، إذ يستعمل لازماً ومتعدياً، والغيض: النقصان، وفعله لازم ومتعد، فمن اللازم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ أي: تنقص، ومن المتعدي الآية التي نحن بصدددها؛ لأنه لا يبنى للمجهول من غير واسطة حرف جر إلا المتعدي بنفسه، وفي المختار: غاض الماء: قلّ ونضب، وبابه: باع، وانغاض مثله، وغيض الماء: فعل به ذلك، وغاضه الله يتعدى ويلزم، وأغاضه الله أيضاً، وغِيضَ الدمع تغييضاً: نقصه وحبسه، ويقال: غاض الكرام، أي: قلّوا، وفاض اللثام، أي: كثروا.

﴿الْجُودِيَّ﴾: جبل بأرض الجزيرة، استوت عليه السفينة عند انتهاء الطوفان.

○ الإعراب:

﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ اِبْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ الواو عاطفة، وقيل فعل ماض مبني للمجهول، ويا حرف نداء، وأرض منادى نكرة مقصودة، مبني على الضم، وابلعي فعل أمر، والياء فاعل، وماءك مفعول به، ويا سماء أقْلَعِي عطف على يا أرض ابلعي ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جمل معطوفة بعضها على بعضها الآخر، وسيأتي في: البلاغة من أسرارها ما يدهش العقول ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعداً منصوب على المصدر بفعل مقدر، أي: وقيل بعدوا بعداً، فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم، للقوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف، والتقدير: إرادتي ونحوه، أو بقيل: أي: قيل لأجلهم هذا القول، والظالمين صفة للقوم.

□ البلاغة:

في هذه الآية من أفانين البلاغة وبدائع الفصاحة ما يذهل اللب، ويشده

العقول، وسنورد أهم الفنون التي تلفت النظر، وتستهوِي الموهوب؛ ليحذو حذوها، وينسج على منوالها.

(١) المساواة:

ونبدأ بالفن الذي يتناول الآية عموماً، وقد عرفوه بأن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهو من أعظم أبواب البلاغة، بل هو البلاغة عينها، كما وصف بعض الوصاف بعض البلغاء فقال: كانت أوصافه قوالب لمعانيه، وكما قال العتابي: «الألفاظ أجساد والمعاني أرواح» وهو ميزة كل لغة، قال إميل فاكه في وصف فيكتور هيغو: «هيو من الخالدين لأن الذي يخلد هو جمال الأسلوب». وجمال الأسلوب: هو الملاءمة بين اللفظ والمعنى، والآية التي نحن بصددنا خير مثال لهذه المساواة، فإنه سبحانه أراد اقتصاص هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه، فجاء بها مرتبة الألفاظ والجمل، على حسب ما وقع في صور لا تفضل عن معانيها، ولا تقصر عنها. فإن قيل: لفظة «القوم» زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة؛ لأنها إذا طرحت استقلّ الكلام بدونها، بحيث يقال: (وقيل بعداً للظالمين) قلت: لا يستغني الكلام عنها، وذلك أنه لما قال في أول القصة: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا تَخْطُبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ جاءت لفظة القوم في آخر القصة، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره.

(٢) رد العجز على الصدر:

وهو الفن الثاني من فنون هذه الآية، وليعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح فهم مستحقون للعقاب؛ لئلا يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك، فأخبر الله سبحانه أن الهالكين هم الذين تقدم ذكرهم، وما كانوا يفعلونه مع نبيه من السخرية التي استحقوا بها الهلاك، وأنهم الذين وصفهم بالظلم، ووعد نبيه

بإغراقهم، ونهاه عن مخاطبته فيهم، ليرفع ذلك الاحتمال، فيعلم أن الله سبحانه قد أنجز نبيه ما وعده، وأهلك القوم الظالمين؛ الذين قدم ذكرهم، ووصفهم، ووعد بإغراقهم.

الإشارة:

الفن الثالث من فنون هذه الآية فن الإشارة، وقد تقدم بحثه، وعرفه قدامة فقال: هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على الكثير من المعاني، حتى تكون دلالة اللفظ بمثابة الإشارة باليد، أو الإيماءة بالحاجب والعين، فإنها تشير بحركة واحدة سريعة إلى أشياء كثيرة تستوعب العبارات الطويلة. ومن أمثلتها في الآية التي نحن بصددتها قوله: ﴿وَغِيَصَ الْمَاءَ﴾ فإنه غيَص الماء يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض، ومطر السماء، ولولا ذلك لما غاض الماء.

الإرداف:

أما الفن الرابع فهو فن عجب في بابه، وهو: أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص، وتابعه قريب من لفظ المعنى قرب الرديف من الردف، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وحقيقة ذلك: وهلك من قضى الله هلاكه، ونجا من قضى نجاته، وإنما عدل عن هذه الحقيقة إلى لفظ الإرداف من الإيجاز والتنبيه، على أن هلاك الهالك، ونجاة الناجي، كان بأمر أمر مطاع، وقضاء من لا يرد قضاؤه، والأمر يستلزم أمراً، وقضاؤه يدل على قدرة الأمر به، وطاعة المأمور تدل على قدرة الأمر وقهره، وإن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضّان على طاعة الأمر، ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص.

هذا؛ ومن أمثلة الإرداف في الشعر قول أبي الطيب المتنبي:

لَوْ كُنْتُ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ نُمُرْقِيهَا

سَمِعْتُ لِلْجَنِّ فِي غِيْطَانِهَا زَجَلًا

ومرادَه نفسه بقوله «حشو قميصي»، يقول: لو كنت بدلي تحت ثيابي، وفوق نمرق ناقتي - وهو الذي يلقي عليه الراكب فخذه لاستراحة - لسمعت جلبة الجن وأصواتهم في منخفض هذه المفاوز البعيدة؛ لأنها مأوى الجن لبعدها عن الإنس، والعرب تجعل المكان البعيد مسكناً للجن تهويلاً له، واستيحاشاً منه.

(٥) الاحتراس:

والفن الخامس في هذه الآية هو الاحتراس، وتعريفه: أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك، ومن أمثلته قوله تعالى فيها: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين، ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقاً للعذاب مستأهلاً له احتراساً من ضعيف، يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب؛ فلما دعا على الهالكين علم أن كل من هلك كان مستحقاً للهلاك؛ لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل، فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء، ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم، فإن لم يكونوا ظالمين، فقد دخل خبره الخلف، وخبره منزّه عن ذلك، فوقع هذا الدعاء، وهذا الوصف احتراساً من ذلك الذي قدر توهمه، والاحتراس يبدو جميلاً في الشعر، ومنه قول طرفة المشهور:

فسقى ديارك غير مفسدها

صوب الربيع وديمة تهمي

فقوله «غير مفسدها» احتراس من نحو معالمها وطمس آثارها، وقد جنح أبو الطيب إليه كثيراً فقال:

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب

يرى كل ما فيها، وحاشاك، فانيا

فقوله «وحاشاك» احتراس من دخوله في كل من فيها .

وقوله أيضاً :

إِذَا خَلْتْ مِنْكَ حِمُصٌ لَا خَلْتَ أَبَدًا

فَلَا سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ بِأَكْرَهُ

فقوله : « لا خلت أبداً » احتراس من توهم الدعاء عليه .

(٦) حسن النسق :

والفن السادس من فنون هذه الآية العجيبة هو فن النسق، وهو : عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاححات تلاحماً سليماً مستحسناً لامعياً مستهجنأً، والآية من أولها إلى آخرها من شواهد هذا الفن، فقد ترادفت الجمل منسوقة بعضها على بعض بواو النسق، على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يحصل ذلك، ولا يتأتى إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض، فأمرها بالابتلاع، وثنى بالسماء، فأمرها بالإقلاع ؛ لئلا يتأذى بذلك أهل السفينة، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ماء الأرض، وانقطع ماء السماء، ثم قال : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي : هلك من جفّ القلم بهلاكه، ونجا من سبق العلم بنجاته، وهذه حقيقة المعجزة، وكنه الآية، ولا بُدَّ أن تكون معلومة لأهل السفينة، ولا يتسنى علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم، فلذلك اقتضت البلاغة أن تأتي هذه الجملة رابعة الجمل، وكذلك استقرار السفينة على الجودي، أي : استقرارها على المكان الذي استقرت عليه استقراراً لا حركة معه ؛ لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها، وعدل عن لفظة استقرت إلى لفظة استوت لما يحتمله الاستقرار من الزيع والميل، ويدل عليه الاستواء من استقامة وعدم انحراف، وفي هذا طمأنينة أهل السفينة وأمنهم، بعد المخافة وإفراخ روعهم إذا كان استقرارها استقراراً فقط، بحيث لا تؤمن معه الحركة ؛ لكانت حالهم في مكابدة الحركة، واضطراب القلوب، ووجيفها، واحدة في حال سيرها

ووقوفها. ثم قال أخيراً: ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا دعاء أوجه الاحتراس من يظن أن الغرق لشموله الأرض ربما أودى بمن لا يستحق العذاب، فدعا على الهالكين، ووصفهم بالظلم؛ ليعلم أن الهلاك إنما شمل من يستحق العذاب دون سواهم، احتراساً من هذا الاحتمال.

(٧) التنظير:

والفن السابع فيها هو فن التنظير، وقد تكلم عنه ابن الأثير في كتابه «الاستدراك» تحت اسم: المفاضلة بين الشعراء؛ ليظهر الأفضل منهما، وهو إلى النقد أقرب منه إلى فنون البديع، وحده أن ينظر الإنسان بين كلامين إما متفقي المعاني، أو مختلفي المعاني؛ ليظهر الأفضل منهما، والآية التي نحن بصددتها تناولت قصة الطوفان التي انطوت على الكثير من العقد والحلول والعبر، فإذا نظرتها بغيرها من القصص وجدتها سامية عليها جميعاً، باستقصاء جميع ما اتفق فيها، وما سَنَحَ.

(٨) المناسبة اللفظية:

بين ابلعي وأقلعي، وهي تشبه المناسبة التي مرت في قوله: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بسورة يونس.

(٩) الجناس الناقص:

بين ابلعي وأقلعي، ويسميه بعضهم: المضارعة، ويكون أنواعاً، منها: أن يختلف حرف في الكلمتين بعد أن تتفق بقية الأحرف، ومثله: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ وقال النبي ﷺ لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار، وقيل: بل سأله عن نسبه فقال:

إِنِّي أَمْرٌ حَمِيرِي حِينَ تَنْسِبُنِي لَا مِنْ رَّبِيعَةِ آبَائِي وَلَا مُضَرَ

فقال النبي ﷺ: «ذلك والله الأم لجدك، وأضرع لجدك. وأقل لعدك، وأبعد لك عن الله ورسوله».

(١٠) الطباق :

والفن العاشر هو الطباق ، فقد طابق بين السماء والأرض .

(١١) الاستعارة :

والفن الحادي عشر هو الاستعارة المكنية الكائنة في نداء الأرض والسماء ، بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التحضيض والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات ، وهو قوله ﴿ يَكَارِضُ ﴾ و ﴿ وَيَسْمَأُ ﴾ ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ﴿ أَبْلَى مَاءٍ ﴾ و ﴿ أَقْلَى ﴾ من الدلالة على الاقتدار العظيم . والبلع : عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها ، مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان ، أي : ازدراده لطعامه وشرا به ، والبلع : هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما ، وهو الذهاب إلى مقر خفي ، ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء ، أي : استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الآكل بالطعام .

(١٢) المجاز المرسل :

وذلك في قوله : ﴿ وَيَسْمَأُ ﴾ فإن الحقيقة : ويا مطر السماء اقلعي ، والعلاقة في هذا المجاز السببية ؛ لأن الماء سبب المطر أو المحلية ؛ لأنها محلها بما يتجمع فيها من سحب ، وإضافة الماء إلى الأرض مجاز أيضاً ، تشبيهاً لاتصاله بها باتصال الملك بالملك ، وفيها نكتة أخرى وهي التنبيه على حدوث هذا الماء من الأرض أيضاً ، لا من السماء فقط ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ التُّورُ ﴾ .

(١٣) التمثيل :

وهو أن يريد المتكلم معنى ، فلا يعبر عنه بلفظه الخاص ، ولا بلفظي الإشارة والإرداف ، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص ؛ لأن المثل لا يشبه المثل من جميع الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا ، وقد تقدم تفصيل هذا الفن في قوله : ﴿ وَأَسْوَتْ عَلَى ﴾

الْجُودِيِّ ﴿ فَإِنَّ حَقِيقَةَ ذَلِكَ : وجلست على ذلك المكان ، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن ، لا زيغ فيه ، ولا ميل ، ولا حركة معه ، ولا اضطراب .

(١٤) الإيجاز :

فقد اقتصر سبحانه القصة بلفظها مستوعبة ، بحيث لم يخل منها شيء ، في أحصر عبارة ، وبالألفاظ غير مطولة .

(١٥) التسهيم :

وهو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه ، أو بالعكس ، والتسهيم في الآية هو أن أول الآية يقتضي آخرها .

(١٦) التهذيب :

لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، وكل لفظة سهلة مخرج الحروف ، سلمت من التنافر ، والغرابة ، ومخالفة القياس .

(١٧) التمكين :

لأن الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ، غير قلقة ، ولا ناشزة .

(١٨) الانسجام :

وهو تحديد الكمات بسهولة وعذوبة ، مع الجزالة ؛ التي يقتضيها المقام ، ويتطلبها مقتضى الحال .

(١٩) الإحصاء :

وهو أن يحدد القارئ بالفاصلة قبل أن يتلفظ بها .

(٢٠) ائتلاف اللفظ مع المعنى :

وهو ما يسميه أهل الفن المزاجية بين الألفاظ ، حتى لقد قال أناطول فرانس الكاتب الفرنسي : « إن بين الألفاظ زواجاً كاثوليكاً » وكل لفظة

لا يصلح في موضعها غيرها، وقد كان أبو تمام يحرص في شعره على هذا الفن، فاستمع إلى قوله:

وَفِي الْكِلَّةِ الْوَرْدِيَّةِ اللَّوْنِ جُوْذُرُ
مِنْ الْإِنْسِ يَمْشِي فِي رِقَاقِ الْمَجَاسِدِ
رَمْتُهُ يَخْلَفُ بَعْدَ أَنْ عَاشَ حَقْبَةً
لَهُ رَسَفَانٌ فِي قُيُودِ الْمَوَاعِدِ

وفاعل رمته في أبياتٍ سبقت، وهذا أمر تعجز الألفاظ عن إيجاد حدود له، وإنما هو مما يستشعره الذوق وحده، على حد قول فولتير: «ذوقك أستاذك».

(٢١) الاستعارة المتكررة:

فإذا أضفت إلى ما تقدم أن الاستعارة وقعت فيها في موقعين، وهما استعارة الابتلاع والإقلاع، حصل لك واحد وعشرون فناً. هذا؛ وقد أضاف بعض البلاغيين إلى هذه الفنون ما يلي:

١ - ومنها أنه تعالى لم يصرح بفاعل غيض، وقضي، وقيل، كما لم يصرح في صدر الآية بقاتل قيل: وكذا لم يصرح بمن سوى السفينة تنبيهاً على أن تلك الأمور العظام لا يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكتنه، وقهار لا يغالب، فلا يذهب الوهم إلى فاعل غيره، ولا ينشط الخيال إلى مدى أبعد من هذا المدى، وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل إشارة إلى أن هذه الأمور أهون عند الله تعالى من أن ينسبها إلى قدرته صراحة.

٢ - ومنها إفراد الماء إشعاراً بأن هذا الماء لم يحصل من اجتماع المياه وتكاثرها، بل هو نوع واحد حصل بقدرته تعالى دفعة واحدة.

٣ - ومنها إفراد ﴿أَرْض﴾ إشارة إلى شمول هذا الماء الكل، بحيث صار الكل بمثابة شيء واحد باعتبار هذا الشمول، وأيضاً إفراد ﴿سَمَاء﴾ إشارة إلى أن المراد بها هاهنا جهة العلو الذي لا يكتنه مداه إلا الأجرام العلوية.

٤ - ومنها التعريض الذي اختتم به الكلام، تنبيهاً لسالكي مسلكهم، والجناحين جنوحهم في تكذيب الرسل، إلى أن ما حل بهم من إغراق شمل العالم بأسره لم يكن إلا لظلمهم، وإمعانهم في اللجاج، والتمادي في الإنكار.

٥ - ومنها ذكر مفعول ابلعي؛ لئلا يعم بالحذف ابتلاع البحار، وسواكن الماء، كما يقتضيه مقام الكبرياء.

٦ - ومنها تقديم أمر الأرض على السماء؛ لابتداء الطوفان منها. هذا؛ وقد ذكر السكاكي أسراراً أخرى، أضربنا عنها لما فيها من تكلف قد يحيل الأمر إلى العكس.

* الفوائد:

(١) قد يقام المصدر المؤكد مقام فعله المستعمل، أو المهمل، فيمتنع ذكره معه، وهو نوعان:

أ - ما لا فعل له أصلاً من لفظه نحو: ويلك، وويلحك، وبله الأكف، وسبحان الله.

ب - ما له فعل مستعمل من لفظه، وهو نوعان: نوع واقع في الطلب، وهو الوارد في دعاء بخير أو ضده، فالأول كسقيا ورعيا، والأصل: سقاك الله سقياً، ورعاك الله رعيّاً، أو الوارد نهياً، أو أمراً، نحو: قياماً لا قعوداً، وكذلك النوعي نحو: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ أي: فاضربوا ضرب الرقاب، ونوع واقع في الخبر نحو: حمداً، وشكراً، لا كفراً، ولها أنواع مذكورة في المطولات، والجار والمجرور الواقعان بعد نحو: سقيا لك، وبعداً للقوم الظالمين، متعلق بمحذوف خرج مخرج البيان، التقدير: إرادتي لهم، ولا تتعلق بالمصدر، فنحو: سقيا لك على هذا جملتان.

(٢) لام التبيين: ويجدر بنا هنا أن نورد خلاصة وجيزة لهذه اللام التي شغلت النحاة كثيراً، ولم يوفوها حقها من الشرح، وهي ثلاثة أنواع:

أ - ما تبين المفعول من الفاعل، وضابطها أن تقع بعد فعل تعجب، أو اسم تفضيل مفهمين حباً أو بغضاً نقول: ما أحبني وما أبغضني، فإن قلت: لفلان، فأنت فاعل الحب والبغض، وهو مفعولهما، وإن قلت: إلى فلان، فالأمر بالعكس.

ب و ج - ما يبين فاعلية غير متلبسة بمفعولية، وما يبين مفعولية غير متلبسة بفاعلية، ومصحوب كل منهما إما غير معلوم مما قبلها، أو معلوم، لكن استؤنف بيانه تقوية لليان، وتوكيداً له، واللام في ذلك كله متعلقة بمحذوف.

مثال المبينة للمفعولية: سقياً لك، وجدعاً لك، فهذه اللام ليست متعلقة بالمصدرين، ولا بفعليهما المقدرين؛ لأنهما متعديان بنفسيهما كالمصدرين، و«لا» هي ومجروها صفة للمصدر، فتتعلق بالاستقرار؛ لأن الفعل لا يوصف فكذا ما أقيم مقامه، وإنما هي لام مبينة للمدعو له، أو عليه، والتقدير: إرادتي لك.

ومثال المبينة للفاعلية: تباً لزيد، وويحاً له، فإنه في معنى خسر وهلك، وحينئذ فزيد هو الفاعل، واللام متعلقة بمحذوف: إرادتي كائنة لزيد.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ٤٥ قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْحُوحُ أَهَيْطَ بِسَلْمٍ مَتَا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ قَمَنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَا عَذَابُ الْإِلْمِ ٤٨ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا

أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُنْكَيَةِ ﴿٤٥﴾

○ الإعراب:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ الواو استئنافية، والنداء على ما يبدو كان قبل سير السفينة؛ لأنه سؤال في نجاة ابنه، ولا معنى للسؤال إلا عند إمكان النجاة، ونادى نوح فعل وفاعل، وربّه مفعول به، فقال: الفاء حرف عطف، وقال فعل ماضٍ معطوف على نادى عطفاً تفسيراً؛ لأن القول المذكور هو عين النداء، ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وإن واسمها، ومن أهلي خبرها، وإنما أورد ذلك؛ لأن الله تعالى وعده بنجاة أهله. وللمفسرين كلام طويل حول بنوة هذا الابن يخرج عن نطاق هذا الكتاب ﴿وَلَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها وخبرها، وأنت أحكم الحاكمين مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة أيضاً ﴿قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال فعل ماضٍ، وضمير الله فاعله المستتر، وإن واسمها وجملة ليس من أهلك خبر إن، ومن أهلك خبر ليس ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ إن واسمها، والضمير يعود إلى ابنه، ولا مبرر لقول من قال: إن الضمير يعود إلى سؤاله، كما ذهب الجلال وغيره؛ لأن بلاغة الكلام تستبعده، وعمل خبر إن، وهو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى، وقد تقدمت الإشارة إليه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

أَيُّهَا الْقَائِلُ فِي غَيْرِ الصَّوَابِ أَخَّرَ النَّصْحَ وَأَقْلَلَ مِنْ عِتَابِي
وقوله أيضاً:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِيٍّ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مَنِي
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى

أراد: أيها الإنسان القاتل، وكم من إنسان قتل. وقول الخنساء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتُ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ

فَلَيْمًا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

وغير صالح صفة لعمل، والجملة تعليل لانتفاء كونه من أهله الناجين ﴿فَلَا تَشْتَكِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتسأل فعل مضارع مجزوم بلا، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف مفعول به، وما مفعول به ثان، وجملة ليس صلة، واسم ليس علم، ولك خبرها المقدم، وبه جار ومجرور متعلقان بعلم ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إن واسمها، وجملة أعظك خبرها، وإن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض، أي: أخوفك من أن تكون، والجار والمجرور متعلقان بأعظك، واسم تكون مستتر تقديره: أنت، ومن الجاهلين خبر تكون، وسيأتي في باب: الفوائد معنى تسمية سؤال نوح جهلاً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ إن واسمها، وجملة أعوذ خبرها، وبك متعلقان بأعوذ، وأن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، وما ليس لي به علم تقدم إعرابها ﴿وَلَوْلَا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ولا نافية، وتغفر فعل الشرط، ولي جار ومجرور متعلقان به، وترحمني عطف على تغفر، وأكن جواب الشرط، واسمها مستتر تقديره: أنا، ومن الخاسرين خبرها ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ اهبط فعل أمر، وبسلام جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل اهبط، أي: متلبساً بسلام، ومناً صفة لسلام، أو بنفس سلام، وبركات عطف على سلام، وعليك صفة ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ وعلى أمم عطف على عليك، وممن صفة لأمم، ومعك ظرف مكان صلة الموصول ﴿وَأُمَمٌ سِنِمَةً لَّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الواو استئنافية، وأمم مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنه موصوف تقديره أي: وأمم ممن معك، وجملة ستمتعهم خبرها، أو تجعل ستمتعهم صفة، والمحذوف هو الخبر، وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه، ثم حرف عطف للتراخي، ويمسهم فعل مضارع ومفعول به، ومنا حال لأنه كان صفة لعذاب، وعذاب فاعل، وأليم صفة ثانية ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ تلك مبتدأ، ومن أنباء الغيب خبر أول، وجملة نوحيا إليها إليك خبر ثان، وإن

شئت كان في موضع الحال، أي: تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ خبر ثالث، وهذا أولى الأعراب، وكان واسمها، وجملة تعلمها خبر كنت، و«ها» مفعول به، وأنت تأكيد لفاعل تعلمها المستتر، ولا قومك عطف على أنت، ومن قبل هذا حال من الهاء في نوحها، أو الكاف في إليك، أي: جاهلاً أنت وقومك بها ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الفاء الفصيحة، أي: إن عرفت هذه القصة ومنطوياتها، وما آلت إليه حادثة الطوفان، فاصبر، وجملة إن العاقبة للمتقين من إن واسمها وخبرها، تعليلية، وهذا هو المقصود من قصة نوح والقصص التي ستنلونها.

* الفوائد:

للمفسرين كلام طويل في هذه الآية، وتعليل وصف سؤال نوح بالجهل، وهو يدل على عدم العصمة، حتى لقد ذهب الزمخشري إلى أن نوحاً عليه السلام صدر عنه ما يوجب نسبة الجهل إليه، ومعاتبته على ذلك، ويطول بنا القول إن أردنا أن ننقل ما أوردوه، أو نلخصه على الأقل، وأقرب ما يقال في ذلك أنه لما صدر الوعد إلى نوح بنجاة أهله إلا من سبق عليه القول منهم، ولم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على دخيلة نفسه، وحقيقة أمره، بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن، بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة، ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل، ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه في علمه من المستثنين، وأنه هو لا علم له بذلك، فلذلك سأل فيه، وهذا بأن يكون إبانة عذر أولى منه أن يكون عتياً، وأما قوله: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره، وأنه إن وقع في المستقبل السؤال كان من الجاهلين، والغرض من ذلك: تقديم ما يبقيه على سمة العصمة، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب، وقد أشفق نوح من إقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له، فخاف من ذلك الهلاك، فلجأ إلى ربه، وخشع

له، ودعاه، وسأله المغفرة والرحمة؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفِقُمْ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۖ يَنْفِقُمْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِ اجْتَرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ يَنْفِقُمْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ۖ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۖ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۖ مِّنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۖ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۖ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۖ فَإِنْ قَوْلُوا فَقَدْ أَفْلَحْنَا وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْنَا وَيَنْصَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ۖ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۖ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدَ ءَادٍ قَوْمُ هُودٍ ۖ﴾

☆ النخبة:

﴿فَطَرَنِي﴾ : فطر الله الخلق، وهو فاطر السموات : مبتدعها، وافتطر الأمر : ابتدعه، «وكل مولود يولد على الفطرة» أي : على الجبلة، وقد فطر هذه البئر، وفطر الله الشجر بالورق، فانفطر به، وتنفطر، وتنفطرت الأرض بالنبات، وتنفطرت اليد والثوب : تشققت، وفطر ناب البعير : طلع، وفطرت المرأة العجين، وهذا كلام يفطر الصوم، أي : يفسده.

﴿مِدْرَارًا﴾ : المدارار : الكثير الدورور، كالمغزار، ولم يؤنثه، وإن كان من

مؤنث لثلاثة أسباب: أحدها: أن المراد بالسماء السحاب، أو المطر، فذكر على المعنى، والثاني: أن مفعلاً للمبالغة، فيستوي فيه المذكر والمؤنث، كصبور، وشكور، والثالث: أن الهاء حذفت من مفعال على طريق النسب. وفي القاموس: درت السماء بالمطر درأً ودروراً، فهي مدرار.

(الناصية): منبت الشعر من مقدّم الرأس، ويسمى الشعر النابت أيضاً: ناصية، باسم محله، ونصوت الرجل: أخذت بناصيته، فلامها واو. ويقال: له ناصاة، فقلبت ياءها ألفاً، فالأخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والقهر، وإن لم يكن ثمة أخذ بناصيته، ولذا كانوا إذا متوا على أسير جزوا ناصيته.

○ الإعراب:

﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ عطف على قصة نوح، والمعطوف محذوف، أي: وأرسلنا إلى عاد فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات لطول الفصل، وعاد اسم قبيلة، وصرفها لأنه أراد الحي، ولو أراد القبيلة لم تصرف، وأخاهم مفعول لأرسلنا المحذوفة، وأراد إخوتهم في النسب، وهوداً بدل، أو عطف بيان، وسيرد في باب: الفوائد الفرق الدقيق بين البدل وعطف البيان ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ اعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، وما نافية، ولكم خبر مقدم، ومن حرف جر زائد، وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر، وغيره صفة لإله على المحل، ويجوز الجر صفة على اللفظ، وقد قرئ بها ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ إن نافية، وأنتم مبتدأ، وإلا أداة حصر، ومفترون خبر أنتم ﴿يَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لا نافية، وأسألكم فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وعليه حال، وأجراً مفعول به ثانٍ ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إن نافية، وأجري مبتدأ، وإلا أداة حصر، وعلى الذي خبر، وجملة فطرني صلة، والهمزة للاستفهام، والفاء حرف عطف، وقد تقدم بحث هذا التركيب، وتعقلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل ﴿وَيَنْقُورُ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبُّكُمْ ثُمَّ نُوبِئُ إِلَيْهِ يَرَسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ استغفروا ربكم

فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم توبوا إليه عطف على استغفروا، ويرسل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، والسماء مفعول به، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمدراراً، ومدراراً حال من السماء، وقد تقدم ذكر السبب في عدم تأنيثها ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ويزدكم عطف على يرسل، والكاف مفعول به أول، وقوة مفعول به ثان، وإلى قوتكم صفة، وإلى بمعنى مع، ولا تتولوا: لا ناهية، وتتولوا مجزوم بلا، ومجرمين حال من الواو ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ يا حرف نداء، وهود منادى مفرد علم مبني على الضم، وما نافية، وجئنا فعل وفاعل ومفعول به، وبينة جار ومجرور متعلقان بجئنا، فتكون الباء للتعدية، ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال، أي: مستقراً، أو متلبساً ببينة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، والباء حرف جر زائد، وتاركي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، وعن قولك حال من الضمير في تاركي، كأنه قال: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك، ويجوز أن تكون عن للتعليل، والمعنى: وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك، فيتعلق بنفس تاركي ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الواو عاطفة، وما حجازية، ونحن اسمها، ولك متعلقان بمؤمنين، والباء حرف جر زائد، ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ إن نافية، ونقول فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: نحن، وإلا أداة حصر، وجملة اعتراك معمول لنقول، أي: منصوبة بمصدر محذوف، وذلك المصدر منصوب بنقول، أي: إلا قولنا: اعتراك، والكاف مفعول به، وبعض آلهتنا فاعل، وبسوء جار ومجرور متعلقان باعتراك، والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، وسيأتي مزيد بحث عن هذه الفائدة في باب الفوائد.

﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إن واسمها، وقد كسرت همزتها بعد القول، وجملة أشهد خبرها، وأشهدوا فعل أمر، وأن المفتوحة الهمزة، وما في حيزها معمول لأشهدوا، أو لأشهد الله، على أن المسألة من

باب التنازع، وسيأتي بحث التنازع في باب الفوائد، وإن واسمها وخبرها، ومما متعلقان ببرىء، وجملة تشركون صلة، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: من إشراككم ﴿مِنْ دُونِيَّ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ من دونه حال، فكيدوني: الفاء الفصيحة، وكيدوني فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به، وجميعاً حال، ثم حرف عطف، ولا ناهية، وتنظرون فعل مضارع مجزوم بلا، والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ إني: إن واسمها، وجملة توكلت خبرها، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وربى بدل، أو صفة، وربكم عطف على ربي.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ما نافية، ومن حرف جر زائد، ودابة مبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة لسبقها بالنفي، وإلا أداة حصر، وهو مبتدأ، وآخذ خبر، وبناصيتها جار ومجرور متعلقان بآخذ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إن واسمها، وعلى صراط خبرها، ومستقيم صفة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ الفاء عاطفة، وإن شرطية، وتولوا فعل مضارع حذف منه إحدى التاءين، والأصل: تتولوا، وهو فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، والفاء رابطة، وقد حرف تحقيق، وأبلغتكم فعل وفاعل ومفعول به، وما مفعول به ثان، وجملة أرسلت صلة، وبه متعلقان بأرسلت، وإليكم حال ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ كلام مستأنف، ولذلك رفعه، ولم ينسقه على الجواب، على أنه قرىء بالجزم أيضاً على الموضع، وهو صحيح لا غبار عليه، وربى فاعل، وقوماً مفعول به، وغيركم صفة لقوماً، ولا تضرّونه عطف على يستخلف، وشيئاً مفعول مطلق، أي: شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ إن واسمها، وعلى كل شيء متعلقان بحفيظ، وحفيظ خبر إن ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ لما ظرفية حينية، متعلقة بنجينا، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، ونجينا هوداً فعل وفاعل ومفعول به، والذين عطف على هود،

وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا، وبرحمة متعلقان بنجينا، ومنا صفة لرحمة ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ونجيناهم فعل وفاعل ومفعول به، ومن عذاب جار ومجرور متعلقان بنجيناهم، وغليظ صفة لعذاب ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ الواو استئنافية، والجملة مستأنفة، سيقى لتلخيص القبائح التي ارتكبتها قوم عاد، وتلك مبتدأ، وعاد بدل، أو عطف بيان، وجملة جحدوا خبر تلك، ولك أن تجعل تلك عاد مبتدأ وخبراً ثم تستأنف، وبآيات متعلقان بجحدوا، وربهم مضاف، وعصوا رسله فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ واتبعوا عطف على جحدوا، وأمر مفعول به، وكل مضاف إليه، وجبار مضاف لكل، وعنيد صفة لجبار ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وأتبعوا عطف على ما تقدم، وهو فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، وفي هذه الدنيا متعلقان بأتبعوا، والدنيا بدل من اسم الإشارة، ولعنة مفعول به ثان، ويوم القيامة ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره: أتبعوا، وأجاز الفارسي أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه؛ لأن قوله في هذه جار ومجرور متعلقان بأتبعوا، فهو عامل في محل نصب، ولا مانع من عطف الزمان على الدنيا؛ لأنها ظرف مكان، فاشتركا في الظرفية ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ ألا أداة تنبيه، وإن واسمها، وكفروا فعل وفاعل، وربهم منصوب بنزع الخافض، ولك أن تنصبه على المفعولية بتضمين كفروا معنى جحدوا ﴿أَلَا بَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ألا أداة تنبيه تأكيد للأولى، وبعداً تقدم إعرابها، وتقدم معنى اللام وتعليقها مفصلاً في موضع قريب، فجدد به عهداً، وقوم بدل، أو عطف، وهود مضاف إليه.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ فإنه إنما قال: أشهد الله وأشهدوا، ولم يقل: وأشهدكم؛ ليكون موازناً له وبمعناه؛ لأن إشهد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهداهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول

لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر كقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد عليّ أني لا أحبك؛ تهكماً به، واستهانة بحاله، هذا من جهة ومن جهة ثانية، فإن صيغة الخبر لا تحتل سوى الإخبار بوقوع الإشهاد منه، فلما كان إشهاد الله واقعاً ومحققاً عبر عنه بصيغة الخبر؛ لأنه إشهاد صحيح وثابت، وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم، وهو مراده في هذا المقام، ومن جهة ثالثة إنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأشرف وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر.

※ الفوائد:

(١) الفرق بين عطف البيان والبدل:

أوجه الشبه بينهما:

أوجه الشبه بين عطف البيان والبدل أربعة، وهي:

- ١- أن فيه بياناً، كما في البدل للثاني.
- ٢- أنه يكون بالأسماء الجوامد كالبدل.
- ٣- أنه يكون لفظه لفظ الأول على جهة التأكيد.
- ٤- كلاهما تابع.

أوجه المفارقة بينهما:

أما أوجه المفارقة بينهما فهي:

- ١- أن البدل يكون هو المقصود بالحكم دون المبدل منه، وأما عطف البيان فليس هو المقصود بل إن المقصود بالحكم هو المتبوع، وإنما جيء بعطف البيان توضيحاً له، وكشفاً عن المراد منه.
- ٢- كل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدل الكل من الكل إذا لم يمكن الاستغناء عنه، أو عن متبوعه، فيجب حينئذ أن يكون عطف بيان،

فمثال عدم جواز الاستغناء عن التابع قولك: فاطمة جاء حسين أخوها؛ لأنك لو حذف «أخوها» من الكلام لفسد التركيب.

٣ - أن عطف البيان يجري على ما قبله في تعريفه، وليس كذلك البديل؛ لأنه يجوز أن تبدل النكرة من المعرفة والمعرفة من النكرة، ولا يجوز ذلك في عطف البيان.

٤ - أن البديل يكون بالمظهر والمضمر، وكذلك المبدل منه، ولا يجوز ذلك في عطف البيان، وأن البديل قد يكون غير الأول، كقولك: سلب زيد ثوبه، وعطف البيان لا يكون غير الأول.

(٢) الفائدة الثانية:

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ﴾ إن حرف نفي لحقت نقول، فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً، وهو قولهم: اعتراك بعض آلهتنا بسوء، والتقدير: ما نقول قولاً إلا هذه المقالة، والفعل يدل على المصدر، وعلى الظرف، وعلى الحال، ويجوز أن يذكر الفعل، ثم يستثنى من مدلوله ما دلّ عليه من المصادر والظروف والأحوال، فنقول: اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه، نقول كقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيتِينَ﴾ إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَى ﴿فنصب موتتنا على الاستثناء؛ لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بميتين، ومما جاء من ذلك في الظروف قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ فساعة استثناء مما دل عليه لم يلبثوا من الأوقات، ومما جاء من ذلك في الحال قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ التقدير: ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا، إلا متمسكين بحبل، أي: بعهد من الله.

(٣) الفائدة الثالثة: التنازع:

هو أن يتقدم فعلاً متصرفاً، أو اسمان يشبهانهما، ويتأخر عنهما معمول، وهو مطلوب لكل منهما، كقوله تعالى: ﴿ءَأَتَوْهُ أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ ولك أن تعمل في الاسم المذكور أي العاملين شئت، فإن عملت الثاني

فلقبره، وإن أعملت الأول فلسبقه، فإن أعملت الأول في الظاهر أعملت الثاني في ضميره، مرفوعاً كان أم غيره، نحو: قام وقعدا أخواك، واجتهد فأكرمتها أخواك، ووقف فسلمت عليهما أخواك، وأكرمت فسرا أخويك، وأكرمت فشكر لي خالداً. ومن النحاة من أجاز حذفه إن كان غير ضمير رفع، كقوله:

بِعُكَاظٍ يُعْشِي النَّاطِرِيبَ نَ - إِذَا هُمْ لِمُحُوا - شُعَاعَهُ

وإن أعملت الثاني في الظاهر أعملت الأول في ضميره إن كان مرفوعاً، نحو: قاما، وقعد أخواك، واجتهدا فأكرمت أخويك، ووقفنا فسلمت على أخويك، ومنه قول الشاعر:

جفوني ولم أجفُ الأخلَاءَ إِنِّي لغير جميلٍ من خليلي مُهْمَلُ

وإن كان ضميره غير مرفوع حذفته، نحو: أكرمت فسر أخواك، وأكرمت فشكر لي خالد، وأكرمت وأكرمني سعيد، ومررت ومر بي علي. وهناك أحكام أخرى للتنازع، يُرجع إليها في كتب النحو المطولة.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا فِي شَاكٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٧﴾ قَالَ يَتَقَوِّمُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَازَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٨﴾ وَيَتَقَوِّمُوا هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ مَا يَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٩﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجَعْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِذُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢١﴾

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيًّا ﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا
 أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾

☆ اللغة:

﴿وَأَسْتَعْمَرُوا﴾ عمركم وأسكنكم، فالسين والتاء زائدتان، أو صيركم عامرين لها، فهما للصيرورة. ولهذه المادة في اللغة شعاب واسعة، نعرضهما فيما يلي: عَمَرَ يَعْمُرُ، من باب: دخل، عَمَرًا المنزل بأهله: كان مسكوناً، وعمر المنزل سكنه، فهو معمور، وعمر الدار: بناها، والاسم العمارة، وعمر بالمكان: أقام، وعمره الله: أبقاه، وعمر يَعْمُرُ، من بابي: دخل وضرب، عُمُوراً وعمارة وعُمُراناً الرجل بيته: لزمه، وعمرته كذا: جعلته له طول عمره أو عمري، واستعمره في المكان: جعله يعمره، استعمر الله عباده في الأرض، أي: طلب منهم العمارة فيها. ولكن الكلمة تحولت في العصر الحديث إلى معنى الاستعمار المشؤوم؛ الذي يسير في طريقه إلى الزوال، والمستعمرات ما تمتلكه دولة من الدول في بلاد غير بلادها، فهي مولدة، ولكنها صارت من الكلمات الدارجة؛ التي تعبر عن معنى شائع فلا بأس بإقرارها، أما العَمَر - بفتح العين -: فهو الحياة والدين، وفي القسم يقال: لعمري، ولعمر الله، وهو مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، تقديره: قسمي، واللام الداخلة عليه للابتداء لا للقسم؛ لأنه لا يجوز دخول قسم على قسم. ونقول: عمر الله ما فعلت بالنصب على المصدرية، وسيرد المزيد من هذه المادة والأعاريب المستعملة فيها، ونعود إلى الآية التي نحن بصدددها، فنقول: معنى واستعمركم فيها، أي: أمركم بالعمارة، وقد قسم الفقهاء العمارة إلى واجب ومندوب ومباح ومكروه، والتفاصيل المذكورة في المطولات. وعن معاوية بن أبي سفيان: أنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره، ف قيل له: ما حملك على ذلك؟ فقال: ما حملني إلا قول القائل:

ليس الفتى بفتى لا يُستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار

وقيل: المعنى استعمركم من العمر، نحو: استبقاكم من البقاء، وقيل: هو من العمرى، بمعنى أعماركم فيها دياركم: ورثها منكم بعد انصرام أعماركم، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم، ثم تتركونها لغيركم.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: ضربها قدار في رجليها فأوقعها، فذبحوها، واقتسموا لحمها. وقدار هذا: شقي معروف أشار إليه زهير بن أبي سلمى في معلقته عندما وصف شؤم الحرب، وما تولده من أضرار، فقال:

فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلُّهُمْ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ

أراد: فتلد الحرب لكم أبناء من خلالها كل واحد منهم يضاهي في الشؤم أحمر عاد، وهو عاقر الناقة، واسمه: قدار بن سالف، وأراد أحمر ثمود، ولكنه أطلق عليه الاسم الشائع على عاد الثانية، وهم قوم ثمود، فلا معنى لمن قال: إن زهيراً غلط.

﴿جَثِمَيْتَ﴾: في المصباح: جثم الطائر والأرنب يحثم، من باب: ضرب، جثوماً، وهو كالبروك من البعير، والفاعل جاثم وجثام مبالغة.
﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا. وفي المختار: وغني بالمكان: أقام به.

○ الإعراب:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح، وهي القصة الثالثة من قصص السورة، وقد تقدم إعراب هذه الكلمات بنصها في قصة هود ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هو مبتدأ، وجملة أنشأكم خبر، ومن الأرض جار ومجرور متعلقان بأنشأكم، واستعمركم فيها عطف على أنشأكم. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ الفاء الفصيحة، واستغفروه فعل أمر وفاعل ومفعول به، ثم حرف عطف، وتوبوا إليه عطف على استغفروه، وإن واسمها وخبرهاها ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ قد حرف تحقيق، وكان واسمها،

ومرجواً خبرها، وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وقبل ظرف متعلق بمرجواً، وهذا مضاف إليه، والمراد: لقد خيبت رجاءنا فيك لما كنا نتوسمه من مخايل تنبئ بالرشد ﴿أَتُنْهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري بزعمهم، وتنهانا فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، وهما متعلقان بتنهانا، وآباؤنا فاعل يعبد ﴿وَلِنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ الواو استئنافية، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وفي شك خبر إننا، وما صفة لشك، وجملة تدعونا صلة، ونا مفعول تدعو، وإليه متعلقان به، ومريب صفة لشك ﴿قَالَ يَنْقُومُ آرَاءُيَتَّمُ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أرايتم تقدم نظيره أكثر من مرة، وهي هنا معلقة عن العمل لمجيء ماله صدر الكلام بعدها، وإن شرطية، وكنت فعل الشرط، والتاء اسم كان، وعلى بينة خبر كان، ومن ربي صفة لبينة ﴿وَأَتْلَيْنَا مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ وآتاني عطف على كنت، والياء مفعول به أول، ومنه حال، ورحمة مفعول به ثان، والفاء رابطة لجواب الشرط، ومن اسم استفهام مبتدأ، وينصُرني فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة خبر، وجملة فمن ينصُرني جواب إن، وإن الثانية شرطية، وعصيته فعلها، وجوابها محذوف دل عليه جواب الأولى، أي: فمن ينصُرني، والاستفهام هنا معناه النفي، فكأنه قال: فلا ناصر لي من الله إن عصيته، وإنما جاز إلغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها، من جهة أنها تفيد لو انفردت عن غيرها ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وتزيدونني فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وغير مفعول ثان لتزيدونني. قال أبو البقاء: الأقوى هنا أن تكون صفة لمفعول محذوف، أي: شيئاً غير تحسیر ﴿وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الواو عاطفة، وهذه مبتدأ، وناقة الله خبر، ولكم حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية، وتقدمت، وآية حال من ناقة الله، والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ فذروها الفاء عاطفة، وذروها فعل أمر ومفعول به، وتأكل جواب الطلب، ولذلك جزم، وفي أرض الله متعلقان

بتأكل ﴿وَلَا تَمْسُوها إِسْوَةً فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ولا تمسوها عطف على ما تقدم، ولا ناهية، وتمسوها مجزوم بلا، والواو فاعل، والهاء مفعول به، وبسوء متعلقان بتمسوها، والفاء فاء السببية، والكاف مفعول به، وعذاب فاعل، وقريب صفة ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فعقروها: الفاء عاطفة، وعقروها فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، فقال عطف على عقروها، وجملة تمتعوا من فعل الأمر والفاعل مقول القول، وفي داركم حال، وثلاثة أيام ظرف متعلق بتمتعوا ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ووعد خبر، وغير مكذوب صفته، ومكذوب يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول، نحو: المجلود، والمعقول، والمنشور، والمغبون، ويجوز أن يكون اسم مفعول على الأصل، وفيه تأويلان: أحدهما غير مكذوب فيه، ثم حذف حرف الجر، فاتصل الضمير مرفوعاً مستتراً في الصفة، والثاني أنه جعل هو نفسه غير مكذوب؛ لأنه قد وفي به، وإذا وفي به فقد صدق ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَأَلْزَيْنَا آمَنُوا مَعَهُ﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، ونجينا صالحاً فعل وفاعل ومفعول به، والجملة لا محل لها، والذين عطف على صالحاً، وجملة آمنوا صلة، ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا ﴿رَحِمَتْكَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ برحمة حال، أي: متلبسين برحمة ومنا صفة، ومن خزي متعلقان بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: ونجيناهم من خزي، ويومئذ: يوم مضاف إلى خزي، ويوم مضاف، والظرف - وهو إذ - مضاف إليه، ولم يفتح اليوم لإضافته إلى المبني؛ لأن المضاف منفصل من المضاف إليه، ولا يلزمه الإضافة، فلما لم يلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء، ويجوز فتح يوم بالبناء على الفتح لإضافته إلى المبني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ فمثل في موضع رفع، وقد جرى وصفاً للنكرة، إلا أنه فتح للإضافة إلى ما، وسيأتي مزيد من هذا البحث ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ إن واسمها، وهو ضمير فصل، أو مبتدأ، والقوي العزيز خبران لأن، أو لهو، والجملة خبر إن ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ﴾ الواو عاطفة على المعنى، وأخذ

فعل ماضٍ، وحذفت منه تاء التأنيث، إما لكون المؤنث، وهو الصيحة مجازياً، أو للفصل بالمفعول به، والذين مفعول به، وجملة ظلموا صلة، والصيحة فاعل، فأصبحوا عطف على أخذ، والواو اسم أصبح، وجائمين خبرها، وفي ديارهم جار ومجرور متعلقان بجائمين ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأن مخففة من الثقيلة، واسمها، أي: كأنهم، وجملة لم يغنوا خبرها، وفيها متعلقان بيغنوا ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ﴾ تقدم إعراب نظيره بحروفه.

* الفوائد:

للأفعال التي تنصب مفعولين ثلاثة أحكام (وهي أفعال القلوب):

(١) الإعمال: وهو الأصل فيها، وهو نصب مفعولين.

(٢) الإلغاء: وهو إبطال العمل لفظاً ومحلاً لضعف العامل؛ بتوسطه بين المبتدأ والخبر، أو تأخره عنهما، فالتوسط: كزيد ظننت قائم، والتأخر، نحو: زيد قائم ظننت.

قال منازل بن ربيعة المنقري:

أبالأراجيز يا بن اللؤم تُوعِدُنِي

وفي الأراجيز خِلْتُ اللؤم والخور

فوسط خلت بين المبتدأ المؤخر، وهو اللؤم، والخبر المقدم، وهو: في الأراجيز.

وقال أبو سيده الدُّبَيْرِي:

وإِنَّ لَنَا شَيْخِينَ لَا يَنْفَعَانَا غَنِين لَا يَجْرِي عَلَيْنَا غَنَاهُمَا

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَان وَإِنَّمَا يَسُودَانَا إِنِ أَيْسَرَتْ غَنَاهُمَا

وإلغاء العامل المتأخر أقوى من إعماله، والعامل المتوسط بالعكس، فالإعمال فيه أقوى من إهماله.

(٣) التعليق: وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً؛ لمجيء ماله صدر الكلام بعده، وهو:

لام الابتداء نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾
فمن مبتدأ، وهو موصول اسمي، وجملة اشتراه صلة من، وعائدها فاعل
اشتراه المستتر فيه، وما نافية، وله وفي الآخرة متعلقان بالاستقرار خبر
خلاق، ومن زائدة، وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من، والرابط بينهما
الضمير المجرور باللام، وجملة من وخبره في محل نصب معلق عنها العامل بلام
الابتداء؛ لأن لها الصدر، فلا يتخطاها عامل.

ولام القسم كقول ليبيد:

ولقد عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مِيسِي إِنَّ الْمَنَآيا لَا تَطِيَّشُ سِهَامُهَا

فاللام في لتأتين لام جواب القسم، والقسم وجوابه في محل نصب معلق
عنها العامل بلام القسم.

وما النافية نحو: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾
مبتدأ، وينطقون خبره، والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت، وهي
معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية.

ولا وإن النافيتان الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به، أو مقدر، فالقسم
الملفوظ نحو: علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو، وعلمت والله إن زيد
قائم.

والاستفهام وله صورتان:

أ- أن يعترض حرف الاستفهام بين العامل والجملة بعده، نحو: ﴿وَلَا
أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ فقريب مبتدأ، وأم بعيد معطوف عليه،
وما اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ، وما عطف عليه، وجملة توعدون
صلة الموصول، والعائد محذوف، وجملة المبتدأ، وخبره في موضع نصب
بأدري المعلق بالهمزة.

ب - أن يكون في الجملة اسم استفهام عمدة كان نحو: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِيَشُوا أَمَدًا﴾ فأَي اسم استفهام مبتدأ، وأحصى خبره، وهو فعل ماضٍ، وقيل: اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد، وجملة المبتدأ والخبر معلق عنها نعلم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، ولا فرق في العمدة بين المبتدأ - كما مر - والخبر، نحو: علمت متى السفر، والمضاف إليه، نحو: علمت أبو من زيد، أو الخبر، نحو: علمت صبيحة أي يوم سفرك، أو فضلة، نحو: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ فأَي منقلب مفعول مطلق منصوب ينتقلبون مقدم من تأخير، والأصل: ينتقلبون أي انقلاب، وليست أي مفعولاً به ليعلم كما قد يتوهم؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وجملة ينتقلبون معلق عنها العامل، فهي في محل نصب.

تنبيه هام:

إنما يعطف على محل الجملة المعلق عنها العامل مفرد فيه معنى الجملة، فنقول: علمت لزيد قائم، وغير ذلك من أموره، ولا تقول: علمت لزيد قائم وعمرو؛ لأن المطلوب هذه الأفعال إنما هو مضمون الجمل، فإن كان في الكلام مفرد يؤدي معنى الجملة، صحَّ أن تتعلق به، وإلا فلا.

قال كثير عزة:

وما كنتُ أدري قبلَ عزَّةٍ ما البُكا

ولا مُوجعات القلبِ حتَّى تولَّتِ

فعطف موجعات بالنصب بالكسرة على محل ما البكا؛ الذي علق عن العمل فيه قوله: أدري.

وأبحاث الإلغاء والتعليق تضيق عن استيعابها هذه الفوائد، فحسبنا ما ذكرناه، ومن شاء المزيد فليرجع إلى المطولات.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ

جَاءَ يُعَجِّلُ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرًا تُهْدَىٰ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَسَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَيْلَئِي ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنتَبِئٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايِثُ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَّيِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ عَذَابٍ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

☆ النُّصَةُ:

(العجل): ولد البقرة، ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة، ويجمع على عجول وعجلة وعِجَال وعجاجيل، قيل: سمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده.

﴿حَنِيدٍ﴾: المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك، وكان عامة مال إبراهيم البقر. وفي المختار: حنذ الشاة: شواها، وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها، فهي حنيد، وبابه: ضرب.

﴿نَكِرَهُمْ﴾ في المختار: نكره - بالكسر - نكراً - بضم النون - وأنكره كله بمعنى، وعبارة الأساس: «أنكر الشيء ونكره واستنكره، وقيل: نكر أبلى من أنكر، وقيل: نكر بالقلب وأنكر بالعين. قال الأعشى: وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلْعَا

وفيهم العُرف والتُّكر، والمعروف والمنكر، وشتم فلان فما كان عنده نكير، وهم يركبون المنكرات والمناكير، وهو من مناكير قوم لوط.

﴿وَأَوْجَسَ﴾: الإيجاس: الإحساس وحديث النفس، وأصله من

الدخول؛ كأن الخوف داخله، والوجيس: ما يعتري النفس أوان الفزع، ووجس في نفسه كذا، أي: خطر بها يحس وجساً ووجوساً ووجيساً.

﴿بَعْلِي﴾: البعل هو المستعلي على غيره، ولما كان زوج المرأة مستعلياً عليها، قائماً بأمرها، سُمِّيَ بعلاً، ويقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون: بعل؛ لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له. ويجمع البعل على بعول وبعال وبعولة. والبعل: الرب أيضاً والسيد، يقولون: من بعل هذه الناقة، أي: ربها، وبهذا المعنى استعملها الكنعانيون وغيرهم من عبدة الأصنام للدلالة على أعظم آلهتهم.

﴿أَوْهٌ﴾ تقدمت معانيه في سورة التوبة.

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ ثم شرع سبحانه في القصة الرابعة من قصص السورة، وهي قصة إبراهيم، توطئة لقصة لوط لا استقلالاً، ولهذا خولف في أسلوب القصة عن سابقتها، فلم يقل: وأرسلنا. واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وجاءت رسلنا فعل وفاعل، وإبراهيم مفعول به، وبالْبُشْرَى متعلقان بجاءت ﴿قَالُوا سَكَمًا قَالَ سَلَامٌ﴾ قالوا فعل وفاعل، وسلاماً مصدر معمول لفعل محذوف كما تقدم، أي: سلمنا سلاماً، وقال: فعل ماض، وسلام مبتدأ خبره محذوف، أي: عليكم، وسوغ الابتداء به معنى الدعاء، وهو أولى من جعله خبراً لمبتدأ محذوف، أي: قولي سلام وستأتي مسوغات الابتداء بالنكرة في باب: الفوائد ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ الفاء عاطفة، وما لبث يجوز في ما أن تكون نافية، ولبث فعل ماض، فاعله أن وما في حيزها، أي: مجيئه، أو الفاعل مستتر، تقديره: إبراهيم، وإن وما في حيزها خبره، والتقدير: فلبثه أو الذي لبثه قدر مجيئه ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ الفاء عاطفة على

محذوف، والتقدير: فقربه إليهم فلم يمدوا أيديهم، فقال: ألا تأكلون؟ فلما رأى أيديهم، والرؤية هنا بصرية، وأيديهم مفعول به، وجملة لا تصل إليه حالية، وجملة نكرهم لا محل لها؛ لأنها جواب لما، وأوجس منهم عطف على نكرهم، وخيفة مفعول به، ومنهم حال؛ لأنه كان صفة لخيفة ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ لا تخف: لا ناهية، وتخف مجزوم بها، وإن واسمها، وجملة أرسلنا خبرها، ونا نائب فاعل، وإلى قوم لوط جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ وامرأته الواو حالية، أو استئنافية، وامرأته مبتدأ، وقائمة خبر، فضحكت فعل ماض، وفاعله هي، فبشرناها عطف أيضاً، وهو فعل وفاعل ومفعول به، وبإسحاق متعلقان ببشرناها، ومن وراء إسحاق خبر مقدم، ويعقوب مبتدأ مؤخر ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْهِ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ يا ويلتا كلمة تقال للتعجب من أمر عجيب خارق للعادة، من خير أو شر، وهو منادى مضاف إلى ياء المتكلم المتقلبة ألفاً، وكذلك في: يا لهفا ويا عجباً، وقيل: هي ألف الندبة التي يوقف عليها بهاء السكت، وسيأتي الكلام عنها في حينه، ألد: الاستفهام مقصود به التعجب، والواو حالية، وأنا مبتدأ، وعجوز خبر، والجملة نصب على الحال من الضمير المستتر في ألد ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ الواو حالية، وهذا مبتدأ، وبعلي خبر، وشيخاً حال، والعامل فيه ما في اسم الإشارة من معنى الفعل، قال الزجاج: الحال - ها هنا - نصبها من لطيف النحو، وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائماً يصلي، فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيداً أنه زيد لم يجز أن تقول: هذا زيد قائماً؛ لأنه يكون «زيداً» ما دام قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيداً: هذا زيد قائماً، فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى: انتبه لزيد في حال قيامه، أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه. وإن واسمها، واللام المرحلقة، وشيء خبرها، وعجيب صفة ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الهمزة للاستفهام، والمقصود به النهي، أي: لا تعجبي، ولم ينكروا عليها؛ لأن عجبها ليس إنكاراً، وإنما هو دهشة بما هو خارق للعادة، وتعجبين فعل مضارع مرفوع

بشوت النون، والياء فاعل، ومن أمر الله جار ومجرور متعلقان بتعجبين ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ رحمة الله مبتدأ، وبركاته عطف على رحمة، وعليكم خبر رحمة، وأهل البيت نصب على الاختصاص المراد به المدح، ويجوز أن يكون منادى محذوفاً منه حرف النداء، أي: يا أهل البيت، وإن واسمها وخبرها.

وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق، ولذلك جعلهما سبويه في باين، وهو أن المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح، كما أن المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم، والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذم، لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم؛ كقوله: «بنا تميماً يكشف الضباب»، وقوله: «ولا الحجاج عيني نبت ماء».

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وذهب عن إبراهيم الروع فعل وفاعل، وجاءته البشرى عطف على ذهب، وجواب لما محذوف تقديره: أقبل، أو فطن لمجادلتهم ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ جملة يجادلنا حالية، أو مستأنفة، وفي قوم لوط متعلقان بجادلنا ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ إن واسمها، واللام المرحلة، وحليم وأواه ومنيب أخبار ثلاثة ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ عَنْ هَذَا﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: قالت الملائكة، وأعرض فعل أمر، وعن هذا متعلقان به، والإشارة إلى الجدال ﴿إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِ رَبِّكَ لَعَادِبٌ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن واسمها، وجملة قد جاء أمر ربك خبر، وإنهم: إن واسمها، وآتيهم خبرها، وعذاب فاعل آتيهم، وغير صفة، ومردود مضاف إليه.

□ البلاغة:

الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ جعل عدم الوصول استعارة لامتناعهم عن الأكل، والمعنى: لا يمدون أيديهم إلى أكله، فهو لا يريد أن ينفي الوصول الناشئ عن المد.

* الفوائد:

مسوغات الابتداء بالنكرة:

الواجب في المبتدأ أن يكون معرفة، ويسوغ الابتداء بالنكرة إذا أفادت، وذلك في مواضع أهمها:

(١) بالإضافة اللفظية نحو: «خمس صلوات كتبهن الله» وقد تكون بالإضافة بالمعنى نحو: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَيْهِ﴾ أي: كل أحد.

(٢) بالوصف لفظاً نحو: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ أو تقديرأ نحو: أمر أتى من ربك، أي: عظيم، أو معنى بأن تكون النكرة مصغرة نحو: رجل عندنا، أي: رجل حقير.

(٣) بأن يكون خبرها ظرفاً، أو جاراً ومجروراً مقدماً عليها، نحو: «وفوق كل ذي علم عليم» «ولكل أجل كتاب».

(٤) بأن تقع بعد نفي، أو استفهام، أو لولا، أو إذا الفجائية نحو: ما أحد عندنا، ونحو: ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ وقول الشاعر:

لولا اضْطِبارٌ لأودى كُلُّ ذِي مِقَّةٍ
لَمَّا اسْتَقَلَّتْ مَطَايَاهُنَّ لِلظَّعَنِ
ونحو: خرجت فإذا أسدُّ رابضٌ.

(٥) بأن تكون عاملة نحو: إعطاء قرشاً في سبيل العلم ينهض بالامة.

(٦) بأن تكون مبهمة كأسماء الشرط، والاستفهام، وما التعجبية، وكم الخبرية.

(٧) بأن تكون مفيدة للدعاء بخير أو شر، فالأول نحو: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ والثاني: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

(٨) بأن تكون خلفاً عن موصوف نحو: عالم خير من جاهل.

(٩) بأن تقع صدر جملة حالية، نحو:

- سَرِينَا وَنَجْمٌ قَدْ أَضَاءَ فَمَذُ بَدَا مُحْيَاكَ أَخْفَى ضَوْؤُهُ كُلَّ شَارِقٍ
- (١٠) بَأْن يَرَاد بِهَا التَّنَوُّعُ ، أَي : التَّفْصِيلُ وَالتَّقْسِيمُ ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :
فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبٌ نَسِيْتُ وَثَوْبٌ أَجَرُّ
- (١١) بَأْن تَعَطَّفَ عَلَى مَعْرِفَةٍ ، أَوْ يَعَطَّفَ عَلَيْهَا مَعْرِفَةٌ ، نَحْوُ : خَالِدٌ وَرَجُلٌ
يَتَعَلَّمَانِ النَّحْوَ ، أَوْ رَجُلٌ وَخَالِدٌ يَتَعَلَّمَانِ النَّحْوَ .
- (١٢) بَأْن تَعَطَّفَ عَلَى نَكْرَةٍ مَوْصُوفَةٍ نَحْوُ : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ﴾ .
- (١٣) بَأْن يَرَاد بِهَا حَقِيقَةُ الْجِنْسِ لَا فَرْدٌ وَاحِدٌ مِنْهُ ، نَحْوُ : ثَمَرَةٌ خَيْرٌ مِنْ جَرَادَةٍ .
- (١٤) بَأْن تَقَعُ جَوَابًا نَحْوُ : رَجُلٌ ، فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ : مَنْ عِنْدَكَ ؟

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

☆ النسخة:

﴿سِئَاءَ بِهِمْ﴾ أصله: سوىء بهم، من السوء فأسكنت الواو، وقلبت

كسرتها إلى السين، ويقال: سؤته فسيء، كما يقال: شغلته فشغل، وسررته فُسِّرَ.

﴿ذَرَعًا﴾: من أقوالهم: ضاق فلان ذرعاً، والذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك، وضعف، ومدّ عنقه، فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا﴾ أي: لم يجد من ذلك المكروه مخلصاً، وقال بعض علماء اللغة: معناه وضاق بهم قلباً وصدرًا، ولا يعرف أصله، إلا أن يقال: إن الذرع كناية عن الوسع، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون ليس هذا في وسعي؛ لأن الذراع من اليد، وقال آخرون: ويقال: ضاق فلان ذرعاً بكذا؛ إذا وقع في مكروه، ولا يطيق الخروج منه. وفي القاموس والتاج ما ملخصه: «الذرع مصدر، بسط اليد، وضقت بالأمر ذرعاً، أي: لم أقدر عليه، وهو واسع الذرع، أي: مقتدر، وهو خالي الذرع، أي: قلبه خال من الهموم والغموم».

﴿يُهْرَعُونَ﴾: أي: يسوق بعضهم بعضاً، وفي المصباح: هُرِعَ وأهرع بالبناء فيهما للمفعول؛ إذا أُعجل على الإسراع. وفي القاموس: والهَرَعُ محرك، وكغراب، والإهراع: مشي في اضطراب وسرعة، وأقبل يهرع بالضم، وأهرع بالبناء للمجهول فهو مهرع مرعد، من غضب، أو خوف، وقد هرع كفرح، ورجل هرع: سريع البكاء.

﴿عَصِيبٌ﴾: العصيب الشديد في الشر خاصة، وأصله من الشد، يقال: عصبت الشيء: شددته، وعصبت فخذ الناقة لتدّر، وناقة عصبوب ويوم عصب، وعصبب؛ كأنه التف على الناس بالشر، أو يكون التف شره بعضه ببعض، قال الشاعر:

فإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُرْضَ بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبٌ
وقال الراجز:

يَوْمَ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَ عَصَبَ الْقَوِيِّ السَّلَمَ الطَّوَالَا
 ﴿رُكْنٍ﴾ الركن : معتمد البناء بعد الأساس ، وركنا الجبل : جانبه ،
 قال الراجز :

يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي عَدَدٍ طَلَسَ وَمَجْدٍ بَانَ
 ﴿فَاسْرٍ﴾ : من أسرى بمعنى سرى ، أي : سار ليلاً ، قال النابغة :
 أَسْرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَّةً تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ
 ويروى سرت ، وقال امرؤ القيس :

سَرِثُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيئُهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ
 ﴿سِجِيلٍ﴾ : قال الزمخشري : « قيل : هي كلمة معربة من سنكل ، بدليل
 قوله : حجارة من طين ، وقيل : هي من أسجله ؛ إذا أرسله ؛ لأنها ترسل على
 الظالمين ، وقيل : مما كتب الله أن يعذب به ، من السجل ، وسجل لفلان » وقال
 أبو عبيدة : « هو الحجارة الشديدة » وأنشد لابن مقبل :
 وَرَجُلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ ضَاحِيَةً

ضَرْبًا تَوَاصَّتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِينَا
 وسجين وسجيل بمعنى واحد ، والعرب تعاقب بين النون واللام ،
 فقلبت النون ها هنا لأمّا . واكتفى صاحب القاموس بقوله : « السجيل :
 الطين اليابس » .

﴿مَنْضُودٍ﴾ : متراكب ، والنضد : جعل الشيء بعضه فوق بعض ،
 والمراد : وصف الحجارة بالكثرة .

﴿مُسَوَّمَةٍ﴾ : معلمة للعذاب ، والتسويم : العلامة .

○ الإعراب :

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لما ظرفية حينية ، أو

رابطة، وجاءت رسلنا لوطاً فعل وفاعل ومفعول به، وجملة سيء بهم لا محل لها، ونائب الفاعل يعود إلى لوط، وبهم جار ومجرور متعلقان به، وذرعاً تمييز محول عن الفاعل ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وقال عطف على ضاق، وهذا مبتدأ، ويوم خبر، وعصيب صفة، والجملة مقول القول ﴿وَجَاءُ قَوْمُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ الواو عاطفة، وجاءه قومه فعل ومفعول به وفاعل، وجملة يهرعون في محل نصب على الحال، وإليه متعلقان بيهرعون ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الواو حالية، ومن قبل من حرف جر، وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والجار والمجرور متعلقان بيعملون، وكان واسمها، وجملة يعملون السيئات خبر كانوا ﴿قَالَ يَقْوَرُهُمْ كَانُوا أَطَهَرُ لَكُمْ﴾ هؤلاء مبتدأ، وبناتي خبر، وكذلك قوله هن أطهر لكم، وجوزوا في بناتي أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، وهن ضمير فصل لا محل له، وأطهر خبر هؤلاء، ولكم متعلقان بأطهر؛ لأنه اسم تفضيل، ولا يرد اعتراض خلاصته أن اسم التفضيل يعني المشاركة ليصح التفضيل، فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهراً، والجواب أن هذا جار مجرى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها على الإطلاق ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ الفاء الفصيحة، واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به، ولا تخزوني عطف على اتقوا الله، ولا ناهية، وتخزوني مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، والنون للوقاية، والواو فاعل، والياء مفعول به، وفي ضيفي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والضيف في الأصل مصدر، ثم أطلق على الطارق ليلاً إلى المضيف، ولذلك يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وقد يثنى فيقال ضيفان، وقد يجمع فيقال: أضياف وضيوف وضيفان ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وليس فعل ماض ناقص، ومنكم خبر ليس المقدم، ورجل اسمها المؤخر، ورشيد صفة ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ﴾ علمت معلقة عن العمل بما النافية، ولنا خبر مقدم، وفي بناتك حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لحق، وتقدمت، ومن حرف جر زائد، وحق مبتدأ مؤخر محلاً ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا

نُرِيدُ ﴿ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وجملة تعلم خبرها، وما : يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون موصولة، أي : تعرف الذي نريد، أو تعلم إرادتنا ﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي لَبِيتُ بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ لو شرطية، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف تقديره : ثبت، واستقر، وأما سيبويه فيرى أنه مبتدأ لا خبر له، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد. وأن حرف مشبه بالفعل، ولي خبرها المقدم، وبكم حال من قوة، إذ هو في الأصل صفة للنكرة، وقوة اسم أن، وجواب لو محذوف، تقديره : لفعلت بكم وصنعت، وأو حرف عطف، وآوي معطوف على المعنى، وتقدير الكلام، أو آني آوي، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة ثبت المحذوفة إذا أعربت أن، وما في حيزها فاعلاً لفعل محذوف، ويجوز أن تعطف على قوة لأنه منصوب في الأصل بتقدير «أن» فلما حذف «أن» رفع الفعل، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ ﴾ واستضعف أبو البقاء هذا الوجه. وإلى ركن متعلق بآوي وشديد صفة ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ إن واسمها، ورسلك خبرها، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، ويصلوا مضارع منصوب بأن، وإليك متعلقان بيصلوا ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ الفاء عاطفة، وبأهلك حال، أي : مصاحباً لهم، وبقطع حال من أهلك، أي : مصاحبين لقطع، ولك أن تجعل الباء للتعدية فتعلقها بأسر، والقطع هنا نصف الليل؛ لأنه قطعة منه مساوية لباقيه، وقد تقدم الكلام على القطع في سورة يونس، ومن الليل صفة لقطع ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ الواو حرف عطف، ولا ناهية، ويلتفت فعل مضارع مجزوم بلا، ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد، وأحد فاعل، وإلا أداة استثناء، وامراتك مستثنى من قوله، فأسر بأهلك، وفي قراءة بالرفع بدل من أحد، وسيأتي تفصيل مسهب لهذا الاستثناء، والمعنى لا تسر بها وخلفها مع قومها، وقيل : هي مستثنى من أحد، وإن واسمها، والهاء ضمير الشأن والحديث، ومصيبها خبر مقدم، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة أصابهم صلة، والجملة خبر إن؛ لأن ضمير الشأن يفسر بجملة مصرح بجزأيا

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ إن واسمها، والصبح خبرها، والهمزة للاستفهام التقريري، وليس واسمها، والباء حرف جر زائد، وقريب مجرور لفظاً خبر ليس محلاً ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنِيبَهَا سَافِلَهَا﴾ لما ظرفية حينية، أو رابطة، وجاء أمرنا فعل وفاعل، وجعل جعلنا جواب لما، ونا فاعل، وعاليها مفعول جعل الأول، وسافلها مفعول جعلنا الثاني ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وأمطرنا عطف على جعلنا، وعليها متعلقان بأمطرنا، وحجارة مفعول به، ومن سجيل صفة لحجارة، ومنضود صفة لسجيل، ومسومة صفة ثانية لحجارة، وعند ربك الظرف متعلق بمسومة ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ما حجازية، وهي اسمها، واختلف في هذا الضمير فقيل: يعود على العقوبة المفهومة السياق، وقيل: يعود على الحجارة، وهي أقرب مذكور، وقيل: يعود على القرى المهلكة، وكل ما ذكره جائز وسائغ. ومن الظالمين متعلقان ببعيد، والباء حرف جر زائد، وبعيد مجرور لفظاً خبر ما محلاً ولم يؤنث بعيداً إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف، تقديره: وما هي بمكان بعيد بل قريب، وإما لأن العقوبة والعقاب شيء واحد، وإما لتأويل الحجارة بعذاب.

* الفوائد:

(١) عود إلى «لو»:

تقدم بحث لو في البقرة وغيرها، ونزيد هنا بحث الاسم الواقع بعد لو الشرطية، والمعروف أنها تختص بالفعل شرطية كانت أم مصدرية، ويجوز أن يليها الاسم فيعرب فاعلاً لفعل محذوف يفسره ما بعده، وعلى ذلك يتخرج قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة، وقد كان في طريقه إلى الشام، وبلغه في أثناء الطريق قبل الوصول إليها أنه وقع بها وباء، فاستشار في التوجه إليها، أو الرجوع إلى المدينة، فاختلفوا عليه، ثم أجمع أمره على الرجوع بعد أن أشار به جماعة من الصحابة، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله تعالى؟ فقال له عمر بن الخطاب: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرّ من قدر الله إلى

قدره . فغيرك فاعل لفعل محذوف يفسره قالها ، والتقدير : لو قالها غيرك ،
وجواب لو محذوف ، أي : لعذرناه .

وقال الغطمش الضبي :

أقول وقد فاضت لعيني عبرة

أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحمام أصابكم

عتبت ولكن ما على الدهر معتب

فغير فاعل بفعل محذوف يفسره أصابكم ، والتقدير : لو أصابكم غير
الحمام - وهو بكسر الحاء : الموت - عتبت ، ومن ملاحظات التبريزي على هذا
البيت الثاني قوله : الناس ينشدون أخلاي بياء مفتوحة ، وكأنهم حملوه على
قصر الممدود ، وأجود من ذلك في حكم العربية أن ينشد أخلاء بهمزة
مكسورة ، ويراد يا أخلائي ، فحذفت ياء الإضافة ، وتركت الهمزة كما
تقول : يا غلام ، ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل : «لو ذات سوار لطمتني»
أخذاً من قول حاتم الطائي حين لطمته جارية ، وهو مأسور في بعض أحياء
العرب ، فذات سوار فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير ، والتقدير : لو
لطمتني ذات سوار ، وذات السوار : الحرة ؛ لأن الإماء عند العرب لا تلبس
السوار ، وجواب لو محذوف والتقدير لها ان الأمر علي ، أو يكون منصوباً بفعل
محذوف ، أو خبراً لكان محذوفة ، فمثال الأول : لو أن زيدا رأيت أكرمته ،
والثاني : نحو التمس ولو خاتماً من حديد ، وقد تقدم ذلك .

ويجوز أن يلي «لو» كثيراً أن المشددة وصلتها ، نحو : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾
والآية التي نحن بصدددها ، وهي : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ واختلف في إعراب أن
وما في حيزها بعد أن اتفق الجميع على أنه مرفوع الموضع ، فقال سيبويه
وجهور البصريين مبتدأ لا خبر له ، أو خبره محذوف ، والتقدير : ولو صبرهم
ثابت ، وذهب الكوفيون والزنجشيري والمبرد والزجاج من البصريين إلى أنه
فاعل بثبت مقدراً كما تقدم ، أي : ولو ثبت صبرهم ، وسيأتي المزيد من أحكام

«لو» في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

(٢) أقوال النحاة في ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ :

والفائدة الثانية هي أقوال النحاة في استثناء امرأتك قالوا: ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ﴾ بالرفع في قراءة أبي عمرو وابن كثير، فامرأتك بدل من أحد بدل بعض من كل، والنصب عربي جيد، وقد قرئ به في السبع، لكنه خلاف المنتخب الراجح، والذي قرأ به أكثر، ومن هنا جعل الزمخشري النصب على الاستثناء من أهلك ليكون من تام موجب، والرفع على البدلية من أحد، واعتراض بأنه يستلزم التناقض بين القراءتين، فإن المرأة تكون مسرياً بها على قراءة الرفع، وغير مسري بها على قراءة النصب، وأجاب أنصار الزمخشري بأن إخراجها من جملة النهي، لا يدل على أنها مسري بها، بل على أنها معهم، وقد روي أنها تبعثهم، وقد فند ابن هشام إعراب الزمخشري، وقال: إنه خلاف الظاهر، وأسهب في الحديث عن هذا الاستثناء في الجهة الثانية من الباب الخامس .

أقول: والأظهر من هذا كله أن الاستثناء من جملة الأمر، أي: فأسر بأهلك، والاستثناء منقطع على القراءتين، ووجه الرفع أنه على الابتداء، وخبره الجملة بعده، وعندئذ تكون قراءة النصب جيدة غير مرجوحة، ونتفادى بذلك وقوع غير المرجوح في القرآن، وقد تقدم في ابن نوح: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لأن المراد بالأهل المؤمنون، وعلى هذا تكون امرأته من غير أهله .

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ إرسال المثل، أو التمثيل، وهو فن يمكن تعريفه بأن يكون ما يخرج المتكلم سارياً مسيراً الأمثال السائرة، وقد تقدمت الإشارة إليه، وسيرد المزيد منه، وقد عني علماؤنا الأقدمون باستقصاء جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها، أما في الشعر العربي فقد أوردنا فيما تقدم أمثالاً ضمنها شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي

أبياته، فجاءت آية في الإبداع، كما أوردنا قصيدة لابن زيدون، ويحكى أنه كان بعض مشايخ الأنبار في زمن الرشيد يؤذن ويصلي في مسجد، وكان إذا حضر أوان الورد دفع مفتاح المسجد إلى أهل المحلة، ثم انغمس في لجة لهوه فلم يظهر وفي الدنيا وردة، وكان إذا جلس إلى شرابه يغني بصوت عال، ويقول:

يا صاحبي اسقياني من قهوة خندريس
خُذْ من الورد حظاً بالقصفِ غير حبيس
على وجينياتِ ورد يذهبن همَّ النفوس
ما تنظران فهذا زمانُ حثِّ الكؤوس
فبادروا قبل فوت «لا عطرَ بعد عروس»

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِيزَالَ وَالْمِيزَانُ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ بِهِ ۖ وَيَتَقَوَّمُ أَوْفُوا أَلْمِيزَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۚ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۚ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۚ وَيَتَقَوَّمُ لَا يَجْرُ مِنْكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۚ وَأَسْتَغْفِرُ رَبِّيَ لَكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رِبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ۚ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا

ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْفَوِرَ أَهْطَى
 أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَنْفَوِرَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
 يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا
 جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَ لَرَّيْعَوْنِ فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَلِيْنٍ كَمَا بَعْدَتْ
 ثُمُودٌ ﴿٩٥﴾

☆ اللغة:

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ : مضارع جرم، وبابه : ضرب، كما في المختار، ويتعدى
 لواحد أو اثنين، ومعناه : يكسبنكم.

﴿أَرْهَطَى﴾ : الرهط : جماعة الرجل، وقيل : الرهط، والراهط : لما دون
 العشرة من الرجال، ولا يقع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال. وقال
 الزمخشري : من الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى التسعة، ويجمع على أرهط،
 وأرهط على أراهط. وفي القاموس والتاج : الرَّهْطُ والرَّهْطُ : قوم الرجل
 وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة ولا واحد له
 من لفظه، والجمع أرهط وأرهاط، وجمع الجمع أراهط وأراهيط، وإذا
 أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس، نحو : عشرون رهطاً،
 أي : شخصاً، ويقال : ذوور هط، أي : مجتمعون.

﴿ظَهْرِيًّا﴾ : منبؤاً خلف ظهوركم لا تراقبونه، والظهري منسوب إلى
 الظهر، والكسر من تغيرات النسب، والقياس فتح الظاء، وقد قالوا في أمس
 إمسي بكسر الهمزة، وفي الدهر دهري بضم الدال، وسيأتي في باب الفوائد
 ما يطرأ على النسب من تغيير، وللظهر في لغتنا تعابير، نوردها ملخصة من
 معاجم اللغة : يقال ساروا في طريق الظهر، أي : طريق البر، وقرأ الكتاب

على ظهر قلبه، أو على ظهر لسانه، أي: حفظاً، وأعطاه عن ظهر يد، أي: ابتداء بلا مكافأة، وهو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم، أي: وسطهم وفي معظمهم، ورأيته بين ظهري الليل، أي: بين العشاء والفجر، وقلب له ظهر المجن، أي: تغير عليه وعاداه، وقلب الأمر ظهراً لبطن، أي: أنعم تدبيره، وقتله ظهراً، أي: غيلة، وهو يأكل على ظهر يدي، أي: إنني أنفق عليه، وهذا من غريب لغتنا، ونادره، وما أجمل قول عمر بن أبي ربيعة:

وضربنا الحديثَ ظهراً لبطن وأتيننا من أمرنا ما اشتهينا

﴿مَكَائِكُمْ﴾: المكاينة إما بمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، وإما مصدر من مكن فهو مكين.

○ الإعراب:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوِرَ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ جرت العادة أن يستهل كل قصة من قصص هذه السورة بهذه الجملة، وهذه هي القصة السادسة، وقد تقدم إعراب هذه الجملة بلفظها ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتنقصوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والمكيال مفعول به، والميزان عطف على المكيال، وإن واسمها، وجملة أراكم خبرها، وجملة إني أراكم تعليلية للنهي ﴿وَلِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، وجملة أخاف عليكم خبرها، وعذاب مفعول به، ويوم مضاف إليه، ومحيط صفة ﴿وَيَنْقَوِرَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أوفوا فعل أمر، والواو فاعل، والمكيال مفعول به، والميزان عطف عليه، وبالقسط حال، أي: عادلين ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الواو عاطفة، ولا ناهية، وتبخسوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، والناس مفعول به، وأشياءهم مفعول به ثان، أي: لا تنقصوهم أموالهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين عطف أيضاً، ومفسدين حال. ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٤﴾ بقية الله مبتدأ، أي: رزقه الباقي بعد إيفاء الكيل والوزن، وخير خبر، ولكم متعلقان بخير وإن شرطية، وكنتم فعل الشرط، ومؤمنين خبر كنتم، والجواب محذوف، أي: فبقية الله خير، وما الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وأنا واسمها، وعليكم متعلقان بحفيظ، والباء حرف جر زائد، وحفيظ مجرور لفظاً منصوب محلاً ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ الهمزة للاستفهام، ومعناه الهزء والسخرية، وصلاتك مبتدأ، وجملة تأمرك خبر، وأن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض، ومتعلقان بتأمرك، أي: تأمرك بترك، وما موصولية، أو مصدرية، وعلى كل حال هي مفعول الترك، وجملة يعبد لا محل لها على الحالين، وآباؤنا فاعل. ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ أو حرف عطف، وأن نفع مفعول مؤول معطوف على ما في حالتها، فالترك مسلط عليه، أي: هل تأمرك بتكليفك لنا ترك ما يعبد آباؤنا، وترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

هذا؛ وقد أورد ابن هشام في «مغني اللبيب» هذه الآية في الباب الخامس من الكتاب في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، قال: «وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب، وسترى ذلك معيناً، فأحدها قوله تعالى: ﴿أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ فإنه يتبادر إلى الذهن عطف أن نفعل على أن نترك، وذلك باطل؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، وإنما هو معطوف على «ما» فهو معمول للترك، والمعنى أن نترك أن نفعل» إلى أن يقول: «وموجب هذا الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتين، وبينهما حرف العطف» واختلف في «أو» ف قيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي على بابها للتخيير بمنزلتها في قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. وما اسم موصول نفعل، وجملة نشاء صلة.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾ إما أن يكونوا قد أرادوا الهزء به إلى أقصى

درجة، فعكسوا ليتحكموا، وإما أن يكون على حقيقته، وأن ما يأمرهم به لا يتفق مع ما يتسم به، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وأنت مبتدأ، والحليم الرشيد خبراه، والجملة خبر إنك ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ أُرأيتم تقدم أنها بمعنى أخبروني فينصب مفعولين، وقد حذفاً معاً، وتقدير الأول: أخبروني، فياء المتكلم هي المفعول الأول، والثاني يقدر غالباً بجملة استفهامية، أي: أفأشوب رزقي بالحرام من البخس والتطفيف، وإن شرطية، وكنت: كان واسمها، وهي فعل الشرط، وعلى بيّنة خبر كنت، ومن ربي صفة لبيّنة، وجواب الشرط محذوف يدل عليه المفعول الثاني المحذوف، ورزقني فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ورزقاً مفعول به، أو مفعول مطلق، وحسناً صفة ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَلَكُم عَنْهُ ﴾ ما نافية، وأريد فعل مضارع، وفاعله أنا، وأن وما في حيزها مفعول أريد، وإلى ما متعلقان بأخالفكم، وجملة أنهاكم عنه صلة، والمعنى: ما أريد أن أسبقكم إلى أهوائكم التي نهيتكم عنها، يقال: خالفه إلى كذا: إذا قصده وهو مول عنه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ إن نافية، وأريد فعل مضارع فاعله مستتر، تقديره: أنا، وإلا أداة حصر، والإصلاح مفعول به، وما ظرفية زمانية، متعلقة بأريد ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ما نافية، وتوفيقي مبتدأ، وإلا أداة حصر، والله خبر، وعليه متعلقان بتوكلت، وإليه متعلقان بأنيب، والجملتان حاليتان ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ لا يجرمنكم: لا ناهية، ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في موضع جزم بلا، والكاف مفعوله الأول، وشقائي فاعل، وأن وما في حيزها مفعول يجرمنكم الثاني، والكاف مفعول يصيبكم، ومثل فاعل يصيبكم، وهو في الأصل صفة لفاعل محذوف، أي: عذاب مثل، وما مضاف إليه، أي: مثل الذي، وجملة أصاب صلة، وقوم نوح مفعول به ﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ أو قوم هود عطف على قوم نوح، وكذلك قوم صالح، وما نافية حجازية، وقوم اسمها، ولوط مضاف إليه، ومنكم جار

ومجرور متعلقان ببعيد، والباء حرف جر زائد، وبعيد مجرور بالباء لفظاً خبر
 ما محلاً، وأتى ببعيد مفرداً، وإن كان خبراً عن جمع لأحد أمور منها حذف
 مضاف، تقديره: وما إهلاك قوم لوط، وأما باعتبار زمان، أي: بزمان
 بعيد، أو مكان، أي: بمكان بعيد، أو لأن صيغة فاعل يستوي فيها المذكر
 والمؤنث، مما سيرد معنا في تضاعيف هذا الكتاب الجامع ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ واستغفروا ربكم فعل أمر وفاعل
 ومفعول به، ثم توبوا إليه عطف على استغفروا، وإن واسمها وخبرها ﴿قَالُوا
 يَسْعَىٰ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ ما نافية، ونفقه فعل مضارع، وفاعله
 مستتر، تقديره: نحن، وكثيراً مفعول به، ومما صفة لكثيراً، وجملة تقول صلة
 ﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ وإنا: إن
 واسمها، واللام المرحلقة، وجملة نراك خبر إن، والكاف مفعول به، وفينا
 حال، وضعيفاً مفعول به ثان؛ لأن الرؤية علمية، لأنه لو قيل: إنا لنراك فينا
 أعمى، لم يكن كلاماً؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم، ولولا حرف
 امتناع لوجود، ورهطك مبتدأ محذوف الخبر، واللام رابطة لجواب لولا،
 وجملة رجنك لا محل لها، وما نافية حجازية، وأنت واسمها، والباء زائدة،
 وعزيز خبرها، وقد تقدمت نظائره كثيراً ﴿قَالَ يَتَقَوْمِ آرْهَطِيٍّ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
 اللَّهِ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ورهطي مبتدأ، وأعز خبر،
 وعليكم، ومن الله متعلقان بأعز ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ الواو حالية
 بتقدير: قد، أي: والحال أنكم اتخذتموه وراءكم، واتخذ يجوز أن يتعدى
 لاثنتين أولهما الهاء والثاني ظهرياً، ووراءكم متعلقان باتخذتموه، أو حال من
 ظهرياً، ويجوز أن يتعدى لواحد، فتكون الهاء مفعوله، وظهرياً حال، والواو
 في اتخذتموه لإشباع ضمة الميم ﴿إِنَّ رَبِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ مَحِيطٌ﴾ إن واسمها،
 وبما متعلقان بمحيط، وجملة تعملون صلة، ومحيط خبر إن ﴿وَيَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا
 عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَاقِلٌ﴾ اعملوا فعل أمر وفاعل، وعلى مكانتكم حال،
 أي: حال كونكم موصوفين بالمكانة العالية والقدرة البعيدة، وإن واسمها
 وخبرها ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ سوف حرف استقبال،

وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والجملة استئناف بياني، وسيأتي المزيد منه في باب البلاغة، ومن اسم موصول مفعول به لتعلمون، وهذا أرجح من جعلها استفهامية، كما أعربها بعضهم لتساوق مع من الثانية، وهي موصولة باتفاق، وجملة يأتيه صلة، والهاء مفعول يأتي، وعذاب فاعل يأتي، وجملة يخزيه صفة لعذاب ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ومن اسم موصول عطف على من الأولى، وهو مبتدأ، وكاذب خبر، والجملة صلة، وارتقبوا عطف على المعنى، وارتقبوا فعل أمر وفاعل، وإن واسمها، ومعكم ظرف متعلق برقيب، ورقيب خبر إن ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ تقدم إعراب نظيرها تماماً ﴿وَأَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ الذين مفعول مقدم لأخذت، وجملة ظلموا صلة الموصول، والصيحة فاعل أخذت ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٌ﴾ أصبح واسمها، وجاثمين خبرها، وفي ديارهم متعلقان بجاثمين ﴿كَانَ لَمْرِيفَتَا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَلَيْنٍ كَمَا بَعْدَتْ نُجُودٌ﴾ كأن مخففة، واسمها محذوف، وجملة لم يغنوا خبرها، وفيها متعلقان ببيغنوا، وألا أداة تنبيه، وبعداً مفعول مطلق لفعل محذوف، ولمدین جار ومجرور متعلقان بمحذوف، وقد تقدم، وكما نعت لبعء، وما مصدرية، أي: كبعد ثمود.

□ البلاغة:

(١) التكرار:

فقد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة أوجه؛ لأنه قال: ولا تنقصوا المكيال والميزان، وهذا عين الأول، وليس فيه إلا التعبير بتبخسوا الناس أشياءهم، والفائدة فيه أن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد، والتكرير يفيد شدة الاهتمام بالشيء، وقد نهوا أولاً عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، ثم ورد الأمر بالإيفاء مصرحاً بلفظه ليكون أهيج عليه، وأدعى إلى الترغيب فيه.

(٢) الاستئناف البياني :

إذا كان الكلام المسوق أولى مما سبقه بالانتباه ، وأجدر بلفت الأسماع إليه قطع عما قبله بما يلفت النظر إليه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَكُونُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فقد حذفت الفاء التي يتطلبها السياق لتلفت نظر السامع وانتباهه إلى أن ثمة سؤالاً ، وهو : فماذا يكون بعد ذلك ، وهو أبلغ في التهويل ؛ لأن قوله : سوف تعلمون ينطوي على مالا يدرك كنهه ، ولا يسبر غوره من أعمال الانتقام والتهديد .

قال الزمخشري في صدد هذا الحذف : «أي فرق بين إدخال الفاء وتركها في سوف؟» وأجاب بقوله : «إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وتركها وصل خفي تقديري بالاستئناف ؛ الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكاتنا ، وعملت أنت على مكاتك فقل سوف تعلمون وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ؛ لأنه أكمل في باب : الفصاحة والتهويل .

(٣) التعريض :

وفي قوله : إني عامل تعريض ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن ، فقد ذكر لهم إحدى العاقبتين دون ذكر الثانية تعريض أبلغ من التصريح ، وقد تقدم نظير هذا في سورة الأنعام ؛ إذ قال : ﴿ قُلْ يَكُونُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ فذكر هناك إحدى العاقبتين ، لأن المراد بهذه العاقبة الخير ، واستغنى عن ذكر مقابلتها ، أما في آية هود ، فقد ذكر عاقبتهم ، وهي : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ واستغنى بها عن عاقبته ، وقد لا يذكر عاقبته ، فتصرف إلى المخاطب كقولك لمن تهدده : ستعلم من يهان ، ومن يعاقب ، وإنما تعني المخاطب في الكلامين .

* الفوائد :

النسبة المعدولة عن القياس :

نسبت العرب إلى أشياء كثيرة، فغيروا لفظ المنسوب إليه، فاستعمل ذلك كما استعملته العرب، ولا يقاس عليه غيره، وقواعد النسبة معروفة في كتب النحو، وإنما أتت هذه النسبة معدولة عن القياس، فمن ذلك قولهم بدوي نسبة إلى البادية، والقياس بادي، أو بادوي، وقالوا، بصري بكسر الباء، نسبة إلى البصرة، والقياس فتحها، وقالوا: طائي، والقياس: طيئي، وقالوا: سهلي ودُهري بضم السين والdal، والقياس: سهلي ودُهري، وقالوا: بحراني في النسب إلى البحرين، وصنعاني في النسب إلى صنعاء، وقد قسموا ذلك إلى تسعة أقسام، نوردتها باختصار:

- (١) بالتحريف فقط، كقولهم: أموي بالفتح في الهمزة، نسبة إلى أمية بضمها، ودُهري للشيخ الكبير.
- (٢) بالزيادة كقولهم مروزي، نسبة إلى مرو، وفوقاني، وتحتاني، ورباني، نسبة إلى فوق، وتحت، ورب.
- (٣) بالنقص، كقولهم: بدوي بحذف الألف، وجلولي نسبة إلى البادية وجلولاء.
- (٤) بالحذف والتحريف، كشتوي في شتاء.
- (٥) بالزيادة والتحريف، كأنافي، في: أنف.
- (٦) بالزيادة والحذف، نحو: رازي، نسبة إلى الري.
- (٧) بالقلب، نحو: طائي، وصنعاني، وروحاني، نسبة إلى طي وصنعاء وروحاء.
- (٨) بالقلب والتحريف، نحو ثوب حاري، نسبة إلى الخيرة.
- (٩) بتغيير ما يستحق التغيير، نحو: أميتي، نسبة إلى أمية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
النَّارَ وَيَتَسَاءَلُونَ الْمُرُودَ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَاءَلُونَ
الرَّفْدَ الْمَرْفُودَ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴿١٠١﴾ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْءٍ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ
عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٤﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقَىٰ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٦﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ
سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ
مَجْدُودٍ ﴿١٠٩﴾﴾

☆ **اللفظة:**

﴿يَقْدُمُ﴾: يقال: قدمت القوم أقدمهم قدماً؛ إذا مشيت أمامهم،
واتبعوك، قال الأزهري: قدم يقدم وتقدم وقدم وأقدم واستقدم بمعنى.

﴿الْمُرُودُ﴾: ورود الماء الذي يورد، والإبل الواردة، والجمع أوراد،
والإيراد: إيجاب الورد في الماء، أو ما يقوم مقامه، قال لبيد:

فَوَرَدْنَا قَبْلَ فُرَاطِ الْقَطَا إِنَّ مِنْ وَرْدِي تَغْلِيْسَ النَّهْلِ

وأصل الورد: الإشراف على الدخول، وليس بالدخول، قال زهير:

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جِئْتُهُمْ وَضَعْنَ عَصِيَ الْخَاضِرِ الْمُنْتَخِيْمِ

﴿الرَّفْدُ﴾: العون على الأمر، يقال: رفده يرفده رفداً ورفداً بفتح الراء وكسرها، قال الزجاج: كل شيء جعلته عوناً لشيء، وأسندت به شيئاً، فقد رफدته به، يقال: عمدت إلى الخائط، وأسندته، وأرفدته، ورفدته بمعنى واحد، يقال: رفده وأرفده، إذا أعطاه، والاسم: الرفد؛ لأن العطاء عون المعطي.

(الحصيد): بمعنى المحصود، والحصد: قطع الزرع من الأصل، وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها، يقال: حصدهم بالسيف؛ إذا قتلهم.

﴿تَنْبِيْءٍ﴾: من تبأ يده، أي: خسرت وهلكت، قال جرير:
عَرَابَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ لَوْطٍ أَلَّا تَبَا لِمَا فَعَلُوهُ تَبَا

(الزفير والشهيق): الزفير: ترديد النفس حتى تتفتح منه الأضلاع، والشهيق: رد النفس إلى الصدر. وقال ابن فارس: الزفير ضد الشهيق؛ لأن الشهيق: رد النفس، والزفير: إخراج النفس من شدة الحزن، مأخوذ من الزفر، وهو: الحمل على الظهر لشدة، وقيل: الشهيق: النفس الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شاهق، أي: عال. وقال الليث: الزفير: أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس، والشهيق: أن يخرج ذلك النفس. وهو قريب من قولهم: تنفس الصعداء، وقال أبو العالية والربيع بن أنس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر. وقيل: الزفير للحمار، والشهيق للبلبل، وقال الثعالبي في ترتيب الأصوات: إذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنين، فإذا أخفاه فهو الهنين، فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الحنين، فإذا زفر به وقبح الأنين فهو الزفير، فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق، فإذا تردد نفسه في الصدر عند خروجه فهو الحشرجة.

﴿مَجْدُوذٍ﴾ مقطوع، والجذ: القطع، يقال: جذه يجذه، وباب: رد، كما في المختار، وجذ الله دابرهم، قال النابغة:

تَجِدُ السُّلُوكِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُؤَقِّدَنَّ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْجَبَابِ

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وهذه هي القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة، وقد تقدمها قصة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب على هذا الترتيب، وهذه قصة موسى. وبآياتنا حال، أي: حال كونه متلبساً بآياتنا التسع، وقد تقدمت الإشارة إليها، وسلطان عطف على آياتنا، ومبين صفة ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ إلى فرعون جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، وملئه عطف على فرعون، فاتبعوا عطف على أرسلنا، والواو فاعل، وأمر فرعون مفعول به، والواو حالية، وما نافية حجازية، وأمر اسمها، وبرشيد خبرها على زيادة الباء، وقد تقدم نظيره ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ جملة يقدم قومه مستأنفة، والفاء عاطفة، وأوردتهم النار فعل وفاعل مستتر، والهاء مفعول به أول، والنار مفعول به ثان، وجاء بلفظ الماضي، وسباق الكلام يقتضي أن يكون مضارعاً لإراءة الصورة، كأنها أمر بُت فيه، وفرغ منه، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والورد فاعل، والمورود نعت، والمخصوص بالذم محذوف، أي: وردهم ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ اتبعوا فعل ماض بالبناء للمجهول، والواو نائب فاعل، وفي هذه متعلقان باتبعوا، والإشارة للحياة الدنيا، ويوم القيامة عطف على موضع في هذه، والمعنى: أنهم ألحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة، وبئس الرفد المرفود تقدم إعرابها ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ ذلك مبتدأ، ومن أنباء القرى خبره الأول، وجملة نقصه خبره الثاني، وعليك متعلقان بنقصه، ومنها خبر مقدم، وقائم مبتدأ، وحصيد عطف على قائم، والجملة مستأنفة، أي: بعضها عفا أثره واحى رسمه، وبعضها باق مائل للعيان، والاستئناف بياني كأنه جواب لسؤال سائل عنها. وقال أبو البقاء: منها قائم ابتداء وخبر، في موضع الحال من الهاء في نقصه، وحصيد مبتدأ

خبره محذوف، أي: ومنها حصيد، ورجح أبو حيان أن تكون الجملة حالية، قال: «والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين» ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الواو عاطفة، وما نافية، وظلمناهم فعل وفاعل ومفعول به، ولكن مهمله للاستدراك، وظلموا أنفسهم فعل وفاعل ومفعول به ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الفاء عاطفة، وما نافية، وأغنت فعل ماض، وعنهم متعلقان بأغنت، وآلهتهم فاعل، والتي صفة، وجملة يدعون صلة، ومن دون الله حال، ومن زائدة وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ لما ظرفية حينية، متعلقة بأغنت، أو رابطة، وجاء أمر ربك فعل وفاعل، وما زادوهم عطف على ما أغنت، وعبر بواو العقلاء عن الآلهة؛ لأنهم نزلوها منزلتهم، وزادوهم فعل وفاعل ومفعول به، وغير تتبیت مفعول به ثان ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ محل الكاف الرفع على الابتداء، وأخذ ربك خبر، وإذا أخذ القرى: إذا ظرف مستقبل، وجملة أخذ القرى في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو حالية، وهي مبتدأ، وظالمة خبر، والجملة نصب على الحال، وتجدد الإشارة إلى أن المسألة هنا من باب التنازع، فقد تنازع المصدر، وأخذ في القرى، فأعمل الفعل، وحذف الضمير من المصدر، وجواب إذا الذي هو ناصبه محذوف، والتقدير: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ إِلَٰهٌ شَدِيدٌ﴾ إن واسمها وخبرها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ إن حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام المرحقة، وآية اسمها المؤخر، ولمن صفة لآية، وجملة خاف عذاب الآخرة صلة ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ذلك مبتدأ، ويوم خبر، ومجموع صفة، وله متعلقان بمجموع، والناس نائب فاعل، وذلك يوم مشهود عطف على ما تقدم، ولا بد من تقدير جار ومجرور، أي: مشهود فيه، وسيأتي في باب البلاغة السر في ذلك ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وتؤخره فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا أداة حصر، ولأجل متعلقان بتؤخره، ومعدود صفة ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿٩٦﴾ اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً، وخطبوا في متاهات يضل معها رائد الحقيقة والسهولة غير المتكلفة، وسنختار الأجوبة التي لا معدى عن إيرادها ضاربين صفحاً عن التطويل، فنقول: الظرف متعلق بقوله: لا تكلم، أي: لا تتكلم في نفس ذلك اليوم، وجملة يأتي مضافة إلى الظرف، وفاعل يأتي ضمير يعود على ذلك اليوم المتقدم ذكره لا ضمير اليوم المضاف إلى يأتي، واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتي هو الله عز وجل؛ لأن ضمير بإذنه يعود عليه، وهو قول وجيه، ولكن الأول أقرب إلى سياق الكلام، ولا نافية، وتكلم مضارع أصله تتكلم، فحذفت إحدى تاءيه، ونفس فاعل تكلم، وإلا أداة حصر، وبإذنه حال ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الفاء للتفريع، ومنهم خبر مقدم، وشقي مبتدأ مؤخر، وسعيد مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله، أي: ومنهم سعيد ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ الفاء للتفريع أيضاً، وأما حرف شرط وتفصيل، والذين مبتدأ، وجملة شقوا صلة، والفاء رابطة، وفي النار خبر الذين ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ لهم خبر مقدم، وفيها حال لأنه كان صفة لزفير، وزفير مبتدأ مؤخر، وشهيق مبتدأ حذف خبره أيضاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ خالدين حال من الذين شقوا، وفيها متعلقان بخالدين، وما دامت السموات ما مصدرية زمنية، ودامت هنا تامة لأنها بمعنى بقيت، والسموات فاعل دامت، والأرض عطف ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إلا أداة استثناء، وما مستثناة، وسيأتي القول في هذا الاستثناء المشكل في باب الفوائد، وجملة شاء ربك صلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ إن واسمها وخبرها، ولما متعلقان بفعال، وجملة يريد صلة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تقدم إعرابها آنفاً.

قرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وابن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائي، وحفص: سعدوا بضم السين، وباقي السبعة والجمهور بفتحها. وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية،

ولا يتعجب من ذلك، إذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه .
وقد احتج الكسائي بقولهم: مسعود. قيل: ولا حجة فيه لأنه يقال مكان مسعود فيه، ثم حذف فيه، وسمي به، وقال الثعلبي: «سعد وأسعد بمعنى واحد» وفي الأساس: «وسَعِدْتُ به وسُعِدْتُ، وهو سعيد ومسعود» وفي القاموس: «وقد سعد، كعلم وعني، فهو سعيد ومسعود، ولا يقال مسعد» وقال أبو عمرو بن العلاء: «يقال سعد الرجل كما يقال: حسن، وقيل: سعه لغة مهجورة، وقد ضَعَّف جماعة قراءة الآخرين» وهي قراءة حفص .
وفي المصباح: سعد فلان يسعد، من باب: تعب في دين أو دنيا سعداً، وبالمصدر سمي، والفاعل سعيد، والجمع سعداء، ويعدى بالحركة في لغة، فيقال: سعه الله يسعه بفتحيتين، فهو مسعود، وقرئ في السبعة بهذه اللغة في قوله: وأما الذين سعدوا بالبناء للمجهول، والأكثر أن يتعدى بالهمزة، فيقال: أسعه الله، وسُعد بالضم، خلاف شقي .

﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٌ﴾ عطاء نصب على المصدر المؤكد من معنى الجملة قبله؛ لأن قوله ففي الجنة خالد بن فيها يقتضي إعطاء وإنعاماً، وغير مجذوذ صفة لعطاء .

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على أفانين من البلاغة، ومجموعة من الفوائد:

(١) فأولها استعمال اسم المفعول مكان فعله في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ والسر في إثارة المفعول هو وصف اليوم بمعنى الجمع، والثبات المستقر، والديمومة لذلك الثبات فيه، وأنه يوم أعد ليكون ميعاداً مضروراً لا محيد عنه، ولا مساع لتبديله لجميع الناس على السواء، ولو أنه عبر بالفعل لم يقع ذلك الموقع، ولأشعر بالتجدد والتبدل ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك، محروب قومك، فيه من ثبات الوصف وديمومته ما ليس في الفعل والاتساع في الظرف .

(٢-٣) وثانيها وثالثها الجمع مع التفريق، فالجمع في قوله: ﴿لَا تَكْفُرْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

(٤) التقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا﴾ إلى آخر الآية. ومن أمثلة الجمع مع التفريق في الشعر قول البحري:

ولما التقينا والنقا موعداً لنا تعجّب رأيي الدّر منّا ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلّوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه

أما التقسيم فقد طفح به الشعر العربي، فقال أبو نواس مقسماً الزمن إلى يوم وأمس وغد:

أمرٌ غدٍ أنت منه في لبسٍ وأمس قد فات فآله عن أمس
وإنّما الشأن شأن يومك ذا فباكرِ الشّمسَ بابتةِ الشّمسِ

وافتنوا فيه كثيراً، فأطلقه أبو الطيب على أحوال الشيء المراد تقسيمه مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به، فقال:

سأطلبُ حقّي بالقنا ومشايخ كأنّهم من طولٍ ما التّموا مردُّ
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عدوا
وله أيضاً:

الدّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ وأرضهم لك مُصْطَافٌ ومُرْتَبِعُ
للسّبي ما نكحوا والقَتْلِ ما ولّدوا
والنّهبِ ما جمّعوا والنّارِ ما زرّعوا

وله في الغزل:

وَأَعْيَدْ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
ظريفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ
سَهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَاطِرٍ
وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ

وما أحلى قول عمر بن الفارض:

يقولون لي صِفْها فَأَنْتَ بوصفها
 خَيْرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصافها علم
 صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا
 ونور ولا نار وروح ولا جسم

* الفوائد:

الاستثناء الموجود في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تقدم بحثه في سورة الأنعام، فجدد به عهداً وقد رجحنا هناك ما ذهب إليه الزجاج، ونضيف إليه هنا: أن الفراء ذهب إلى ما ذهب إليه الزجاج، وقال كلاماً لطيفاً في صدهه ننقله ليضاف إلى ما تقدم، قال: «إنه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة، والتقدير: إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار، كما يقول الرجل لغيره: لي عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين اقترضتكما في وقت كذا، فالألفان زيادة على الألف بغير شك؛ لأن الكثير لا يستثنى من القليل، ورأيت لعلي بن عيسى المعروف بالرماني كلاماً بهذا المعنى، وحاصل ما تقدم أن إلا في المعنى بمعنى حرف العطف والاستثناء منقطع، فكان قيل خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، وزيادة على هذه المدة، فكان إلا بمعنى الواو، وأنشد الفراء مستدلاً على ذلك:

وأرى لها داراً بأعدر السيِّدان لم يدرس لها رسم
 إلا رماداً هامِداً رفعت عنه الرِّياح خوالدُ سحُم

وهذا الوجه الذي وقع عليه اختيارنا، وذهب إليه الزجاج والفراء هو الثالث عشر، فهناك اثنا عشر مذهباً متفاوتة.

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا نقل هذه الأوجه، فليرجع إليها من شاء في التفاسير الكبرى؛ ليرى كيف تتفاوت الأفهام، ويطيب لنا أن ننقل هنا رأياً يحتاج إلى التأويل، وهو لفيلسوف الصوفية محيي الدين ابن عربي قال: إنهم يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم، وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها

لموافقتها لطبيعتهم، فإن الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد. وقال في موضع آخر: إن أهل النار إذا دخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها، فإذا أغلقت عليهم أبوابها أطمأنوا؛ لأنها خلقت على وفق طباعهم.

ولبدوي الجبل في العصر الحديث قصيدة عصماء، قال فيها يصف أهل النار:

لا يَأْلَمُونَ وَلَا تَشْكُو جُسُومَهُمْ مِنْ اللَّظَى فَهِيَ نِيرَانٌ بِنِيرَانٍ
وقد علق ابن القيم على هذا القول قائلاً: وهذا في طرف، والمعتزلة القائلون بأن الله يجب عليه تعذيب من توعد به بالعذاب في طرف آخر، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً، وقد استرسل الزخشي في التشنيع على أهل السنة في هذا الصدد، مما يطول بحثه، وإنما نقلنا هذه الملح للاطلاع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۖ وَإِنْ كَلَّامًا لَيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ﴾

☆ النُّبْة:

﴿مِرْيَةٍ﴾: المرية - بكسر الميم وضمها -: الشك مع ظهور الدلائل للتهمة، وهي مأخوذة من مرى ضرع الناقة ليدرّ بعد دروره، وامترى في الشيء: شك، واستمرى اللبن، ونحوه: استخرجه واستدره.

○ الإعراب:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ الفاء استئنافية، والجملة مسوقة

للدلالة على ما أحدثته القصص السالفة في نفسه صلى الله عليه وسلم من أثر، وإن عكوف كفار قريش على عبادة أصنامهم ليست من دواعي المثبطات لعزيمته. ولا ناهية، وتك فعل مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف، وقد سبق ذكر خصائص كان، واسمها ضمير مستتر تقديره أنت، وفي مرية خبرها، ومما صفة، وجملة يعبد صلة، وهؤلاء فاعل، ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ ما نافية، ويعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، وإلا أداة حصر، والكاف نعت لمصدر محذوف، وما يجوز أن تكون موصولة، أو مصدرية، ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ﴿وَأَنَا لَمُوفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ الواو عاطفة، وإن واسمها، واللام المرحلقة، وموفوهم خبر إن، والهاء مضاف إليه، ونصيبهم مفعول به، وغير منقوص حال مبنية للنصيب الموفى، وقيل: بل حال مؤكدة؛ لأن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملاً كان أو ناقصاً، فقولك: وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه، فما وجه انتصابه حالاً عنه؟ والأوجه أن يقال: استعملت التوفية بمعنى الإعطاء، ومن قال أعطيت فلاناً حقه كان جديراً بأن يؤكد بقوله غير منقوص ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ الواو استثنائية، واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وآتينا موسى الكتاب: فعل وفاعل ومفعول به، فاختلف: الفاء حرف عطف، واختلف فعل ماض مبني للمجهول، وفيه سد مسد نائب الفاعل، ومعنى في الظرفية، أي: من شأنه، وقيل: هي سببية ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الواو عاطفة، ولولا حرف امتناع لوجود، وكلمة مبتدأ محذوف الخبر، وجملة سبقت صفة، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بسبقت، واللام جواب لو، وقضي بينهم فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر، والظرف متعلق به، أي: وقضي الأمر بينهم ﴿وَلَا إِلَهُمْ كُنِيَ سَكِّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ الواو حالية، وإن واسمها، وفي شك خبرها، ومنه صفة لشك، ومريب صفة ثانية ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا يُؤْفِقْهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ هذه الآية مشكلة جداً، ويزداد الإشكال في قراءتنا، وهي تشديد

إن، وتثقيلاً لما، وقد اعترف العربون القدامى بعجزهم فقال السمين ما نصه: «هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً، وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً، وقد سهل الله تعالى ذلك، فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها». ثم هام في متاهات سحيفة يضيق الطالب فيها، وسنتجاوز جرياً على عادتنا تلك الأوجه المتشعبة والمسالك المتباينة، ونكتفي بقراءتنا، وهي قراءة حفص وأبي جعفر وابن عامر وحمة فنقول: إن واسمها، ولما ذكروا فيها أوجهاً أربعة أسهلها وأبعدها عن التكلف ما اختاره الزجاج أنها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا وهو وجه سهل يزول به كل إشكال، لولا أنه يتعارض مع ما قاله الفراء: هذا لا يجوز إلا في التمني كما قال الخليل، أو بعد النفي، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ولكنه على ما فيه أسهل من الأوجه الثلاثة الباقية، وهي أن تكون بمعنى لمن ما، فحذفت الميمات الثلاث، واختاره الفراء، وأنشد:

وإني لَمَّا أصدر الأمر وجهه إذا هو أعياء بالسبيل مصادره

والثاني أن تكون مخففة، وشددت للتأكيد، واختاره المازني، ولكن هذا مردود؛ لأنه إنما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة، فأما تشديد المخففة فلا يجوز بحال، ورابع الأوجه أنها مصدر لم، من لمت الشيء إذا جمعته، إلا أنها بنيت فلم تصرف، فكأنه قال: وإن كلاً جميعاً ليوفينهم، وفي هذا ما فيه، والله أعلم. وليوفينهم اللام جواب للقسم المقدر، ويوفينهم فعل مضارع مبني على الفتح، والهاء مفعول، وربك فاعل، والجملة خبر إن، وأعمالهم مفعول به ثان ﴿إِنَّكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ إن واسمها، وبما يعملون متعلقان بخبر، وخبر خبر إن ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ الفاء الفصيحة، واستقم فعل أمر، وكما نعت لمصدر محذوف، أي: فاستقم استقامة مثل الاستقامة؛ التي أمرت بها على جادة الحق غير منحرف عنها، ومن: الواو عاطفة، ومن موصول معطوف على الضمير في استقم، وإنما جاز العطف عليه من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه، ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة

للموصول، ويجوز أن يكون مفعولاً معه، والواو للمعية ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا ناهية، وتطغوا مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإن واسمها، وبما تعملون خبرها، وقد تقدم نظيره.

□ البلاغة:

الإيجاز في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ﴾ ذلك لأن الاستقامة هي الاستمرار في جهة واحدة، وأن لا يعدل يمينا أو شمالاً، ومعروف أن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، فأقل انحراف يخرج عن استقامته، وإذن فقد انتظم في كلمة الاستقامة جميع مكارم الأخلاق، ومحاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات؛ التي ينشدها العارفون والمقربون، والتحلل من ذلك خطير، واجتناب التحلل عسير، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حديث رواه ابن عباس عندما قال له أصحابه: لقد أسرع فيك الشيب: «شيبتني هود والواقعة وأخواتهما».

* الفوائد:

ما يقوله أبو حيان:

وقال أبو حيان: «وأما القراءة الثانية فتشديد إن، وإعمالها في كل واضح، وأما تشديد لما، فقال المبرد: هذا لحن لا تقول العرب: إن زيدا لما خارج، وهذه جسارة من المبرد على عادته، وكيف تكون قراءة متواترة لحناً، وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال، وهو: إن زيدا لما خارج، هذا المثال لحن، وأما في الآية فليس لحناً، ولو سكت وقال كما قال الكسائي: ما أدري ما وجه هذه القراءة، لكان قد وفق، وأما غير هذين من النحويين، فاختلفوا في تخريجها».

ثم أورد أبو حيان سبلاً من التخريجات وشجبها كلها، ومنها الوجه الذي اخترناه، وقال أخيراً:

«وهذه كلها تخريجات ضعيفة جداً ينزه عنها القرآن، وكنت قد ظهر لي فيها وجه جار على قواعد العربية، وهو أن «لما» هذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم للدلالة المعنى عليه، كما حذفوه في قولهم: قاربت المدينة ولما، يريدون: ولما أدخلها، وكذلك هنا التقدير: وإن كلاً لما ينقص من جزاء عمله، ويدل عليه قوله تعالى: «ليوفينهم ربك أعمالهم» لما أخبر بانتفاء نقص جزاء أجزاء أعمالهم أكده بالقسم، فقال: ليوفينهم ربك أعمالهم، وكنت اعتقدت أني سبقت إلى هذا التخريج السائغ العاري من التكلف، وذكرت ذلك لبعض من يقرأ علي فقال: قد ذكر ذلك أبو عمرو بن الحاجب، ولتركي النظر في كلام هذا الرجل لم أقف عليه، ثم رأيت في كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال: «لما» هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه، لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم: خرجت ولما سافرت ولما ونحوه، وهو سائغ فصيح، فيكون التقدير: لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين في قوله: فمنهم شقي وسعيد، ثم ذكر الأشقياء والسعداء ومجازاتهم، ثم بين ذلك بقوله: ليوفينهم ربك أعمالهم، قال: ما أعرف وجهاً أشبه من هذا وإن كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في القرآن».

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن
أُولِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ١١٢﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ١١٣﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ١١٤﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْت عَنِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْبَيْنَا مِنْهُمْ ۖ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَوْا فِيهِ وَكَانُوا

مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

☆ اللغة:

﴿تَزَكُّوْا﴾: الركون إلى الشيء هو: السكون إليه بالمحبة له والإنصات إليه، وفي المصباح: «ركنت إلى زيد: اعتمدت عليه، وفيه لغات، إحداها من باب: تعب، وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَكُّوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وركن ركُوناً، من باب: قعد، قال الأزهري، وليست بالفصيحة، والثالثة ركن يركن - بفتحتين - وليست بالأصل، بل من باب: تداخل اللغتين؛ لأن باب: فعل يفعل يكون حلقي العين أو اللام». وقال الراغب: «والصحيح أنه يقال ركن يركن - بالفتح فيهما - وركن يركن بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع، وبالفتح في الماضي، والضم في المضارع» ويؤخذ من القاموس وشرحه، وغيره من معاجم اللغة: أنه من باب: دخل، ومن باب: تعب، أما اللازم منه فبابه: ركن، بضم الكاف، أي: كان رزيناً وقوراً.

﴿وَزُلْفًا﴾ - بضم الزاي وفتح اللام -: جمع زلفة من الليل، أي: طائفة، وفي القاموس: الزلفى: الطائفة من الليل، والجمع زُلف وزُلْفَات، كغرف وغرفات، قال العجاج:

تاج طواه الأين ممّا رجفا طيّ الليالي زلفاً فزلفا

﴿أُتْرِفُوا﴾ نعموا، وترف، كفرح: تنعم، وأترفته النعمة: أبطرته، وأطغته.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَزَكُّوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ الواو استئنافية، ولا ناهية، وتركبوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، وإلى الذين: جار ومجرور متعلقان بتركبوا، وجلة ظلموا صلة، فتمسكم: الفاء السببية،

وَتَمَسَّكُمْ فَعَلَ مَضَارِعَ مَنْصُوبٌ بِأَنْ مَضْمُورَةٌ بَعْدَ الْفَاءِ الْوَاقِعَةِ بَعْدَ النَّهْيِ،
وَالْكَافُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَالنَّارُ فَاعِلٌ ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ الْوَاوُ حَالِيَّةٌ، أَوْ اسْتِثْنَائِيَّةٌ أَيْضاً، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، أَيْ: تَمَسَّكُمْ
النَّارُ حَالُ انْتِفَاءٍ نَاصِرُكُمْ، أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَمَا نَافِيَةٌ، وَلَكُمْ خَبَرٌ مُّقَدَّمٌ، وَمِنْ
دُونِ اللَّهِ حَالٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً لِأَوْلِيَاءَ، وَمِنْ حَرْفِ جَرِّ زَائِدٍ،
وَأَوْلِيَاءَ مَجْرُورٌ لَفْظاً بِالْفَتْحَةِ مَرْفُوعٌ مَحَلّاً؛ لِأَنَّهُ مُبْتَدَأٌ مُّؤَخَّرٌ، وَثُمَّ حَرْفُ
عَطْفٍ، وَلَا نَافِيَةٌ، وَتَنْصَرُونَ فَعَلَ مَضَارِعَ، وَلَمْ يَنْصَبْهُ نَسْقاً عَلَى تَرْكِنَا؛ لِأَنَّهُ
مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ عَطْفُ جُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ عَلَى جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ الْوَاوُ عَاطِفَةٌ، وَأَقِمِ فَعَلَ أَمْرٌ، وَفَاعِلُهُ مُسْتَتَرٌ، تَقْدِيرُهُ: أَنْتَ،
وَالصَّلَاةُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَطَرَفِي النَّهَارِ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ بِأَقِمِ، وَالْمُرَادُ بِطَرَفِي
النَّهَارِ الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ، وَزُلْفَا مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، أَيْضاً بِأَقِمِ، وَمِنْ اللَّيْلِ
صِفَةٌ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتُ لِلذَّكْرِكِ﴾ إِنْ وَاسْمُهَا، وَجُمْلَةُ
يُذْهِبْنَ خَبَرُهَا، وَالنُّونُ فَاعِلٌ يُذْهِبْنَ، وَالسَّيِّئَاتِ مَفْعُولٌ بِهِ، وَوَذَلِكَ مُبْتَدَأٌ،
وَذَكَرْتُ خَبَرٌ، وَلِلذَّاكِرِينَ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُّتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ لِّذَكَرْتُ
﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَاصْبِرْ عَطْفٌ عَلَى أَقِمِ، وَالْفَاءُ
تَعْلِيلِيَّةٌ، وَإِنْ وَاسْمُهَا، وَجُمْلَةُ لَا يُضِيعُ خَبَرُهَا، وَأَجْرُ الْمُحْسِنِينَ مَفْعُولٌ بِهِ
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودَ عَنِ الْفَسَادِ﴾ الْآرْضُ الْفَاءُ
اسْتِثْنَائِيَّةٌ، وَلَوْلَا تَحْضِيضِيَّةٌ، وَلَعَلَّ إِعْرَابَ كَانَ تَامَةً أَوَّلَى، إِذِ الْمَعْنَى: فَهَلَا
وَجَدَ، أَوْ حَدَثَ، فَيَتَعَلَّقُ مِنَ الْقُرُونِ بِهَا، أَوْ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ، وَمِنْ قَبْلِكُمْ
حَالٌ مِنَ الْقُرُونِ، وَأُولُوا فَاعِلُهَا، وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الْوَاوُ؛ لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِجَمْعِ
الْمَذْكَرِ السَّلَامِ، وَبَقِيَّةٌ مُّضَافٌ إِلَيْهِ، وَجُمْلَةُ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ صِفَةٌ لِأُولَوِ بَقِيَّةٍ،
وَفِي الْأَرْضِ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُّتَعَلِّقَانِ بِالْفَسَادِ، وَإِذَا جَعَلْنَا كَانَ نَاقِصَةً، فَيَكُونُ
مِنَ الْقُرُونِ مُتَعَلِّقَانِ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ، وَتَكُونُ جُمْلَةُ يَنْهَوْنَ خَبَرُهَا، وَأُولُوا بَقِيَّةٍ
اسْمُهَا، وَالْمَصْدَرُ الْمُقْتَرَنُ بِأَلٍ يَعْمَلُ فِي الْمَفَاعِيلِ الصَّرِيحَةِ، فَيَكُونُ فِي الْمَوْوَلَةِ،
وَالظُّرُوفِ أَوَّلَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَحْذُوفٍ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْفَسَادِ ﴿إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْبَحْنَا مِنْهُمْ﴾ إِلَّا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وَقَلِيلًا مُّسْتَتْنَى مُنْقَطِعٌ لِّثَلَا يَفْسَدُ

المعنى، وننقل هنا عبارة الزمخشري، وهي: «معناه: ولكن قليلاً من أنجيناً من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تركوا النهي» ثم قال: «فإن قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلاً على ما هو عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً؛ لأنه يكون تخصيصاً لأولي البقية على النهي عن الفساد لا للقليل من الناجين منهم، كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصالحاء منهم، يريد استثناء الصالحاء من المحضيين على قراءة القرآن، وإن قلت في تخصيصهم على النهي عن الفساد معنى نفى عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، كان استثناء متصلاً، ومعنى صحيحاً، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأفصح أن يرفع على البذل». وعن صفة لقليلاً، وجملة أنجيناً صلة، ومنهم: حال ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ واتبع عطف على مضمحل عليه الكلام، تقديره: فلم ينهوا عن الفساد واتبع، والذين فاعل، وجملة ظلموا صلة، وما مفعول به، وجملة أترفوا صلة، وفيه متعلقان بأترفوا، وكانوا مجرمين كان، واسمها وخبرها، والجملة عطف على أترفوا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ الواو استئنافية، وما نافية، وكان فعل ماض ناقص، وربك اسمها، وليهلك اللام للوجود، وهي المسبوبة بكون منفي، ويهلك منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أي: مريداً ليهلك، وقد سبق تقرير ذلك، والقرى مفعول به، وبظلم حال من الفاعل، وأهلها الواو حالية، وأهلها مبتدأ، ومصلحون خبر، والجملة حالية من المفعول به، أي: القرى.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلى آخر الآية فنون عديدة من البلاغة؛ التي تقطع دونها الأعناق، وسنبسطها بما يلي:

(١) ائتلاف اللفظ مع المعنى:

إذ لما كان الركون إلى الذين ظلموا دون فعل الظالمين، وجب أن يكون

العقاب عليه دون عقاب الظالمين، ومسّ النار في الحقيقة دون الإحراق، ولما كان الإحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقاب الراكن إلى الظالم، فلهذا عدل عز وجل عن قوله مثلاً . . . فتدخلوا النار؛ لكون الدخول مظنة الإحراق، وخصّ المسّ ليشير به إلى ما يقتضي الركون من العقاب، ويميز بين ما يستحق الظالم وبين ما يستحق الراكن له من العقاب، وإن كان مس النار قد يطلق، ويراد به الإحراق لكن هذا الإطلاق مجاز، والحقيقة ما ذكرناه؛ لأن حقيقة المس أول ملاقة الجسم حرارة النار، وإذا احتمل اللفظ احتمالات صرف منها إلى ما تدل عليه القرائن، والاتلاف في هذه الآية معنوي.

(٢) الإدماج:

فقد أدمج الله سبحانه وصفه بالعدل، فتعلق فن الفخر بفن الأدب، إذ ظاهر الآية التأديب، ومن أجله جاءت في هذا الباب الموعظة، ووصف الحق عز وجل بالعدل.

(٣) البسط:

فلم يقل الظالمين وعدل عن ذلك إلى قوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لما يحتمل الأول من استمرار الظلم؛ الذي لا يلائم المساس، ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل الدور؛ ليلائم المعنى معنى الركون، ومعنى المساس، وتحصل المبالغة الحقة، لأنه سبحانه إذا نهى عن الركون إلى من استمر منه الظلم بطريق أولى، وإذا نهى عن الركون إلى الظالم كان النهي عن فعل الظلم أخرى.

ونثبت هنا بهذه المناسبة كتاباً آية في البلاغة، وهو يتناسب مع المقام: لما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ في الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتنة، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً، وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه، وعلمك

من سُنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال سبحانه: ﴿لَتَنبِيئُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي، بدنوك ممن لم يؤد حقاً، ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهىء زادك فقد حضر السفر البعيد ﴿مَا نَخْفَى وَمَا نَعْلُنُّ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ والسلام.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ١١٨ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ أَجْمَعِينَ﴾ ١١٩ ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٠ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ١٢١ ﴿وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ١٢٢ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ١٢٣

○ الإعراب:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الواو استئنافية، ولو شرطية امتناعية، وشاء ربك فعل وفاعل، واللام واقعة في جواب لو، وجعل الناس أمة جعل ومفعولها، وواحدة صفة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ الواو عاطفة، ولا يزالون فعل مضارع ناقص، والواو اسمها، ومختلفين

خبرها، وإلا من رحم ربك. قال الزجاج: استثناء منقطع على معنى لكن، وتقديره: لكن من رحم ربك، فإنه غير مختلف، واكتفى أبو البقاء بقوله: هو مستثنى من ضمير الفاعل في يزالون ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ لذلك متعلق بخلقهم، والإشارة إلى الاختلاف والرحمة، وخلقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وتمت كلمة ربك فعل وفاعل، والمراد بكلمته قضاؤه الأزلي وحكمه المبرم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْيَتَامَى وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لأملأن جهنم جواب قسم مقدر تقديره: يميناً لأملأن، وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح، وجهنم مفعول به، ومن الجنة جار ومجرور متعلقان بأملاًن، والجنة هي الجن، والتاء للمبالغة، وأجمعين تأكيد ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يجوز أن تنصب كلاً نصباً على المصدر، وتقديره: وكل القصص نقص عليك، وجملة نقص عليك في موضع الصفة لقوله وكلاً، ويجوز أن ينصب على المفعولية، والمضاف إليه محذوف عوض منه التنوين، تقديره: كل نبأ نقص عليك، ومن أنباء صفة لكلاً، وما اسم موصول في محل نصب بدل من كلاً، وقيل: زائدة، وعلى الوجه الأول تعرب مفعولاً، وجملة نثبت به فؤادك صلة، ومعنى تثبيت القلب زيادة يقينه، وما فيه طمأنينة قلبه ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وجاءك فعل ومفعول به، وفي هذه متعلقان بجاءك، والإشارة إلى السورة، أو الأنباء المقتصة فيها، والحق فاعل جاءك، وما بعده عطف عليه. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ للذين جار ومجرور متعلقان بقل، وجملة لا يؤمنون صلة، واعملوا فعل أمر، والواو فاعل، والجملة مقول القول، وعلى مكانتكم حال، أي: حال كونكم ثابتين على مكانتكم، وقد سبق القول في المكانة ﴿إِنَّا عَمِلُونَا﴾ إن واسمها وخبرها ﴿وَأَنْظِرُونَا إِنَّا مُنْظَرُونَ﴾ انتظروا فعل أمر، والواو فاعل وإنا منتظرون، وإن واسمها وخبرها، والتهديد واضح ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لله خبر مقدم، وغيب السموات مبتدأ مؤخر، وإليه متعلقان بيرجع، والأمر نائب فاعله، وكله تأكيد ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الفاء الفصيحة، واعبد فعل أمر وفاعل مستتر

ومفعول به، وتوكل عطف على اعبد، وعليه متعلقان بتوكل، وما حجازية،
وربك اسمها، والباء حرف جر زائد، وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً
خبرها، وعما متعلقان بغافل، ويعملون صلة ما.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾

☆ اللفظة:

﴿الْقَصَصِ﴾: على وجهين: أحدهما يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصّبه قصصاً وثانيهما يكون فعلاً بمعنى مفعول،

كالنفض بمعنى المنفوض، واشتقاقه من قصَّ أثره إذا تبعه؛ لأن الذي يقصَّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً.

○ الإعراب:

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الر: تقدم إعرابها، والقول فيها، وتلك مبتدأ، وآيات خبر، والكتاب مضاف إليه، والمبين صفة للكتاب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إن واسمها، وجملة أنزلناه خبرها، وقرآنًا حال من ضمير أنزلناه، أي: الهاء، وقيل: انتصب على البدلية من الضمير، وعربياً صفة، ولعلكم تعقلون: لعل واسمها، وجملة تعقلون خبرها ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ نحن مبتدأ، وجملة نقص خبر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، وعليك متعلقان بنقص، وأحسن مفعول به إذا كان القصص مصدرأ، بمعنى: المفعول، ومفعول مطلق إذا كان القصص مصدرأ غير مراد به المفعول، والقصص مضاف إليه، والباء للسببية، وما مصدرية، وهي مع ما في حيزها مجرورة بالباء، والجار والمجرور متعلقان بنقص أيضاً، أي: بسبب إيجائنا، وإليك متعلقان بأوحينا، وهذا مفعول به، والقرآن بدل من اسم الإشارة ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ الواو للحال، وإن مخففة من الثقيلة، وكان واسمها، ومن قبله حال، واللام الفارقة، ومن الغافلين خبر كنت ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَعْلُقَ إِذِ الظَّرْفِيَّةُ بِفَعْلٍ مَضْمَرٍ، أي: اذكر، ولك أن تجعله بدل اشتمال من أحسن القصص، ويجوز أن يتعلق بنقص، ولكن في هذا إخراجاً لإذ عن المضي، وجملة قال يوسف مضاف إليها الظرف، ولأبيه متعلقان بقال، وبأ حرف نداء، وأبت منادى مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت وعوضت عنها التاء المكسورة أو المفتوحة، وسيرد المزيد عنها في باب: الفوائد، وكسرت همزة إن بعد القول، والياء اسم إن، وجملة رأيت خبرها، وأحد عشر جزءان عديان مبنيان على الفتح في محل نصب مفعول به لرأيت، وكوكباً تمييز، ورأيت من الرؤيا، أي: المنام، وهي تنصب مفعولين

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ الواو حرف عطف، والشمس والقمر معطوفان على أحد عشر كوكباً، ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به، وليست تأكيداً لرأيتهم الأولى، ولي متعلقان بساجدين، وساجدين مفعول به ثان لرأيتهم، وأعرها أبو البقاء حالاً، وقال: إن الرؤية عينية، وسيأتي تحقيق هذا في باب البلاغة ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ يا بني تقدم إعرابها في هود، ولا ناهية، وتقصص فعل مضارع مجزوم بلا، ورؤياك مفعول به، وعلى إخوانك جار ومجرور متعلقان بتقصص ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ الفاء سببية، ويكيدوا منصوب بأن مضمرة؛ لأنه وقع جواباً للنهي، والواو فاعل، ولك متعلقان بيكيدوا، وكيداً يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً، ويحتمل أن يكون مفعولاً به، أي: يصنعوا لك كيداً، وإن الشيطان إن واسمها، وللإنسان حال، وعدو خبر إن، ومبين صفة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: كما اجتباك واختارك لهذه الرؤيا العظيمة يجتبيك لأمر عظام، والكاف مفعول يجتبيك، وربك فاعل، ويعلمك ليس عطفاً على يجتبيك، ولكنه كلام مستأنف؛ كأنه قيل: وهو يعلمك، ويتم نعمته، ومن تأويل جار ومجرور متعلقان بعلمك، والأحاديث مضاف إليه ﴿وَيُسَمِّرُ نَفْسَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ عطف على يعلمك، ونعمته مفعول به، وعليك جار ومجرور متعلقان بنعمته، أو بيتهم، وعلى آل يعقوب عطف عليه ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كما أتمها نعت لمصدر محذوف، أي: إتماماً مثل إتمامها على أبويك، وعلى أبويك متعلقان بآتمها، ومن قبل حال، وإبراهيم بدل من أبويك، أو عطف بيان، وإسحاق عطف على إبراهيم، وإن واسمها وخبرها.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ تكرار يظنه الناظر أنه تأكيد لأول وهلة، وليس هو بالتأكيد، وإنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً

له، ويجوز أن تكون للتوكيد باعتبار أن طول الفصل بالمفاعيل استدعى ذلك، فجيء برأيهم تطرية، وتنويعاً للحديث.

(٢) في قوله تعالى: ﴿سَجِدْ﴾ أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء، وهو الذي يسميه النحاة تغليباً، وهذا الوصف صناعي، أما السر البياني فأمر كامن وراء هذا الوصف، ذلك؛ لأنه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء، وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، وسيأتي الكثير منه في القرآن.

براعة التخلص:

وهو فن مشهور ذائع في كلام البلغاء، وهو امتزاج ما يقدمه الكاتب أو الشاعر من البسط بأول ما استهل به كلامه، كالبيت الأول من القصيدة، والفقرة الأولى من المقالة على أن يختلس ذلك اختلاساً رشيقاً، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام؛ كأنهما أفرغا في قالب واحد، أو يوطيء الكاتب فيه بفصل لفصل يريد أن يأتي به بعده، وإما بنكتة تشير إلى معنى الفصل المستقبل، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل إلى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام، فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصاً بارعاً، فإن النكتة التي أشارت إلى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن، وهي قوله: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فإن المخاطب إذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبه إلى تأملها، فيجد كل قضية فيها ختمت بخير، وكل ضيق انتهى إلى سعة، وكل شدة آلت إلى رخاء، وذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة «العقدة» تختتم بالخير، أو ما يسمّى في عرف القصة الحديثة بالحل:

١- رمي يوسف في الحب، واستحكمت عقده فنجأ.

٢ - بيع بالثمن البخس الذي يشير في مدلوله إلى الضعة والمهانة ، واستحكمت العقدة ثانية ؛ فإذا الذي اشتراه يستصفيه ، وينزله منه بمنزلة الولد .

٣ - راودته التي هو في بيتها عن نفسه ، ووثبت الشهوة ، وصرخت اللذة ، وكاد العقل يقصف ، والرشد يعزب ، واستحكمت العقدة الثالثة ، فإذا هو يكبح جماح نفسه ، ويستعصم .

٤ - ودخل السجن ، ورانت عليه ظلمته ، وأقتمت معاملة ، واستحكمت العقدة رابعة ، فخرج منه ملكاً .

٥ - وظفر بإخوته بعد أن عرف غدرهم به ومحاولتهم إهلاكه ، فلم يذهب مع هوى النفس التي تثار ، وتنتقم ، وطامن من غلوائه .

٦ - وسره الله بلقاء شقيقه بعد اليأس ، فائتنس به .

٧ - فارقه أبوه وحزن من أجله حتى عمي ، واستحكمت العقدة مرة أخرى ، ثم اجتمع به ، وسر بلقائه ، وارتد الوالد بصيراً .

٨ - جاء الله به من البدو ، وأحله بمصر على سرير الملك .

٩ - غضب هو وأبوه على بقية الأولاد ، ثم رضيا عنهم .

١٠ - ثم ، وأخيراً سجد له أبواه وإخوته تحقيقاً لرؤياه ، فناسب الختام البدء ، وكانت براعة التخلص من أجهل ما عرف في الكتابة .

(٤) حسن التخلص في الشعر :

على أنه لا يفوتنا أن نورد بعض ما ورد من حسن التخلص في شعرنا العربي ، ومن المؤسف أن ينتهي غالباً بالمديح ، ونحن لا نقر هذا المديح ، ولا نعترف به إلا من حيث أنه تقليد بحث أو تسجيل لما جرى على يد الممدوح من نفع عام ، قال أبو تمام يمدح أبا دلف ، وهو بطل عربي اشتهر بجهاده :

وَدَّعَ فَوَادَكَ تَوَدِّعَ الْفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوَدِّعِ مُنْصَرَفَا
يُجَاذِبُ الشُّوقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ جِهَادُهُ لِلْقَوَا فِي أَبِي دُلْفَا

ومن أَلطف المخلص قول أبي العلاء المعري :
 ولو أنَّ المطيَّ لها عقولٌ وجدك لم تشدَّ لها عقالا
 مواصلة لها رُحلي كَأَنِّي من الدُّنيا أريدُ بها انفصالا
 سألن فقلتُ مقصدُنا سعيد فكان اسمُ الأميرَ لهنَّ فالأ

* الفوائد :

(١) «رأى» من الرؤيا :

اختلف النحاة واللغويون في «رأى» الحلمية، والمحققون على أنها ملحقة برأى العلمية في التعدي لاثنين، بجامع إدراك الحس في الباطن، كقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ فأرى عملت في ضميرين متصلين لمسمى واحد، وأحدهما فاعل، والثاني مفعول أول، وجملة أعصر خمرًا المفعول الثاني، وكقول عمرو بن أحرر الباهلي يذكر جماعة من قومه لحقوا بالشام، فرآهم في منامه :

أَرَاهُمْ رُفِقْتِي حَتَّى إِذَا مَا تجافى الليلَ وانخزلَ انخزالا
 فالهاء مفعول أول، ورفقتي بضم الراء وكسرهما مفعول ثان، والرؤيا هنا حُلُمِيَّة، بدليل قوله : حتى إذا ما تجافى الليل وانخزل انخزالا، أي : انطوى وانقطع، وإلى هذا أشار في الخلاصة :

وَلِرَأَى الرُّؤْيَا أَنَّمَا لِعِلْمَا طَالِبَ مَفْعُولَيْنِ مِنْ قَبْلُ انْتَمَى
 وذهب بعضهم إلى أن رأى الحُلُمِيَّة لا تنصب مفعولين، وأن ثاني المنصوبين حال ورد بوقوعه معرفة هنا كما هنا، واعترض بأن الرفقة، وهم المخالطون، والمرافقون، فهو بمعنى اسم الفاعل، فالإضافة فيه غير محضة .

(٢) حديث اليهودي وكواكب يوسف :

ونرى من المفيد التنبيه إلى ما يرويه المفسرون من أحاديث عن كواكب يوسف، فقد أخرج الحاكم في مستدركه أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال :

أخبرني بأسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام، فقال: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا أَتَسْلِمَ؟» قال: نعم. قال ﷺ: «الذِّيَالُ، وَالوُثَابُ، وَالطَّارِقُ، وَالْفِيلَقُ، وَالصَّبْحُ، وَالْقَابِسُ، وَالضُّرُوحُ، وَالْخُرْثَانُ، وَالْكَتْفَانُ، وَالْعُمُودَانُ، وَذُو الْفِرْعِ». قال: صدقت يا محمد ولم يسلم. والوضع ظاهر على هذا الحديث، وفي سنده جماعة متكلم فيهم. وقال ابن الجوزي: هو موضوع.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَبْنَائَنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

☆ اللّٰخِظَةُ:

﴿غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: الغيبة: سدُّ أو طاق في البئر قريب الماء، يغيب ما فيه عن العيون، وقال الزمخشري: هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر، وأظلم من أسفله، قال المنخل:

إذا أنا يوماً غَيَّبْتَنِي غِيَابَتِي فَسِيرُوا بِسِيرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ

أراد غيبة حفرة التي يدفن فيها، والجب: البئر التي لم تطو؛ وسمي بذلك إما لكونه محفوراً في جيوب الأرض، أي: ما غلظ منها، وإما لأنه قطع في الأرض، ويجمع على أجباب، وجباب، وجبية.

﴿السَّيَّارَةُ﴾: جمع سيار، أي: المبالغ في السير، وفي المختار: والسيارة القافلة، فسميتهم السيارة المعروفة اليوم صحيح، لا غبار عليه؛ لأنه مؤنث سيار.

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلَّسَّائِلِينَ﴾ اللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وكان فعل ماض ناقص، وفي يوسف خبر مقدم، وإخوته عطف على يوسف، وآيات اسم كان المؤخر، وللسائلين صفة لآيات ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وقيل: الظرف متعلق بكان، وجملة قالوا مضاف إليها الظرف، واللام للابتداء، وفيها تأكيد لتحقيق مضمون الجملة، وأخوه عطف على يوسف، وهو بنيامين شقيقه، وأحب خبر، وإلى أيننا جار ومجرور متعلقان بأحب، وقد تقدم أن الحب والبغض إذا بني منهما أفعال التفضيل، أو فعلا التعجب تعدى الفعل منهما إلى الفاعل المعنوي بإلى، وإلى المفعول المعنوي باللام، فإذا قلت زيد أحب إلي من بكر كان معناها أنك تحب زيدا أكثر من بكر، ومنا متعلقان بأحب كذلك، ولم يطابق أحب في الاثنين؛ لأن أفعال التفضيل يلزم الأفراد والتذكير إذا كان معه من، ولا بد من الفرق مع أل، وإذا أضيف جاز الأمران ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الواو للحال، ونحن مبتدأ عصبه خبر، وإن واسمها، واللام المرحلة، وفي ضلال خبرها، ومبين صفة، والعصبة: الجماعة، قيل: هي ما بين الواحد إلى العشرة ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَيَّكُمْ﴾ اقتلوا فعل أمر، والواو فاعل، ويوسف مفعول به، أو اطرحوه عطف على اقتلوا، وأرضاً نصبت الظروف المبهمة، أي: أرضاً منكراً مجهولة بعيدة عن العمران. قال الزمخشري وقال ابن عطية: «وذلك خطأ؛ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً، وهذه ليست كذلك، بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة، أو قاصية، ونحو ذلك، فزال بذلك إبهامها، ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض،

فتبين أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه» وصحح أبو حيان هذا الرد. ويجوز أن تنصب بنزع الخافض، أي: في أرض، وهو بمعنى الظرف، وقيل: مفعول ثان لا طرحوه المتضمنة معنى انزلوه، ويخل جواب الأمر، ولكم متعلقان بيخل، ووجه فاعل، وأبيكم مضاف إليه، وسيأتي معنى يخل لكم وجه أبيكم في باب: البلاغة ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ وتكونوا عطف على يخل، والواو اسم كان، ومن بعده حال، وقوماً خبر، وصالحين صفة ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ قال قائل فعل وفاعل، ومنهم صفة، ولا ناهية، وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا، والواو فاعل، ويوسف مفعول به، والقوة فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي غيبة الجب متعلقان بالقوة ﴿يَلْقَظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يلتقطه جزم لوقوعه جواباً للأمر، وبعض السيارة فاعل، وإن شرطية، وكنتم فاعلين كان، واسمها وخبرها، وجواب إن محذوف، أي: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به الغرض، فهذا هو الرأي الصواب ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ قالوا فعل وفاعل، ويا أبانا منادى مضاف، وما اسم استفهام مبتدأ، ولك خبر ما، ولا نافية، وتأمننا فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره: أنت، ونا مفعول به، وقد أدغمت نون تأمن بنا، وقد قرئ على أشكال مختلفة، وعلى يوسف متعلقان بتأمننا، وجملة لا تأمننا حال، وجملة مالك لا تأمننا مقول القول، والتقدير: أي: شيء ثبت لك منا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ الواو للحال، وإن واسمها، وله متعلقان بناصحون، واللام المرحقة، وناصحون خبر إنا، والجملة حال من نا، فيكون حالاً من حال ﴿أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أرسله فعل أمر، وفاعل مستتر ومفعول به، ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسله، ونا مضاف إليه، وغداً ظرف متعلق بأرسله أيضاً، ويرتع مجزوم لأنه جواب الأمر، ويلعب عطف عليه، وجملة إنا له لحافظون حالية، وقد تقدم إعرابها ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ إن واسمها، واللام المرحقة، وجملة يحزنني خبر إن، والياء مفعول به، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحزنني، وبه جار ومجرور

متعلقان بتذهبوا ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أن وما في حيزها مفعول أخاف، والذئب فاعل يأكله، ولا يغرب عنك، أنه لقنهم العلة التي يعتلون بها على حد قول المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق» ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ الواو للحال، وأنتم مبتدأ، وغافلون خبره، وعنه متعلقان بغافلون ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، وأكله الذئب فعل ومفعول به وفاعل، والواو حالية، ونحن مبتدأ، وعصبة خبر، والجملة حالية، وإن واسمها، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل، وخاسرون خبر إنا، والجملة جواب القسم، وجملة جواب الشرط محذوفة؛ لأن الجواب يعطى للمتقدم، كما قررنا سابقاً.

□ البلاغة:

(١) المجاز في قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ وإنما ذكر الوجه؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل عليه بوجهه؛ لأن أول ما يستقبل الإنسان الوجه، فعبّر به عن إقباله عليهم وعدم الالتفات إلى غيرهم، وانتفاء المشارك لهم في حب والدهم.

(٢) وفي قوله: ﴿لَخَسِرُونَ﴾ مجاز عن الضعف، والعجز، والعلاقة هي السبية.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَتِّهَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ

فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشِّرُنِي هَذَا عَلَّمَ وَأَسْرُوهُ يَضَعَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ
الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

☆ اللغة:

﴿وَأَجْمَعُوا﴾: يقال: أجمعوا الأمر، وأجمعوا عليه يتعدى بنفسه، وبالباء،
أي: عزموا عليه مصمماً.

﴿سَوَّلَتْ﴾: أصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في إتمامه،
وقال الزمخشري: سولت سهلت من السول، وهو الاسترخاء، وفي
القاموس: سولت له نفسه كذا: زينته له، وسهلت له، وهونته، وقيل: هو
من السول - بفتحين - أي: استرخاء العصب ونحوه، فكأن المسول بذله فيما
حرص عليه.

﴿دَلْوُهُ﴾: في المختار: الدلو التي يستقى بها، ودلا الدلو: نزعها، وبابه
عدا، وأدلاها: أرسلها في البئر، وفي القاموس: ودلوت الدلو ودليتها:
أرسلتها في البئر، ودلاها: جذبها ليخرجها، والدلو مؤنث، وقد يذكر.

○ الإعراب:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ﴾ الفاء عاطفة، والجملة
معطوفة على محذوف يفهم من سياق القصة، تقديره: فأرسله معهم، ولما
حينية، أو رابطة، وذهبوا فعل وفاعل، وبه جار ومجرور متعلقان بذهبوا،
وأجمعوا عطف على ذهبوا، أو الواو للحال، والجملة حالية بتقدير: قد، وأن
وما في حيزها مفعول أجمعوا، أو منصوب بنزع الخافض، وفي غيبة الجب
متعلقان بيجعلوه، وجواب لما محذوف تقديره: فعلوا به ما فعلوه من الأذى
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ اختلف في هذه الواو،
فقيل: عاطفة، وأن الإيحاء إلى يوسف كان في الجب، وله سبع عشرة سنة، أو

دونها تطميناً لقلبه، ولم يكن إيجاء نبوة، وقيل: زائدة، وأنها جواب لو، أي: جملة أوحينا، وهو قول جيد لو ساعدت اللغة على زيادة الواو، وإليه متعلقان بأوحينا، واللام موطئة للقسم، وتنبتنهم، وفعل مضارع مبني على الفتح، والهاء مفعول به، وبأمرهم متعلقان بتنبتنهم، وهذا صفة لأمرهم، والواو للحال، وهم مبتدأ، وجملة لا يشعرون خبر، والجملة حالية ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ الواو عاطفة، وجاؤوا فعل وفاعل، وأباهم مفعول به، وعشاء ظرف زمان متعلق بجاء، وجملة ييكون حال من الواو، أي: وقت العشاء باكين. قيل: وإنما جاؤوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ جملة إنا ذهبنا مقول القول، وإن واسمها، وجملة ذهبنا خبر إن، وجملة نستبق حال، والاستباق يكون بالعدو، والترامي، والتناضل ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ وتركنا يوسف عطف على ذهبنا، والظرف متعلق بتركنا فأكله عطف، والهاء مفعول به، والذئب فاعل. قال ثعلب: «والذئب مأخوذ من تذأبت الريح؛ إذا هاجت من كل وجه» قال: «والذئب مهموز؛ لأنه يجيء من كل وجه». ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وأنت اسمها، والباء حرف جر زائد، ومؤمن مجرور لفظاً خبر ما محلاً، ولنا متعلقان بمؤمن، ولو الواو عاطفة، ولو شرطية، وهي في هذا الموضع لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب، أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال؛ بإدخالها على أبعدها منه، وأشدّها منافاة له ليظهر بشوته، أو انتفائه معه ثبوته، أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية، ولا يذكر معه شيء من سائر الأحوال، ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها، وكنا: كان واسمها، وصادقين خبرها ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ الواو عاطفة، وجاؤوا فعل وفاعل، وعلى قميصه محله النصب على الظرفية، كأنه قيل: وجاؤوا فوق قميصه بدم، وهذا الظرف معمول لحال محذوفة من دم، والتقدير: وجاؤوا بدم كذب حال كونه كائناً فوق قميصه،

وقد منع ذلك الزمخشري، وسترى في باب الفوائد بحثاً مفيداً ممتعاً بهذا الصدد، وبدم متعلقان بجاؤوا، وكذب صفة، وسيرد في باب: البلاغة معنى وصف الدم بالكذب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بل: حرف إضراب، وسولت لكم أنفسكم فعل وفاعل، وأمرأ مفعول به، فصبر جميل خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفه ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ الواو عاطفة، والله مبتدأ، والمستعان خبر، وعلى ما متعلقان بالمستعان، وجملة تصفون صلة، والعائد محذوف، أي: تصفونه ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَمٌ﴾ الواو استئنافية، وجاءت سيارة فعل وفاعل، فأرسلوا عطف على جاءت، والواو فاعل، وواردهم مفعول به، وهو رجل يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء؛ لأن الوارد هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم، فأدلى عطف، ودلوه مفعول به ﴿قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ﴾ يا حرف نداء، وبشري منادى نكرة مقصودة نادى البشري حيث كانت؛ كأنه يقول لها تعالي، فهذا وقتك، وهذا مبتدأ، وغلام خبر قيل عبر بالغلام للجمال الذي بهر لما رآه، وإنما سمي الغلام غلاماً لاشتقاقه من الغلطة؛ لأنه يريد الشهوة يقال: اغتلم الشراب: اشتدت سورته، واغتلمت الأمواج: اشتدت، والغلطة أنثى الغلام، وأبو نواس كان يتظرف ويقول عن الفتاة الجميلة: غلامية ﴿وَأَسْرَوْهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ وأسروه فعل وفاعل ومفعول، أي: أخفوه، والضمير يعود للوارد وأصحابه، وقيل لأخوة يوسف الذين عادوا وكانوا يظنون أن يوسف مات، فقالوا: هذا عبد أبق منا، فإن أردتم بعناه لكم، فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي، وبضاعة نصب على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ الواو عاطفة، وشروه فعل وفاعل ومفعول، أي: باعوه، وبثمن متعلقان بشروه، وبخس صفة، ودراهم بدل من ثمن، ومعدودة صفة، ووصفها بإمكان عدّها كناية عن قلتها؛ لأن الكثيرة يتعذر عدّها ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ كان واسمها،

وفيه متعلقان بمحذوف حال، وقال أبو حيان: «متعلقان بأعني مضمرة، أو بمحذوف يدل عليه من الزاهدين، أو بالزاهدين؛ لأنه يتسامح في الجار والمجرور والظرف» ومن الزاهدين خبر كانوا. وقال ابن هشام: وقول آخر: ﴿وَكَاَنُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ إن في متعلقة بزاهدين المذكور، وهذا ممتنع إذا قدرت أل موصولة، وهو الظاهر لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، فيجب حينئذ تعلقها بأعني محذوفة، أو بزاهدين محذوفاً مدلولاً عليه بالمذكور، أو بالكون المذكور الذي تعلق به من الزاهدين، وأما إن قدرت أل التعريف، فواضح.

□ البلاغة:

وصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته، والفاعل والمفعول يسميان بالمصدر، كما يقال: ماء سكب، أي: مسكوب، والفاعل كقوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي: غائراً، كما سموا المصدر بهما قالوا للعقل: المعقول، وللجلد: المجلود، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَفْتُونُ﴾.

* الفوائد:

هل تتقدم الحال على الجار والمجرور؟:

منع النحاة تقديم الحال على صاحبها إذا كان مجروراً، ك: مررتُ بهند جالسة، فجالسة حال من هند، ولا يجوز تقديمها عليها. لا تقول: مررت جالسة بهند، وهذا تقريباً مذهب الجمهور، وعللوا ذلك بأن تعلق العامل بالحال ثان لتعلقه بصاحبه، فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الوساطة، لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدى بحرف واحد إلى شيئين، فجعلوا عوضاً عن الاشتراك في الوساطة التزام التأخير، وخالف في هذه الفارسي، وابن جني، وابن كيسان، وابن برهان، وغيرهم، فأجازوا التقديم مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِيهِ يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾ قالوا في الرد

على الزمخشري القائل: إنه ليس بحال؛ لأن حال المجرور لا يتقدم، قالوا فيه: إن المعنى لا يساعد على نصبه على الظرف بمعنى؛ لأن العامل فيه إذ ذاك جاؤوا، وليس الفوق ظرفاً، بل يستحيل أن يكون ظرفاً، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ فكافة حال من المجرور، وهو الناس، وقد تقدم على صاحبه المجرور باللام، وبنحو قول الشاعر:

تسليت طراً عنكم بعد بينكم بذكراكم حتى كأنكم عندي

فطراً بمعنى جميعاً حال من الكاف والميم، وقد تقدم على صاحبه المجرور بعن، ورد الزمخشري والمانعون بقولهم: إن هذا البيت ضرورة، أو طراً حال من عنكم محذوفة، مدلولاً عليها بعنكم المذكورة، وإن كافة في الآية حال من الكاف في أرسلناك، وأن التاء للمبالغة لا للتأنيث، هذا؛ ولا يحتمل هذا الباب ما استفاض فيه هؤلاء العلماء من ردود ومناقشات، فحسبنا ما تقدم.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَّىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

☆ اللغة:

﴿مَثْوَاهُ﴾: مقامه، يقال: ثوى بالمكان، وأثوى: أقام، وفلان أكرم

مثنوي، وطال بي الثواء، وهو أبو مثنوي، وهي أم مثنوي لمن أنت نازل به، قال:

أفي كل يوم أُمّ مَثْوَى تَسُوْسُنِي تنفّضُ أثوابي وتَسألني ما اسمي

﴿أَشَدُّهُ﴾: في الأشدّ ثلاثة أقوال، أحدها: قول سيبويه: أنه جمع مفردة شدة، نحو: نعمة وأنعم، والثاني: قول الكسائي: أن مفردة شد بوزن قفل، والثالث: أنه جمع لا واحد له من لفظه، وهو قول أبي عبيدة، وهو من الشد، وهو: الربط على الشيء والعقد عليه. وقال الراغب: وفيه تنبيه على أن الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقوّى خلقه؛ الذي هو عليه، فلا يكاد يزياله، وقيل في الأشدّ ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث، وثلاث وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون.

﴿وَرَوَدَتْهُ﴾ المارودة: مفاعلة من راد يرود؛ إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه، ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحيل لمواقفته إياها، ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء، وهي مفاعلة من واحد، نحو: مطالبة الدائن ومماطلة المدين ومداواة الطبيب، ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل، ومن الآخر سببه، فإن هذه الأفعال، وإن كانت صادرة عن الجانبين، لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر، جعلت كأنها صادرة عنهما، وهذا باب لطيف المسلك، مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقوم مقامه، ويطلق عليه اسمه، كما في قولهم: «كما تدين تدان» أي: كما تجزي تجزى، فإن فعل البادي، وإن لم يكن جزاء لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمها، وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة القرآن؛ حيث كانتا سبباً للقيام والقراءة عبر عنهما بهما، فقليل: «إذا قمتم إلى الصلاة»، «فإذا قرأت القرآن»، وهذه قاعدة مطردة مستمرة. ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة، وقيل: الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل، وهو طلب منها الترك، ويجوز أن تكون من الرويد، وهو الرفق

والتجمل وتعديتها بعن؛ لتضمينها معنى المخادعة، فالمعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده، وهو يحتال أن يأخذه منه.

﴿هَيْتَ لَكَ﴾: اسم للفعل، وفيه ضمير المخاطب كصبه ومه، ومسماه أسرع، يقال: هيت؛ إذا دعاه، قال الشاعر:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ سَلَّمَ عَلَيْكَ، فَهَيْتَ هَيْتَا

يريد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو لازم لا يتعدى إلى مفعول، كما أن مسماه كذلك، وفيه ثلاث لغات هيت بالفتح، وهيت بالضم، وهيت بالكسر، و«لك» من قولك: هيت لك تبين للمخاطب، جيء به بعد استغناء الكلام عنه، كما كان كذلك في: سقيا لك، ألا ترى أن سقيا غير محتاجة إلى لك؛ لأن معناه سقاك الله سقياً، وإنما جيء بلك تأكيداً وزيادة، فهي في هيت لك كذلك. وقيل: هيت اسم فعل ماضٍ، بمعنى: تهيأت، وفي القاموس: وهيت لك مثله الآخر، وقد يكسر أوله، أي: هلم، وقال العلامة الغنيمي: يحتمل أن يكون الضمير المستتر في تهيأت، تقديره: هي، وقرئ تهيأت بسكون التاء، وهذه حكاية لكلامها، كما تقول: قال زيد: والله ليفعلن، أي: قال: والله لأفعلن.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: هذا أحد مصادر عاذ يعوذ عوذاً ومعاذاً وعوذة وعايذة وعايذاً، ومعنى: أعوذ بالله: أعتصم، وأمتنع بالله من الشيطان الرجيم، وينشد للراجز زيد بن عمرو بن نفيل، أولعبد المطلب:

إِنِّي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مَهْمَا تُجَشَّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ
عُدْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ

يريد به إبراهيم عليه السلام، ومن العرب من يقول: إبراهيم، وكذلك قرأ ابن عامر، وذلك أن إبراهيم اسم أعجمي، فإذا عربته العرب فإنها تحالف بين ألفاظه، ومنهم من يقول: إِبْرَهَمَ بغير ألف، قال الشاعر:

نَحْنُ آلَ اللَّهِ فِي كَعْبَتِهِ لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ آبَرَهُمْ

وعن الفراء قال: «العرب تقول: نعوذ بالله من طئة الذليل، أي: أعوذ بالله من أن يطأني ذليل» وفي لسان العرب: «وطأة الذليل من استعاذته بالله».

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَتْهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾ عطف على محذوف، أي: دخلوا مصر، وعرضوه للبيع، فاشتراه عزيز مصر الذي كان على خزائن مصر، واسمه قطفير. وقال فعل ماضٍ، والذي فاعل، وجملة اشتراه صلة، ومن مصر حال، ولامرأته جار ومجرور متعلقان بقال، وجملة أكرمي مثواه مقول القول، وهي فعل وفاعل ومفعول، وقد تقدم شرحها ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا﴾ عسى من أفعال الرجاء، واسمها مستتر، وأن وما في حيزها خبرها، وقد تقدم القول فيها، وأو حرف عطف، ونتخذها فعل مضارع معطوف على ينفعنا، والهاء مفعول به أول، وولدًا مفعول به ثان ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ وكذلك نعت لمصدر، أي: مثل ذلك التمكين، ومكنا فعل ماضٍ وفاعل، وليوسف متعلقان به، فإن فعل مكن يتعدى بنفسه، وباللام كما هنا، وفي الأرض حال ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ الواو عاطفة، واللام للتعليل، ونعلمه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والهاء مفعول به، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، أي: ولنعلمه مكانه، وقد سبق مثيله في: ﴿ولتكملوا العدة﴾ ومن تأويل الأحاديث متعلقان بنعلمه، وأعربها الجلال على زيادة الواو، فهي متعلقة بمكنا المذكورة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والله مبتدأ، وغالب خبر، وعلى أمره جار ومجرور متعلقان بغالب، والواو حالية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لما حينية، أو رابطة، وبلغ أشده فعل ماضٍ وفاعل مستتر ومفعول به، وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به، وحكمًا مفعول به ثان، وعلمًا عطف عليه، وكذلك نعت لمصدر محذوف، ونجزي المحسنين فعل

مضارع وفاعل ومفعول به ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ الواو عاطفة، وراودته فعل ومفعول به مقدم، والتي فاعل، وهو مبتدأ، وفي بيتها خبر، والجملة الاسمية صلة، وعن نفسه جار ومجرور متعلقان براودته ﴿وَعَلَّقَتِ الْآبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ جمل معطوفة، وتقدم إعراب هيت لك في باب: اللغة، واسم المرأة التي راودته زليخا - بفتح الزاي وكسر اللام - . ولم يقل: وراودته زليخا أو امرأة العزيز إما لاستهجان التصريح بالاسم في حكم المراودة والاحتيال في طلب الواقعة، وإما للإخفاء عن الآخرين لئلا يتهموها، وإما لزيادة تقرير ثبوت المسند للمسند إليه، فإن كونه في بيتها، وتمكّنها من مشاهدة جماله حيناً فحيناً مما يحقق مراودتها، أو لزيادة تقرير المقصود؛ لأن امتناعه منها مع كمال قدرتها عليه يدل على نزاهته، وطهارة ذيله، وقيل اختار^(١) في الآية إذ يجوز الاشتراك في علمها، وإرادة الجنس في امرأة العزيز بخلاف الموصول ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ معاذ الله نصب على المصدر، أي: أعوذ بالله معاذاً، وإنه ربي: إن واسمها وخبرها، والضمير يجوز أن يعود لقطفير الذي اشتراه، ومعناه: سيدي ومالكي يريد قطفير، وجملة أحسن مثواي حال، ويجوز أن يعود الضمير إلى الشأن والحديث، وربّي مبتدأ، وجملة أحسن مثواي خبر، والجملة خبر إن، ويجوز أن تكون الهاء ضمير الله تعالى، وقد استبعد بعضهم الأول، وقالوا يبعد جداً أن يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولو بمعنى السيد؛ لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ إن واسمها، وجملة لا يفلح الظالمون خبرها، والضمير يعود للشأن هنا ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَ رَبِّهَ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وهمت فعل ماض، وهي فاعله، وبه متعلقان بهمت، وهم فعل ماض، وهو فاعله، وبها متعلقان بهم، ولولا حرف امتناع لوجود، وأن وما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر، أي: لولا رؤيته برهان ربه ماثل أمامه، وجواب لولا محذوف، أي: لواقعها،

(١) أي: اختار لفظ «التي هو في بيتها».

واختلف في البرهان الذي رآه، وللمفسرين فيه كلام طويل يرجع إليه في المطولات، وحسبنا أن ننقل عبارة أبي حيان. قال: «والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول إن جواب لولا متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد، بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان يوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم، وهذا كلام جيد يؤيد ما ذهبنا إليه في الإعراب، فتدبره.

هذا؛ ولا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة، وإنما الخلاف في وقوع الهم منه، فمن المفسرين من ذهب إلى أنه هم، وقصد الفاحشة، وأتى ببعض مقدماتها، ولقد أفرط صاحب الكشف في التشنيع على هؤلاء، فارجع إليه. ومنهم من نزّهه عن الهم أيضاً، وهو الصحيح كما تقدم في عبارة أبي حيان، وللإمام الرازي في «تفسيره الكبير» نكتة لا بأس بإيرادها، قال: «إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين وإبليس، وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب، فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب؛ أما يوسف فلقوله: «هي راودتني عن نفسي»، وقوله «رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه»، وأما المرأة فلقولها «ولقد راودته عن نفسه»، وأما زوجها فلقوله: «إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم»، وأما النسوة فلقولهن: «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين»، وقولهم «حاشا لله

ما علمنا عليه من سوء»، وأما الشهود، فلقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ إلى آخره... وأما شهادة الله تعالى، فقوله عز من قائل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وأما إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿وَلَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿فأقر إبليس بأنه لا يمكن إغواء العباد المخلصين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فقد أقر إبليس أنه لم يغوه، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله، فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا إقرار إبليس لطهارته.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ كذلك نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك التثبيت ثبنته، واللام متعلقة بذلك المحذوف، ويصح أن تكون في محل رفع، والتقدير: الأمر مثل ذلك، والنصب أجود، وقد تقدمت نظائر لذلك، والسوء مفعول به، والفحشاء عطف على السوء ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ إن واسمها، ومن عبادنا خبر، والمخلصين صفة لعبادنا.

□ البلاغة:

من مرجحات كون الاسم المسند إليه اسماً موصولاً تقرير الغرض المسوق له الكلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ فإن الغرض المسوق له الكلام هو براءة يوسف عليه السلام، فلو قيل: راودته امرأة العزيز، أو زليخا، لم يفد ما أفاده الموصول باعتبار صلته، فهو أدل على الغرض المسوق له، وهو النزاهة؛ لأنه إذا كان في بيتها، وتمكن من نيل المراد منها، أي: مرادها لا مراده ومع ذلك عف عنها ولم يفعل، كان ذلك غاية في النزاهة عن الفحشاء، فكان في الموصول زيادة تقرير للغرض؛ الذي هو النزاهة.

قول آخر:

وقيل: معناه زيادة تقرير المسند، أي: المرادة لما فيه من فرط الاختلاط

والإلفة، فلو قال: زليخا، أو امرأة العزيز، لم يفد ما أفاده الموصول من ذكر السبب؛ الذي هو قرينة في تقرير المراودة باعتبار كونه في بيتها.

قول آخر: وقيل: هو تقرير للمسند إليه لإمكان وقوع الإبهام والاشتراك في امرأة العزيز أو زليخا، ولو ذكر إحداهما، ولا يتأتى ذلك في التي هو في بيتها؛ لأنها واحدة معينة مشخصة.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ الواو عاطفة، والجملة متصلة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا﴾ وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ...﴾ الخ اعتراض جيء به بين المتعاطفين تقريراً لنزاهته وبراءته، والمعنى: ولقد همت به، وأبى هو، واستبقا إلى الباب الخارجي الذي هو المخلص، ولذلك وحده بعد الجمع، وحذف حرف الجر، وأوصل الفعل إلى المجرور نحو: «وإذا كالأوهم» واستبقا فعل ماضٍ، والألف فاعل، والباب منصوب بنزع الخافض، وقدت قميصه: قد فعل ماضٍ، وفاعله هي، وقميصه مفعول به ومن دبر حال ويحتمل أن يكون «قدت» معطوفاً على واستبقا، ويحتمل أن يكون حالاً، أي: وقد قدت جذبته من خلفه بأعلى القميص من طوقه،

فانخرق إلى أسفله، والقذ: القطع والشق، وأكثر استعماله فيما كان طولاً.
قال النابغة:

تَقْدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدُنَ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْجُبَابِ

والقطّ يستعمل فيما كان عرضاً ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ وألفيا عطف على ما تقدم، والألف فاعل، وسيدها، أي: بعلها، كانت تقول المرأة لبعلها: يا سيدي للملكة التصرف فيها، وهي مفعول به، ولدى ظرف في محل نصب مفعول به ثانٍ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، يحتمل أن تكون ما نافية، أي: ليس جزاؤه إلا السجن، أو العذاب الأليم، وجزاء خبر، ومن مضاف إليه، وجملة أراد صلة، وبأهلك جار ومجرور متعلقان بأراد، وسوءاً مفعول به، وإلا أداة حصر، وإن وما في حيزها بدل من جزاء، أي: إلا السجن، ويجوز أن تكون ما نافية، وجزاء مبتدأ، وأن يسجن خبره، وأو حرف عطف، وعذاب عطف على المصدر المؤول، وأليم صفة، ومن يجوز فيها أن تكون موصولاً، أو نكرة موصوفة ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ قال فعل ماض، وفاعله هو، أي: يوسف مدافعاً عن نفسه معلناً براءته، وهي مبتدأ، وجملة راودتني خبر، وعن نفسي متعلقان براودتني ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ الواو عاطفة، وشهد شاهد فعل وفاعل، ومن أهلها صفة شاهد، وهو ابن عمها، وكان بصحبة زوجها ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشرط مقول قول محذوف، أي: فقال، وإن شرطية، وكان قميصه كان واسمها، وجملة قدّ، أي: شق بالبناء للمجهول خبر، ومن قبل متعلقان بقدّ، فصدقت الفاء رابطة، وصدقت فعل ماض، والجملة جواب الشرط، أي: فقد ظهر صدقها، وهو الواو حالية، وهو مبتدأ، ومن الكاذبين خبر، ولا بد من تقدير: قد؛ ليصح دخول الفاء الرابطة، وإلا فلو لم تقدر لم يصح دخول الفاء؛ لأنه فعل ماض متصرف ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ عطف على الجملة الأولى، وهي مماثلة لها في إعرابها ﴿فَلَمَّا رَأَى

فَمِصَّهُمْ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ﴿٢٥﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، ورأى قميصه فعل وفاعل مستتر ومفعول، وجملة قد من دبر حالية، قال: جواب لما، وإن واسمها وخبرها ﴿٢٦﴾ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ إن واسمها وخبرها ﴿٢٨﴾ يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴿٢٩﴾ يوسف منادى محذوف منه حرف النداء، وأعرض فعل أمر، وفاعله أنت، وعن هذا متعلقان بأعرض، واستغفري فعل أمر، والياء فاعله، ولذنبك متعلقان باستغفري ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣١﴾ إن واسمها، وجملة كنت خبرها، ومن الخاطئين خبر كنت، والجملة تعليل للاستغفار.

□ البلاغة:

لقائل أن يقول: إن الضمير وهو «هي» ليس غير مضمّر باتفاق، وليس هو للغائب، بل لمن بالحضرة، والجواب ما قاله السراج البلقيني في رسالته المسماة: «نشر العبير لطبي الضمير»: الضمير المفسر لضمير الغائب إما مصرح به، أو مستغنى بحضور مدلوله حساً أو علماً، فالحس نحو قوله: ﴿هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ و﴿يَتَأَبَّتْ أَسْتَعِجْرَةً﴾ كذا ذكر الشيخ ابن مالك، وتعقبه أبو حيان بأن قال ليس كما مثل به؛ لأن هذين الضميرين عائدان على ما قبلهما، فالضمير في قال عائد على يوسف، والضمير في هي عائد على قوله: ﴿يَاهْلِكَ سُوءًا﴾ ولما كنت عن نفسها بقولها: ﴿يَاهْلِكَ﴾ ولم تقل بي كنى هو عنها بضمير الغيبة بقوله: ﴿هِيَ رَوَدْتَنِي﴾ ولم يخاطبها بقوله أنت راودتني ولا أشار إليها، بقوله: هذه راودتني، وكل هذا على سبيل الأدب في الألفاظ والاستحياء في الخطاب، فأبرز الاسم في ضمير الغائب تأدباً مع الملك، وحياء منه، وعندي أن الذي قاله ابن مالك أرجح مما قاله أبو حيان، وذلك أن الاثنين إذا وقعت منهما خصومة عند حاكم، فيقول المدعي للحاكم: لي على هذا كذا، فيقول المدعى عليه: هو يعلم أنه لاحق له عليّ، فالضمير في هو إنما لحضور مدلوله حساً، وسيأتي مزيد من هذا البحث الممتع عند الكلام على قصة ابنة شعيب في سورة القصص.

* الفوائد:

لدى:

ليست لدى من لفظ لدن، وإن كانت من معناها؛ لأن لدى معتلة اللام، ولدن صحيح اللام، وقالوا فيها: لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون؛ كأنهم استثقلوا ضم الدال، فسكنوا تخفيفاً، كما قالوا في عضد: عضد، ولما سكنت الدال والنون ساكنة كسروا النون لالتقاء الساكنين، وقالوا: لدن - بضم الدال وسكون اللام وكسر النون - وقد حذفوا النون من لدن تخفيفاً، فقالوا: من لد الصلاة، ولد الحائط، وليس حذف النون لالتقاء الساكنين، واعلم أن حكم لدن أن يخفض ما بعدها بالإضافة كسائر الظروف؛ لأن نونها من أصل الكلمة بمنزلة الدال من عند، كما قال تعالى: ﴿مِّنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ غير أن من العرب من ينصب بها غدوة خاصة، قال: لدن غدوةً حتى ألاذ بخفها

بقية منقوص من الظل قالص

وقال ذو الرمة:

لدن غدوةً حتى إذا امتدت الضحى

وحتَّ القطين الشَّحْشَحَانُ المَكْلَفُ

يعني: الحادي والقطين، جمع قاطن، قال سيبويه في هذا الصدد: وقد نصبوا غدوة تشبيهاً بالميز في نحو: عندي راقود خلا وجبة صوفاً، والمفعول في نحو: هذا ضارب زيداً، وقاتل بكراً، وقال بعضهم: تنصب غدوة بعد لدن على أنها خبر لكان المقدرة مع اسمها، والتقدير: لدن كان الوقت غدوة، وجاز رفعها على أنها فاعل لفعل محذوف، والتقدير: لدن كانت غدوة، أي: وجدت فكان هنا تامة، والغالب في لدن أن تجر بمن، نحو: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمته نون الوقاية، نحو: «لدي» وهي تضاف إلى المفرد كما رأيت، وإلى الجملة نحو: انتظرتك من لدن طلعت الشمس إلى أن غربت.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكْذَبَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ اللفظة:

﴿ نِسْوَةٌ ﴾ : جماعة من النساء، وكن خمساً، والنسوة: اسم جمع لا واحد له من لفظه، بل من معناه، وهو: امرأة، وتأنيثها غير حقيقي، بل باعتبار الجماعة، ولذلك لم يلحق فعلها تاء التأنيث، والمشهور كسر نونها، ويجوز ضمها في لغة، وقد قرئ بها، وفي القاموس وشرحه ما يفهم منه أن النسوة والنسوة والنساء والنسوان والنسوان والنسوين: جموع للمرأة من غير لفظها، وقال الزمخشري: «النسوة اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي، ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث».

﴿ شَغَفَهَا ﴾ : دخل حبها شغاف قلبه، وفي المصباح: «شغف الهوى قلبه شغفًا من باب: نفع، والاسم الشَّغَف - بفتحين - بلغ شغافه بالفتح وهو غشاؤه، وشغفه المال: زين له فأحبه، فهو مشغوف به». والشغاف: حجاب القلب، وقيل: جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب، قال النابغة:

وَقَدْ حَالَ هَمُّ دُونِ ذَلِكَ وَالْجُ مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ

﴿ وَأَعْتَدَتْ ﴾ : هيأت وأحضرت، واعتده له: هيأه، وهو عتيد: مُعَدَّ حاضر، ومنه العتيدة: التي فيها الطيب والأدهان.

﴿مُتَّكًا﴾: ما يتكئن عليه من نمارق يستندون عليها على عادة المتكبرين في أكل الفواكه، حيث يتكىء آكلها على الوسائد، ويأكلها بالسكاكين، وقيل: سمي الطعام كالأترج والموز متكأ لحصول الاتكاء على الوسائد عند أكله، فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة، أو استعارة تصريحية.

﴿أَكْبَرْتُهُ﴾: أعظمته وهبنا حسنه الرائع وجماله الأخاذ القاتن، واستولى عليهن الدهش، وقيل: أكبرن بمعنى حضن، والهاء للسكت يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقتها: دخلت في الكبر؛ لأنها إذا حاضت تخرج من حدِّ الصغر إلى حدِّ الكبر، وكأن أبا الطيب رمق هذا التفسير، فقال متملحاً متغزلاً:

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقُعِ

فَإِنْ لُحِثَ حَاضَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَانِقُ

في إحدى روايات البيت التي نقلها أبو الفتح بن جني، ويقال: إن المرأة إذا اشتدت شهوتها سال دم حيضها، فمعنى البيت: استر جمالك عنهن، وإلا حضن، على أن الرواية التي اختارها أبو البقاء «ذابت».

﴿حَشَّ لِلَّهِ﴾: أي: حاشا، وسيأتي الحديث عنها في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الواو عاطفة؛ لتساوق مجريات القصة، وقال نسوة فعل وفاعل، وفي المدينة صفة لنسوة ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ امرأة العزيز مبتدأ، وجملة تراود خبر، وفتاها مفعول به، وعن نفسه جار ومجرور متعلقان بتراود، وقد حرف تحقيق وشغفها فعل وفاعل مستتر ومفعول به، وحبا تمييز محول عن الفاعل، وجملة قد شغفها حال من فاعل تراود، أو من مفعوله، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لا مرأة ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إن واسمها، واللام المزحلقة، وجملة نراها خبر إن، وفي ضلال متعلقان بنراها، ومبين صفة لضلال ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ

لَهُنَّ مُتَّكَأٌ وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴿٣٠﴾ الفاء عاطفة، ولما حينية، أو رابطة، وسمعت فعل وفاعل مستتر، وبمكرهن متعلقان بسمعت، وجملة أرسلت لا محل لها، وإليهن متعلقان بأرسلت، وأعتدت عطف على أرسلت، ولهن متعلقان بأعتدت، ومتكأ مفعول به، وآتت عطف أيضاً، وكل واحدة مفعول آتت الأول، ومنهن صفة لواحدة، وسكيناً مفعول آتت الثاني، والسكين تذكر وتؤنث، قاله الكسائي والفراء، وقال الجوهري: والغالب عليها التذكير. ﴿٣١﴾ وَقَالَتْ أَخْرِجْنِي عَنْ هَٰؤُلَاءِ عَاطِفَةً، وجملة اخرج مفعول القول، وعليهن متعلقان بمحذوف حال، أي: مطالاً عليهن مستعلياً بذلك الفاتن، وجمالك الآخذ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴿٣٣﴾ الفاء عاطفة، ولما ظرفية حينية، أو رابطة حرفية، ورأينه فعل وفاعل ومفعول به، وقطعن فعل وفاعل وأيديهن مفعول به، ولا نرى رأي القائلين بأن أكبرنه بمعنى حضن، والهاء للسكت إذ هو تظرف مصنوع لا يليق بالقرآن ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴿٣٥﴾ وقلن فعل وفاعل، وحاش اسم للتنزيه في محل نصب مفعول مطلق، والله متعلقان بمحذوف حال، وسيأتي مزيد بحث عن حاشا في باب الفوائد، وما نافية حجازية، وهذا اسمها وبشراً خبرها، وعبرة أبي حيان: «وقال الزمخشري: وقرئ ما هذا بشري، أي: حاصل بشري بمعنى هذا مشري، وتقول: هذا لك بشري، أي: بكراً، وقال: وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية، وبها ورد القرآن انتهى، وإنما قال القدمى لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء، فتقول ما زيد بقائم وعليه أكثر ما جاء في القرآن، وأما نصب الخبر، فمن لغة الحجاز القديمة، حتى أن النحويين لم يجدوا شاهداً على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر:

وأنا التذيرُ بحرة مسودة يصلُ الجيوش إليكم قوادها

أبناءؤها متكنفون أباهم حنقوا الصُّدور وما هم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغة، حافظ، ثقة: لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء قال الزمخشري: اللغة

القدمى الحجازية، فالقرآن جاء باللغتين القدمى وغيرها. ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ إن نافية، وهذا مبتدأ، وإلا أداة حصر، وملك خبر، وكريم صفة ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ فذلك الفاء الفصيحة، أي: إن شئتم معرفته فذلكن، واسم الإشارة مبتدأ، ولم تقل فهذا وهو حاضر، وسياق الكلام يتطلب ذلك رفعا لمنزلته في الحسن، والذي خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الذي، ولم يجعل الذي خبر لاسم الإشارة؛ لأن لام البعد التي اقترن بها اقتضت بعده عنه، لما تقدم من تعظيم رتبته في الحسن والجمال، وفيه متعلقان بلمتنني، أي: من حبه، أو مرادوته، وسيأتي تحقيق في المحذوف في باب البلاغة ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ الواو عاطفة، واللام جواب للقسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، وراودته فعل وفاعل ومفعول به، وعن نفسه متعلقان براودته، فاستعصم: الفاء عاطفة، واستعصم فعل ماض زيدت فيه السين للمبالغة في الامتناع ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لِيَسْجَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ اللام موطئة للقسم، وإن شرطية، ولم حرف نفي وقلب وجزم، ويفعل مضارع مجزوم، وهو فعل الشرط، وما مفعول به، وجملة أمره صلة، أي: الذي أمره به، ويصح كونها مصدرية، أي: أمري، والضمير في أمره عائد على الموصول، أي: ما أمر به، فحذف الجار كما حذف في أمرتك الخير، ومفعول أمر الأول محذوف، وكان التقدير: ما أمره به، وإن جعلت ما مصدرية جاز، فيعود الضمير على يوسف، أي: أمري إياه، ومعناه: موجب أمري، اللام واقعة في جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على القاعدة في اجتماعها، دلّ عليه جواب القسم المذكور، والتقدير: ليسجنن وليكونن، وفي يسجنن نون التوكيد الثقيلة، وفي يكونن نون التوكيد الخفيفة، واسم يكون مستتر تقديره: هو، ومن الصاغرين خبرها ﴿قَالَ رَبِّ آلَيْسَ جُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، وهو ما كان جواباً لمقدر، فقد قالت النسوة له بعد أن سمعن تقرير زليخا: ألا تطيع مولاتك؟ قال . . . الخ، ورب منادى محذوف منه حرف النداء، والسجن مبتدأ،

وأحب خبر، وإلى للتبيين، وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب، أو اسم تفضيل، ومما متعلقان بأحب، وجملة يدعونني صلة، وهو فعل مضارع مبني على سكون الواو والنون الأولى نون النسوة، والثانية نون الوقاية، فالواو ليست ضميراً، بل هي لام الكلمة، وليس هو من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون وتنصب وتجر بحذفها، وأضاف العمل إليهن؛ لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن، وقيل: لأنهن لما قلن له: ألا تطيع مولاتك؟ صحَّ إضافة الدعاء إليهن جميعاً، وإليه متعلقان بيدعونني ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الواو عاطفة، وإن شرطية، ولا نافية، وتصرف فعل الشرط، والفاعل مستتر، تقديره: أنت، وعني متعلقان بتصرف، وكيدهن مفعول به، وأصعب جواب الشرط، والفاعل مستتر، وتقديره: أنا، وإليهن جار ومجرور متعلقان بأصعب، وأكن عطف على أصعب، واسم أكن مستتر تقديره: أنا، ومن الجاهلين خبر أكن.

□ البلاغة:

(١) في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فتأن متداخلاً، الأول ظاهر، وهو التشبيه البليغ، فقد شبهن يوسف بالملك من دون ذكر الأداة، وهذا واضح كما قلنا، يجري على غرار التشبيهات المألوفة، المقصود منه إثبات الحسن؛ لأنه تعالى ركب في الطبائع أن لا شيء أحسن من الملك، وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم من الملائكة، كما ركب في الطبائع أن لا شيء أقبح من الشيطان، وكذلك قوله في صفة جهنم: ﴿طَائِعُهَا كَأَنَّهُمْ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ فكذلك قد تقرر أن لا شيء أحسن من الملك، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك. ولكن الأسلوب القرآني شاء أن يتجاوز المألوف من تشبيهات العرب، لكل ما راعهم حسنه من البشر بالجن، فأدخل فيه فناً آخر لا يبدو للناظر للوهلة الأولى، وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلاً منه، ليخرج كلامه مخرج المدح، أو ليدل - كما هنا - على شدة الوله في الحب، وقد يقصد به الذم، أو التعجب، أو

التوبيخ، أو التقرير، ويسمى هذا الفن تجاهل العارف، وهو على قسمين: موجب ومنفي.

أ - الموجب:

وهو ما يكون فيه الاستفهام عن شيئين: أحدهما: واقع، والآخر: غير واقع، وللمتكلم أن ينطق بأحدهما، ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَبَشْرًا مِّثَّا وَحِدًا نَّتَّبَعُهُ﴾ وهذا خارج مخرج التعجب، وسيأتي بحثه عند الكلام على هذه الآية في سورة «القمر». وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ أَتَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ وهذا خارج مخرج التوبيخ، وقد مر ذكره في سورة هود، وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِثَالِهَتِنَا يَا بُرْهَيْمُ﴾ وهذا خارج مخرج التقرير، وجميعه موجب كما رأيت.

ب - المنفي:

وأما الآية التي نحن بصدددها، فهي من القسم المنفي، فقد تجاوز التشبيه كما قلنا تشبيه العرب كل من راعهم حسنه من البشر بالجن إلى تشبيه يوسف حين كان حسنه بادي الروعة، متجاوزاً في اتئلاقه ووسامته المألوف المعهود من روائع الحسن، وله مع روعته البادية نور ورأوة، وطلاقة وتهلل، وعليه مسحة من سكينته، وإيماءة بالخير، واستهواء، لما فيه راحة النفس ولذتها، فكان كذلك تشبيهه بالملك الكريم.

التشبيه المصنوع عن الابتذال:

وما دام الكلام انجز معنا إلى هذه النواحي التي تدق فيها الصنعة، وتعزب أسرارها إلا عن الملهمين؛ الذين تذوقوا أسرار القوم، فلا ندحة لنا عن الإشارة إلى أن هذا الفن إنما يلجأ إليه في التشبيه بنوع خاص، للخروج من التقليد، والارتفاع بالتشبيه إلى أبعد الآفاق، وصيانتة من الابتذال، فلم تعرض الآية تشبيه يوسف بالملك بهذا الأسلوب المسبوق بالنفي المتوجب

للغربة ، لم يكن للتشبيه ذلك الوقع الحسن . ومن ذلك قول شاعر الخلود المتنبي :

لَمْ تَلَقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ

فقد أراد تشبيه الوجه بالشمس ، ولكن هذا التشبيه شائع ، يكاد لشيوعه يسف إلى حضيض الابتذال ، فأراد صيانتَه بأن قدم له النفي متجاهلاً ، فقال : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ، ولكنها لو قاحتها تطلع عليك .

تجاهل العارف في الشعر :

هذا ؛ ولتجاهل العارف وقع في النفوس كأخذه السحر ، ونشوة الخمر ، ولهذا قال السكاكي - رحمه الله - : « لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده كثيراً في كلام الله تعالى » ثم أطلق عليه تسمية أخرى ، وهي : « سوق المعلوم مساق غيره لنكتة » وقد طفحت أشعارنا به ، ولم تقتصر على المديح أو الغزل ، كما قلنا ، بل تجاوزتهما إلى أية مبالغة في أي موضوع من الموضوعات ؛ التي تعن للخواطر ، فاستمع إلى قول زهير ابن أبي سُلمى تر العجب العجائب ، قال يهجو حصن بن حذيفة الفزاري :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فانظر كيف خطر بباله أن ينفي الداراة بحال الآل ، ثم قبل أن يكمل ذلك خطر بباله الجزم بأنه سوف يدري ، ثم قبل أن يكمل ذلك قال : إن حصول الداراة في المستقبل على سبيل التخيل والظن ، فحكى حال النفس عند تردددها في شأنه .

ويطربني قول أبي العباس النامي :

أحَقَّ أَنْ قَاتَلْتَنِي زُرُودَ وَأَنْ عُهُودَهَا تَلِكَ الْعُهُودَ
وَقَفْتُ وَقَدْ فَقدْتُ الصَّبْرَ حَتَّى تَبَيَّنَ مَوْقِفِي أَنِّي الْفَقِيدَ
وَشَكَكَ فِي عُدَّالِي فَقَالُوا لِرَسْمِ الدَّارِ أَيُّكُمَا الْعَمِيدُ؟

وصيحة ابن الرومي صيحة الوهل حين يرى الوجنة الحمراء إلى جانب
الصدغ الأدعج:

يا وجنتيه اللتين من بهج في صدغيه اللذين من دعج
ما حمرة فيكما؟ أمِنْ خجل أم صبغة الله؟ أم دم المهج؟
وقد أطرفت ليلي بنت طريف الخارجية في رثاء أخيها:
أيا شَجَرَ الخابورِ مالِك مُورِقاً كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابنِ طريف
وأراد مهيار أن يشبه المحبوبة بالطيبي وبالبدري وبغصن البان، فتجاوز
المألوف المعتاد، وسما إلى سماء ما طاولتها سماء؛ إذ قال:
سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها
وإن كان مصقول الترائب أكحلا
أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى
وعلمت غصن البان أن يتميلا

ونختم هذا الباب المستطاب بقول البهاء زهير:

رعى الله ليلةً وصلّ خلتُ وما خالط الصفو فيها الكدر
أتت بغتةً ومضت سرعةً وما قصرت بعد ذاك القصر
بغير احتيالٍ ولا كلفةٍ ولا موعِدٍ بيننا ينتظر
فقلتُ وقد كاد عقلي يطيرُ سروراً بنيل المنى والوطر
أيا قلبُ تعرف من قد أتاك؟ ويا عينِ تدرين من قد حضر؟
ويا قمرَ الأفقِ عُدْ راجعاً فقد حلَّ في الدار عندي القمر
ويا ليلتي هكذا هكذا وبالله بالله قف يا سحر
فكانتُ كما أشتهي ليلةً وطاب الحديث وطاب السهر
خَلَوْنَا وما بيننا ثالثُ فأصبح عند النسيم الخبر

ويقول الشريف الرضي، وهو غاية الغايات:

بين الأظاعن حاجةً خلفتها أودعْتُها يوم الفراقِ مودعي
وأظنُّها لا بَلْ يقيني أنَّها قلبي لأنِّي لم أجِدْ قلبي معي

(٢) الحذف :

وقي قوله : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ والتقدير : في حبه ؛ لأن الذوات لا يتعلق بها لوم ، ودليل تقديره : في حبه قوله : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ في مرادوته ، ولعلها أولى بدليل قوله : ﴿ تَرَوْدُ فَتَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وإنما قلنا أولى ؛ لأنه فعلها ، بخلاف الحب فإنه أمر قهري ، لا يُلام عليه إلا من حيث تعاطي أسبابه ، أما المرادة فهي حاصلة باكتسابها ، فهي قادرة على دفعها فيتأتى اللوم عليها بخلاف الحب ، فإنه ليس فعلاً لها ولا تقدر على دفعه ؛ لأن الحب المفرط قد يقهر صاحبه ، ولا يطيق أن يدفعه ، وحينئذ فلا يُلام عليه ، وعلى كل حال فهو من أسبابه .

(٣) وفي قوله : ﴿ مُتَّكَأً ﴾ تصوير لنوع من الطعام الذي إنما يقدم تفكهاً ، وتبسطاً ، وتجميلاً للمجلس ، وتوفيراً لأسباب المتعة فيه ، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والالتكاء ، والكلمة بعد هذا من الألفاظ الكثيرة ؛ التي أبدع القرآن صياغتها ، فتعلق بها العرب فيما بعد ، ولولا ذلك لما اهتموا إليها ، ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون . انظر حينما يصف القرآن دعوة امرأة العزيز للنسوة اللائي تحدثن منتقدات عن مرادتها ليوسف عن نفسه ، إلى جلسة لطيفة رائعة في بيتها ؛ لتطلعهن فيها على يوسف وجماله ، فيعذرنها فيما أقدمت عليه ، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاماً ولا شك ، ولقد أوضح القرآن هذا ، ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام ، فهذه الكلمة إنما تصور شهوة الجوع ، وتنقل بالفكر إلى «المطبخ» بكل ما فيه من ألوان الطعام ، وروائح ، وأسبابه .

* الفوائد :

(١) (حاشا) تكون على ثلاثة أوجه :

١ - فعلاً متعدياً متصرفاً ، تقول : حاشيته بمعنى استثنيتها ، وإن سبقتها ما تكون نافية .

٢ - تنزيهية، نحو: حاش لله، فتكون اسماً مرادفاً للتنزيه منصوباً على المفعولية المطلقة، وقيل: هي فعل، وثبت الألف، وتحذف.

٣ - أن تكون للاستثناء، فتكون حرفاً بمنزلة إلا، لكنها تجر المستثنى، وهناك تفاصيل أخرى يرجع إليها في المطولات.

(٢) المخالفة في نوني التوكيد:

جمهور يرى أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة أصلاً لتخالفهما في بعض أحكامهما، كإبدال الخفيفة ألفاً في نحو: ﴿وَلْيَكُونَا﴾ وحذفها في نحو قوله: لا تهين الفقير علـك أن تركع يوماً والدَّهر قد رَفَعه

وكلاهما ممتنع في الثقيلة، هذا ما قاله سيبويه، وعورض بأن الفرع قد يختص لما ليس للأصل أحياناً، وقد قال سيبويه نفسه في أن المفتوحة أنها فرع المكسورة، ولها إذا خففت أحكام تخصُّصها، وأما الكوفيون فيرون أن الخفيفة فرع الثقيلة.

وذكر الخليل بن أحمد: أن التوكيد بالثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة، يدل به: ﴿لَيْسَ جَنَّ وَلْيَكُونَا﴾ فإن امرأة العزيز كانت أشد حرصاً على سجنه من كينونته صاعراً.

٣ - لا يخلو اسم التفضيل المجرد من أل والإضافة غالباً من مشاركة المفضل عليه في المعنى لفظاً، أو تقديرًا، والمراد بقولنا تقديرًا: مشاركته بوجه ما، كقولهم في البغيضين: هذا أحب إلي من هذا، وفي الشرين هذا خير من هذا؛ وفي التنزيل: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا﴾ وتأويل ذلك هذا أقل بغضاً وأقل شراً، ومن غير الغالب: العسل أحلى من الخل، والصيف أحر من الشتاء.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٣٤ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُؤْثُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ

أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَخَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًا بَتَّاءُ وَيْلَهُ إِنََّّا نُرِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا
طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي
تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ
ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصِيحِي
السَّجْنُ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ
إِلَّا أَسمَاءٌ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمُ
إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْصِيحِي السَّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ
فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴿

☆ اللفظة:

﴿ كَيَّدَهُنَّ ﴾: الكيد: يطلق على معان شتى، منها: المكر، والخبث،
كالمكيده والحيلة، وهو المراد هنا، ويطلق على الحرب، وإخراج الزند النار،
والقيء، واجتهاد الغراب في صياحه، وكاد: قاء، وب نفسه جاد، والمرأة
حاضت، وكاد يفعل كذا: قارب، وهم.

○ الإعراب:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيَّدَهُنَّ ﴾ الفاء عاطفة، واستجاب فعل
ماض، وله متعلقان به، وربّه فاعل، فصرف عطف على فاستجاب، وعنه
متعلقان بصرف، وكيدهن مفعول به ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ إن واسمها،
وهو ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والسميع العليم خبران لإن، أو لهو،
والجملة خبر إن ﴿ ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَنَّهُ حَتَّى جِئَ ﴾ ثم حرف

عطف، وبدا فعل ماضٍ، وفاعله مضمَرٌ يفسره ليسجننه، أي: بدا لهم أن يسجنوه. قال سيبويه: «وفاعل بدا لهم هو ليسجننه، أي: ظهر لهم أن يسجنوه» وقال المبرد: هذا غلط؛ لأن الفاعل لا يكون جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه بدا، وهو المصدر، قال الشاعر:

وَحَقٌّ لِمَنْ أَبُو مُوسَى أَبُوهُ يُوَفِّقُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجِبَالَ

أي: وحق الحق، فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه، وعلى مذهب سيبويه فاعل حق هو يوفقه، أي: حق التوفيق، ولهم متعلقان ببدا، ومن بعد حال، وما مصدرية، وهي مع ما في حيزها مضافة لبعده، ورأوا فعل وفاعل والآيات مفعول به، ليسجننه اللام جواب قسم محذوف على تقدير القول المنصوب على الحال، أي: ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات قائلين: والله لنسجننه، فجملة القسم، وما بعده مقول القول، ويسجننه فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة، ولكنها لم تباشر الفعل فأعرب، والهاء مفعول به، منصوب، وحتى حرف جر، وحين مجرور بحتى، والجار والمجرور متعلقان بيسجننه، أي: إلى أن ينقطع كلام الناس، وتسكن الإشاعات والأراجيف ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ﴾ الواو عاطفة على محذوف، ودخل فعل ماضٍ، ومعه ظرف مكان متعلق بدخل، والسجن مفعول به على السعة، وفتيان فاعل، أي: غلامان للملك: أحدهما: ساقيه، والآخر: صاحب طعامه، وكانا قد اتهما بأنهما حاولا أن يسما الملك، فأمر بهما إلى السجن، فأدخلا السجن ساعة دخول يوسف ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قال فعل، وأحدهما فاعل، والجملة استئناف بياني، وقد تقدم، وإن واسمها، وجملة أراني خبرها، والياء مفعول أراني الأول، وجملة أعصر خمرًا في محل المفعول الثاني، وعبارة أبي حيان: «ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعنى، فأراني فيه ضمير الفاعل المستكن، وقد تعدى الفعل إلى الضمير المتصل، وهو رافع للضمير

المتصل، وكلاهما لمدلول واحد، ولا يجوز أن تقول: ضربي ولا أكرمني». ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ وقال الآخر فعل وفاعل، وإن واسمها، وجملة أراني خبرها، وجملة أحمل مفعول أراني الثاني، وفوق رأسي ظرف متعلق بأحمل، أو بمحذوف حال من خبزاً؛ لأنه كان في الأصل صفة له، فلما تقدم أعرب حالاً، وخبزاً مفعول به، وجملة تأكل الطير منه صفة لخبزاً ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فعل أمر، ونا مفعوله، والفاعل مستتر تقديره: أنت، وتأويله متعلقان بنبئنا، وإن واسمها، وجملة نراك خبرها، ومن المحسنين متعلقان بنراك ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ لا نافية، ويأتيكما طعام فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وجملة ترزقانه صفة لطعام، وإلا أداة حصر، ونبأتكما فعل وفاعل ومفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، وقيل ظرف متعلق بنبأتكما، وإن وما في حيزها مضافة لظرف، وجملة إلا نبأتكما نعت لطعام، أو حال منه؛ لأنه وصف ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ اسم الإشارة مبتدأ، ومما خبر، وجملة علمني صلة، وعلمني ربي فعل ومفعول به وفاعل ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ إن واسمها، وجملة تركت خبرها، وملة قوم مفعول به، وجملة لا يؤمنون صفة لقوم، وبالله متعلق بيؤمنون، وهم مبتدأ، وبالأخرة متعلقان بكافرون، وهم تأكيد لهم، وكافرون خبرهم، وجملة إني تركت ابتدائية، أو تعليلية، وفي كلا الحالين لا محل لها من الإعراب ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ واتبعت عطف على تركت، والتاء فاعله، وملة آبائي مفعول به، وإبراهيم بدل من آبائي، وإسحق ويعقوب عطف على إبراهيم ﴿مَا كُنَّا لَأَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما نافية، وكان فعل ماض ناقص، ولنا خبرها المقدم، وإن وما في حيزها اسمها المقدم، وبالله متعلقان بشرك، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ ذلك مبتدأ، ومن فضل الله خبر، وعلينا متعلقان بفضل، وعلى الناس معطوف على علينا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الواو عاطفة،

ولكن واسمها، وجملة لا يشكرون خبرها ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يا حرف نداء، وصاحبي السجن منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء، والسجن مضاف إليه، ويجوز أن تكون هذه الإضافة من باب: الإضافة للظرف؛ إذ الأصل يا صاحبي في السجن، ويجوز أن تكون من باب: الإضافة إلى الشبيه بالمفعول به، والمعنى: يا ساكني السجن، وسيأتي مزيد بحث عن معنى الإضافة في باب الفوائد، أرباب: الهمزة للاستفهام التقريري، وأرباب مبتدأ، ومتفرقون صفة، وخبر خبر، وأم حرف عطف، وهي هنا متصلة، والله عطف على أرباب، والواحد صفة، القهار صفة ثانية ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ ما نافية، وتعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، ومن دونه حال، وإلا أداة حصر، وأسماء مفعول به، وجملة سميتموها صفة، والتاء فاعل، وأنتم تأكيد للتاء، وآباؤكم عطف على التاء، قال صاحب الخلاصة:

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرٍ رَفَعَ مُتَّصِلٌ عَطَفْتُ فَأَفْصِلُ بِالضَّمِيرِ الْمُتَفَصِّلِ

﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ما نافية، وأنزل الله فعل وفاعل، وبها متعلقان بأنزل، ومن حرف جر زائد، وسلطان مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً، والجملة نعت أو حال؛ لأن أسماء وصفت ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إن نافية، والحكم مبتدأ، وإلا أداة حصر، والله خبر الحكم، وجملة أمر مستأنفة، أو حالية، والأول أضبط، وأن مصدرية، ولا نافية، وتعبدوا فعل مضارع منصوب بأن، وأن وما بعدها منصوب بنزع الخافض، وهو متعلق بأمر، أي: أمركم بأن لا تعبدوا، ويجوز أن تكون مفسرة، ولا ناهية، وتعبدوا مجزوم بلا، وإلا أداة حصر، وإياه مفعول تعبدوا ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك مبتدأ، والدين خبر، والقيم صفة ولكن الواو استئنافية، أو حالية، ولكن واسمها، وجملة لا يعلمون خبرها ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ يا صاحبي

السجن تقدم إعرابها، وأما حرف شرط وتفصيل، وأحدكما مبتدأ، والفاء رابطة، وجملة يسقي خبر أحدكما، وربّه مفعول به أول، وخمراً مفعول به ثان، وإنما أبهم الساقى لكونه مفهوماً، أو لكرهه التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ وأما الآخر عطف على أما الأولى، والآخر مبتدأ، والفاء رابطة، وجملة يصلب خبر، فتأكل الطير: الفاء عاطفة، وتأكل عطف على يصلب، والطير فاعل تأكل، ومن رأسه متعلقان بتأكل ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ قضى الأمر فعل ماض مبني للمجهول، والأمر نائب فاعل، والذي صفة للأمر، وفيه متعلقان بتستفتيان.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيكَ خَمْرًا﴾ مجاز مرسل، علاقته ما يكون وما يؤول إليه، فقد سمى العنب خمرًا؛ لأنه يؤول إلى الخمر، ويقال: فلان يطبخ الآجر، أي: يطبخ اللبن حتى يصير آجرًا، وقيل: الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد وعمان، وعن المعتمر: لقيت أعرابياً حاملاً عنباً في وعاء، فقلت: ما تحمل؟ فقال: خمرًا، وعلى هذا يكون الكلام حقيقياً لا مجازياً، والأول أرجح.

* الفوائد:

معنى الإضافة:

تكون الإضافة على معنى اللام بأكثرية؛ لأنها الأصل، وعلى معنى من بكثرة، ومن ذلك: إضافة العدد إلى المعدودات، والمقادير إلى المقدورات، كثلاثة الأثواب، ومئة درهم، ومن ذلك إضافة عدد إلى آخر نحو: ثلاثمئة، وعلى معنى «في» بقلّة، وضابط الإضافة التي تكون بمعنى في أن يكون الثاني ظرفاً للأول، وهو المضاف، سواء أكان زماناً أم مكاناً، فالزمان نحو: ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ و﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُطٍ﴾ والمكان نحو: ﴿يَصْدِحِي السِّجْنِ﴾

فالليل ظرف للمكر، والسجن ظرف للصاحبين، والتقدير: مكر في الليل، وصاحبين في السجن. وضابط الإضافة التي تكون بمعنى من أن يكون الأول، وهو المضاف بعض الثاني، وهو المضاف إليه، كخاتم فضة. ألا ترى أن الخاتم بعض جنس الفضة المضاف إليها؟! وأن يصح الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، فإنه يقال: هذا الخاتم فضة. هذا؛ وذهب الجمهور إلى أن الإضافة قسمان فقط: بمعنى اللام، وبمعنى من، ولا ثالث لهما، وما أوهم معنى «في» فهو على معنى اللام مجازاً، وجعل الليل مكرراً والسجن صاحباً؛ لوقوع المكر والصحة فيهما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْثَ فِي السَّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيَهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا بَعِيرُونَ ٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ ٤٧﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ ٤٩﴾ ﴿

☆ اللغة:

﴿يَضَعُ سِنِينَ﴾: البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين، قال أحد علماء اللغة: والبضع - بالكسر والفتح -: ما بين واحد إلى خمسة، في قول أبي عبيدة، وقال غيره: ما بين واحد إلى

عشرة. والبَضْع - بالفتح -: الشق، والبُضْع - بالضم -: النكاح. قال بعضهم:

شَقَّ وري وجماع بَضْعُ ما بين واحد وعشر بَضْعُ

وفي الأساس: «وعندي بضعة عشر من الرجال، وبضع عشرة من النساء، الذكور بالتاء والإناث بطرحها، على سنن حكم العدد. وأقمت عنده بضع سنين، وهو ما بين الثلاث إلى العشر» وفي القاموس والتاج: «البضع والبَضْع: الطائفة من الليل، وما بين الثلاث إلى التسع، يقال: بضع سنين، وبضع عشرة من النساء، وبضع وعشرون امرأة، ومع المذكر بضعة عشر من الرجال، وبضعة وعشرون رجلاً، ويجب تقديم بضع، فلا يقال: عشرون وبضع» وقال الحريري في «درة الغواص»: «البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر، وأسند ذلك إلى النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغُلُوبٌ﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ» وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب، والمشركون يميلون إلى أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سر المسلمون. ثم إن أبا بكر - رضي الله عنه - أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم، فقال أمية بن خلف: خاطرنى على ذلك، فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين، ثم أتى النبي ﷺ، فسأله عن البضع، فقال: ما بين الثلاثة إلى العشرة، فأخبره بخطاره مع ابن خلف، فقال له: «ما حملك على تقريب المدة؟» قال: الثقة بالله ورسوله فقال له: «عد إليهم، فزدهم في الخطر، وازدد في الأجل» فزادهم قلوصين، وزادوه سنتين، فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر - رضي الله عنه -.

﴿سِمَانٍ﴾: جمع سمينه، ويجمع سمين أيضاً عليه، يقال: رجال سمان، كما يقال: نساء سمان، والسمن مصدر سمن يسمن، فهو سمين، فالمصدر والاسم جاء على غير قياس إذ قياسهما سمناً - بالفتح - فهو سمن، نحو: فرح فرحاً فهو فرح. وفي المصباح: «سمن يسمن، من باب: تعب، وفي لغة

من باب: قَرُبَ؛ إذا كثر لحمه وشحمه، ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف «ومن المجاز: كلام غثّ وسمين، وقد أَسْمَنُ القدر، ودار سمينه: كثيرة الأهل، وسمّنوا الفلان: أعطوه عطاء كثيراً، وسمّنت في الحمد: أعطيت فيه الكثير، قال ابن مقبل:

تركتُ الخَنَّا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ وسمّنتُ في الحمدِ حتّى سَمِنَ

وسُمع أعرابي يقول لآخر: جعلتُ لك الدار بغير ثمن؛ ليكون أَسْمَن لحظي عندك، وانقلب بلدهم سمنة وعسلة؛ إذا كثرتا فيه، وفي مثل: «سمنكم هريق في أديمكم» أي: مالكم ينفق عليكم.

﴿عِجَافٌ﴾: جمع عجفاء على غير قياس، والعجف: الهزال الذي ليس بعده، والسبب في وقوع عجاف جمعاً لعجفاء، وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان؛ لأنه تقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والتقيض على التقيض، والقياس عجف، نحو: حمراء وحمراء وحمر.

﴿رُءْيَى﴾: فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية، فقالوا: الرؤيا مصدر رأى الحُلُمِيَّة، والرؤية مصدر رأى العينية، وغلطوا أبا الطيب في قوله:

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَمْ يَمْضِ

وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغَمَضِ

وقال أبو البقاء في شرحه لديوان المتنبي: «والرؤيا تستعمل في المنام خاصة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ و﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ و﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ و﴿قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا﴾ وهذا كله في المنام، ولو قال «لقيامك» لكان أحسن إلا أنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ﴾ فإنه لم يرد بها رؤيا المنام، وإنما أريد اليقظة، وكان ذلك ليلاً في ليلة الإسراء.

وقال أبو الفتح بن جني: «الرؤيا في المنام، وأما في العين فلا أعرفها، وإن جاءت فهي شاذة».

وقال ابن هشام في «أوضح المسالك»: «ولا تختص الرؤيا بمصدر الحُلُمِيَّة، بل قد تقع مصدراً للبصرية، خلافاً للحريري وابن مالك بدليل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: هي رؤيا عين، ولكن المشهور استعمالها في الحُلُمِيَّة».

واقصر صاحب «القاموس» على أن الرؤيا في الحلم قال: «والرؤيا: ما رأيته في منامك» وجمعه: رؤى، كهدى.

﴿تَقَبَّرُوتَ﴾: من باب نصر ينصر، ويستعمل أيضاً بالتشديد، كعلم تعليمًا، وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها، وآخر أمرها كما تقول: عبرت النهر؛ إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه، وهو عبره، أو نحوه. أولت الرؤيا: إذا ذكرت مآلها، وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأتبات، ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد، والتعبير، والمعبر، وقد عثر على بيت أشده المبرد في كتاب «الكامل» لبعض الأعراب:

رأيت رؤيا ثم عَبَّرْتَهَا وكنت لأحلام عَبَّارَا

وفي «القاموس»: العبَّار مبالغة العابر ومفسر الأحلام، وجمل عبَّار قوي على السير، وشاع العبر اليوم بالفتح والكسر، وهو من الوادي شاطئه وناحيته، أما العُبر - بالضم - فهو الكثير من كل شيء، والعبارة - بالكسر - مصدر، والاسم من عبَّرَ، والألفاظ الدالة على معنى، ويقال: فلان حسن العبارة، أي: البيان، وهذا عبارة عن كذا، أي: بمعناه، ومساوٍ له في الدلالة.

﴿أَضْغَتْ أَحْلُمٌ﴾ تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس، أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحُزم، الواحد ضغث، فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من، أي:

أضغاث من أحلام وفي المثل «ضغث على إبالة» الإِبالة - بكسر الهمزة وتشديد الباء -: الحزمة من الحشيش والخطب . والضغث : قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس ، ومعنى المثل : بلية على أخرى ، ويضرب أيضاً مثلاً للرجل يُحمِّل صاحبه المكروه ، ثم يريد منه .

﴿وَأَذْكُرْ﴾ : - بالدال - وهو الفصيح ، ويجوز : وأذكر - بالذال المعجمة : وأصلها : اذكر ، افتعل ، من الذكر ، فوقعت تاء الافتعال بعد الدال ، فأبدلت دالاً ، فاجتمع متقاربان ، فأبدل الأول من جنس الثاني ، وأدغم .

﴿أُمَّةٌ﴾ : - بضم الهمزة ، وتشديد الميم ، وتاء منونة - وهي المدة الطويلة . والأمة : معروفة ، والإِمة بكسر الهمزة : النعمة ، وقرىء بها أيضاً ، قال عدي :

ثم بعد الفلاح والملك والإِمة - وارتهمُ هناك القُبُور

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وقال عطف على ما قبله ، وفاعله يوسف ، وللذي متعلقان به ، وجملة ظن صلة ، وفاعل ظن يوسف أيضاً ، وأن وما في حيزها سدّت مسد مفعولي ظن ، وأن واسمها ، وناج خبرها ، ومنهما حال ، أي : حال كون الناجي من جملة الاثنين ، وهو الساقى ، وجملة اذكرني مقول القول ، وعند ربك ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ فأنساه الشيطان : الفاء عاطفة ، وأنساه فعل ومفعول به ، والضمير يعود إلى الساقى والشيطان فاعل ، والمعنى : فأنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند الملك ، وقيل : فأنسى يوسف ذكر ربه حين وكل أمره إلى غيره . ذهب كثير من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين ، وهو الشرايى ، وقد رجح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء ، وأجيب بأن النسيان وقع من يوسف ، ونسبته إلى الشيطان على طريق المجاز ، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه . وقد صح عن

رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني» ورجَّح أيضاً بأن النسيان ليس بذنب، فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف، لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين، وأجيب بأن النسيان هو: الترك، وأنه عوقب بسبب استعانته بغير الله سبحانه، ويؤيد رجوع الضمير إلى يوسف ما بعده من قوله: فلبث في السجن بضع سنين، ويؤيد رجوعه إلى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي: وقال الذي نجا منهما، وادكر بعد أمة. وذكر مفعول به ثان، فلبث: الفاء عاطفة، ولبث فعل وفاعل مستتر، وفي السجن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، وبضع سنين نصب على الظرفية متعلق بلبث ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ إن واسمها، وجملة أرى خبرها، وسبع بقرات مفعول به، وسمان صفة لبقرات، وسيأتي في باب الفوائد لماذا وصفت البقرات دون سبع، ويأكلهن سبع فعل مضارع ومفعول به وفاعل، وعجاف صفة لسبع، وجملة يأكلهن في محل نصب مفعول ثان لأرى، وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة ﴿وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٌ وَأَخْرَ يَاسْتٍ﴾ وسبع عطف على سبع الأولى، وسنبلات مضاف إليه، وخضر صفة لسنبلات، وآخر عطف على سبع، وسيأتي القول في منعها من الصرف في باب الفوائد ويابسات صفة لآخر ﴿يَتَأَيَّهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أفْتُونِي فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، والياء مفعول به، وفي رؤياي متعلقان بأفْتُونِي، وإن شرطية، وكنتم: كان واسمها، وهي في محل جزم فعل الشرط، وجملة تعبرون خبر كنتم، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، أي: فأفْتُونِي في رؤياي، وقوله للرؤيا الجار والمجرور فيه أوجه: أحدها: أن اللام للبيان كقوله: ﴿وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فهي ومجرورها في محل نصب حال، وإما أن تكون للتقوية؛ لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه، مثله إذا تأخر عنه فعضدها، كما يعضدها اسم الفاعل إذا قلت: عابر للرؤيا؛ لانحطاطه عن الفعل في القوة، فهي في حكم المزيادة، فلا تعلق بشيء، وإنما زيدت لمجرد التقوية، ويجوز أن

تكون خبر كنتم، كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مضطرباً به، متمكناً منه، وعندئذ تكون جملة تعبرون خبراً ثانياً لكنتم. قال المبرد في «الكامل»: وهذه اللام تزداد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة، تقول: هذا ضارب زيداً، وهذا ضارب لزيد؛ لأنها لا تغير معنى الإضافة إذا قلت هذا ضارب زيد وضارب له، وفي القرآن: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وكذلك: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرِّئَاءِ يَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ قالوا فعل وفاعل، وأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه أضغاث أحلام، وتحالط أوهام، والجملة مقول القول، سيأتي سر جمعها في باب البلاغة. وما الواو عاطفة، وما نافية حجازية، ونحن اسمها، وتأويل متعلقان بعالمين، والباء حرف جر زائد، وعالمين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ الواو عاطفة، وقال الذي فعل وفاعل، وجملة نجا صلة، ومنهما حال، وادكر عطف على نجا، وبعد أمة متعلقان بادكر، ويجوز أن تكون الواو حالية، وجملة نجا حالية من الموصول، أو من عائده، أي: فاعل نجا ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونْ﴾ أنا مبتدأ، وجملة أنبئكم خبر، والكاف مفعوله، وتأويله متعلقان بأنبئكم، فأرسلون الفاء الفصيحة، وأرسلوني فعل أمر وفاعل ومفعول به، أي: إن شئتم تعبير الرؤيا فأرسلوني ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ لا بد من تقدير محذوف، أي: فأرسلوه، فأتى يوسف في السجن، فقال، ويوسف منادى محذوف منه حرف النداء، وأبها منصوب محلاً على الاختصاص؛ لأنه مبني على الضم، والصديق بدل منه، أو عطف بيان له تابع له على اللفظ، وسيأتي بحث الاختصاص في باب الفوائد، وأفتنا فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ونا مفعول به، وفي سبع جار ومجرور متعلقان بأفتنا، وبقرات مضاف إليه، وجملة يأكلهن سبع عجاف صفة لبقرات، وما بعده عطف عليه ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لعل واسمها، وجملة أرجع خبرها، وإلى الناس متعلقان بأرجع، ولعلمهم يعلمون مثلها ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾

جملة تزرعون مقول القول، وسبع سنين ظرف متعلق بتزرعون، ودأباً حال من المأمورين، أي: دائبين، أو مصدر لفعل محذوف، أي: تدأبون دأباً ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ الفاء عاطفة، وما: يجوز أن تكون شرطية، أو موصولة، وهي في محل نصب مفعول مقدم لحصدتم على الخالين، وحصدتم فعل وفاعل، فذروه: الفاء واقعة في جواب الشرط، أو الموصول لما فيه من رائحة الشرط، وذروه فعل وفاعل ومفعول به، وفي سنبله متعلقان بذروه، وإلا أداة استثناء، وقليلًا مستثنى واجب النصب، ومما صفة لقليلًا، وجملة تأكلون صلة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ ثم حرف عطف وتراخ، يأتي فعل مضارع، ومن بعد ذلك حال، وسبع فاعل يأتي، وشداد صفة لسبع ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ جملة يأكلن صفة ثانية لسبع، والنون فاعل، وما مفعول به، وجملة قدتم صلة ما، ولهن متعلقان بقدتم، وإلا أداة استثناء، وقليلًا مستثنى، ومما صفة لقليلًا، وجملة تحصنون صلة ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ عطف أيضاً، وجملة فيه يغاث الناس صفة لعام، ويعصرون عطف على يغاث، أي: يعصرون الأعناب وغيرها.

□ البلاغة:

(١) المبالغة:

فقد جمعوا لفظ الضغث، فقالوا: أضغاث أحلام، وجعلوه خبراً للرؤيا مع أنها واحدة للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان، أو لانطوائه على أشياء متباينة، ولفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف، كما في قولهم: فلان يركب الخيل، ويلبس العمائم، لمن لا يملك إلا فرساً واحدة، وعمامة فردة.

(٢) نفي الشيء بإيجابه:

وقد تقدمت الإشارة إليه، ونزيده هنا بسطاً؛ لأنه من محاسن الكلام، فإذا

تأملته وجدت باطنه نفيًا، وظاهره إيجابًا، قال امرؤ القيس :

على لا حِبِّ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إذا سافهُ العَوْدُ التَّبَاطُيُّ جَزَجَرَا

فقوله : لا يهتدى بمناره، لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له على الإطلاق فضلاً عن الاهتداء به، وكذلك قول زهير ابن أبي سلمى :

بأرض خلاء لا يُسَدُّ وصيدُها

عليّ ومعروفي بها غير منكر

فأثبت لها في اللفظ : وصيداً، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسدّ علي، ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكان نديماً له وصاحباً :

صَبَحْتُ بهم طلقاً يُرَاحُ إلى الندى

إذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

ضعيفاً يحثُّ الكأسَ قبض بنانه

كليلاً على وجه النديم أظافره

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم، إلا أن أظفاره كليلة، وإنما أراد في الحقيقة : أنه لا يظفر وجه النديم، ولا يفعل شيئاً من ذلك، وكذلك قوله : لم تحتضره مفاقره، أي : ليس له مفاقر فتحتضره، وسيأتي ما هو أبلغ من ذلك في حينه، وهو قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَكَ الْحَافَاةَ ﴾ أي : لا يسألون البتة، وفي الآية التي نحن بصدها أراد الباري تعالى نفي الأحلام الباطلة خاصة، كأنهم قالوا : ولا تأويل للأحلام الباطلة، فنكون به عالمين . ويزداد الحسن اكتمالاً بالمواءمة فقد قال الملك لهم أولاً : ﴿ إِن كُنتُمُ لِلزُّلْمِ كَاتِبِينَ ﴾ للتدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها ؛ لأنه أتى بكلمة «إن» التي تفيد التشكيك رجاء اعترافهم بالقصور، مطابقاً لشك الملك ؛ الذي أخرجه مخرج الاستفهام عن كونهم عالمين بالرؤيا أو لا ، وقول الفتى : ﴿ أَنَا أُنبِئُكُمْ

يَتَأْوِيلُهُ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ دليل على ذلك أيضاً ، فسبحان قائل هذا الكلام .

* الفوائد :

١ - أوقع سبحانه قوله «سمان» صفة للمميز ، وهو بقرات ، دون المميز ، وهو سبع ، والفرق بين الأمرين ، وكلاهما جائز في قواعد النحو ، أنك لو أوقعتها صفة لبقرات ، فقد أردت أن تميز السبع بنوع من البقرات ، وهي السمان منهن خاصة لا بجنسهن ، ولو أوقعتها صفة لسبع ، فقد أردت أن تميز السبع بجنس البقرات ، لا بنوع خاص منها ، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن .

٢ - دلت كلمة آخر على أن السنبلات اليابسات كانت سبعاً كالخضر دون التصريح بالعدد ذلك ؛ لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبال الخضر ، فوجب أن يتناول معنى الآخر السبع ، ويكون قوله : ﴿ وَأَخْرَجَ يَاسَنَ ﴾ بمعنى : وسبعاً آخر .

(٣) آخر :

صفة معدولة عن وزن آخر ، ولعدل الصفة موضعان :

آ - الأعداد على وزن «فُعَال ومَفْعَل» كأحاد ومَوْحَد ، وثَنَاء ومثنى ، وثَلَاث ومثلث ، ورباع ومربع ، وهي معدولة عن واحد واحد ، واثنين اثنين . . . الخ فإذا قلت : جاء القوم مثنى ، فالمعنى : أنهم جاؤوا اثنين اثنين . وقد قالوا : إن العدل في الأعداد مسموع عن العرب إلى الأربعة ، غير أن النحويين قاسوا ذلك إلى العشرة ، والحق أنه مسموع في الواحد والعشرة وما بينهما ، قال أبو الطيب :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لُيْلَتْنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

ب - آخر في قولك : مررت بنساء آخر ، وقال تعالى : ﴿ قَصِدَهُ مِنْ أَيَّامٍ

أُخْرَى وهي جمع أخرى مؤنث آخر، وآخر - بفتح الخاء -: اسم تفضيل على وزن أفعل بمعنى مغاير، وكان القياس أن يقال: مررت بنساء آخر، كما يقال: مررت بنساء أفضل؛ لأن اسم التفضيل إذا كان مجرداً من أل، والإضافة لا يؤنث، ولا يشئ، ولا يجمع.

(٤) الاختصاص:

هو نصب الاسم بفعل محذوف وجوباً، تقديره: أخص، أو أعني، ولا يكون هذا الاسم إلا بعد ضمير لبيان المراد منه، نحو: نحن العرب نكرم الضيف، فنحن مبتدأ، وجملة نكرم الضيف خبر، والعرب منصوب على الاختصاص بفعل محذوف تقديره: أخص، وجملة الفعل المحذوف معترضة بين المبتدأ وخبره، وليس المراد الإخبار عن نحن بالعرب، بل المراد أن إكرام الضيف مختص بالعرب، ومقصود عليهم، ومنه قول أبي عبادة البحرني:

نحنُ أبناءُ يعرب، أعربُ النَّاسِ س لساناً وأنضُرُ النَّاسِ عودا

وقد يكون الاختصاص بلفظ أيها وأيتها، فيستعملان كما يستعملان في النداء، فيبينان على الضم، ويكونان في محل نصب بأخص محذوفاً وجوباً، ويكون ما بعدهما اسماً محلياً بآل لازم الرفع على أنه صفة، أو بدل للفظهما، ولا يجوز نصبه على أنه تابع لمحلها، كما في الآية الكريمة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودَتْهُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ

لَأَمَّا رَأَةُ يَأْسُوَ إِلَّا مَا رَجَمَ رَجِيٌّ إِنَّ رَجِيَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

☆ اللغة:

﴿حَطَبُكُنَّ﴾ : شأنكن، وهو في الأصل مصدر خطب يخطب، وإنما يخطب في الأمور العظام. وفي المختار: «الخطب: الأمر، تقول: ما خطبك؟ قال الأزهري: أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، وجمعه خُطوب» وفي القاموس والتاج: الخطب مصدر، وهو الشأن، يقال: ما خطبك؟ أي: ما شأنك؟ وما الذي حملك عليه؟ وغلب استعماله للأمر المكروه العظيم.

﴿حَصَّصَ﴾ : أي: ثبت واستقر، وقال الخليل: حصص معناه تبين، وظهر بعد خفاء، وقال بعضهم: هو مأخوذ من الحصه، والمعنى: بانث حصه الحق من حصه الباطل، كما تتميز حصص الأراضي وغيرها. وقال الراغب: حصص الحق، وذلك بانكشاف ما يغمره، وحص وحصص نحو: كف وكفكف، وحصه: قطعه إما بالمباشرة وإما بالحكم. والحصه: القطعة من الجملة، وتستعمل استعمال النصيب. وفي الصحاح: هو من حصص البعير؛ إذا ألقى ثفنته للإناخة، قال:

فَحَصَّصَ فِي صِمِّ الصَّفَا ثِفْنَاتِهِ وَنَاءً بِسَلْمَى نَوْءَةً ثُمَّ صَمَّمَا

والثَّفَنَات: هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ، وغلظ كالركبتين وغيرهما. وقيل: هو من الحص، وهو: ذهاب الشعر، فتبين ما تحته. والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة، وإذا اجتمع الأمثال في مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من الجنس السابق، ومثله: حثثت وقرقت، أصلهما: حثت وقرقت، هذا قول الكوفيين، وقال البصريون: هما لغتان تقاربتا، إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله، أو من مقاربه في المخرج، وهذه الحروف متباعدة لا يصح إبدالها.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ معطوف على محذوف، أي: لما جاءه الرسول، وأخبره بتأويلها، فقال الملك، وجملة اتئوني به مقول القول، فلما: الفاء عاطفة، ولما حينية ظرفية، أو رابطة، وجاءه الرسول فعل ومفعول به مقدم وفاعل ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَكَ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ مهّد لتأويل الحلم بسؤال النسوة ليظهر براءة ساحته، مما قرف به، وسجن من أجله. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره، والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرت أن يخرجوني». وارجع: فعل أمر، وفاعله أنت، وإلى ربك جار ومجرور متعلقان بارجع، فاسأله معطوف على ارجع، والهاء مفعول به، وما اسم استفهام مبتدأ، وبال خبر، والجملة في محل نصب مفعول أسأله المعلقة عن العمل بالاستفهام، والنسوة مضاف لبال، واللاتي موصول صفة، وجملة قطعن أيديهن صلة ﴿إِنَّ رَبِّي يَبَكِّدُهُنَّ عَنْ عِلْمٍ﴾ إن واسمها، وبكيدهن متعلقان بعليم، وعليم خبر إن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودَتْنَ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وخطبكن خبر، وإذ ظرف متعلق بخطبكن؛ لأنه في معنى الفعل، والمعنى: ما فعلتن وما أردتن به في ذلك الوقت، وجملة راودتن في محل جر بإضافة الظرف إليها، وراودتن فعل وفاعل، ويوسف مفعول به، وعن نفسه متعلقان براودتن ﴿قُلْ كَشَىٰ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوٍّ﴾ حاش تقدم القول فيها، أي: تنزيهاً له عن أن يتصف بالعجز عن خلق بشر عفيف مثل هذا، والله بيان، وما نافية، وعلمنا فعل وفاعل، وعليه متعلقان بعلمنا، ومن حرف جر زائد، وسوء مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً على أنه مفعول علمنا ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾ قالت امرأة العزيز فعل وفاعل، والآن ظرف زمان متعلق بحصحص، والحق فاعل حصحص ﴿أَنَا رُودْتُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّمَا لِمَنِ الصِّدْقُ﴾ أنا مبتدأ، وجملة راودته خبر، وهي فعل وفاعل ومفعول به، وعن نفسه متعلقان براودته، والواو

حرف عطف، وإن واسمها، واللام المزحلقة، ومن الصادقين خبر إنه ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ اختلاف المفسرون في قائل هذا الكلام، ومن الصعب البت في الأمر، أو الترجيح، فلننقل القولين، قال بعضهم: من كلام يوسف، أي: ذلك التشمير والتثبت لظهور البراءة، وليعلم العزيز أنني لم أخنه، قال الفراء: ولا يبعد وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر إذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما إلى ما يليق به، والإشارة إلى الحادثة الواقعة منه، وهي تثبته وتأيّيه. وقال آخرون هو من كلام زليخا، والمعنى: ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أنني لم أخنه، ومهما يكن من أمر فذلك مبتدأ، وليعلم اللام للتعليل، ويعلم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور خبر، ويجوز أن يراد هذا الكلام لعموم الأحوال، فذلك عندئذ خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالأمر ذلك، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سداً مسد مفعولي يعلم، وجملة «لم أخنه» خبر أني، وبالغيب في محل نصب حال من الفاعل أو المفعول، ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: بمكان الغيب فيعلق بأخنه، وأن الله عطف على أني، وجملة لا يهدي خبر أن، وكيد الخائنين مفعول به ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ الواو حالية، وما نافية، وأبرئ نفسي فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإن النفس: إن واسمها، واللام المزحلقة، وأمرة بالسوء خبرها، وإلا أداة استثناء، وما يجوز أن تكون مصدرية، وموضعها نصب، والتقدير: إن النفس لأمرة بالسوء إلا مدة رحمة ربي، وانتصابه على الظرف، ويجوز أن تكون ما بمعنى من، والتقدير: إن النفس لتأمر بالسوء إلا لمن رحم ربي، أو إلا نفساً رحمها ربي فإنها لا تأمر بالسوء. وعبارة أبي حيان: «والظاهر أن إلا ما رحم ربي استثناء متصل من قوله لأمرة بالسوء؛ لأنه أراد الجنس بقوله: إن النفس، فكأنه قال: إلا النفس التي رحمها ربي، فلا تأمر بالسوء، فيكون استثناء من الضمير المستكن في أمره، ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمره بالسوء، وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومته من

ما قبل الاستثناء، وما ظرفية، إذ التقدير: لأماره بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد، وذهابه بها عن اشتهاه المعاصي، وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً، وما مصدرية، وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة ﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إن واسمها وخبرها.

□ البلاغة:

رجح البلاغيون أن يكون الكلام ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ...﴾ من قول زليخا؛ لأنه أقرب إلى المقام وأليق بمقام الغزل، حيث يفدي المحب من يحب بنفسه، ألا ترى أنه عندما استحكمت المحنة، وبلغت النهاية فدته بنفسها، فقالت: ﴿أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وتقربت إلى قلبه بقولها: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ وما أحسن قول كثير، وقد رمق سماء هذا المعنى في التقرب إلى المحبوب، وخلق قلبه بهذا التطفل:

يودُّ بأن يُمسيَ عليلاً لعلَّها إذا سمعتْ شكواه يوماً ترأسله
ويهتُرُّ للمعروف في طلبِ العلا لتحمدَ يوماً عند ليلي شمائله

ويثبت ذلك أيضاً قولها للنسوة اللواتي سمعت بمكرهن: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ غير مكترثة لما فضحنها به. وقد رمق هذه السماء العالية أيضاً جميل بن معمر الخزازي، فقال:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا

سوى أن يقولوا: إني لك عاشق

أجل صدق الواشون أنت حبيبة

إلي وإن لم تصف منك الخلائق

وقد رواهما صاحب الأغاني لمجنون بني عامر.

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي أحد بني رقاش، وهم منسوبون إلى

أهم:

ألا ليقُلَ مَنْ شاءَ ما شاءَ إنما

يُلامُ الفتى فيما استطاعَ من الأمر

قضى الله حُبَّ المالِكة فاصطبر
 عليه فقد تجري الأمور على قدر
 وقد رمق أبو العتاهية بيتي جميل، فقال:
 قال لي أحمد ولم يَدْرِ ما بي
 أتَحِبُّ الغداةَ عبدةً حقًّا
 فتنفستُ ثم قلتُ: نعم حُبًّا
 جَرَى في العُروقِ عرقاً فعرقاً
 ولقد أربى عليه بهذا التنفس الذي تتبعه كل نفس لطيفة.

* الفوائد:

الآن:

الآن ظرف من ظروف الزمان، معناه الزمن الحاضر، وهو مبني على
 الفتح، وفي علة بنائه إشكال، فذهب قوم إلى أنه بني لأنه وقع في أول أحواله
 معرفة بالألف واللام، وحكم الأسماء أن تكون منكورة شائعة في الجنس، ثم
 يدخل عليها ما يعرفها من إضافة وألف ولام، فلما خالفت أخواتها من
 الأسماء بأن وقعت معرفة بأول أحوالها، ولزمت موضعاً واحداً بنيت
 لذلك؛ لأن لزومها بهذا الموضع ألحقها بشبه الحروف، وهذا رأي أبي العباس
 المبرد، وشايعة الزمخشري وغيره، وقال الفراء: أصله آن، من: آن الشيء
 يئين؛ إذا أنى وقته، يقال: آن لك أن تفعل كذا، وأنى لك، قال عمرو بن
 حسان:

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

وآن فعل ماضٍ، فلما أدخل عليه الألف واللام ترك على ما كان عليه من
 الفتح، كما جاء في الحديث أنه ﷺ: «نهى عن قيل وقال» وقيل وقال فعلان
 ماضيان، فأدخل الخافض عليهما، وتركهما على ما كانا عليه، وهناك
 تعليقات أخرى ضربنا عنها صفحاً؛ لأنه لا طائل تحتها.

فهرس الآيات

سورة الأعراف

٥	تفسير الآيتين (٨٨-٨٩)
٩	تفسير الآيات (٩٠-٩٣)
١١	تفسير الآيات (٩٤-٩٦)
١٣-١٢	تفسير الآيات (٩٧-٩٩)
١٤-١٣	تفسير الآيات (١٠٠-١٠٢)
١٦	تفسير الآيات (١٠٣-١٠٦)
١٨	تفسير الآيات (١٠٧-١١٢)
٢٠	تفسير الآيات (١١٣-١١٦)
٢٢-٢١	تفسير الآيات (١١٧-١٢٢)
٢٣	تفسير الآيات (١٢٣-١٢٦)
٢٦	تفسير الآيات (١٢٧-١٢٩)
٢٨	تفسير الآيات (١٣٠-١٣٢)
٣٣	تفسير الآيات (١٣٣-١٣٦)
٣٦	تفسير الآيتين (١٣٧-١٣٨)
٣٨	تفسير الآيات (١٣٩-١٤١)
٤٠	تفسير الآيتين (١٤٢-١٤٣)
٤٢	تفسير الآيات (١٤٤-١٤٦)
٤٥-٤٤	تفسير الآيتين (١٤٧-١٤٨)
٤٦	تفسير الآيات (١٤٩-١٥١)
٤٩	تفسير الآيات (١٥٢-١٥٤)
٥٣-٥٢	تفسير الآيات (١٥٥-١٥٧)
٥٩	تفسير الآيات (١٥٨-١٦٠)

٦٤	تفسير الآيتين (١٦٢-١٦١)
٦٥	تفسير الآيات (١٦٦-١٦٣)
٦٨	تفسير الآيات (١٧٠-١٦٧)
٧١	تفسير الآيات (١٧٣-١٧١)
٧٥	تفسير الآيات (١٧٧-١٧٤)
٧٩	تفسير الآيتين (١٧٩-١٧٨)
٨٠	تفسير الآيات (١٨٦-١٨٠)
٨٣	تفسير الآيتين (١٨٨-١٨٧)
٨٦	تفسير الآيات (١٩٢-١٨٩)
٨٩	تفسير الآيات (١٩٥-١٩٣)
٩١	تفسير الآيات (٢٠٠-١٩٦)
٩٥/٣	تفسير الآيات (٢٠٦-٢٠١)

سورة الأنفال

٩٩	تفسير الآيات (٤-١)
١٠٢	تفسير الآيات (٩-٥)
١٠٩	تفسير الآيتين (١١-١٠)
١١٠	تفسير الآيات (١٤-١٢)
١١٢	تفسير الآيات (١٨-١٥)
١١٧	تفسير الآيات (٢٣-١٩)
١١٩	تفسير الآيات (٢٦-٢٤)
١٢٣	تفسير الآيات (٢٩-٢٧)
١٣١	تفسير الآيتين (٣١-٣٠)
١٣٣	تفسير الآيات (٣٤-٣٢)
١٣٦	تفسير الآيات (٣٧-٣٥)
١٣٨	تفسير الآيات (٤٠-٣٨)
١٤٠	تفسير الآيتين (٤٢-٤١)
١٤٦	تفسير الآيتين (٤٤-٤٣)
١٤٧	تفسير الآيات (٤٧-٤٥)
١٤٩	تفسير الآيتين (٤٩-٤٨)

١٥١	تفسير الآيات (٥٤-٥٠)
١٥٧	تفسير الآيات (٥٩-٥٥)
١٦١	تفسير الآيتين (٦١-٦٠)
١٦٤	تفسير الآيات (٦٤-٦٢)
١٦٧	تفسير الآيتين (٦٦-٦٥)
١٦٨	تفسير الآيات (٦٩-٦٧)
١٧١	تفسير الآيات (٧٢-٧٠)
١٧٣	تفسير الآيات (٧٥-٧٣)

سورة التوبة

١٧٦	تفسير الآيات (٣-١)
١٨١-١٨٠	تفسير الآيتين (٥-٤)
١٨٣-١٨٢	تفسير الآيات (١٠-٦)
١٨٦	تفسير الآيتين (١٢-١١)
١٨٧-١٨٦	تفسير الآيات (١٥-١٣)
١٨٩	تفسير الآيتين (١٧-١٦)
١٩١	تفسير الآيات (٢٢-١٨)
١٩٦	تفسير الآيتين (٢٤-٢٣)
١٩٨	تفسير الآيات (٢٧-٢٥)
٢٠٢	تفسير الآيتين (٢٩-٢٨)
٢٠٦	تفسير الآيات (٣٢-٣٠)
٢١٠-٢٠٩	تفسير الآيات (٣٥-٣٣)
٢١٣	تفسير الآيتين (٣٧-٣٦)
٢١٦	تفسير الآيات (٤٠-٣٨)
٢١٩	تفسير الآيات (٤٣-٤١)
٢٢٢-٢٢١	تفسير الآيات (٤٧-٤٤)
٢٢٥-٢٢٤	تفسير الآيات (٥١-٤٨)
٢٢٧-٢٢٦	تفسير الآيات (٥٤-٥٢)
٢٢٩-٢٢٨	تفسير الآيات (٦٠-٥٥)
٢٣٤	تفسير الآيات (٦٣-٦١)

٢٣٨	تفسير الآيات (٦٤-٦٦)
٢٤٠	تفسير الآيات (٦٧-٦٩)
٢٤٣	تفسير الآيات (٧٠-٧٢)
٢٤٥	تفسير الآيتين (٧٣-٧٤)
٢٤٨	تفسير الآيات (٧٥-٨٠)
٢٥٢-٢٥١	تفسير الآيتين (٨١-٨٢)
٢٥٣	تفسير الآيات (٨٣-٨٥)
٢٥٦	تفسير الآيات (٨٦-٨٩)
٢٥٧	تفسير الآيات (٩٠-٩٢)
٢٦٣	تفسير الآيات (٩٣-٩٥)
٢٦٥	تفسير الآيات (٩٦-٩٨)
٢٦٩	تفسير الآيتين (٩٩-١٠٠)
٢٧٠	تفسير الآيات (١٠١-١٠٤)
٢٧٤	تفسير الآيات (١٠٥-١١٠)
٢٨٠-٢٧٩	تفسير الآيات (١١١-١١٢)
٢٨٤-٢٨٣	تفسير الآيات (١١٣-١١٦)
٢٨٦	تفسير الآيتين (١١٧-١١٨)
٢٩١-٢٩٠	تفسير الآيات (١١٩-١٢١)
٢٩٤-٢٩٣	تفسير الآيات (١٢٢-١٢٦)
٢٩٦	تفسير الآيات (١٢٧-١٢٩)

سورة يونس

٢٩٩	تفسير الآيات (١-٤)
٣٠٥	تفسير الآيتين (٥-٦)
٣٠٧	تفسير الآيات (٧-١٠)
٣٠٩-٣٠٨	تفسير الآيتين (١١-١٢)
٣١١	تفسير الآيات (١٣-١٧)
٣١٥	تفسير الآيات (١٨-٢٠)
٣١٧	تفسير الآيات (٢١-٢٣)
٣٢٢	تفسير الآيتين (٢٤-٢٥)

٣٢٥-٣٢٤	تفسير الآيتين (٢٦-٢٧)
٣٣٠	تفسير الآيات (٢٨-٣٠)
٣٣٣	تفسير الآيات (٣١-٣٣)
٣٣٤	تفسير الآيات (٣٤-٣٦)
٣٣٧-٣٣٦	تفسير الآيات (٣٧-٤٠)
٣٣٩	تفسير الآيات (٤١-٤٤)
٣٤٣	تفسير الآيات (٤٥-٤٧)
٣٤٤	تفسير الآيات (٤٨-٥٢)
٣٤٦	تفسير الآيات (٥٣-٥٦)
٣٥٠	تفسير الآيات (٥٧-٦١)
٣٥٤	تفسير الآيات (٦٢-٦٥)
٣٥٦	تفسير الآيتين (٦٦-٦٧)
٣٥٨	تفسير الآيات (٦٨-٧٠)
٣٥٩	تفسير الآيات (٧١-٧٣)
٣٦٣-٣٦٢	تفسير الآيات (٧٤-٧٨)
٣٦٦	تفسير الآيات (٧٩-٨٢)
٣٦٧	تفسير الآيات (٨٣-٨٦)
٣٦٩	تفسير الآيات (٨٧-٨٩)
٣٧٢	تفسير الآيات (٩٠-٩٢)
٣٧٧-٣٧٦	تفسير الآيات (٩٣-٩٧)
٣٨٠-٣٧٩	تفسير الآيات (٩٨-١٠٠)
٣٨١	تفسير الآيات (١٠١-١٠٣)
٣٨٣	تفسير الآيات (١٠٤-١٠٩)

سورة هود

٣٨٧	تفسير الآيات (١-٤)
٣٨٩	تفسير الآيات (٥-٨)
٣٩٦	تفسير الآيات (٩-١١)
٣٩٨-٣٩٧	تفسير الآيات (١٢-١٤)
٤٠٠	تفسير الآيتين (١٥-١٦)

٤٠٢-٤٠١	تفسير الآيات (١٧-٢٢)
٤٠٦	تفسير الآيتين (٢٣-٢٤)
٤٠٩	تفسير الآيات (٢٥-٢٨)
٤١٣	تفسير الآيات (٢٩-٣١)
٤١٥	تفسير الآيات (٣٢-٣٥)
٤٢١	تفسير الآيات (٣٦-٣٩)
٤٢٣	تفسير الآيات (٤٠-٤٣)
٤٢٧	تفسير الآية (٤٤)
٤٣٩-٤٣٨	تفسير الآيات (٤٥-٤٩)
٤٤٢	تفسير الآيات (٥٠-٦٠)
٤٥٠-٤٤٩	تفسير الآيات (٦١-٦٨)
٤٥٧-٤٥٦	تفسير الآيات (٦٩-٧٦)
٤٦٢	تفسير الآيات (٧٧-٨٣)
٤٧١-٤٧٠	تفسير الآيات (٨٤-٩٥)
٤٧٩	تفسير الآيات (٩٦-١٠٨)
٤٨٧	تفسير الآيات (١٠٩-١١٢)
٤٩٢-٤٩١	تفسير الآيات (١١٣-١١٧)
٤٩٦	تفسير الآيات (١١٨-١٢٣)

سورة يوسف

٤٩٩	تفسير الآيات (١-٦)
٥٠٥	تفسير الآيات (٧-١٤)
٥٠٩-٥٠٨	تفسير الآيات (١٥-٢٠)
٥١٣	تفسير الآيات (٢١-٢٤)
٥٢٠	تفسير الآيات (٢٥-٢٩)
٥٢٤	تفسير الآيات (٣٠-٣٣)
٥٣٤-٥٣٣	تفسير الآيات (٣٤-٤١)
٥٣٩	تفسير الآيات (٤٢-٤٩)
٥٥٠-٥٤٩	تفسير الآيات (٥٠-٥٣)